

تالیف ابی عبدالله بن عمر الواقدی



بسم الله الرحمن الرحيم. اقبسال الجند

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه اجمعين •

(قال الامام الواقدي)رحمه الله تعالى آمين : حدثني ابوبكر بن الحسن بن. سنفيان بن نوفل بن محمد بن ابراهيم التيمي ، ومحمد بن عبد الله الانصاري ، وأبو سمعيد مولى هشام ومالك بن أبي الحسن واسمعيل مولى الزبير ومازن بن عوف من بنى النجار ، كل حدث عن فتوح الشام بما كان ، قالوا جميعًا : انه لما توفي رسول الله (ص) واستخلف بعده أبو بكر الصديق (ر ض) قتل في خلافته مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ، وقاتل بني حنيفة ، وأهل الردة وأطاعته العرب ، فعزم أن يبعث جيشه الى الشام وصرف وجهه لقتال الروم فجمع أصحاب رسول الله (ص) في المسجد وقام فيهم خطيبا فحمد الله عز وجل ، وقال : يا أيها الناس رحمكم الله تعالى : اعلموا ان اللـــه فضلكم بالإسلام وجعلكم من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم نصرا مبينا ، وقال فيكم _ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا _ واعلموا ان رسول الله (ص) كان عول أنْ يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه واختار له ما لديه ، ألا واني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم فأن رسسول الله (ص) أنبأني بذلك قبل موته ، وقال « زويت لي الارض فرأيت مشارقهــــا ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » ، فما قولكم في ذلك ؟ • فقالوا يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت ، فإن الله تعالى فرض علينا طاعتك • فقال تعالى _ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ـ ففرح أبو بكر (ر ض) • ونزل عن المنبر وكتب الكتب الى ملوك اليمن وأهل مكة وكانت الكتب فيها نسخة واحدة • وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم .

(أما بعد) فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو ، وأصلي على نبيه محمد

﴿ ص ﴾ ، وقد عزمت أن أوجهكم الى بلاد الشام لتأخذوها سـن أيدي الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام ، فليبادر الى طاعة الملك العلام ، ثم كتب _ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله _ الآية ، ثم بعث الكتب اليهم وأقام ينتظر جوابهم، وقدومهم ، وكان الذي بعثه بالكتب الى اليمن أنس بن مالك خادم رسول الله (ص) قال : فما مسرت الايام حتى قدم أنس (رض) يبشره بقدوم أهل اليمن وقال: يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على أحد الا وبادر الى طاعة الله ورسوله ، واجاب ، دعوتك وقد تجهزوا في العدد والعديد والزرد النضيد، وقداقبلت اليك ياخليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال ، وأي رجال ، وقد أجابوك شعثا غبرا وهم أبطال اليمن وشجعانها ، وقد ساروا اليك بالذراري والاموال والنساء والاطفال ، وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك ووصلوا اليك فتأهب الى لقائهم • قال فسر أبو اقبلوا الى الصديق (رض) وقد لاحت غبرة القوم لاهل المدينة • قال : فاخبروه فركب المسلمون من اهلالمدينة وغيرهم واظهروا زينتهم وعددهم ونشروا الاعلام الاسلامية ورفعوا الالوية المحمدية فما كان الا قليل حتــــــــى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا ، قوم في أثر قوم وقبيلة في أثر قبيلة ، فكـان اول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية والسيوف الهندية وأمامهم ذو الكلاع الحميري (رض) ٠ فلما قرب مـــن الصديق (ر ض) أحب أن يعرفه بمكانه وقومه وأشار بالسلام وجعل ينشد ويقبول:

أتت ك حمير بالاهلين والولد أهمل السوابق والعالون بالرتب أسبد غطارفية شوس عمالقة يردوا الكماء غدا في الحرب بالقضب الحرب عادتنا والضرب همتنا وذو الكلاع دعا في الاهل والنسب دمشق لي دوت كل الناس اجمعهم وساكنيها سأهويهم السي العطب

قال فتبسم أبو بكر الصديق (رض) من قوله ، ثم قال لعلي بن ابسي طالب (رض) يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فابشر بنصر الله علي أهل الشرك أجمعين » • فقال الامام علي صدقت وأنا سمعته من رسول الله (ص) • قال أنس رضي الله عنه : وسارت حمير بكتائبها وأموالها وأقبلت من بعدها كتائب مذحج أهل الخير العتاق والرماح الدقاق ، وأمامهم سيدهم

قيس بن هبيرة المرادي (رض) ، فلما وصل الى الصديق (رض) جعل يقول صلوا على طه الرسول:

أتتك كتائب منا سرعا ذوو التيجان أعني من مراد فقدمنا أمامك كي ترانا نبيد القوم بالسيف النجادي

قال فجزاه أبو بكر (رض) خيرا وتقدم بكتائبه ومواليه ، وتقدمت من بعده قبائل طيىء يقدمها حارث بن مسعد الطائى (رض) ، فلما وصل هم: أن يترجل فأقسم عليه ابو بكر (رض) بالله تعالى أن لا تفعل فدنا منه فصافحه وسلم عليه وأقبلت الازد في جموع كثيرة يقدمها جندب بن عمرو الدوسى (رض) ، ثم جاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم الامير ميسرة بن مسروق العبسى (رض); ، وأقبلت من بعدهم بنو كنانة يقدمهم غيثم بن اسلم الكناني وتتابعت قبائسل اليمن يتلو بعضها بعضا ومعهم نساؤهمم وأموالهم ، فلما نظر أبو بكر (رض) الى نصرتهم سر بذلك وشكر الله تعالى وانزل القوم حول المدينة كل قبيلة متفرقة عن صاحبتها واستمروا فأضر الصديق (رض) ، وقالوا : يا خليفة رسول الله انك أمرتنا بأمر فأسرعنا لله ولك رغبة في الجهاد وقد تكامل جيشنا وفرغنا من أهبتنا ، والمقام قـــــــ أضر بنا لان بلدك ليست بلد جيش ، ولا حافر ولا عيش ، والعسكر نازل فأن كنت قد بدلت فيما عزمت عليه فأمرنا بالرجوع الى بلدنا وأقبل الجميع وخاطبوه بذلك ، فلما فرغوا من كلامهم قال ابو بكر (رض) : يا أهل اليمن ، ومن حضر من غيرهم • أما والله ما اريد لكم الاضرار ، وانما اردنـــــا تكاملكم ، قالوا انه لم يبق من ورائنا أحد فاعزم على بركة الله تعالى ٠

وصية أبي بكسر

(قال المؤلف رحمه الله تعالى) لقد بلغني أن أبا بكر الصديق (رض) قام من ساعته يمشي على قدميه وحوله جماعة من الاصحاب منهم عمر وعثمان وعلي (رض)، ، وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء في الناس وكبروا بأجمعهم فرحا لخروجهم ، وأجابتهم الجبال لدوي أصواتهم ، وعلا أبو بكر على دابته حتى أشرف على الجيش فنظر اليهم قد ملئوا الارض فتهلل وجهه ، وقال : اللهم انزل عليهم الصبر وأيدهم ولا تسلمهم الى عدوهم ـ انك على

كل شمىء قدير _ وكان أول من دعاه أبو بكر يزيد بن أبي سفيان وعقد لـــه راية وأمره على الف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلا من بني عامر بن لؤي يقال له ربيعة بن عامر ، وكان فارسا مشهورا في الحجاز فعقد له راية وأمره على ألف فارس ، ثم أقبل ابو بكر على يزيد بن أبى سفيان ، وقال له هذا ربيعة بن عامر من ذوي العلا والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته اليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في أمرك ولا تخالفه • فقال يزيد حبا وكرامة وأسرعت الفرسان الى لبس السلاح واجتمع الجند وركب يزيد بسن أبى سفيان ، وربيعة بن عامر وأقبلا بقومهما الى أبي بكر (رض) فأقبل يمشى مع القوم • فقال يزيد يا خليفة رسول الله : الناجي من غضب الله مــن رضيت عنه لا نكون على ظهور خيولنا ، وأنت تمشى فأما ان تركب وأما ان ننزل • فقال ما انا براكب وما أنتم بنازلين ، وسار الى ان وصل الى تنيـة الوداع فوقف هناك فتقدم اليه يزيد فقال يا خليفة رسول الله أوصنا ، فقال « اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على اصحابك في مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على اصحابك وشاورهم في الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا افلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم ، _ واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرنا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ـ واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شبيخا ولا امرأة ولا طفـــــلا ولا تعقروا بهيمة المأكول ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم ، وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون انهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوما آخرين من حزب الشيطان وعبدة الصلبان قد حلقوا أوساط رؤوسهم او يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقد استودعتكم الله ، ثم عانقـــه وصافحه وصافح ربيعة بن عامر ، وقال يا عامر اظهر شبجاعتك علمي بني الاصفر بلغكم الله آمالكم ، وغفر لنا ولكم » · قال وسار الفوم ورجع أبو بكر (رض) بمن معه الى المدينة قال فجد الفوم في السير ، فقال ربيعة بن عامر ما هذا السير يا يزيد ، وقد أمرك أبو بكر أن ترفق بالناس في سيرك. فقال يزيد يا عامر ان أبا بكر (رض) سيعقد العقبود ويرسل الجيوش. فاردت اناسبق الناس الى الشام فلعلنا ان نفتح فتحا قبـــل تلاحق الناس بنا فيجتمع بذلك ثلاث خصال رضاء الله عز وجل ، ورضاء خليفتنا ، وغنيمة تأخذها ، فقال ربيعة فسر الان ولا حول ولا فوة الا بالله العلي العظيم ، قال فأخذ القوم في السير على وادي القرى ليخرجوا على تبوك ثم على الجابية الى دمشق ، قال واتصل الخبر للملك هرقل من قوم من عرب اليمن المنتصرة كانوا في المدينة ، فلما صح عند الملك ذلك جمع بطارقته في عسكره ، وقال لهم يابني الاصفر : ان دولتكم قد عزمت على الانهزام ، ولقد كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون الصلاة وتؤثرون الزكاة التي امركم بها الآباء والاجداد والقسس والرهبان ، وتقيمون حدود الله التي أمركم بها الانجيل لا جرم انكم ما قصدكم ملك من ملوك الوشاة ونازعكم على الشام الا وقهرتموه ولقد فصدكم كسرى بجنود فارس فانكسروا على اعقابهم ، والان قد بدلتم وغيرنم فظلمتم وجرتم ، وقد بعث اليكم ربكم قوما لم يكن في الامم أضعف منهم عندنا ، وقد رمتهم شدة الجوع الينا وأتى بهم الى بلادنا وبعثهم صاحب نبيهم ليأخذوا ملكنا من أيدينا ويخرجونا من بلادنا ،

فقالوا أيها الملك نردهم عن مرادهم ونصل الى مدينتهم ونخرب كعبتهم و قال فلما سمع مقالتهم وتبين اغتياظهم جرد منهم ثمانية آلاف من أشبجع فرسانهم وأمر عليهم خمسة من بطارقتهم ، وهم البطاليق وأخصوه جرجيس وصاحب شرطته ولوقا بن سمعان وصليب بن حنا صاحب غزة ، وكانت هذه الخمسة البطارقة يضرب بهم المثل في الشجاعة والبراعة ، ثم تدرعوا واظهروا زينتهم ، وصلت عليهم الامة صلاة العصر و فقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروهم ببخور الكنائس ، ثم رشوا عليهم من ماء العمودية وودعوا الملك وساروا وأمامهم العرب المنتصرة يدلونهم علمي الطريق و قال حدثني رفاعة عن ياسر بن الحصين وقال بلغني أن اول من وصل الى تبوك كان يزيد بن سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من المسلمين قبل وصول الروم بنلاثة ايام ، فلما كان في اليوم الرابع والمسلمون قصله هموا بالرحيل الى الشام اذ أقبل جيش الروم ، فلما رآه المسلمون اخذوا على أنفسهم وكمن ربيعة بأصحابه الالف وأقبل يزيد بأصحابه الالف ووعظهم وذكر الله تعالى و وقال لهم:

اعلموا ان الله وعدكم بالنصر وأيدكم بالملائكة ، وقال الله تعالى في كتابه

العزيز ـ كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله والله مع الصابرين ـ وقد قال (ص) « الجنة تحت ظلال السيوف » وأنتم أول جند دخل الشام فيكم وانصروا الله ينصركم ، فبينما يزيد يعظ الناس واذا بطلائم الروم قد اقبلت وجيوشها قد ظهرت فلما رأوا قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا انه ليس وراءهم أحد فبربر بعضهم على بعض بالرومية وقالوا : دونكم من يريد أخذ بلادكم واستنصروا بالصليب فانه ينصركم ، ثم حملوا وتلقاهم اصحاب رسول الله (ص) بهمم عالية وقلوب غير دانية ودار القتال بينهم وتكاثرت الروم عليهم وظنوا انهم في قبضتهم اذ خرج عليهُم ربيعة بن عامر (رض) بالكمين ، وقد اعلنوا بالتهليــل والتكبير والصلاة علـــي البشير النذير ، وحملوا على الروم حملةصادقة ، فلما عاينت الروم من خرجعليهم انكسروا ، والقي الله الرعب في قلوبهم فتقهقروا الى ورائهم ونظر ربيعة بن عامر الى البطاليق وهو يحرض قومه على القتال فعلم انه طاغية الروم فحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فوقعت في خاصرته وطلعت من الناحية الاخرى ، فلمــا نظر الروم الى ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على طائفة محمد المختار • حدثنا سعد بن أوس عن السرية التي انفذها أبو بكر الصديق (رض) مع يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر ، قال قد اجتمعا بعساكر الروم في ارض تبوك مع البطاليق وهزمهم الله تعالى على أيدينا ، وكان جملة من قتل منهم الفا ومانتين ، ومن قتل من المسلمين مائة وعشرين رجلا • قال وان القوم لما انهزموا قال لهم جرجيس وهو أخو المقتول يا ويلكم بأي وجــه ترجعون الى الملك ، وقد عملوا فينا عملا ذريعا ، وملثوا الارض من قتلانا ولا ارجع حتى آخذ بثأر أخي أو الحق به •قال واجتمع القوم وسمعوا منه ذلك ورجع بعضهم الى بعض وعادوا الى القتال ، فلما استقروا في خيامهم بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه القداح ، وقالوا له امضى الى بني عمك وقل لهم يبعثوا لنا رجلا من كبارهم وعقلائهم حتى ننظر ما يريدون منا ٠ قــال فركب القداح جواده واقبل نحو جيش المسلمين ، فلما رأوه مقبلا اليهم استقبله رجال من الاوس وقالوا له ماذا تريد ؟ قال لهـم ان البطارقة يريدون رجالا من عقلائكـم ليخاطبوهم فيما يريد الله من صلاح شأن الجمعين • قال فأخبروا يزيد بن ربيعة بما قال المتنصر ٠ فقال ربيعة بن عامر أنا أسير الى القوم ٠

فقال بزيد يا ربيعة أنا أخاف عليك من القوم لانك قد قتلت كبيرهم بالامس • فقال ربيعة _ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ وانى أوصيك والمسلمين أن تكون همتكم عندى فاذا رأيتم القوم غدروا بي فاحملوا عليهم ثم ركب جواده وسار حتى اتى جيش الروم وقرب من سرداق اميرهم • فقال القداح : عظم جيش الملك وانزل عن جوادك · فقال ربيعة (رض) ما كنت بالذي انتقل من العز الى الذل ولست أسلم جوادي لغيري وما أنا بنازل الا على باب السرداق والا رجعت من حيث جئت لاننا ما بعثنا اليكم ، بل انتم بعثتم الينا قال فأعلم القداح الروم بما تكلم به ربيعة بن عامر ٠ فقال بعضهم لبعض صدق العربي في قولك دعوه ينزل حيث اراد قال فنزل ربيعة على باب السرداق وجثا على ركبته وأمسك عنان جواده بيده وسلاحه ٠ فقال له جرجيس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم عندنا وما كنا نحدث انفسنا انكم تغزوننا وما الذي تريدون منا ؟ فقال ربيعة نريد منكم أن تدخلوا في ديننا ، وأن تقولوا بقولنا ، وأن أبيتـــم تعطونا الجزية عن يد وانتم صاغرون والا فالسيف بيننا وبينكم • فقـــال جر جيس فما منعكم أن تقصدوا الفرس وتدعون الصداقة بيننا وبينكم ؟ • فقال ربيعة بدأنا بكم لانكم اقرب الينا من الفرس ، وأن الله تعالى أمرنا في كتابه بذلك قال الله تعالى _ يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفـار وليجدوا فيكم غلظة _ قال جرجيس : فهل لك أن تعقد الصلح بيننا وبينكم وأن نعطى كل رجل منكم دينارا من ذهب وعشرة أوسق من الطعام وتكتبوا بيننا وبينكم كتاب الصلح لا تغزون الينا ولا نغزؤا اليكم • قال ربيعة لا سبيل الى ذلك وما بيننا وبينكم الا السيف او اداء الجزية أو الاسلام • قال جرجيس : لاننا لا نرى لديننا بدلا • واما اعطاء الجزية فان القتل عندنا أيسر من ذلك • وما انتم بأشهى منا الى القتال والحرب والنزال لان فينا البطارقة وأولاد الملوك ورجال الحرب وارباب الطعن والضرب • قال جلجيس لاصحابه على بأنفس صقالبة حتى يناظروا هذا البدوي في كلامه • قال وكان الملك هرقل قد بعث معهم قسيسا عظيما عارفا بدينهم مجادلا عن شرعهم • قال فأتى الحاجب بـ • فلما استقر به الجلوس قال له جرجيس يا أبانا استخبر من هذا الرجل عن

شريعتهم ، وعن دينهم • فقال القسيس يا اخسى التعربي اناتجد في عملنك انالله تعالى يبعث من الحجاز نبيا عربيا هاشميا قرشيا علامته انالله تعالى يسري به الى السماء أكان ذلك ام لا ، قال نعم اسرى به ، وقد ذكره ربنا في كتابه العزيز بقوله تعالى ـ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام السي المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ـ قال القسيس انا نجد في كتابنا ان ربنا يفرض على هذا النبي وأمته شهرا يصومونه يقال له شهر رمضان • قال ربيعة نعم ، وقد قرأنا في القرآن العظيم ـ شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ... فقال القسيس انا وجدنا في كتابنا أن من أحسن حسنة تكتب بعشرة • قال ربيعة نعم قال الله تعالى ــ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ـ قال القسيس انا نجد في كتابنا ان الله يأمر أمته بالصلاة عليه • قال ربيعة نعم : وقد قال الله في كتابه العزيــز _ ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما _ قال فعجب القسيس من كلامه وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء القيوم • فقال بعض الحجاب أن هذا هو الذي قتل أخاك • فلما سمع ذلك ازورت عيناه وغضب غضبا شديدا وهم أن يثب على ربيعة ففهم ربيعة ذلك منه فوثب من مكانه اسرع من البرق وضرب بيده الى قائم سيفه وعاجل جرجيس بضربة فجندله صريعا قتيلا ووثب على فرسه فركبها فاسرعت البطارقة اليه وهو راكب فحمل فيهم ونظر يزيد بن أبي سفيان الى ذلك • فقال للمسلمين أن أعداء الله قـــد المشركين واختلط الجيش بالجيش وصبرت الروم لقتال العرب فبينما هسم في القتال اذ أشرفت جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) ، فلما نظر المسلمون الى اخوانهم في القتال حملوا على ا لقوم حملة صادقة وحكمت سيوفهم في قمم الروم ٠

(قال الواقدي) لقد بلغني ان الثمانية آلاف المذكورة من الروم لم ينج منهم أحد لان العرب التقطوهم بسبق الخيل وبعد الشام مسن تبوك ، ثم ان السلمين اخذوا اموالهم وخيامهم ، ثم شمسلموا على شرحبيل ومن معه وجمعوا المال والغنائم • فقالوا نبعث الجميع الى أبي بكر الصديق (رض) فرضوا بذلك المال والغنائم • فقالوا نبعث الجميع الى أبي بكر الصديق (رض) فرضوا بذلك المال والغنائم • فقالوا نبعث الجميع الى أبي بكر الصديق (رض) فرضوا بذلك المال والغنائم • فقالوا نبعث المال والغنائم و المال والغنائم و المال والغنائم و المال والغنائم و المال و

وبعنوا الجميع الا العدة والسلاح ، وبعثوا مع الغنائم والاموال شداد بن أوس (رض) في خمسمائة فارس ، ولما وصل بالمال الى المدينة المنورة وعاين المسلمون اموال المسركين رفعوا أصواتهم بالتهليسل والتكبير ، والصلاة على البشير النذير محمد (ص) ، وسمع الصديق بقدوم شداد بن أوس (رض) ومن معه من المسلمين ففرح بذلك فرحا شديدا ، ثم اقبلوا الى الصديق واعلموه بالفتح بعد ان سلموا عليه فسجد لله عز وجل ، ثسم كتب كتابا الى أهل مكسة يستدعيهم للجهاد مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر الى أهسل مكة وسائر المؤمنين فاني احمد الله الذي لا اله الا هو ، واصلمي على نبيمه محمد (ص) .

(اما بعد) فانى قد استنفرت المسلمين الى الجهاد وفتح بلاد الشام ، وقد كتبت اليكم والى المسلمين ان تسرعوا الى ما أمركم به ربكم تبارك الله وتعالى : اذ يقول الله عز وجل ـ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ــ وهذه الآية فيكم وانتم أحق بها وأهلها ، وأول من صدق وقام بحكمها من ينصر دين الله فالله ناصره ، ومن بخل استغنى الله عنه والله غنى حميد ، فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية أعدها الله للمهاجرين والانصار ، فمن اتبع سبيلهم كتب مسن الاولياء الاخيار ، وحسبنا الله ونعم الوكيل • قال وختم الكتاب ودفعه الى عبد الله بن حذافة ، فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ في أهلها ، فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرأوه على أصحاب رسول الله (ص) ، فلما سمعوه قال سهل ابن عمرو والحرث بن هشام وعكرمة بن ابي جهل ، وقالوا : اجبنا داعي الله وصدقنا قول نبيه محمد (ص) ، فأما عكرمة فانه قال الى متى نبسط لانفسنا وقد سبقنا القوم الى المواطن ، وقد فاز من فأز بالصدق ، وأن كنا تأخرنا عن السبق فاللحاق بالسابقين يجعلنا من الفائزين ٠٠ ثم خرج عكرمة بن ابي جهل في بني مخزوم وخرج الحرث بن هشام معهم وتلاحق أهل مكة خمسمائة رجل ، وكتب أبو بكر للطائف فخرجوا في اربعمائة رجل ٠

(قال الواقدي) خرج بهم سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا، وذلك ان سعيد بن خالد أتى الى الصديق (رض) • فقال: يا خليفة رسول الله (ص) انك أردت ان تعقد لابى خالد راية ويكون قائدا

من قواد جيسك ، فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين رجع من بعنك ، وقسه حبس نفسه في سبيل الله عز وجل ولم أزل مجيبا دعوتك في بعثك ، فهل لك ان تقدمني على هذا الجيش ، فو الله لا يراني الله وانيا ابدا ولا عاجسزا عن الحرب ، قال وكان سعيد بن خالد نجيبا انجب من ابيه وأفرس ، فعقد له أبو بكر راية ودفعها اليه وأمره على الفين من العرب • قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد وانه خير من ان يكون أميرا كره لك ذلك وأقبل على الصديق (رض) • يا خليفة رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ، ولقد سمعته يقول عندما عقدتها على رغم الاعادي والله لتعلم انه ما يريد بالقول غيري ، والله ما تكلمت في أبيه •

(قال الواقدي) فتقل ذلك على أبي بكر وكره ان لا يعقد له ، وكره اينما ان يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومنزلته عند النبي (ص) ووثب قائما ، ودخل على عائشة (رض) واخبرها بخبر عمر بن الخطاب (رض) ، وما كان من كلامه ، فقالت عائشة : قد علمت ان عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين ، وما في قلب عمر بغض للمسلمين ، قال فقبل قول عائشة (رض) ، ثم دعا بأزد الدوسي وقال له : امض الى سعيد بن خالد وقل له رد علينا رايتك ، قال فردها ، وقال والله لاقتلن تحت راية ابي بكر حيث كان ، فاني قد حبست نفسي في سبيل الله ،

(قال الواقدي) ولقد بلغني ان الصديق حال تفكره فيمن يقدم طليعة الجيش وقال فتقدم اليه سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وهشام بـن الحرث ، وقالوا اشهدوا اننا قد حبسنا أنفسنا في سبيل الله فلا نرجع عن القتال ابدا و فقال أبو بكر: اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون وثم ان ابا بكر دعا عمرو بن العاص و فسلم اليه الرايه وقال قد وليتك على هذا الجيش يعني أهل مكة والطائف وهوران وبني كلاب فانصرف الـى ارض فلسطين ، وكاتب أبا عبيدة وأنجده اذا أرادك ولا تقطع أمرا الا بمشور به :أمض بارك الله فيك وفيهم وقال فأقبل عمرو بن العاص على عمر بن الخاطب (رض) وقال له : يا أبا حفص أنت تعلم شدتي على العدو وصبـري علـى الحرب ، فلو كلمت الخليفة أن يجعلني أميرا على أبي عبيدة ، وقد رأيت منزلتي عند رسول الله (ص) واني أرجو ان يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الاعداء وقال عمر (رض) ما كنت بالذي اكذبك وما كنت بالذي اكلمه في ذلك ، فانه ليس على أبي عبيدة أمير ، ولابي عبيدة عندنا أفضل منزلة منك ، وأقـدم سابقة منـك

والنبي (ص) قال فيه « أبو عبيدة أمين الامة » قال عمرو ما ينقص من منزلته اذا كنت واليا عليه • قال عمر بن الخطاب: ويلك يا عمرو انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف فاتق الله ولا تطلب الا شرف الاخرة ووجه الله تعالى، فقال عمرو بن العاص: ان الامر كما ذكرت ثم امر الناس بالمسير تحت رايته فساروا ، وتقدم اهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوزان وتقيف وتخلف المهاجرون والانصار ليسيروا مع ابي عبيدة بن الجراح •

وصية الصديق لعمرو بن العاص

وتقدم عمرو بن العاص وسار • قال ابو الدرداء : كنت مع عمرو بــن العاص في جيشه ، فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه : اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فانه يراك في عملك ، وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة واقدم حرمة فكن من عمال الاخرة ، وأرد بعملك وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم في السير فان فيهم أهل ضعف ، والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، واذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وربيعة وشرحبيل ، بل اسلك طريــق أيليا حتى تنتهي الى ارض فلسطين ، وابعث عيونك يأتونك بأخبار أبي عبيدة ، فان كان ظافرا بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين ، وان كان يريد عسكرا فأنفذ اليه جيشا في أثر جيش ، وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل . والحرث بن هشام وضعيد ابن خالد ، واياك ان تكون وانيا عما ندبتك اليه ، وأياك والوهن ان تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي بــه، وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي ما نلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من عدونا ثم رأيت يـــوم حنين ما نصر الله عليهم ٠ واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والانصار من أهل بدر ، فاكرمهم وأعـــرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نجدة الشيطان فتقول: انمسا ولاني أبو بكر لاني خيرهم ، واياك وخداع النفس وكن كأحدهم ، وشاورهم فيما تريد من أمرك ، والصلاة ثم الصلاة ، اذن بها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة الا بأذان يسمعه اهل العسكر ، ثم ابرز وصل بمن رغب في الصلاة معك أصحابك بالحرس ولتكن انت بعد ذلك مطلعا عليهم وأطل الجلوس بالليل

على أصحابك وأقم بينهم وأجلس معهم ولا تكشف استار الناس ، واتق الله اذا لاقيت العدو ، واذا وعظت اصحابك فأوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالامام ينفرد الى الله تعالى فيما يعلمه وما يفعله في رعيته وانى قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حميتها ، وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك في سيرك وقدم قبلك طلائعك فيكونوا امامك ، وخلف على الناس من ترضاه ، واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك فخرا ، والزم اصحابك قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان ذلك يورث العداوة بينهم ، وأعرض على زهرة الدنيا حتى تلتقى بمن مضى من سلفك وكن من الائمة الممدوحين في القرآن اذ يقول الله تعالى ــ وجلعناهم آئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكساة وكانوا لنا عابدين _ قال فكان ابو بكر (رض) يوصى عمرو بن العاص وأبو عبيدة حاضر ، ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وقاتلوا اعداء الله وأوصيكم بتقوى الله فان الله ناصر من ينصره • قـــال فسلم المسلمون عليه وودعوا وساروا في تسعة آلاف مع من ذكرنا يريدون أخذ فلسطين ، فلما كان بعدهم بيوم واحد عقد العقود والرايات الى أبي عبيدة بن الجراح وأمره بأن يقصد بمن معه ارض الجابية ، وقال يا أمين الامة قد سمعت ما وصيت به عمرو بن العاص وودعه المسلمون ، فلما عاد ابو بكر والمسلمون دعا بخاله بن الوليه وعقد لـــه راية ، وكانت له راية النبي (ص) وأمره على لخم وجدام وضم له جيش الزحف وكانوا شبجعانا ما منهم الا من شهد الوقائع مع رسول الله (ص) وقال لـــه يا أبا سليمان : قد وليتك على هذا الجيش فاقصد به ارض العراق وفارس وارجوا الله أن ينصركم ثم أنه ودعه وسار خالد بمن معه يطلب العراق •

(قال) حدثني ربيعة بن قيس · قال كنت في الجيش الذي وجهه أبو بكر الصديق مع عمرو بن العاص الى فلسطين وايليا · وكان صاحب رايته سعيد بن خالد · قال وبعث ابو بكر مع كل جيش اميرا وهو يدعوا لهم بالنصر وأخذه القلق على المسلمين حتى عرف ذلك في وجهه · فقال له عثمان بسن عفان (رض) ما هذا الغم الذي نزل بك ؟ فقال اغتممت على جيوش المسلمين وارجوا الله ان ينصرهم على عدوهم · فقال عثمان والله ما خرج جيش سررت به الاهذا الجيش الذي سار الى الشام ، وهذا الذي اوصى الله نبيه به ، وليس

في قوله خلف وانا سنظهر على الروم وفارس ولكن ما ندري متى يكون أفي هذا البعث أو غيره ولكن احسن الظن بالله • قال وبات الصديق فرأى فسي منامه كأن عمرو بن العاص وجهه طرمة هو واصحابه ، ثم قصد عمرو ارضا خضرة سهلة وفرجة فحمل على فرسه ، ثم أتبعه اصحابه ، فاذا هم في ارض واسعة فنزلوا واستراحوا قال وانتبه أبو بكر من منامه فرحا بما رأى • فقال عتمان يدل على فتح الا انه يوشك ان يلقى عمرو في قتال المشركين مشقة عظيمة ثم يخلص منها •

(قال الواقدي) كانت الساقطة تنزل المدينة فــــى الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش ، وما يكون في الشام ، فقدم بعض الساقطة الى المدينة ، وابو بكر ينفذ الجيوش وسمعوا كلام ابي بكر لعمرو بن العاص ، وهو يقول عليك بفلسطين وايليا • قال فساروا بالخبر الى الملك هرقان ٠ فلما سمع ذلك جمع أرباب دولته وبطارقته واعلمهم بالحديث الني النبي لا بد ان تملك ما تحت سريري هذا وقد قرب الوعد ، وان خليفة محمد قد انفذ لكم الجيوش وكأنكم بهم وقد اتوكم وقصدوا نحوكم فحذروا انفسكم وقاتلوا عن دينكم ، وعن حريمكم فان تهاونتم ملكت العرب بلادكم واموالكم • قال فبكى القوم • فقال لهم دعوا عنكم البكاء ، ثم قال له وزيره أيها الملك قد اشتهينا ان تدعو بعض من قدم بهذا الخبر عليك فأمر هرقل بعض حجابه ان يأتي برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالاخبار برجل منهم ، فقال له الملك كم عهدك ؟ قال منذ خمسة وعشرين يوما • قال فمن المتولى عليهم ؟ قال لــه رجل يقال له ابو بكر الصديق وجه جيوشه الى بلدك ، قال هل رأيت أبسا بكر ، قال نعم وانه أخذ منى شملة بأربعة دراهم وجعلها على كتفه وهو كواحد منهم ، وهو يمشي في ثوبين ويطوف بالاسواق ويدور على الناس يأخذ الحق من القوى للضعيف • قال هرقل: صفه لى • قال هو رجل آدم اللون خفيف العارضين • فقال هرقل : وحق ديني هو صاحب احمد الذي كنا نجد في كتبنا انه يقوم بالامر من بعده ، ونجد في كتبنا أيضًا ان بعد هذا الرجــــل رجلا آخر طويلا كالاسد الوناب يكون على يديه الدمدمة والجلاء • قال فشهـــق المتنصر من قول هرقل ٠ وقال ان هذا الذي وصفته لي رأيته معه لا يفارقه ٠ قال هرقل : هذا الامر والله قد صبح وقد دعوت الروم الى الرشد والصلاح ، فأبوا ان يطيعوني ، وأن ملكي سوف ينهدم ، ثم عقد صليبا من الجوهر ،

وأعطاه قائد جيوشه روبيس · وقال له قد ولينك على الجيوش فسيروا لمنع العرب من فلسطين فانها بلد خصب كئيرة الخير وهي عزنا وجاهنا وتاجنا ، فتسلم روبيس الصليب وسار من يومه الى أجنادين واتبعه جيش الروم ·

عمرو بن العاص في فلسطين

(قال الواقدي): لقد بلغني ان عمرو بن العاص توجه الى ايليا ، حتى وصل الى ارض فلسطين هو ومن معه قال • فلما نزل المسلمون بفلسطين جمع عمرو المسلمين المهاجرين والانصار وشاورهم في امرهم فبينما هم في المشورة أذ أقبل عليهم عدي بن عامر ، وكان من خيار المسلمين ، وكان كثيرا ما يتوجه الى بلاد الشام ، وداس ارضهم وعرف مساكنها ومسالكها • فلما أشرف على المؤمنين داروا به واوقفوه بين يدي عمرو بن العاص • فقال عمرو بن العاص ما الذي وراك يا ابن عامر ؟ قال ورائي المتنصرة وجنودهم مشل النمل • فقال له عمرو : يا هذا لقد ملأت قلوب المسلمين رعبا وانا نستعين بالله عليهم • فقال له فكم حزرت القوم ؟ • فقال : أيها الامير اني قد علوت على شرف من الجبال عال ، فرأيت من الصلبان والرماح والاعلام ما قد مسلأ الاجم ، وهو اعظم جبل بارض فلسطين وهم زيادة عن مائة الف فارس ، وهذا ما غندي من الخبر قال فلما سمع عمرو ذلك قال :

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، ثم أقبل على من حضر من كبار المسلمين وقال أيها الناس انا واياكم في هذا الامر بالسواء فاستعينوا بالله على الاعداء، وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا، ومن عاش كان سعيدا، فماذا أنتم قائلون؟ قال فتكلم كل رجل بما حضر عنده من الرأي وفقالت طائفة منهم: أيها الامير ارجع بنا السبى البرية حتى نكون في بطسن البيداء فانهم لا يقدرون على فراق القرى والحصون وفاذا جاءهم الخبر اننا توسطنا البرية يتفرق جمعهم وبعد ذلك نعطف عليهم وهم على غفلة فنهزمهم ان شاء الله تعالى وفقال سهل بن عمرو؛ ان هذه مشورة رجل عاجز وفقال رجل من المهاجرين : لقد كنا مع رسول الله (ص) نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل، وقد وعدكم الله النصر وما وعد الصابرين الا خيرا، وقد قال الله تعالى بيا أيها الذين آلمنو قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكسم غلظة بيا أيها الذين آلمنو قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكسم على عقبه مينها وراءه بالمرصاد، قال فلما سمع المسلمون انه وافقه على ذلك عبد الله فأنا وراءه بالمرصاد، قال فلما سمع المسلمون انه وافقه على ذلك عبد الله فأنا وراءه بالمرصاد، قال فلما سمع المسلمون انه وافقه على ذلك عبد الله

بن عمر بن الخطاب (رض) : قالوا أحسنت يا أبا الفاروق ، قال : ثم ان عمرو بن العاص عقد راية واعطاها عبد الله بن عمر بن الخطاب وضم اليه ألـف فارس فيهم رجال من الطائف ومن ثفيف وأمرهم بالمسير فسار عبد اللـــه ، وجعل يجد السير بقية يومه الى الصباح، وإذا بغبرة القوم قد لاحت • فقال عبد الله بن عمر : هذه غبرة عسكر واظنها طليعة القوم ، ثم وقف ووقـــف امامه اصحابه • فقال قوم من البادية اتركنا نرى ما هذه الغيرة • فقال لا تتفرقوا م ن بعضكم حتى نرى ما هي فوقف الناس ، واذا بالغبرة قد قربت وانكشىفت عن عشرة آلاف من الروم وقد بعث معهم روبيس بطريقا من أصحابه ، وكانوا قد ساروا يكشفون خبر المسلمين · فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم لانهم لا بد لهم منكم ، والله ينصركم عليهم : واعملوا ان الجنة تحت ظلال السيوف ، قال فأعلن القوم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله • فلما جهروا بها أجابهم الشجر والمدر والدواب والحجر ، وكان اول من حمل عكرمة بن أبي جهل وتبعه سهل بن عمرو والضحاك أيضا بالجملة وصاح في رجاله وحمل المهاجرون ، والانصار معهم والتقي الجمعان ، وعمل السيف في الفريقين • قال عبد الله بن عمر : وبينما انا في الوقعة اذ نظرت من القوم بطريقا عظيم الخلقة وهو كالحائر البليد ، وهو يركض يمينا وشمالا ، فقلت ان يكن لهذا الجيش عين ، فهذا عين الجيش وصاحب الطلائع ، وهو مرغوب من الحرب • فلما حملت عليه ومددت قناتي اليه ، نفر فرسه مـــن الرمح فقربت منه واوهمته انى أريد الانهزام ، ثم عطفت عليه وطعنته ، فوالله لقد خيل لى انى ضربت بسيفى حجرا ، وسمعت طنين السيف حتى حسبت ان المشركون صاحبهم مجندلا داخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون في الضرب والقتال ، فلله در الضحاك والحرث بن هشام ، لقد قاتلا قتالا شديدا ما عليه من هزید ، فما كان غير قليل حتى انهزم الكفار من بين ايديهم هاربين · قال فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والاموال • وقال بعضهم لبعض ما فعل الله بعبد الله بن عمر ، قال قائل منهم : الله خبير بحسن الفتح شعرة من رأسه ٠

قال عبد الله بن عمر : وانا مع ذلك أسمع كلامهم خلف الراية • فاعلنت بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ، وهززت الراية • فلما نظر المسلمون الراية سارعوا الي وقالوا : أين كنت فقلت اشتغلت بقتال صاحبهم •

فقالوا أفلح والله وجهك فهذا والله فتح قد رزقنا الله اياه ببركتك • قال عبـــد الله ، بوجوهكم ، ثم حازوا الاموال والغنائم والخيل وستمائة أسير وقتل من المسلمين سبعة نفر فواروهم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش الى عمرو بن العاص وحدثوه بما جرى ففرح وحمد الله تعالى ، ثم دعا بالاسرى واستنطق منهم بالعربية فما كان فيهم غير للاثة نفر من أنباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر اصحابهم فقالوا يا معشر العرب: أن هذا روبيس قد أقبل في مائة الف فارس ، وقد امره الملك ان لا يدع احدا من العرب يصل ايليا ٠٠ وانه بعث بهذا البطريق طليعة ، وقد قتل وكأنكم به ٠ فقال عمرو ان الله يقنله كما قتل صاحبكم ، ثم عرض عليهم الاسلام ، فما أحد منهم أسلم • فقال عمرو للمسلمين كأنكم بصاحبهم ، وقد أتى يأخذ ثأرهم وهؤلاء تركهم علينا بلاء ، ثم أمر بضرب اعناقهم وصاح بالمسلمين استعدوا فاني أظن ان القوم سائرون ، فان أتوا الينا فهم في شدة وقوة وسنلقى منهم تعبا في القتال وان سرنا اليهم نرجو من الله النصر والطفر بهم كما ظفرنا بغيرهم ومّا عودنا الله الا خيرا • فال ابو الدرداء: بننا مكاننا • فلما جاء الله بالصباح رحلنا فما بعدنا غير قليل حتى اشرقت علينا عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس · فلماأشرف الجيش على الجيش أقبل عمرو ورتب أصحابه وجعل في الميمنة الضحاك وفي الميسرة سعيدا ، وأقام على الساقة أبا الدرداء وثبت عمروً في القلب ومعه أهل مكة ، وأمر الناس يقرأون القرآن • وقال لهم اصبروا على قضاء الله وارغبوا في ثواب الله وجنته ، ثم انه جعل يصفهم ويعبيهم تعبية الحرب ونظر روبيس بطريق الروم الى عسكر المسلمين ، وقد صفهم عمر بن العاص لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب، وهم كأنهم بنيان مرصوص ، وهم يقرأون القرآن • والنور يلمع من نواصى خيولهم فتسم منهم رائحة النصر وتبين من نفسه الجزع ، وعلم أن كل مــن معه كذلك فوقف ينظر ما يكون من المسلمين وانكسرت حميته ٠ قال وكان اول من برز من جيش المسلمين سعيد ابن خالد (رض) ،وهو اخو عمرو بن العاص من امه • فلما برز نادى برفيع صوته ابرزوا يا اهل الشرك ، ثم حمل على الميمنة فالجأها الى المسيرة ، وحمل على الميسرة فألجأها الى الميمنة وقتل رجالا وجندل ابطالا ، ثم اقتحم فيهم فشوشهم وزعزع جيشهم • قـــال فاجتمعوا عليه فقتلوه رحمة الله عليه • قال فحزن المسلمون على قتله حزنا عظيما واكثرهم عمرو بن العاص • وقال : واسعيداه ، لقد اشترى نفسه من الله عز وجل • ثم قال : يافتيان من يحمل معي هذه الحملة حتى ننظر ما يكون

من امرها وأنظر حال سعيد • قال فاسرع بالاجابة ذو الكلاع الحميري وعكرمة-بن أبي جهل والضحاك والحرث بن هشام ، ومعاذ بن جبل وابو الدرداء ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب (رض)عنهم اجمعين • قال عبد الله وكنا سبعين رجلاء. وحملنا حتى دنونا من القوم وهم لا يفكرون من حملتنا لانهم جبال من حديد ٠ (قال الواقدي) رحمة الله عليه: فلما رأى المسلمون ثبات الروم صاح بعضنا لبعض ابعجوا دوابهم فما هلاكهم غير ذلك قال فبعجنا دوابهم بالاسنة فتنكسوا فبعد انتكاسهم تفرق بعضهم عن بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وكنا فيهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الاسود وكان شعارنا يوم فلسطين: لا اله الا الله محمد رسول الله يا رب انصر امة محمد (ص) قال ابو الدرداء: فلقد شغلني الحرب عن مناشدة الاشعار ، ولقد كان احدنا لا يدري أهو يضرب. أخاه أو عدوه من كثرة القتام قال فثبت المسلمون مع قتلهم وفوضوا امرهم المهيه الله عز وجل وما كان احد من المسلمين يضرب الا وظهره ناطق بالدعاء يقول : اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكا • قال عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال وهبت الرياح والناس في القتام اذ نظرت الى السماء وقد انفرج فيها فرج وخرجت منها خيول شهب تعمل رايات خضراً ﴿ أسنتها تلمع ومناد ينادي بالنصر ابشروا يا امة محمد (ص) فقد أتاكم اللــه بالنصر • قال فلما كان غير ڤليل اذ نظرت الى الروم منهزمين ، والمسلمون في أعقابهم لان خيل العرب أسبق من خيل الروم • قال ابن عمر : فقتلنا فــــــى هذه الواقعة قريبًا من خمسة عشر الف فارس واكثر ولم نزل في آثارهم الي. الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر وقلبه متعلق بالمسلمين لاسراعهم. وراء العدو ، وقال عمرو بن غياث : فنظرت الى عمرو بن العاص والراية في يده ، وقد أوفى القناة على عاتقه وهو يعركها بيده ويقول من يرد النـــاس على رد الله عليه ضالته اذ نظرت العرب قد عطفت راجعة كعطفة الام علــــى ولدها فاستقبلهم عمرو ، وهو يقول هنيئا لهذه الوجوه التي تعبت في رضا الله تعالى أما كان لكم كفاية في ان خولكم الله حتى اتبعتم العدو ، فقالوا : ما اردنا الغنيمة ، بل القتال والجهاد ، قال ولما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم بعضا ففقد من المسلمون مائة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالسعادة منهم سيف بن عبادة ونوفل بن دارم والاهب بن شهداد والباقسي من اليمن ووادي المدينة • قال فاغتم عمرو لفقدهم ، ثم راجع نفسه وقال قد نزل بهم خير ، وانت يا عمرو تأبي ذلك ثم ندب الناس الى الصلاة كما أمره ابو بكر الصديق (رض) فصلى ما فاته كل صلاة بأذان واقامة ، قال ابن.

عمر : ما صلى خلفه الا قليل ، بل صلى الناس في رحالهم من تبعهم ولـم يجمعوا من الغبائم إلا القليل وبات الناس ، فلما أصبح عمرو أذن وصلى بهم وأمر الناس بجمع المغنائم وأن يخرجوا أخوانهم المؤمنين من الروم فجعلسوا يلتقطونهم : قال فاخرجوا ماغة وثلاثين رجلا ووجدوا سعيد بن خالب ، فلما نظر عمرو الى ما نزل به بكى ، وقال رحمك الله فقد نصحت لدين الله وأديت المنصيحة ثم جعله في جملة المسلمين وصلى عليهم وأمر بدفنهم ، وذلك قبل أن يخمس شيئا من الهنائم ثم بعد ذلك جمعها اليه وكتب الى أبي عبيدة كتابا يقيول فيه :

كتاب عمرو بن العاص الى أبي عبيدة

بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى أمين الامة ، أما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الإهو واصلي على نبيه محمد (ص) واني قد وصلت الى ادض فلسطين ولقينا عساكر الروم مع بطريق يقال له روبيس في مائة الف فارس فمن الله بالنصر وقتل من الروم خمسة عشر الف فارس وفتح الله على يدي فلسطين بعد أن قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا فان احتجت الي سرت اليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته • ودفع الكتاب الى ابسي عامر الدوسي وأمره أن يسير الي أبي عبيدة • قال فاسرع ابو عامر بالكتاب فوجد أبا عبيدة وهو نازل بأرض الشام وجاهر بالدخول اليها غير انه امره كما امره ابو بكر • قال فلما وصل ابو عامر قال له ابو عبيدة ما وراءك ؟ قال خير هذا كتاب من عمرو بن العاص يخبرك بما فتنح الله على يديه ، ثم سلم اليه الكتاب ، فلما قرأه خر ساجدا فرحا بنصر الله ثم قال والله قتل من المسلمين رجال اخيار منهم سعيد بن خالد ٠ قال ابو عامر فكان خالد والــده جالساً ، فلما سمع بأن ولده قد قتل قال : « وا ابناه » وجعل يبكيه حتى بكي المسلمون لبكائه ، ثم ان خالدا اسرع الى فرسه فركبها وعزم الى ارض فلسطين لينظر ألى قبر ولده • فقال ابو عبيدة كيف تسير وتدعنا • فقال انما انظر قبر ولدي وارجو الله انيلحقني به ، قال وكتب ابو عبيدة كتابا لعمرو بن العاص يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم انما أنت مأمور فان كان ابو بكر امرك أن تكون معنا فسر الينا ، وان كان امرك بالثبات في موضعك فاثبت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته • وطوى الكتاب وسلمه الى خالد بن سعيد وسار مع ابي عامر الى ان اتيا الى جيش عمرو بن العاص فدفع له الكتاب وهو يبكي فوثب عمرو وصافح خالدا ورفع منزلته وعزاه في ولده سعيد وعســزاه

المسلمون • فقال خالد: يا أيها الناس هل اروى سعيد رمحه وسيفه في الكفار قالوا نعم • فلقد قاتل وما قصر ، ولقد جاهد في الدين ونصر • فقال ارونسي قبره ، قال فأروه اياه فأقام على القبر وقال : يا ولدى رزقني الله الصبر عليك والحقني بك وانا لله وانا اليه راجعون ، والله ان مكنني الله لآخذن بشأرك يا ولدى عند الله احتسبتك ، ثم قال لعمرو بن العاص انى اريد أن أسري بسرية في طلب القوم فلعل أن أجه فيهم فرصة أو غنيمة واكون قد أخسنت بثأر ولدي ، فقال عمرو : ان الحرب امامك يا ابن الام • فاذا رأيت الـــروم فلا تبق عليهم • فقال خالد : والله لأسيرن اليهم ، ثم أخذ اهبته للمسير وعزم ان يسير وحده فركب معه ثلنمائة فارس من فتيان حمير فساروا يومهم ذلك اجمع وارادوا النزول في ألاودية ليعلفوا دوابهم ويسيروا ليلتهم اذ نظر خالد بن سعيد الى أشباح على ذروة جبل هناك عال منيع • فقال لاصحابه اني أرى أشباحا على ذروة هذا الجبل ونحن في هذا الوادي ، ثم قال كونوا في اماكنكم ثم نزل عن فرسه وتقلد سيفه والتحف بازاره وقال اعلموا أن القوم ما علموا بنا ولو نظروا الينا ما ثبتوا في اماكنهم فمن منكم يبذل نفسه ويصنع كما أصنع ؟ قالوا كلنا لك قال فطافوا في الجبل حتى أشرفوا على القوم وهم في أماكنهم فعند ذلك قال خذوهم بارك الله فيكم فأسرع اليهم المسلمون فقتلوا منهم ثلاثين واسروا اربعة فسألهم خالد بن سعيد فاذا هم من انباط الشمام عن حالهم فقالوا نحن من أهل هذا البقيع والجامعة وكفار القرية وقد عظم علينا دخول العرب الى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا عظيما ، وقد هرب أكثرنا الى الحصون والقلاع ، وقد اعتصمنا نحن بهذا الجبل ، لانه ليس في الرستاق أحصن منه فعلونا عليه وانتم كبستمونا • قال خالد فما بلغكم عن جيــش الروم ؟ قالوا بأجنادين وهذا البطريق أقبل الينا ليأخذ الميرة والعلوفة ، وقد حمعوا له الدواب والبغال والحمير تحمل الميرة وهم مع ذلك خائفون أن تلحقهم خيل العرب، وهذا خبر قومنا ولا شك انهم رحلوا من يومهم، قال فلما سمع خالد بن سعيد مقالتهم ، قال غنيمة للمسلمين ورب الكعبة ، ثم قال : اللهم انصرنا عليهم ثم سأل على أي طريق سار القوم قالوا على هذه الطريق التي ٢نتم عليها لانها اوسع الطرق كلها ، واما الميرة فانها مجموعة من حول البلاد ، فلما سمع خالد كلامهم قال لهم .

أسلموا فقالوا له ما نعرف الا دين الصليب ، ونحن فلاحيسن قال فهسم خالد بقتلهم · فقال رجل من اصحابه دعهم يدلونا على الطريق الى مسيرة القوم فأجابوهم الى ذلك وساروا وهم يدلونهم الى تل عظيم · قال فتوافست

القوم وهم يحملون دوابهم حول التل ومعهم ستمائة لابس من القوم ، فلما نظر خالد الى ذلك • قال لاصحابه اعلموا ان الله قد وعدكم بالنصـــر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش العدو امامكم فارغبوا في ثواب الله تعالىي واسمعوا ما قال الله عز وجل: أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وكأنهم بنيان مرصوص ، وها انا احمل فاحملوا ولا يخرج أحد عن صاحبـــه ثم ان خالدا حمل وحمل ا صحابه قال فلما رأونا استقبلونا وانهزم من كان مع الدواب من الفلاحين وصبرت الخيل لقتالنا ساعة من النهار قال فبينما ذو الكلاع الحميري يشجع اصحابه ويقول يا اهل حمير ابواب الجنة فتحت والحسور العين قد تزخرفت واذا بصاحب القوم قد لقيه خالد فعرفه بلامته وحسن زيه ٠ قال فاستقبله وصرخ فيه فأرعبه ثم قال يا لثأر ولدى سعيد وطعنه طعنة صادقة فجندله صريعا كانه برج من حديد وما بقي أحد الا قتل من الروم • قال فلما رأى الروم ذلك وأوا الادبار وركنوا الى الفراد وقتل منهم ثلثمائة وعشرون فارسا وولى الباقون منهزمين وتركوا الاثقال والبغال والميرة واخذ المسلمون الجميع بعون الله تعالى • قال واطلق سراح الفلاحين وعاد خالد ومن معــــه بالغنائم والميرة الى عمرو بن العاص ففرح بسلامتهم وشكر فعلهم وكتب كتابا الى ابى بكر الصديق ، وذكر له ما جرى مع الروم وبعث الكتاب مع ابي عاس الدوسىي (رض) واخذه وقدم به المدينة وأعطاه أبا بكر الصديق (رض) • فلما قرأه على المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ، ثم ان ابا بكر استخبر عن أبي عبيدة • فقال له عامر انه قد اشرف على اوائل الشام ولم يجسر على الدخول اليها وانه سمع ان جيوش الملك قد اجتمعت من حول ا جنادين وهم أمم لا تحصى وقد خاف على المسلمين أن يتوسط بهم عدوهم •

خالد بن ا لوليد في الشام

فلما سمع ابو بكر ذلك علم ان أبا عبيدة لين العريكة ولا يصلح لقتال الروم وعول أن يكتب الى خالد بن الوليد ليوليه على جيوش المسلمين وقتال الروم واستشار المسلمين في ذلك فقالوا الرأي ما تراه ، وكتب كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عتيق بن أبي قحافة الى خالد بسن الوليد سلام عليك : اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو ، واصلي على بيه محمد (ص) واني قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وان تسارع الى سرضاة الله عز وجل وقتال اعداء الله ، وكن ممن يجاهد في

الله حق جهاده ثم كتب _ يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم _ الآية وقد جعلتك الامير على ابي عبيدة ومن معه وبعث الكتاب مع نجم بن مقدم الكناني فركب على مطيته وتوجه الى العرّاق فرأى خالدا (رض) قد اشرف على فتح القادسية فدفع اليه الكتاب فلما قرأه قال: السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله (ص) ثم ارتحل ليلا واخذ طريقه عن اليمين وكتب كتابا الى أبي عبيدة يخبره بعزله وبسيره الى الشام، وقد ولاني ابو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك حتى ا قدم عليك والسلام وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل (رض) ، وكان أحد أبطال المسلمين فأخذه وتوجه يطلب الشام .

وأما خالد فلما وصل الى ارض السماوة قال : ايها الناس ان هذه الارض لا تدخلونها الا بالماء الكثير لانها قليلة الماء ونحن في جيش عظيم والماء معكم قليل فكيف يكون الامر ؟ فقال له رافع بن عميرة الطائي (رض) ايها الامير اني أشير عليك بما تصنع ، فقال يا رافع أرشدك الله بما نصنع ووفقك الله مولانا جل وعلا للخير ، قال فأخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة ايام ثم اوردها الماء فلما رويت خرم أفواهها ، ثم ركبوا المطايا وجنبوا الخيول وساروا فكانوا كلما نزلوا منزلا أخذوا عشرة من الابل يشقون بطونها ويأخذون ما يجدون من الماء في بطونهافيجعلونه في حياض الادم ، فاذا برد سقوه للخيل واكلوا اللحم ولم يزالوا كذلك حتى تمت الابل وفرغ الماء وقطعوا مرحلتين بلا ماء واشرف خالد ومن معه على الهلاك ، فقال خالد لرافع ابن عميرة يا رافع قد اشرفنا على الهلاك والتلف أتعرف لنا ماء ننزل فيه ،

(قال الواقدي) وكان رافع رمدت عيناه • فقال ايها الامير أتاني رمد كما ترى ، ولكن اذا اشرفتم على ارض سهلة فاعلموني • قال فلما اشرفوا عليها اعلموا رافعا بذلك • قال فرفع طرف عمامته عن عينيه ، وسيار على راحلته يضرب يمينا وشمالا والناس من ورائه الى ان أقبل على شجرةمن الاراك فكبر وكبر المسلمون ، ثم قال احفروا هنا • قال فحفرت العرب واذ الماء قد طلمح كالبحر ، فنزل الناس عليه وشكروا الله تعالى واثنوا عليه وعلى رافع خيرا ، ثم وردوا الماء وسقوا خيلهم وابلهم ، ثم جدوا في طلب من انقطع من المسلمين ومعهم القرب بالماء • قال فسقوهم فارتجعت قوتهم • ثم لحقوا بالجيش وأراحوا انفسهم ، ثم في ثاني يوم جدوا في المسير الى ان بقي بينهم وبين أركة مرحلة واحدة ، فبينما هم كذلك اذ اشرفوا على حلة عامرة واغنام وابل قد سدت الفضاء

والمستوى ، فأسرع المسلمون الى الحلة وإذا براع يشرب الخمر والى جانبه رجل من العرب مشدود ٠ قال فتبينه المسلمون واذا هو عامر بن الطفيل السلمين أرسله خالد • قال فأقبل خالد ابن الوليد مسرعا حتى وقف عليه ، فلما رآه تبسم وقال : يا ابن الطفيل كيف كان سبب اسرك ؟ قال عامر ايها الامير اني اشرفت على هؤلاء القوم في هذه الحلة وقد اصابني الحر والعطش فملت الى هذا الراعى ليسقيني من اللبن فوجدته بشرب خمرا ٠ فقلت له با عدو الله أتشرب الخمر وهي محرمة • فقال لي يا مولاي انها ليست بخمر وانما هي ماء زلال ، فانزل كي تراه واستنشيق ما في الجفنة فان كان خمرا فافعل ما بدا لك ، فلما سمعت كلامه انخت المطية ونزلت عن كورهاوجلست على ركبتي فيسي الجفنة وإذا نا بالعبد قد طلبذ، بعصا كانت الى جانبه وضربني عــــلى رأسى فشجني شجة موضحة ، فانقلبت على جانبي فأسرع العبد الي وشدني كتافا واوثقني رباطاً وقال لي اظنك من اصحاب محمد بن عبد الله ولست ادعـــك من بين يدي او يقدم سيدي من عند الملك • فقلت له ومن سيدك من العرب ؟ فقال القداح بن وائلة واني عند هذا العبد كلما شرب الخمر حضرني كما ترى والقى على فضلة من كأسه • قال فلما سمع خالد بن الوليد كلام عامر بن الطفيل اشتد به الغضِب ومال على العبد وضربه ضربة هائلة فجندله صريعا ونهب المسلمون المال والاغنام وإلابل وقلعوا الحلة بما فيها واطلق عامرا وقال له أين رسالتي يا عامر ؟ فقال يا مولاي هي في طرف عمامتي لم يعلم بها العبد • فقال خالد انطلق بها يا عامر على بركة الله تعالى • قال فركب عامر وسار يطلب الشام وارتحل خالد من موضعه ذلك فنزل بأركة وهي رأس الامانة لمن يخرج من العراق ، وكانت الروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك فأغار خالد عليها وأخذ ما كان فيها وتحصن أهلها بحصنها وكان يسكن فيها حكيم من حكماء الروم وقد طالع الكتب القديمة والملاحم ، فلمـــا رأى المسلمين وجيشهم انتقع لونه وقال اقترب الوقت وحق ديني • فقال أهل أمركة وكيف ذلِكِ ؟ قال ان عندي ملحمة فيها ذكر هؤلاء القوم ، وان أول راية تشرف من خيلهم هي الراية المنصورة وقد دنا هلاك الروم ، فانظروا ان كانت رايتهم سوداء واميرهم عريض اللحية طويل ضخم بعيد ما بين المنكبين واسع الهيكل في وجهه اثر جدري فهو صاحب جيشهم في الشمام وعلمي يديـــه يكون الفتح •

قال فنظر القوم واذا الراية على رأس خالد وهي كما قال حكيمهم • قال

واجتمعوا على بطريقهم وقالوا له أنت تعلم ان الحكيم سمعان لا ينطق الا بالحق والحكمة وقد قال كذا وكذا • والذي وصفه لنا رأيناه عيانا ونرى من الرأي أن نعقد بيننا وبين العرب صلحا ونأمن على حريمنا وانفسنا ٠ فلما سمع ذلك بطريقهم قال اخروني الى غد لارى من الرأى • قال فانصرفوا من عنده وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر امره وكان عارفا عاقلا خبيرا بالامور ، وقال ان أنا خالفتهم خفت أن يسلموني للعرب ، وقد تحقق أن روبيس سار بجيش عظيم فهزمهم العرب ولم يزل يراود نفسه الى أن أصبح الصباح فدعا قومه ٠ وقال على ماذا عولتم ؟ قالوا عولنا على اننا نقيم الصلح بيننا وبين العرب ٠ فقال البطريق : انا واحد منكم مهما فعلتم لا اخالفكم • قال فخرج مشايسخ أركة الى خالد وكلموه في الصلح ، فأجابهم الني الصلح والان الكلام لهــــم وتلقاهم بالرحب والسعة ليسمع بذلك اهل السخنة ويبلغ الخبر لاهل قدمة ، وكان الوالي عليهم بطريق اسمه كوكب ، فجمع رعيته وقال لهم بلغني عـــن هؤلاء العرب انهم فتحوا أركة والسخنة وان قومنا يتحدثون بعدلهم وحسن سبيرتهم وانهم لا يطلبون الفساد وهذا حصن مانع لا سبيل لاحد علينا ، ولكن نخاف على نخلنا وزرعنا ، وما يضرنا ان نصالح العرب ، فان قومنا هم الغالبين فسخنا صلحهم ، وانكان العرب ظافرين كنا آمنين • قال ففرح قومه بذلك وهيئوا العلوفة والضيافة حتى خرج خالد (رض) من اركة ونزل عليهــــم فخرجوا اليه بالخدمة وصالحهم على ثلثمائة أوقية من الذهب وكتب لهم كتابا بالصلح ، ثم ارتحل عنها الى حوران وبلغ عامر بن الطفيل كتاب خالد الــــــى عبيدة ، فلما قرأه تبسم وقال : السمع والطاعة لله تعالى ولخليفة رســول الله (ص) ، ثم اعلم المسلمين بعزله وولاية خاله بن الوليد ، وكان ابو عبيدة وجه شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص الي بصرى في أربعة آلاف فارس • قال فسار على فنائها ، وكان على بصرى بطريق عظيم الشان والقدر عند الملك وعند الروم اسمه روماس ، وكان قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية ، وكان يجتمع اليه الروم من اقصى بلادها ينظرون الى عظيم خلقته ويسمعون الفاظ حكمته) ، وكانت آهلةبالخلق عامرة بالناس، وكان فيها ألف فارس ، وكان العرب يقصدونها ببضائعهم وتجارتهم من اقصى اليمين وبـــلاد الحجاز ، فاذا كان في ايام الموسم ينصب لبطريقهم كرسي ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه ، ويستفيدون من علمه وحكمته ، فبينما هم قد اجتمعوا اليه وقعت الضجة بقدوم شرحبيل بن حسنة وعسكره فبادر الي جــواده

فركبه وصاح في قومه فأجابوه وقال لا تتحدثوا حتى نسمع كلام القوم وما عندهم ، ثم سار حتى قرب من شرحبيل بن حسنة وجيشه ، ونادى يا معشر المسلمين انا روماس واني اريد صاحبكم • قال فخرج اليه شرحبيل ، فلما قرب منه قال البطريق من انتم ؟ قال شرحبيل من أصحاب محمد (ص) النبي الامي القرشي الهاشمي المنعوت في التوراة والانجيل فقال روماس : ما فعلل الله به ؟

فقال شرحبيل قبضه الله اليه ؟ فقال البطريق فمن ولى الامر بعده قال عتيق بن ابي قحافة بن بكر بن تيم بن مرة • فقال روماس : وحق ديني لقد أعلم بأنكم على الحق ولا بد لكم ان تملكوا الشيام والعراق وانا اشفق عليكم اذا بتم في جمع يسير ونحن في جمع كثير ، ولكن ارجعوا الي بلادكم فانها لا نتعرض لكم · واعلم يا أخا العرب ان ابا بكر هو صاحبي ورفيقي ولــو كان حاضرًا ما قاتلني • فقال شرحبيل : لو كن وداه أو أبن عمه لما عفا عنــــه الا أن يكون من أهل ملته ، وليس له في الأمر شيء لأنه مكلف ، وقد أمره الله ان يجاهدكم ولسنا نبرح عنكم الا باحدى ثلاث : اما ان تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية ، أو السيف • فقال روماس : وحق ما اعتقده من ديني : لو كان الامر الي ما أقاتلكم لاني أعلم انكم على حسق ، وهؤلاء طواعية الروم وقوم. مجتمعون ، واني أريد ان ارجع اليهم وانظر ما عندهم • فقال شرحبيل : ارجع اليهم فلا بد لكم بما ذكرت • قال فعاد روماس الى قومه وجمعهم ، وقال يا اهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية : أن الذي كنتم تعتقدونه في كتبكم مــن الخروج من بلادكم ودياركم ونهب اموالكم قد قرب ، وهذا وقته وزمانـــه ولستم اعظم جيشا من روبيس سار الى شرذمة من العرب بارض فلسطين ٠ فقتل وقتل من معه وانهزم الباقون ، ولقد بلغني ان رجلا منهم قد خرج من ارض. السماوة صوب العراق اسمه خالد بن الوليد وقد فتح أركة والسخنة وتدمر وحوران ، وهو عن قريب يحضر اليكم ، والصواب أن تؤدوا الجزية عن يد الي هؤلاء العرب وينصرفون عنكم • قال : فلما سمع قومه ذلك غضبوا وشوشوا وهموا بقتله • فقال روماس : يا قوم انما اردت ان اختبركم ، وأرى حمية دينكم والان دونكم والقوم وانا في اولكم • قال فرجعت الروم الى عددهــــا وعديدها وتظاهروا بالدروع البيض وقادوا الجنائب وتهيئوا للحملة • فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك وعظ اصحابه • وقال اعلمسوا رحمكم الله ان رسول الله (ص) قال : الجنة تحت ظلال السيوف وأحب ما قرب الى الله

قطرة دم في سبيل الله او دمعة جرت في جوف الليل من خشية الله ٠ قال الله نعالي ـ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتــــم مسلمون _ نم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى • قال عبد الله بــن عدى : واجتمع علينا العدو وطمعوا فينا ، وحملوا علينا في اثني عشر الـف فارس من الروم ، ونحن فيهم كالشامة البيضاء في جلدالبعير الاسود وصبرنا لهم صبر الكرام ، ولم يزل القتال بيننا وبينهم الى ان توسطت الشمس فـــي قبة الفلك ، وقد طمع العدو فينا ، فرأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يده الى السماء وهو يقول : يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجـــلال والاكرام ، اللهم انصرنا على القوم الكافرين • قال فوالله مـــا استم شرحبيل كلامه ودعاءه حتى جاء النصر من عند الله العزيز الحكيم ، وذلك ان القوم داروا بنا فرأينا غبرة قد اشرفت علينا من صوب حوران ٠ فلما قربت لنا رأينا تحتها سوابق الخيل ، فلاحت لنا الاعلام الاسلامية والرايات المحمدية ، وقد سبق الينا فارسان : احدهما ينادي ويزعق : يا شرحبيل يا ابن حسنة ابشر النصر لدين الله ، انا الفارس الصنديد والبطل المجيد ، انا خالد ابن الوليد ، والاخريزعق ويقول: انا عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق، واشرفت العساكر من كل جانب • قال واشرفت راية العقاب يحملها رافع بن عميرة الطائسي • قال : حدثنا سالم بن عدي عن ورقاء بن حسان العامري عن مسيرة بن مسروق العبسى • قال :

« والله لقد خمدت اصوات الروم عند زعقة خالد (رض) ، واقبىل المسلمون يسلم بعضهم على بعض ، واقبل شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد ، وسلم عليه • فقال خالد يا شرحبيل : أما علمت ان هذه مينا الشام والعراق ، وفيها عساكر الروم وبطارقتهم • فكيف غررت بنفسك وبمن معك من المسلمين ؟ • قال كله بأمر أبي عبيدة • فقال خالد : أما أبو عبيدة فانه رجل خالص النية ، وليس عنده غائلة الحرب ولا يعلم بمواقعها ، ثم أمر الناس بالراحة فنزلوا وارتاحوا من اتعابهم • فلما كان في اليوم الثاني : زحفت جيوش بصرى على المسلمين فقال خالد ان الروم زحفوا لعلمهم بتعبنا وتعب خيولنا فاركبوا بارك الله فيكم ، واحملوا على بركة الله تعالى • قال فركب المسلمون ، واخذوا اهبتهم للحرب فجعل من الميمنة رافع بن عميرة الطائي ، وجعل في الميسرة ضرار بن الازور • وكان غلاما فاتكا في الحرب ، وجعل على الدرك عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ، ثم قسم جيش الزحف فجعل على

شطره المسيب بن نجيبة الفزاري ، وعلى الشطر الآخر مذعور بن غانم الاشعري، وأمرهم ان يزفوا الخيل اذا حملت • قال وبقى خالد في الوسط وهـــو يعظم الناس ويوصيهم ، وقد عزموا على الحملة ، واذا بصفوف الروم قد انشقت وخرج من وسطها فارس عظيم الخلقة كثير الزينة يلمع ما عليه من الذهـــب الاحمر والياقوت • فلما توسط الجمعين نادى بلسان عربي كأنه بدوي يا معشر العرب لا يبوز لي الا اميركم ، فأنا صاحب بصرى • قال فخرج اليه خالد (رض) كالاسد الضرغام وقرب منه · فقال له البطريق انت امير القوم ؟ قال كذلك يزعمون اني اميرهم ما دمت على طاغة الله ورسوله ، فان عصيته فلا أمارة لي عليهم • قال البطريق أني رجل عاقل من عقلاء الروم وملوكهـم. وان الحق لا يخفى عن ذي بصيرة ، واعلم اني قرأت الكتب السابقة ، والاخبار الماضية ، فوجدت ان الله تعالى يبعث قرشيا واسمه محمد بن عبد الله ٠ قال خالد والله نبينا • قال : انزل عليه الكتاب ؟ قال نعم القرآن • قـــال روماس البطريق أحرم عليكم فيه الخمر • قال خالد نعم من شربها حددناه ، ومن زنى جلدناه ، وان كان محصنا رجمناه • قال أفرضت عليكم الصلوات؟ قال نعم خمس صلوات في اليوم والليلة • قال أفرض عليكم الجهاد قال خالد : ولولا ذلك ما جئناكم نبغي قتالكم • قال روماس والله انى لاعلم انكم على. الحق واني احبكم وحذرت قومي منكم واني خائف منكم ، فأبوا • فقال خالد : فقل اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يكون لك ما لنا وعليك ما علينا • فقال اني أسلمت واخاف ان يعجل هؤلاء بقتلي وسلبي حريمي ، ولكن أنا اسبير الى قومي وارغبهم فلعل الله ان يهديهم • فقال خالد : وان رجعت الى قومك بغير قتال يكون بيني وبينك خفت عليك ، ولكن احملُ على حتـــى لا يتهموك وبعد ذلك اطلب قومك فحمل بعضهم على بعض ، وأرى خالد الفريقين ابوابا من الحرب حتى أبهر روماس • فقال لخالد شدد على الحملة حتى يرى الديرجان فانى خائف عليك من بطريق بعث به الملك يقال له الديرجان • فقال. خالد ينصرنا الله عليه ، ثم شدد على روماس الحملة حتى انه انهزم من بين يديه الى قومه : فلما وصل الى قومه قالوا : ما الذي رأيت من العرب ؟ • قال ان العرب اجلاد ما لكم بقتالهم طاقة ولا بد لهم ان يملكوا الشام ، وما تحت. سريري هذا فادخلوا تحتطاعتهم وكونوا مثل اركة والسخنة قال ٠ فلما سمعوا كلامه زجروه وأرادوا قتله ، وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا لقتال العرب، فانصرف روماس ، وقال : لعل الله ينصر خالدا • ثم ان اهل بصرى. ولوا عليهم الديرجان ، وقالوا اذا فرغنا من المسلمين سرنا معك الى الملك ، ونسأله انينزع روماس ويوليك علينا · قال الديرجان : وما الذي تريدون ؟ قالوا نحمل ونطلب قتال العرب · قال فخرج الديرجان وطلب خالدا ·

فقال عبد الرحمن لخالد يا أمير أنا اخرج اليه • فقال دونك يا ابن الصديق ، فخرج عبد الرحمن وحمل على الديرجان ، فما لبثوا غير ساعة ، وقد أحس الديرجان من نفسه بالتقصير فولي منهزما وراح الي قومه • فلما رأوا ذلك منه نزل الرعب في قلوبهم وعلم خاله ما عند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وحمل المسلمون • فلما نظر اهل بصرى الى حملة المسلمين حملوا وتلاقي الفريقان ، وضجت الرهبان بكلمة كفرهم ٠ فقال شرحبيل بن حسنة : اللهم ان هؤلاء اليك بلا اله الا انت ، وان محمدا عبدك ورسولك ، الا ما نصرت هذا الدين على اعدائك المشركين ، ثم حملوا حملة واحدة ، فلم يكن للروم ثبات مع العرب ، فولى المشركون الادبار ، وركنوا الى الفرار • فلما حطوا داخــل المدينة اغلقــوا الابواب وتحصنوا بالاسوار ، ورفعوا الصلبان ، وعولوا ان يكتب وا للملك ليمدهم بالخيل والرجال • قال عبد الله بن رافع : فلما تحصنوا رجعنا عنهم وافتقدنا اصحابنا فوجدنا قد قتل منا مائة وثلاثون فارسا ، وقتل من الاعيان بدريان • قال وغنم المسلمون الاموال ، وصلى خالد على الشهداء ، وأمر بدفنهم • فلما كان الليل تولى الحرس عبدالرحمن بن ابي بكر الصديق ومعمر بن راشد ومائة من جيش الزحف • فبينما هم يدورون حول العسكر ، واذا بروماس صاحب بصرى قد اقبل عليهم • وقال لهم ، أين خالد بن الوليد فاخبروه واتوا بـــه الى خالد ٠ فلما رآه رحب به ٠ فقال ايها الامير بعد أن فارقتك طردني قومي ، واقلوا: الزم قصرك والا قتلناك فلزمت قصرى ، وهو ملاصق للسور ولما وقع لهم ما وقع وانهزموا تحصنوا • فلما جن الليل أمرت غلماني بحفر الســـور وفتحوا فيه بابا فأتيتك فارسل معى من تعتمدعليه من اصحابك تستلمون المدينة • فلما سمع خالد هذا الكلام أمر عبد الرحمن بن ابي بكر ان يأخذ مائة من المسلمين ويسيروا مع روماس • قال ضرور بن الازور وكنت ممن دخل المدينة • فلما صرنا في قصر روماس فتح لنا خزانة السلام ، فلبسنا مسن سلاحهم وقسمنا اربعة اقسام ، كل جانب خمسة وغشرون رجلا • وال لنسا عبد الرحمن اذا سمعتم التكبير فكبروا • فلما سرنا حيث امرنا الخذنا انفسنا بالحملة على القوم •

(قال الواقدي) بلغني ممن اثق به من الرواة أن عبد الرحمن لما فارق

اصحابه لبس سلاحه هو وروماس يطلبون الدرج الذي عليه الديرجان ، وسار معهم ضرار يرافع وشرحبيل بن حسنة • عقال لا اهلا ولا مرحبا بك ، ومن الذي معك ٠ قال معى صديق لك ومشتاق الى رؤياك قال : ويحك ، ومن هو يا روماس ؟ قال هذا بن ابي بكر الصديق ٠ فلما سمع الديرجان ذلك هم ان يقتله فلم تطاوعه نفسه فحمل عليه عبد الرحمن ، وهز سيفه مى وجهه وضربه على عاتقه فتجندل صريعاً يخور في دمه ، وعجل الله بروحه الى النار • قال وكبر عبد الرحمن فأجابه روماس وسمع اصحابه التكبير فكبروا من جوانب بصرى • قال واجابتهم الاحجار والاشجار • قال وكبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا السيف في الروم ، وسمع خالد التكبير فصرخوا ، واذا بغلمان روماس واولاده قد فتحوا لهم الابواب فعبرخالد ومن معه من المسلمين • فلما نظر أهل بصرى الى الابواب ، وقد فتحت بالسيف قهرا ضجوا بأجمعهـــــم يقولون : الامان الامان • فقال خالد بن الوليد (رض) : ارفعوا السيف عنهم، واقام خالد الى الصباح واجتمع اليه اهلها • وقالوا يا أيها الامير لو صالحناك ما جرى شيء من ذلك ، ولكن نسألك بالذي ايدك ونصرك ما الذي فتم لـك أبواب مدينتنا ؟ فاستحى خالد (رض) ان يقول ، فوثب روماس ، وقال انا فعلت ذلك يا اعداء الله واعداء رسوله ، وما فعلته الا ابتغاء مرضاة اللـــه وجهادا فيكم • فقالوا أولست منا ؟ فقال ١ للهم لا تجعلني منهم ، رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالكعبة قبلة وبالقرآن اماما ، وانا اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله • قال ففرح خالد بذلك • وأما أهل بصــرى فغضبوا وأضمروا له شرا ، وعلم بذلك روماس · فقال لخالد انا لا اريد المقام عندهم ، واني أسير معك حيث سرت • فاذا فتح الله على يديك الشام وصار لكــــم الامر ردوني اليها لان الوطن عزيز ٠

(قال الواقدي) حدثني معمر بن سالم عن جده وقال كان روماس يجاهد معنا جهادا حسنا حتى فتح الله على ايدينا الشام ، فكان ابو عبيدة يكاتب به عمر بن الخطاب (رض) في ايامه فولاه على بصرى فلم يلبث الا يسيرا حتى توفي رحمه الله ، وخلف عقبا يذكر به ، قال وأمر خالد رجالا يعينونه على اخراج رحله وفاله من المدينة ففعلوا ذلك ، واذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه و فقال لها المسلمون : ما الذي تريدين ؟ و قالت أريد امير جيشكم يحكم بيننا فجاءوا بها الى خالد ، فقالت له : أنا استغيث بك من روماس ؟ فقال لها خالد وكيف ذلك ؟ فقالت اني كنت البارحة نائمة اذ رأيت شخصا ما رأيت منه وجها كأن البدر يطلع من بين عينيه ، وكأنه يقول : ان

المدينة فتحت على يد هؤلاء القوم والشام والعراق • فقلت له ومن انت يــا سيدي ؟ • قال : محمد رسول الله ، ثم دعاني الى الاسلام فاسلمت ، ثــم علمني سورتين من القرآن • قال فعدث الترجمان خالد بما كان منها • فقال ان هذا لعجيب ، ثم قال خالد للترجمان : قل لها ان تقرأ السورتين ففرأت الفاتحة ، وقل هو الله احد ، ثم جددت اسلامها على يد خالد بن الوليد ، وقالت يا أيها الامير اما أن يسلم روماس والا يتركني أعيش بين المسلمين . قال فضحك خالد من قولها ، وقال : سبحان الله الذي وفقنا جميعا • ثم قال للنرجمان قل لها ان روماس اسلم قبلها ففرحت بذلك • ثم ان خالـــدا أحضر اهل بصرى وقررهم على اداء الجزية وولى عليهم من اتفق رأيه عليه ٠ ثم كتب الى ابي عبيدة كتابا يبسره بالفتح ، ويقول له : يا صاحب رسول الله قد ارتحلنا الى دمشق فالحقنا اليها - ثم كتب كتابا اخر الى ابي بكر الصديق يخبره برحيله ، ويقول له : يوم كتبت اليك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق فادع لنا بالنصر والسلام عليك ومن معك ورحمة الله وبركاته • ثــم بعث الكتابين كلاهما ، ثم ارتحل خالد الى نحو دمشق حتى اشرف على موضع يقال له الثنية فوقف هناك وركز راية العقاب فسميت بذلك ثنية العقاب . ثم ارتحل منها الى الدير المعروف الان بدير خالد ، وكان اهل السواد قد التجئوا الى دمشىق ، وقد اجتمعت خلائق وامم لا تحصى من الرجال ، واما اصحاب الخيل فكانوا اثني عشر الفا ، وقد زينوا اسوارهـم بالطوارق والبيارق والصلبان ، واقام خالد على الدير ينتظر قدوم المسلمين •

(قال الواقدي): ووصلت الاخبار الى الملك هرقل وما فتح خالد من الشام، وكيف قدم على دمشق فغضب وجمع البطارقة وقال: يا بنسي الاصفر، لقد قلت لكم وحدرتكم فأبيتم وهؤلاء العرب قد فتحوا الركسة وتدمر والسخنة وبصرى، وقد توجهوا الى الربوة ففتحوها فواكرباه لان دمشق جنة الشام وقد سارت اليها الجيوش وهم اضعاف العرب، ثم قال أيكم يتوجه الى قتال العرب ويكفيني أمرهم، فأن هزمهم اعطيته ما فتحوه ملكا و فقال بطريق من البطارقة أسمه كلوس بن حنا، و كان من فرسانهم، وقد عرفت شجاعته في عساكر الروم والفرس أيها الملك أنا اكفيك وأردهم على اعقابهم منهزمين وقل فلما سمع الملك قوله سلم اليه صليبا من الذهب وقدمه على خمسة الاف فارس، وقال له قدم صليبك أمامك فأنه ينصرك وقال فأخذه كلوس وسار من يومه من انطاكية الى أن وصل حمص فوجدها مزينة بالسلاح، فلما بلغ أهلها قدومه خرجوا الى لقائه، وقد خرجت القسيس والرهبان واستقبلوه ودعوا له قدومه خرجوا الى لقائه، وقد خرجت القسيس والرهبان واستقبلوه ودعوا له

بالنصر وأقام بحمص يوما وليلة ، ثم ارتحل الى مدينة بعلبك فخرج اليه النساء المخدود وقلن : أيها السيد ان العرب فتحوا اركة وحوران وبصرى ، فقال لهن : كيف قدرت العرب على حوران وبصرى ؟ • فقلن : أيها السيد ان الذين ذكر نهم لم يبرحوا من أماكنهم ، وان هذا الرجل قد أقبل من العوراق ، وهو الذي فتح أركة • فقال وما اسمه ؟ قلن خالد بن الوليد • قال في كم يكون من العساكر ؟ قلن في الف وخمسمائة فارس • فقال وحق المسيح الإجعلن رأسه على رأس سناني • ثم رحل فلم ينزل الا بدمشق ، وكان واليها بطريقا من قبل الملك هرفل اسمه عزازير ، فلما قدم كلوس اجتمع عليه عزازير وأصحابه وقرأوا عليهم منشور الملك ، ثم قال لهم أتريدون أن أقاتل عدوكم وأصده عن بلادكم ؟ قالوا نعم فقال اخرجوا عزازير عنكم حتى أكون وحدي في هذا الامر • فقالوا أيها السيد وكيف ينبغي أن يخرج صاحبنا من بلدنا ، وهذا العدو قاصد الينا • قال فغضب عزازير في وجه كلوس من كلامه ، وقد اتفق رأيهم على أن كل واحد يقاتل العرب يوما فثبتت عهداوة عزازير في قلب كلوس •

(قال الواقدي) ولقد بلغني انهم كانوا يخرجون كل يوم من باب الجابية مقدار فرسنخ ينظرون قدوم أبي عبيدة بن الجراح فلم يشعروا حتى قدم اليهم خالد بن الوليد من نحو الثنية ، قال حدثنا يسار بن محمد • قال أخبرنا رفاعة بن مسلم • قال : كنت في جيش خالد بن الوليد لما نزل على الدير المعسروف به ، واذا بجيش الروم قد زحف علينا وهو كالجراد المنتشر ، فلما نظر خالد ذلك تدرع بدرع مسلمة ، ثم صرخ في وجه المسلمين • و قال : هذا يوم ما بعده يوم ، وهذا العدو قد زحف بخيله فدونكم والجهاد فانصروا الله ينصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل وكانكم باخوانكم المسلمين قدموا عليكم مع أبي عبيدة بن الجراح ، ثم بعد ذلك استقبل الجيش وصــرخ بمل وأســه فأرعب المشركين من صرخته وحمل شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن أبسي بكر وضرار بن الازور ، ومذ حمل ضرار لم يول عنهم بل قتل من الميمنة خمسة . فرسان ومن الميسرة كذلك • ثم حمل ثاني مرة فقتل منهم ستـــة فرســــان ، ولولا سهام القوم لما رد عن قتالهم فشكره خالد بن الوليد وقال لعبد الرحمن بن أبى بكر (رض): احمل بارك الله فيك . قال فحمل عبد الرحمن وفعـــل كما فعل ضرار بن الازور وقاتل قتالا شديدا • ثم حمل من بعده خالد بن الوليــــــ ورفع رمحه ورأى العسكر من أمور الحرب حتى جزع الروم مــن شجاعتــه ٠

فلما نظر اليه البطريق كلوس علم انه امير الجيش وعلم أنه يفصده فتأخر كلوس الى ورائه من مخافته • فلما نظر خالد الى قهقرة كلوس إلى ورائه حمل عليه ليرده فوقعت عليه البطارقة ورموه بالسهام فلم يلنفت اليهم خالد، ولم يعبأ بهم ولم يرجع حتى قمل عشرين • نم انننى بجواده بين الصفين وجال بجواده بين الفريقين وطلب البراز فلم يجبه احد ، وفالوا : أخرجوا غيره منكم • فقال : ويلكم ها أنا رجل واحد من العرب وكلنا في الحرب سواء فما منهم من فهم كلامه ، فأقبل عزازير على كلوس ، وقال : أليس الملك قد قدمك على جيشه وبعتك الى قتال العرب فدونك حام عن بلدك ورعيتك •

فقال كلوس : أنت أحق منى بذلك لانك أفدم منى ، وقد عزمت أنـك لا تخرج الا باذن الملك هرقل فما بالك لا تخرج الى فتال أمير العرب • ففال لهما العساكر تقارعا فمن وقعت عليه القرعة فلينزل الى قتال أمير العـرب • فقال كلوس لا بل نحمل جميعاً فهو أهيب لنا ، قال وخاف كلوس أن يبلغ الملك ذلك فيطرده من عنده أو يقتله • قال فتقارعا فوقعت القرعــة على كلوس • فقال عزازير : اخرج وبين شجاعتك ، فقال كلوس لاصحابه : أريد أن تكون همتكم عندي ، فان رأيتم مني تقصيرا فاحملوا وخلصوني . فقال أصحاب. : هذا كلام عاجز لا يفلح أبدا ، فقال يا قوم ان الرجل بدوي ولفته غير لغتسى فخرج معه رجل أسمه جرجيس ، وقال له أنا أترجم لك فسار معه ٠ فقال كلوس: اعلم يا جرجيس ان هذا رجل ذو شجاعة فان رأيته غلبني فاحمل انت عليه حتى نقضى يومنا معه ، ويخرج له غدا عزازير فيقتله ونستريب منه وأتخذك أنا صديقي ٠ فقال له ما أنا أهل حرب ، وانما أخوفه بالكلام ٠ قال فسكت وسارا حتى قربا من خالد فنظر اليهما • قال فهم أن يخــرج اليهما رافع بن عميرة فصاح فيه خالد ، وقال مكانك لا تبرح فاني كف، لهما ، فلما دنوا من خاله ٠ قال كلوس لصاحبه : قل له من أنت وما تريد وخوفه من سطواتنا فقرب جرجيس من خالد ، و قال له يا أخا العرب : أنا اضرب. لك مثلاً أن مثلكم ومثلنا كمثل رجل له غنم فسلمها الى راع وكان الراعمي قليل الجرأة على الوحوش فأقبل عليه سبع عظيم فجعل يلتقط منه كل ليلة رأسا الى ان انقضت الاغنام والسبع ضار عليها ولم يجد له مانعا عنها • فلما نظر صاحب الغنم ما حل بغنمه علم أنه لم يؤت الا من الراعي فانتدب لغنمه غلاما نجيبا فسلمه الغنم فكان كل ليلة يكثر الطوفان حول الغنم • فبينما الغلام كذلك اذ أقبل عليه السبع على عادته الاصلية واخترق الغنم فهجم الغلام على السبع وبيده منجل فضربه فقتله ، ولم يقرب الغنم وحش بعدها وكذلك انتم نتهاون بأمركم لانه ما كان أضعف منكم لانكم جياع مساكين ضعفاء وتعودتم أكل الذرة والشعير ومص النوى • فلما خرجتم الى بلادنا وأكلت مطامنا وفعلتم ما فعلتم ، وقد بعث لكم الملك رجالا لا تقاس بالرجال ولا تكترت بالابطال ولا سيما هذا الرجل الذي بجانبي فاحذر منه أن ينزل بك ما انسزل الغلام بالاسد ، وقد سألني أن أخرج اليك واتلطف بك في الكلام فأخبرني ما الذي تريد قبل أن يهجم عليك هذا الفارس ؟ فلما سمع خالد منه ذلك ، قال يا عدو الله والله لا نحسبكم عندنا في الحرب الا كقابض الطير بشبكة ، وقد قبضتها يمينا وشمالا فلم يخرج الا ما انفلت منه • وأما ما ذكرت من بلادنا وأنها بلاد قحط وجوع فالامر كذلك الا أن الله تعالى ابدلنا ما هو خير منه ، فأبدلنا بدل الذرة الحنطة والفواكه والسمن والعسل • وهذا كله قد رضيه لنا ربنا بدل الذرة الحنطة والفواكه والسمن والعسل • وهذا كله قد رضيه لنا ربنا ثلاث خصال اما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية ، أو القتال • وأما قولك: ان هذا الرجل الذيل الذي هو عندكم مسكين فهو عندنا أقل القليل وان يكن هو ركن الملك فأنا ركن الاسلام • أنا الفارس الصنديد ، أنا خالـد بـن يكن هو ركن الملك فأنا ركن الاسلام • أنا الفارس الصنديد ، أنا خالـد بـن الوليد • أنا صاحب رسول الله (ص) •

معارك الشبام

(قال الواقدي) رحمه الله تعالى: فلما سمع جرجيس كلام خالد تأخر الى ورائه وقد تغير لونه، فقال له كلوس: يا ويلك رأيتك في بدايتك تهيم كالسبع فمالك قد تأخرت؟ فقال وحق المسيح ما أعلم انه الفارس الجحجاح وبطلهم الصفاح، هذا صاحب القوم الذي ملأ الشام شرا و فقال كلوس يا جرجيس اسأله ان يؤخر الحرب بيننا الى غد فالتفت الى خالد، وقال له يسا سيد قومك هذا صاحبي يريد ان يرجع الى قومه ليشاورهم و فقال خالد: ويحك أتريد ان تخدعني بالكلام وأقبل برمحه في وجه جرجيس و فلما نظر جرجيس ذلك انعقد لسانه وولى هاربا و فلما رأى خالد ذلك طلب كلوس وحمل عليه و تطاعنا واحترز البطريق من طعنات خالد، فلما نظر المسلمون وحمل عليه وتطاعنا واحترز البطريق من طعنات خالد، فلما قربوا منه رمى البطريق حط يده في أطواقه وجذبه فقلعه من سرجه و فلما قربوا منه رمى فعل خالد كبروا بأجمعهم وتسابق الفرسان الى خالد، فلما قربوا منه رمى فعل البطريق، وقال اوثقوه كتافا فصار يبربر بلسانه فأتى المسلمون بروماس صاحب بصرى وقالوا له اسمع ماذا يقول؟ و فقال لهم يقول لكم لا تقتلوني فاني اجبت صاحبكم في المال والجزية و فقال خالد استوثفوا منه ثم نزل عن

جواده وركب جوادا أهداه له صاحب تدمر وعزم أن يهجم على الروم · فقال ضرار بن الازور أيها الامير دعني أنا أحمل على القوم حتى تستريح أنت · فقال يا ضرار : الراحة في الجنة غدا ، ثم عول خالد على الحملة فصاح به البطريق كلوس ، وقال وحق دينك ونبيك الا ما رجعت الي حتى أخاطبك فرجع خالد اليه ، وقال لروماس اسأله ما يريد · فقال أعلمه أني صاحب الملك ، وقد بعثنى اليكم في خمسة الاف فارس لاردكم عن بلده وأهله ورعيته ، وقد تحجبت أنا وعزازير متولي دمشق وقدم الي معه كذا وكذا ، وأنا اسألك بحق دينك اذا خرج اليك فأقتله ، وأن لم يخرج اليك فاستدعه وأقتله فانه رأس القوم · فان قتلته فقد ملكت دمشق · فقال خالد لروماس قل له انا لا نبقي عليك ولا عليه ولا على من أشرك بالله تعالى · ثم انه بعد ذلك الكلام حمل ، وهو ينشد وبقول :

لك الحمد مولانا على كلل نعمة مننت علينا بعلم كفر وظلمة وأكرمتنا بالهاشمي محمل فتم اله العرش ما قلم ترومه وألقهم ربي سريعا ببغيهم

وشكر لما أوليت من سابغ النعسم وأنقذتنا من حندس الظلم والظلم وكشفت عنا ما نلاقسي من الغم وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم بحق نبي سيد العسرب والعجم

(قال الواقدي) لقد بلغني ممن أثق به أنه لما ولى جرجيس هاربا مسن يدي خالد الى أصحابه رأوه يرتعد من الفزع • فقالوا له ما وراك ؟ فقال با قوم ورائي الموت الذي لا يقاتل ، والليث الذي لا ينازل ، وهو أمير القوم ، وقد آلى على نفسه ان يطلبنا اينما كنا ، وما خلصت روحي الا بالجهد فصالحوا الرجل قبل ان يحمل عليكم بأصحابه فلا يبقى منكم أحدا ، فقالوا له ما يكفيك انك انهزمت ، وقد هموا بقتله ، فبينما هم كذلك اذ أقبل أصحاب كلوس على عزازير وهم خمسة الاف وصاحوا به وقالوا له ما أنت عند الملك أعز مسن صاحبنا ، وقد كان بيننا وبينك شرط فاخرج انت الى خالد واقتله او أسره وخلص لنا صاحبنا والا وحق المسيح والمذبح والذبيح شننا عليك الحسرب فقال عزازير ، وقد رجع به مكره ودهاؤه : يا ويلكم أتظنون اني جزعت مسن الخروج الي هذا البدوي من أول مرة ، ولكني ما تأخرت عن الخروج اليه وتقاعدت عن قتاله حتى يتبين عجز صاحبكم وسوف وسوف ينظر الفريقان أفرس وأشجع وأثبت في مقام القتال اذا نحن تشابكنا بالنصال ؟ ثم انه في الحال ترجل عن جواده ولبس لامته وركب جوادا يصلح للجولان ، وخرج في اللى قتال سيدنا خالد بن الوليد ، الفارس الصنديد (رض) ، فلما قرب منه تالى قتال سيدنا خالد بن الوليد ، الفارس الصنديد (رض) ، فلما قرب منه تالى قتال سيدنا خالد بن الوليد ، الفارس الصنديد (رض) ، فلما قرب منه تالى قتال سيدنا خالد بن الوليد ، الفارس الصنديد (رض) ، فلما قرب منه تالى قتال سيدنا خالد بن الوليد ، الفارس الصنديد (رض) ، فلما قرب منه ت

قال يا أخا العرب ادن مني حتى أسالك وكان الملعون يعرف العربية ، فلما سمع خالد ذلك • قال يا عدو الله ادن أنت على أم رأسك ، ثم هم أن يحمل عليه • فقال على رسلك يا أخا العرب أنا أدنو منك فعلم خالد أن الخووف داخله فأمسك عنه حتى قرب منه • فقال يا أخا العرب ما حملك ان تحمل انت بنفسك ؟ • أما تخشى الهلاك فلو قتلت بقيت أصحابك بلا مقدم • فقال خالد يا عدو الله قد رأيت ما فعل الرجلان من أصحابي لو تركتهم لهزموا اصحابك بعون الله تعالى ، وانما معي رجال ، وأي رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما ، ثم قال له خالد من أنت ؟ فقال أوما سمعت باسمي أنا فارس الشام أنا قاتل الروم والفرس أنا كاسر عساكر الترك • فقال خالد ما اسمك ؟ فقال أنا الذي تسميت باسم ملك الموت اسمى عزرائيل •

(قال الواقدي) فضحك خالد من كلامه ، وقال يا عدو الله تخوفنيي ان الذي تسميت باسمه هو طالبك ومشتاق اليك ليرديك الى الهاوية • فقال له عزازير وما منعك فعلت بأسيرك كلوس؟ • فقال هو موثق بالقيود والاغلال • فقال له عزازير وما منعك من قتله ، وهو داهية من دواهي الروم ؟ • فقال خالد منعنى من ذلك أنى أريد قتلكم جميعاً ، فقال عزازير : هل لك ان تأخذ الف مثقال من الذهب وعشرة أثواب من الديباج وخمسة رؤوس من الخيــل وتقتله وتأتيني برأسه • فقال له خالد هذه ديته فما الذي تعطينــي أنت عــن نفسك • قال فغضب عدو الله من ذلك ، وقال ما الذي تأخذ منــى ؟ • قـــال الجزية وأنت صاغر ذليل ؟ فقال عزازير كلما زدنا في كرامتكم زدتم في اهانتنا فخذ الان لنفسك الحذر فاني قاتلك ولا أبالي ، فلما سمع خالد كلام عزرائيل حمل عليه حملة عظيمة كانه شعلة نار فاستقبله البطريق ،وقد أخذ حذره وكان عزازير ممن يعرف بالشجاعة في بلاد الشام فلما نظر خالد الى عدو الله أظهر شجاعته وبراعته تبسم • فقال عزازير : وحق المسيح لو أردت الوصول اليك لقدرت على ذلك ولكنني أبقيت عليك لاني أريد أن أستأسرك ليعلم الناس أنك اسيري ، وبعد ذلك أطلق سبيلك على شرط انك ترحل من بلادنا وتسلم لنا ما اخذت من بلاد الشام ، فلما سمع خالد كلام عزازير قال له : يا عدو الله قد داخلك الطمع فينا ، وهذه العصابة قد ملكوا تدمر وحوران وبصـرى وهـم ممن باعوا أنفسهم بالجنة ، واختاروا دار البقاء على دار الفناء ، وسنتعلم أينا من يملك صاحبه ويذل جانبه ، ثم ان خالدا أرى البطريق ابواب الحرب • قال فندم عزازير على ما كان منه من الكلام ، وقال يا أخا العرب أما تعرف الملاعبة • فقال خالد ملاعبتي الضرب في طاعة الرب ، ثم ان الملعون هاجم خالدا ولوح

اليه بسيفه وضربه به فلم يقطع شيئا فذهل عدو الله من جولان خالد وثبانه ، وعلم أنه لا يقدر عليه ولا على ملاقاته فولى هاربا ، وكان جواده أسبق من جواد خالد • قال عامر بن الطفيل (رض) : وكنت يوم حرب دمشتق في القلب وشاهدنا ما جرى بين خالد وعزازير لما ولى هاربا وقصر جواد خالد عن طلبه فوقع في قلبه الطمع ، وقال كأن البدوي خاف مني ومالي الا أن أقيف حتى يلحقني وآخذه أسيرا ولعل المسيح ينصرني عليه ، فلما وقع ذلك في نفسه وقف حتى لحق به خالد ، وقد جلل فرسه العرق ، فلما قرب منه صاح عزازير ، وقال : يا عربي لا تظن أني هارب خوفا منك ، وانما أبقيت عليك خوفا على شبابك فارحم نفسك ، وأن أردت الموت أسوقه اليك أنا قابض خوفا على شبابك فارحم نفسك ، وأن أردت الموت أسوقه اليك أنا قابض خوفا على السيف وسار الارواح أنا ملك الموت ، فعند ذلك ترجل عن جواده وسحب السيف وسار اليه كأنه الاسد الضاري

فلما نظر عزازير الى ذلك والى ترجل خالد زاد طمعه فيه وحام حوله وهم اليه يريد أن يعلو رأسه بالسيف فزاغ خالد عنها وصاح فيه وضرب قوائم فرسه بضربة عظيمة فقطعها فسقط عدو الله على الارض ثم ولى هاربا يريسد أصحابه فسبقه خالد • وقال يا عدو الله ان الذي تسميت باسم قد غضب عليك واشتاق اليك وها هو قد اقبل عليك يقبض روحك ليؤديك الى جهنم، ثم هجم عليه وهم أن يجلد به الارض ونظرت الروم الى صاحبها ، وهو في يد خالد فهموا أن يحملوا على خالد ويخلصوه من يده اذ قـــــــ أقبلت جيــوش المسلمين، وأبطال الموحدين مع الامير أبي عبيدة بن الجراح (رض) كان قــد سار من بصرى فوجدوه ، وقد أخذ عزازير في تلك الساعة ، فلما نظرت عساكر دمنسق الى جيوش المسلمين قد أقبلت داخلهم الجزع والفزع فوقفوا عن الحملة • قال حدثني عمر بن قيس عن شعيب عن عبدالله عن هلال القشعمي قال لما قدم الامير أبو عبيدة سأل عن خالد فقالوا انه في ميدان الحرب ، وقد أسر بطريق الروم فدنا أبو عبيدة اليه وهم ان يترجل فأقسم عليه خالد أن لا يفعل وأقبل عليه وصافحه ، وكان أبو عبيدة يحب خالدا لمحبة رسول الله (ص) • فقال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان : لقد فرحت بكتاب أبي بكر الصديق حين قدمك على وأمرك على وما حقدت في فلبسي عليك لاني أعلم مواقفك في الحرب • فقال خالد: والله لا فعلت أمرا الا بمشورتك ووالله لولا أمر الامام طاعة لما فعلت ذلك أبدا لانك اقدم منى في دين الاسلام وأنا صاحب رسول الله (ص) ، وأنت قال فيك : أبو عبيدة أمين هذه الامة فشكره أبو عبيدة وقدم لخالد جواده فركبه ، وقال خالد لابي عبيدة اعلم أيها الامير

أن القوم قد خذلوا ووقع الرعب في قلوبهم ،وأهينوا بأخذ كلوسوعزازير قال وسار مع أبي عبيدة يحدثه بما صار من البطريقين ، وكيف نصره الله عليهما الى أن اليا الدير فنزلا هناك ، وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض · فلما كان الغد ركب الناس وتزينت المواكب وزحــف أهل دمشــق للقتال وقد أمروا عليهم صهر الملك هرقل ، ولما أقبلوا قال خالد لابي عبيدة ان القوم قد انخذلوا ووقع الرعب في قلوبهم فاحمل بنا على القــوم • قال أبـو عبيدة : افعل قال فحمل خالد وحمل أبو عبيدة وحمل المسلمون على عساكر الروم حملة عظيمة وكبروا بأجمعهم فارتجت الارض من تكبيرهم ووقع القتـــل في الروم ، وجاهد أصحاب رسول الله (ص) جهادا عظيما ، وذهلت منهم الكفار • قال عامر بن الطفيل : لقد كان الواحد منا يهزم من السروم العشمرة والمائة • قال فما لبثوا معنا ساعة واحدة حتى ولوا الادبار ، وركنوا الى الفرار، وأقبلنا نقتل فيهم من الدير الى الباب الشرقي • فلما نظر أهل دمشق الى انهزام جيشهم أغلقوا الابواب في وجه من بقي منهم • قال قيس ابن هبيرة (رض) : فمنهم من قتلناه ، ومنهم من أسرناه ، فلما رجع خالد عنهم قال لابي عبيدة ان من الرأي أن أنزل أنا على الباب السرقي وتنزل انست على بساب الجباية • فقال أبو عبيدة : هذا هو الرأي السديد •

(قال حدثنا) سهل بن عبدالله عن أويس بن الخطاب أن الذي قدم مع الامير ابي عبيدة من المسلمين من اهل الحجاز واليمن وحضرم وت وساحل عمان والطائف وما حول مكة كان سبعة وثلاثين الف فارس من الشجعان ، وكان مع عمرو بن العاص تسعة الاف فارس ، والذين قدم بهم خالد بن الوليد (رض) من العراق ألف فارس وخمسمائة فارس فكان جملة ذلك سبعة واربعين ألفا وخمسمائة غير ما جهز عمر بن الخطاب في خلافته ، وسنذكر ذلك اذا وصلنا اليه ان شاء الله تعالى ، هذا وان خالدا نزل بنصف المسلمين على الباب الشرقي ونزل أبو عبيدة بالنصف التاني على باب الجابية ، فلما نظر أهل دمشق الى ذلك نزل الرعب في قلوبهم ، ثم ان خالدا أحضر البطريقين بين يديه وهما كلوس وعزازير فعرض عليهما الاسلام فأبيا فأمر ضرار بن الازور أن يديه وهما كلوس وعزازير فعرض عليهما الاسلام فأبيا فأمر ضرار بن الازور أن يضرب عنقيهما ففعل ، قال : فلما نظر أهل دمشق ما فعلوا بالبطريقين كتبوا الى الملك كتابا يخبرونه بما جرى على كلوس وعزازير ، وقد نزلت العرب على الباب الشرقي وباب الجابية ، وقد نزلوا بشبانهم وأولادهم وقد قطعوا أرض البلقاء وأرض السواد ووصفوا له ما ملك العرب من البلاد فأدركنا والاسلامنا اليهم البلد ، ثم سلموا الكتاب الى رجل منهم وأعطوه أوفى أجرة

وأدلوه بالحبل من أعلى الاسوار في ظلمة الاعتكار •

(قال الواقدي) وان الرجل وصل الى الملك هرقل ، وهو بأرض انطاكيــة فاستأذن عليه فأمر له بالدخول ، فلما دخل سلم الكتاب اليه ، فلما قسرأه الملك رماه من يده وبكي ، ثم انه جمع البطارقة • وقالَ لهم : يا بني الاصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب ، وأخبرتكم انهم سوف يملكون ما تحت سريري والقحط وأكل الذرة والشعير الى بلاد خصبة كثيرة الاشجار والثمار والفواكه فاستحسنوا ما نظروه من بلادنا وخصبنا وليس يزجرهم شيء لما هم فيه من العزم والقوة وشدة الحرب ولولا أنه عار على لتركت الشام ورحلبت السئ القسطنطينية العظمي ، ولكن ها أنا أخرج اليهم وأقاتلهم عن أهلي وديني • فقالوا أيها الملك ما بلغ من شأن العرب ان تخرج اليهم بنفسك وقعـودك أهيب قال الملك هرقل نبعث اليهم ، قالوا عليك ايها الملك بـوردان صاحـب حمص لانه ليس فينا مثله في القوة وملاقاة الرجال ، ولقد بين لنا شجاعته في عساكر الفرس لما قصدونا ٠ قال فأمر الملك باحضاره ، فلما حضر وردان قال له الملك انما قدمتك لانك سيفي القاطع وسندي المانع فاخرج من وقتك وساعتك ولا تتأخر ، فقد قدمتك على اثني عشر الفا ، فاذا وصلت الى بعلبك فانفذ الى من بأجنادين بأن يتفرقوا في أرض البلقاء وجبال السواد فيكونوا هناك ولا تتركوا أحدا من العرب يلحق بأصحابه ، يعني عمرو بن العاص (رض) • فقال وردان : السمع والطاعة لك أيها الملك وسوف يبلغك الخبر أني لا أعود الا برأس خالد بن الوليد ومن معه اهزمهم جميعا وبعد ذلك أدخل الحجاز ولا أخرج حتى أهدم الكعبة ومكة والمدينة • قال فلما سمع الملك هرقل قوله قال وحق الانجيل لئن فعلت ذلك ووفيت بقولك لاعطينك ما فتحوه حرثا وخراجا وكتبت كتاب العهد انك الملك من بعدي ، ثم سويره وتوجه وأعطاه صليبا من الذهب وفي جوانبه أربع يواقيت لا قيمة لها ، وقال اذا لاقيت العرب فقدمه أمامك فهو ينصرك ، قال فلما تسلم وردان الصليب من وقته دخل الكنيسة وانغمر في ماء المعمودية وبخروه ببخور الكنائس وصلى عليه الرهبان وخرج من وقته فضرب خيامه خارج المدينة ٠ قال وأخذت الروم على أنفسهم بالرحيل ، فلما تكاملوا ركب الملك هرقل وسار لوداعهم وصحبتـــ أرباب دولته فوصل معهم الى جسر الحديد بها فودعه الملك وسار الى أن وصل الى حماة فنزل بها وأنفذ من وقته كتابا الى من بأجنادين من جيــوش الــروم يأمرهم ليتفرقوا في سائر الطرقات ليمنعوا عمرو بن العاص ومسن معمه أن

يصلوا الى خالد ، فلما سار الرسول بالكتاب جمع وردان اليه البطارقة وقال لهم : انى أريد أن أسير على حين غفلة على طريق مارس حتى أكبس على القوم ولا ينجو منهم أحد ، فلما كان الليل رحل على طريق وادى الحياة ٠ (قال حدثني شداد بن أوس) قال: لما دخل خالد بن الوليد (رض) بعد قتل البطريقين أمر المسلمين أن يزحفوا الى دمشت ، قال فزحف منا الرجال من العرب وبأيديهم الحجف يتلقون بها الحجارة والسهام ، فلما نظر أهل دمشق الينا ، ونحن قد زحفنا اليهم رمونا بالسهام والحجارة من أعلى الاسوار ، وضيقنا عليهم في الحصار ، وأيقن القوم بالدمار · قال شداد ابن أوس فأقمنا على حصارهم عشرين يوما ، فلما كان بعد ذلك جاءنا ناوى بن مرة وأخبرنا عن جموع الروم بأجنادين وكثرة عددهم فركب خالد نحــو باب المدينة الجابية الى أبى عبيدة يخبره بذلك ويستشيره وقال يا أمين الامة اني رأيت أن ترحل من دمشق الى اجنادين ، ونلقى من هناك من الروم، فأذا نصرنا الله عليهم عدنا الى قتال هؤلاء القوم • قال أبو عبيدة ليــس هذا برأي قال خالد ولم ذلك ؟ • قال أبو عبيدة اذا رحلنا يخرج أهــل المدينـة فيملكون مواضعنا ، فلما سمع خالد ذلك من أبي عبيدة • قال يا أمين الامة اني أعرف رجلا لا يخاف الموت خبيرا بلقاء الرجال قد مات أبوه وجده فيي الفتال • قال ومن هذا الرجل يا أبا سليمان ؟ • قال هو ضرار بن الازور بن طارق • قال أبو عبيدة : والله لقد صدقت ووصفت رجلا باذلا معروفا فافعل • قال فرجع خالد الى بابه واستدعى بضرار بن الازور فجاء اليه وسلم عليه • فقال : يا ابن الازور اني أريد أن أقدمك على خمسة الاف قد باعـوا انفسهم لله عز وجل واختاروا دار البقاء والاخرة على الاولى ، وتسيروا الى لقاء هؤلاء القوم الذين وردوا علينا ، فان رأيت لك فيهم طمعا فقاتلهم ، وان رأيت أنك لا تقدر عليهم فابعث الينا رسولك • فقال ضمرار بن الازور أسير وحدي • قال خالد لعمري انك ضرار ، ولكن لا تلق نفسك الى الهلاك وسر بما ندب معك من المسلمين • قال فقام ضرار (رض) مسرعا فقال خالد ارفق بنفسك حتى يجتمع عليك الجيش • فقال : والله لا وقفت ومن علم الله فيه خيرا أدركني ثم ركب ضرار وأسرع الى ان وصل الى بيت لهيا ، وهـو الموضع الذي كان يصنع فيه الاصنام فوقف هناك حتى لحق به أصحابه ٠ فلما تكاملوا نظر ضرار ، واذا بجيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر وهم غائصون في الدروع وقد أشرقت الشمس على لأماتهم وطوارقهم ٠ فلما نظر اليهم أصحاب رسول الله (ص) قالوا لضرار: أما والله ان هذا الجيش عرمرم والصواب أننا نرجع • فقال ضرار، والله لا زلت أضرب بسيفي في سبيل الله واتبع من أناب الى الله ولا يراني الله مهزوما ، ولا أولى الدبر لان الله تعالى يقول _ فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله _ وتكلم رافع بن عميرة الطائي وقال يا قوم وما الخيفة من هؤلاء العلوج ؟ أما نصر كم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة والجموع اليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قال قوم طالوث عند لقائهم جالوت _ ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين _ • فلما سمع ضرار كلامهم وأنهم اشتروا الاخرة على الاولى كمن بهم عند بيت لهيا وأخفى أمره وجلس عاري الجسد بسراويله على فرس له عربي بغير سلاح وبيده قناة كاملة الطول وهو يوصي القوم •

(قال الواقدي) هكذا حدثني تميم بن أوس عن جده عمرو بن دارم •قال كنت يوم بيت لهيا ممن صحب ضرار بن الازور (رض) وهو بهذه الصفة رغبة منه في الشهادة • فلما قارب العدو كان أول من برز وكبر ضرار بن الازور قبل فأجابه المسلمون بتكبيرة واحدة رعبت منها قلوب المشركين وفاجئوهم بالحملة ونظروا الى ضرار بن الازور وهو في أول القوم وهو في حالته التي وصفناها فهالهم أمره ، وكان وردان في المقدمة والاعلام والصلبان مشتبكةً على رأسه • قال فما طلب ضرار غيره لانه علم أنه صاحبهم فحمل عليه غير مكترث به وطعن فارسا كان في يده العلم فتجندل من على فرسه قتيلا ، تــم انه طعن اخر في الميمنة فارداه وحمل يريد القلب ، وكان قـــد عايـــن وردان والصليب على رأسه يحمله فارس من الروم والجواهر تلمع من أربع جوانبه فعارضه ضرار وطعن حامله طعنة عظيمة فخرج السنان يلمع من خاصرته ٠ قال فسقط الصليب منكسا الى الارض • فلما نظر وردان الى الصليب أيقن يالهلاك ، وهم ان يترجل لاخذه أو يميل في ركابه ليأخذه فما وجد لذلك سبيلا لماقد أحدق به وترجل عليه قوم من المسلمين ليأخذوه وقد اشتغل كل عن نفسه ونظر ضرار الى من ترجل لاخذ الصليب • فقال معاشر المسلمين ان الصليب لى دونكم وأنا صاحبه فلا تطمعوا فاني اليه راجع اذا فرغت من كلب الروم • قال فسمع ذلك وردان وكان يعرف العربية فعطف من القلب يريد الهرب • فقالت البطارقة الى أين أيها السيد أتفر من الشيطان فما رأينا ادني من منظره ولا أهول من مخبره ، ونظر اليه ضرار وقد عطف راجعا فعلم

أنه قد عزم على الهرب فصاح بقومه ثم اقتحم في أثره ومد رمجه وهمز جـواده. فتصارخت به الروم وعطفت عليه المواكب من كل جانب فأنشد يقول:

الموت حــق أين لــي منــه المفر وجنة الفردوس خير المستقر هذا قتالي فاشهدوا يا من حضـر وكلهذا في رضا رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل المسلمون في أثره فاحدقوا بهم من كل مكان ، ونطروا الى ضرار وقد قصده وردان صاحب حمص عندما علمي أنه اخترق القوم فمد اليه رمحه وقد احدقت به بطارقته وضرار يمانع عن نفسه يمينا وشمالا فما طعن احدا الا اباده الى ان فتل من القوم خلقا كتيرا ، وهــو يصرخ بقومه : ويقول ـ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صف كأنهم بنيان مرصوص ـ قال واكبت عليه جيوش الروم من كل جانب ومكان واشتعل الحرب بينهم ووصل همدان بن وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم ٠ فأصاب عصده الايمن فوصل السهم اليه فأوهنه واحس ضرار بالالم فحمل على همدان وصمم عليه برمحه وطعنه ٠ فأصاب بالطعنة فؤاده فوصل السنان الي ظهره فجذب الرمح منه فلم يخرج ، واذا به قد اشتبك في عظم ظهره فخرج الرمح من غير سنان فطمعوا فيه وحملوا عليه وأخذوه أسيرا، فنظر أصحاب رسول الله (ص) الى ضرار وهو اسير فعظم الامر عليهم وقاتلوا قتالا شديدا ليحلصوه فما وجدوا الى ذلك سبيلا وأرادوا الهرب • فقال رافع بن عميرة الطائي يا أهل القرآن الي أين تريدون ؟ أما علمتم ان من ولي ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله ، وإن الجنة لها أبواب لا تفتح الا للمجاهديــن ، الصبــر الصبر ، الجنة الجنة ، يا أهل الكتاب كروا على الكفار عباد الصلبان ، وها أنا معكم في أوائلكم ، فان كان صاحبكم أسر أو قتل فان الله حي لا يموت ، وهو يراكم بعينه التي لا تنام ، فرجعوا وحملوا معه ٠٠٠

قال ووصل الخبر الى خالد ان ضرار قد أسر بيد الروم ، وانه قتل. من الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد ، وقال في كم العدو ؟ قالوا اثني عشر الف فارس • فقال والله ما ظننت الا أنهم في عدد يسير ، ولقد غررت بقومي ، ثم سأل عن مقدمهم من يكون ؟ فقيل وردان صاحب حمص ، وقسد قتل ضرار ولده همدان ، فقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم ارسل الى أبي عبيدة يستشيره فبعث اليه أبو عبيدة يقول له : اتسرك على الباب الشرقي من تثق به وسر اليهم فانك تطحنهم باذن الله تعالى • فلمك وصل الجواب الى خالد قال والله ما أنا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله ثم وقال له وقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسي (رض) ومعه الف فارس ، وقال له الدين الله فارس ، وقال له الدين الكالم المعروق العبسي (رض) ومعه الف فارس ، وقال له الدين الله فارس ، وقال له الموقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسي (رض) ومعه الف فارس ، وقال له المولية المهروق العبسي (رض) ومعه الف فارس ، وقال له المهروق العبسي (رض) ومعه الف فارس ، وقال له المهروق العبسي المهروق العبسي المهروق العبسي المهروق العبسي والمهروق العبسي المهروق العبسي وقال له المهروق العبسي والمهروق العبسي المهروق العبرون المهرون المهرون العبرون المهرون المهرون العبرون المهرون الم

احذر أن تنفذ من مكانك • فقال ميسرة حبا وكرامة وعطف خالد بالناس ، وقال لهم أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة فاذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيها ضرار ان شاء الله تعالى ان كانوا أبقوا عليه ، والله ان كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثأرة ان شاء تعالى وأرجو أن لا يفجعنا به ، ثم تقدم امام المقوم وجعل يقول :

اليوم يوم فاز فيه من صدق لاروين الرمح من ذوي الحدق عسى أرى غدا مقام من صدق '

لا ارهب الموت اذا الموت طرق لاهتكن البيض هتكا والدرق في جنة الخلد والقى من سبق

خولة بن الازور

فبينما خالد يترنم بهذه الابيات ، اذ نظر الى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبين منه الا الحدق والفروسية تلسوح من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد خرم وسطه بعمامة خضراء وسلحبها على صدره ومن ورائه وقد سبق أمام الناس كأنه نار ، فلما نظره خالد قال ليت شعرى من هذا الفارس وايم الله انه لفارس شجاع ، ثم اتبعه خالد والناس ، وكان هذا الفارس اسبق الناس الى المشركين • قال وكان رافع بن عميرة الطائي (رض) في قتال المشركين وقد صبر لهم هو ومن معه اذ نظر خالدا وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين ، ونظر الى الفارس الـذي وصفناه وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ، ثم غاب في وسطهم فما كانت الا جولة الجائل حتى خـرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم ، وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ، ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس المروم في الناس وكثر قلقهم عليه ، فأما رافع بن عميرة ومن معه فما ظنوا الا انه خالد وقالوا ما هذه الحملات الا لخالد فهم على ذلك اذ أشرف عليهم (رض) وهو في كبكبة من الخيل: فقال رافع بن عميرة من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته. • فقال خالمه والله انني أشد انكارا منكم له ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله • فقال رافع ايها الامير انه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا •

فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن ديسن الله • قال فأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد أمامهم اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل في أثره ،

وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل ، فعند ذلك حمل خالد ومسن معه ووصل الفارس المذكور الى حيش المسلمين • قال فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر على الاعداء اكشف لنا عن لتامك • قال فمال عنهـــم ولم يخاطبهــم. وانغمس في الروم فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون ، وقالواً أيها الرجل الكريم : أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا ، فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال له ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك من أنت ؟ قال فلما لج عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث ، وقال : انني يا امير لم أعرض عنك الاحياء منك لانك أمير جليل وأنا مــن ذوات الخدور وبنات الستور ، وانما حملني على ذلك اني محرقة الكبد زائدة الكمد ٠ فعال لها من أنت ؟ قالت أنا خُولة بنت الازور المأسور بيد المشركين أخي وهو ضرار واني كنت مع بنات العرب وقد اتاني الساعي بأن ضرار أسير فركبت وفعلت ما فعلت • قال خالد نحمل بأجمعنا ونرجو مـــن الله أن نصــل الى أخيك فنفكه • قال عامر بن الطفيل : كنت عن يمين خالد بن الوليــــــــ حيــن حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم ما نــزل بهم مــن خولة بنت الازور وقالوا أن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة ولما حمل خالد ومن معه اذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ونظم وردان اليهم • فقال لهم اثبتوا للقوم فاذا رأوا ثباتكم ولوا عنكم ويخرج أهل دمشق يعينونكم على قتالهم • قال فثبت المسلمون لقتال الروم وحمل خالد بالناس حملة منكرة وفرق القوم يمينا وشمالا وقصد خالد مكان صاحبهم و ردان عند اشتباك الاعلام والصلبان واذا حوله اصحاب الحديد والزرد النضيب وهمم محدقون به ، فحمل خالد عليهم حملة منكرة واشتبك المسلمون بقتال الروم وكل فرقة مشغولة بقتال صاحبها • وأما خولة بنت الازور فأنها جعلت تجول. يمينا وشمالا وهي لا تطلب الا أخاها وهي لا ترى له اثرا ولا وقفت له على خبر الى وقت الظهر وافترق القوم بعضهم عن بعض وقد أظهر الله المسلمين على الكافرين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة • قال وتراجعت كل فرقة الى مكانها وقد كمدت افئدة الروم مما ظهر لهم من المسلمين وقد هموا بالهزيمة وما يمسكهم الا الخوف من صاحبهم وردان ، فلما رجع القوم الى مكانهم أقبلت خولة بنسته الازور على المسلمين وجعلت تسألهم رجلا رجلا عن أخيها فلم تر من المسلمين. من يخبرهما انه نظره أو رآاه أسيرا أو قتيلاً ، فلما ينست منه بكت بكاءا شديدالا

وجعلت تقول يا ابن أمي ليت شعري في أي البيداء طرحوك أم بأي سنان طعنوك أم بالحسام قتلوك ، يا أخي أختك لك الفداء لو اني أراك انقذتك من أيدي الاعداء ، ليت شعري اترى ألي أراك بعدها ابدا ، فقد تركت يا ابن أمي في فلب اختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ ، ليت شعري لحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي (ص) فعليك مني السلام الى يوم اللقاء • قال فبكى الناس من قولها وبكى خالد وهم أن يعاود بالحملة اذ نظر الى كردوس من الروم قد خرج من ميمنة العقبان فتأهب الناس لحربهم وتقدم خالد وحوله أبطال انسلمين • فلما قربوا من القوم رموا رماحهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالامان • فقال خالد اقبلوا أمانهم وائتوني بهم فأنوا اليه • فقال خالد من أنتم ؟ فقالوا نحن من جند هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عدنا انه ما يطيقكم ولا يستطيع حربكم فأعطونا الامان واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن حتى نؤدي لكم المال الذي اردتم في كل سنة ، فكل من في حمص يرضي بقولنا •

فقال خالد اذا وصلت الى بلادكم يكون الصلح ان شاء الله تعالى ان كان لكم فيه أرب، ولكن نحن ههنا لا نصالحكم ولكن كونوا معنـــا الى أن يقضى الله ما هو قاض ، ثم ان خالدا قال لهم هل عندكم علم عن صاحبنا الذي قتل ابن صاحبكم ؟ • قالوا لعله عارى الجسد الذي قتل منا مقتلة عظيمة وفجع صاحبنا في ولده • قال خالد عنه سألتكم ؟ • قالوا بعنه وردان عندنا أسيرا على بغل • ووكل به مائة فارس وأنفذه الى حمص ليرسله الى الملك ويخبره بما فعل • قال ففرح خالد بقولهم ، ثم دعا برافع بن عميرة الطائي وقال : يا رافع ما أعلم أحدا أخبر مذك بالمسالك وأنت الذي قطعت بنا المفازة من أرض السماوة وأعطشت الابل واوردتها الماء وأوردتنا أركة وما وطئها جيش قبلنا لمفازتها ، وأنت أوحمه أهل الارض في الحيل والتدبير فخذ معك من أحببت و اتبع اثر القوم فلعلك أن تلحق بهم وتخلص صاحبنا من أيديهم ، فلمنن فعلت ذلك لتكونن الفرحـــة الكبرى • فقال رافع بن عميرة حبا وكرامة ، ثم انه في الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير فأتت البشارة الى خولة بمسير رافع بن عميرة ومن معه طلب اخيها ضرار فتهلل وجهها فرحـــا وأسرعت الى لبس سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ما سرحتني مع من سرحت فلعلى أن أكون مشاهدة لهم • فقال خالد لرافع انت تعلم شبجاعتها فخذها معك • فقال له رافع السمع والطاعة وارتحل رافع ومن معه ، وسارت خولة في أثر القوم ولـــم تختلط بهم ، وسار الى أن قرب من سليمة • قال فنظر رافع فلم يجد للقسوم اثرًا ؟ فقال لاصحابه أبشروا فان القوم لم يصلوا الى ههنا ، ثم انه كُمن بهم في وادى الحياة، فبينما هم كامنون اذا بغبرة قد لاحت • فقال رافع لاصحابه ايقظوا خواطركم وانتبهوا ، فأيقظ القوم هممهم وبقوا في انتظار العدو واذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار ، فلما رأى رافع ذلك كبر وكبر المسلمون معهه وحملوا عليهم فلم يكن غير ساعة حتى خلص الله ضرارا وقتلوهم جميعا وأخذوا سلبهم ٠ قال واذا بعساكر الروم قد اقبلت منهزمة وأولهم لا يلتفت الى آخرهم ، فعسلم رافع ان القوم انهزموا فأقبل يلتقطهم بمن معه • قال وكان خالد لما أرسل رافع بن عميرة في طلب ضرارليخلصه ومعه المائة فارس صدم وردان صدمة مــــن يحب الشهادة ويبتغي دار السعادة وصدم المسلمون الروم ، فما لبثوا أن ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان أولهم وردان واتبعهم المسلمون وأخذوا أسلابهم وأموالهم ولم يزالوا في طلبهم الى وادي الحياة ، فاجتمع المسلمون برافع بن عميرة الطائي وضراد بن الازور وسلموا عليهم وفرحوا بضرار (رض) وهنؤوه بالسلامة • قال واثنى خالد على رافع خيرا ورجعوا الى دمشق وفرح المسلمون بالنصر واتصل الخبر الى الملك هرقل وان وردان قد انهزم وقتل ولده همدان • قـــال فأيقن بزوال ملكه من الشام فكتب الى وردان كتابا يقول فيه : أما بعد فاني قد بلغني جياع الاكباد عراةالاجساد قد هزموك وقتلوا ولدك رحمه المسيح ورحمك ، ولولا اني أعلم أنك فارس الحرب ومجيد الطعن والضرب وليس النصر آتيك لحل عليك سنخطي والآن مضى ما مضى ، وقد بعثت الى اجنادين تسعين الفا، وقـــد أمرتك عليهم فسر نحوهم وانجد اهل دمشق وأنفذ بعضهم ليمنعوا من في فلسطين مسن الكتاب مع خيل البريد ، فلما ورد عليه الكتاب وقرأه سرى عنـــه بعض ما كان يجده وأخذ الاهبة الى اجنادين فسمار فوجد الروم قد تجمعوا وأظهروا العمدد والزرد وخرجوا الى لقائه وسلموا عليه وتقدموا بين يديه وعزوه في ولده ، فلما استقر قراره قرأ عليهم منشور الملسك فأجابوا بالسمع والطاعة واخسسذوا على أنفسهم •

(قال حدثني) روح بن طريف قال: كنت مع خالد بن الوليد على باب شرقي حين رجعنا من هزيمة وردان واذ قد ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي، وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) من بصرى يعلم خالدا بمسير الروم اليه من اجنادين في تسمعين ألف فارس فخذ أهبتك للقائهم وقال فلما سمع خالد ذلك ركب الى أبي عبيدة وقال له: يا أمين الامة هذا عبادبن

سمعد الحضرمي قد بعث به شرحبيل بن حسنة يخبر أن طاغية الروم هرقل قـــد ولى وردان على من تجمع باجنادين من الروم وهم تسعون الفا فما ترى من الرأي يا صاحب رسول الله ٠ فقال أبو عبيدة : اعلم يا أبا سليمان أن أصحاب رسول الله (ص) متفرقون منل شرحبيل بن حسنة بأرض بصرى ، ومعاذ بن جبــــل بحوران ، ويزيد بن أبي سفيان بالبلقاء ، والنعمان بن المغيرة بأرض تدمر وأركة، وعمرو بن العاص بأرض فلسطين ، والصواب ان تكتب اليهم ليفصدونا حتى تقصد المدو ومن الله نطلب المعونة والنصر • قال فكسب خالد الى عمرو بن العاص كنابا يقول فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فان اخوانـــكم المسلمين قد عولوا على المسير الى اجنادين قان هناك نسعين الفا من الروم بريدون المسير الينا ـ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكاغرون ما خاذا وصل اليك كتابي هذا فاقدم عليما بمن معك الى احنادين تجدنا هناك أن شاءالله تعالى والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ، وكتب نسيخة الكتاب الى جميع الامراء الذين ذكرناهم ثم أمسر الناس بالرحيل درفعت القباب والهوادج على للهور العمال وسافوا الغنسانم والاموال • فقال خاله لابي عبيدة قد رأيت رابا أن أكون على السانة مع الغنائم والاموال والبنبن والولدان والبنين والولدان وكن انت على المقدمة مع خاصــة أصحاب رسول الله (ص) • فقال أبو عبيده بل اكون أنا على الساقة وأنت على المقدمة مع الجيش • بان وصل اليك جيخ الروم مع وردان يجدوك على أهسة فتمنعهم من الوصول الى الحربم والاولاد فلا يصلون الينا الا وأنت فنلت فيهم والاكنت أنا ومن معى غنيمة لهم اذا كنت أنا في المقدمة • ففال خــالد لست أخالفك فيما ذكرت • تم أن خالدا قال أيها الناس أنكم سائرون الى جيس عظيم فأيقظوا عممكم . وإن الله وعدكم النصر وقرأ عليهم فوله تعالن ــ كم من فنتّ قليلة غلبت فئة كميرة باذل الله والله مع الصابرين - •

تم ان خالدا أخذ الجيش وسار في المقدمة وبقي أبو عبيدة في العد من المسلمين ، ونظر الى ذلك أهل دمسق فعطفوا عليهم واقبل الى ذلك أهل دمسق فعطفوا عليهم واقبل النبي هو با جنادين ويظنون أنهم منهزمون لاجل ما بلغهم من الجيش العظيم الذي هو با جنادين فقال لهم عقلاؤهم ان كانوا سارين على طربق بعلبك فأنهم يريدون فتحبا وفنح حمص ، وان كانوا على طريق مرج راهط فالقوم لا شك هاربون الى الحجاز ويتركون ما اخدوا من البلاد و قال وكان بدمنسق بطريق يقال له بولص وكان عظيما عند النصرانية ، وكان اذا قدم على الملك يعظمه ، وكان الملغون فارسا وذلك انهم كان عندهم شجرة فرماها بسهم فغاص السهم في الشجرة من قوة

ساعده • ثم ان من عجبه كتب عليها ان كل من يدعي الشجاعة فليرُم بسهمه الى جانب سهمي ، وكان قد شاع ذكره بذلك ولم يحضر قتال المسلمين منذ دخلوا دمشق ، فلما اجتمعوا عليه قال لهم بولص ما الذي حل بكم ؟ فأعلموه بما جرى عليهم من المسلمين وقالو له : ان كنت تريد حياة الابد عند الملك وعند المسيح وعند اهل دين النصرانية فدونك والمسلمين فاخرج اليهم واخطف كل من تخلف منهم ، وان رأيت لنا فيهم مطمعا قانلناهم • فقال بولص انما كان سبب تخلفي عن نصر تكم لانكم قليلو الهمة لقتال عدوكم فتخلفت عنكم والآن لا حاجــة لي في قتال العرب •

فقالوا . وحق المسيح والانجيل الصحيح لئن سرت في مقدمتنا لنثبتن معك وما منا من يولى عنك وقد حكمناك فيمن ينهزم أن تضرب عنقه ولا يعارضك في ذلك احد ٠ قال فلما استوثق منهم دخل الى منزله ولبس لامتــُـــه ٠ فقالت لهُ عليهم • فقالت لا تفعل والزم بيتك ولا تطلب ما ليس لك به حاجة فاني رأيت فبينما أنا متعجبة اذ أقبلت نحوك سحابة من الجو فانقضت عليك من الهــواء وعلى من معك فجعلت تضرب هاماتهم ثم وليتم هاربين ، ورأيتها لا تضرب احدا الا صرعته ثم انى انتبهت وأنا مذعورة باكية العين عليك • فقال لها ومع ذلك رأيتيني فيمن صرع قالت نعم وقد صرعك فارس عظيم • قال فلطم وجهها وقال لا بشرك المسيح بخير لقد دخل رعب العرب في قلبك حتى صرت تحلمين بهم في النوم فلا بد أن أجعل لك أميرهم خادما وأجعل أصحابه رعاة الغنم والخنازير • فقالت له زوجته أفعل ما تريد فقد نصحتك . قـال فلم يلتفت الى كلامهـا وخرج من عندها وركب وسار معه من كان في دمشق من الروم ، ففرضهم فاذًا يطلب القوم •

معركية حييول دمشق

وكان خالد في المقدمة وأبو عبيده يمشي مع الاموال والاغنام والجمال اذ نظر رجل من أصحابه ، وهو يتأمل الغبرة من ورائهم ، فسأله أبو عبيدة عسن ذلك فقال أظنها غبرة القوم • فقال أبو عبيدة أن أهل الشام قد طمعوا فينا ، وهذا العدو قاصد الينا • قال فما استتم كلامه حتى بدت الخيل كأنها السيل وبولص في اوائلهم • فلما نظر الى أبي عبيدة قصده ومعه الفرسان وأخسوه

بطرس قصد الحريم والمال فاقتطعوا منها قطعة • فلما احتوى عليها رجع بها بطرس نحو دمشت ، فلما بعد جلس هناك لينظر ما يكون من أمر اخيه ، وأما أبو عبيدة فانه لما نظر الى ما فاجأه من الروم • قال والله لقد كان الصواب مع خالد لما قال دعني في الساقة فلم أدعه وانه قد وصل اليه بولص وقصده والاعلام والصلبان على رأسه مستبكة والنساء يولولن والصبيان يصيحون والالف من المسلمين قد اشتغلوا بالقتال وقد قصد عدو الله بولص أبا عبيدة واشتد بينهم الحرب ووقع القتال من أصحابه والروم وارتفعت الغبرة عليهم وهم في كر وفر على أرض سحورا • قال وقد بلى ابو عبيدة بالقتال وصبر صبر الكرام • قال سهيل بن صباح ، وكان تحتى الجواد محجل من خيل اليمن شهدت عليه اليمامة. فقومت السنان وأطلقت العنان فخرج كأنه الريح العاصف ، فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد بن الوليد والمسلمين فأقبلت اليهم صارخا وقلت : أيها الامير أدرك الاموال والحريم • فقال خالد ما وراءك يا ابن الصباح ؟ • فقلت أيها الامير الحق ابا عبيدة والحريم فان نفير دمشق قد لحق بهم ، وقد اقتطعوا قطعة من النسوان والولدان وقد بلي أبو عبيدة بما لا طاقة لنا به • قال فلما سمع خالد ذلك الكلام من سهل بن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون ، قد قلت. لابي عبيدة دعني أكون على الساقة ، فما طاوعني ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، ثم أمر رافع بن عميرة على ألف من الخيل • وقسال له كن في المقدمـــة وأمر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق على ألفين • وقال له ادرك العدو وسار خالد. في أثره ببقية الجيش •

قال فبينما أبو عبيدة في القتال مع بولص لعنه الله اذ تلاحقت به جيوش المسلمين وحملوا على اعداء الله وداروا بهم من كل مكان ، فعند ذلك تنكست الصلبان ، وأيقن الروم بالهوان ، وتقدم الامير ضرار بن لازور كأنه شعلة نار وقصد نحو بولص • فلما رآه عدو الله تبلبل خاطره ووقعت الرعدة في فرائصه وقال لابي عبيدة : يا عربي وحق دينك الا ما قلت لهذا الشيطان يبعد عني وكان بولص قد سمع به ورآه من سور دمشن وما صنع بعسكر كلوس عزازير وسمع بفعاله في بيت لهيا ، فلما رآه مقبلا اليه عرفه • فقال لابي عبيدة قل لهذا الشيطان لا يقربني فسمعه ضرار (رض) فقال له أنا شيطان ان قصرت عن طلبك ، ثم انه فاجأه وطعنه ، فلما رأى بولص ان الطعنة واصلة اليه رمى نفسه عن جواده وظلب الهرب نحو أصحابه فسار ضرار في طلبه • وقال له أين تروح من الشيطان وهو في طلبك ؟ولحقه وهم ان يعلوه بسيفه • فقال بولص : يا بدوي آبق على ففى بقائي بقاء أولادكم وأموالكم • قسال قلما سمع ضحرار

قوله أمسك عين قتله وأخذه أسير ، عيذا والمسلمون قد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة ·

(قال حدثني) أسلم بن مالك اليربوعي عن أبي رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة سحورا مع المسلمين وكنت في خيل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) قال فدرنا بالروم من كل جانب وبذلنا اسيافنا في القوم ، وكانوا ستة كتائب في كل كتيبة ألف فارس قال رفاعة بن قيس : فوالله لقد حملنا بوم فتح دمشق وانه ما رجع منهم فوق المائة ووجه خبر لضرار أن خولة مع النسوان المأسورات فعظم ذلك عليه وأقبل على خالد وأعلمه بذلك ، فقال له خالد لا تجزع ، فقد أسرنا منهم خلقا كتيرا ، وقد أسرت أنت بولص صاحبهم وسوف نخلص من اسر من حريمنا ولا بد لنا من دمشق في طلبهم ، ثم أمر خالد أن يسيروا بالماس على مهل حتى ننظر ما يكون من أمر حريمنا • تم انه سار في أن يسيروا بالماس على مهل حتى ننظر ما يكون من أمر حريمنا • تم انه سار في بجيو شه خسار انفوم و بوجه خالد بمن معه في طلب المأسورات ، وقد قدم أمامه بجيو شه خسيرة الطائي وميسرة بن مسروق العبسي وضرار بن الازور •

(قال حدثني) سعيد بن عمر عن سنان بن عامر اليربوعي ، قال سمعت حبيب بن مصعب يفول : لما اقتطعوا من ذكرنا من نساء العرب سار بهم بطرس أخو بولص الى أن نزل بهم الى النهر الذي ذكرناه ، تم قال بطرس انا لا أبرح من عهنا حتى انظر ما يكون من أمر أخي ، ثم انه عرض عليه النساء المأسورات فلم يعجبه منهن الا خولة بنت الازور أخت ضرار • قال بطرس هذه لي وأنا لها لا يعارضني عيها أحد ، نقال له أصحابه هي لك وانت لها • قال وكل من سبق الى واحدة يقول هي لي حتى قسموا الغنيمة على ذلك ، ووففوا ينتظرون مسائلي واحدة يقول هي لي حتى قسموا الغنيمة على ذلك ، ووففوا ينتظرون مسائلة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل فقالت لهن خولة بنت الازور : يا العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل فقالت لهن خولة بنت الازور : يا بنات حمير بفية تبع أترضين بانفسكن علوج الروم ، ويكون أولادكن عبيكا العسرب ومحاضر الحضر ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك ، وأني أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما ذرل بكم من خدمة الروم الكلاب •

فقالت عفرة بنت غفار الحميرية صدقت ، ووالله يـا بنت الازور نحن في السجاعة كما ذكرت ، وفي البراعة كما وصفت ، ل ننا المشاهد العظام والمواقف الجسام ، ووالله نقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير ان السيف يحسن فعله في متل هذا الوقت ، وانما دهمنا العدو على حين غفلة ، وما نحن الا كالغنم

فقالت خولة ما بنات التبابعة والعمالقة خذوا أعمدة الخيام وأوراد الاطنسساب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب، فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت الا ما هو احب الينا مما ذكرت ، ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمود الخيمة وسيعت من ورائها عفرة وأم أبان بنت عتبة وسلمة بنت زراع ولبني بنت حازم ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان ، ومثل هـــؤلاء (رض) • فقالت لهن حولة : لا ينفك بعضكن عن بعض ، وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن النشبتيت وحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهن • قال فهجمت خولة امامهن ، فأول ما ضربت رجلا من القوم على هامته بالعمود فتجندل صريعا والتفت الروم ينظرون ما الخبر ، فاذا هم بالنسوة ، وقد أقبلن والعمد بأيديهن فصاح بطريق يا ويلكن ما هذا ، فقالت عفرة هذه فعالنا فلنضربن القوم بهـــذه الاعمدة ولا بد من قطع اعماركم وانصرام أجالكم يا أهل الكفر • قــال فجــاء بطرس ، وقال تفرفوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن اساري ومن وقع منكم بصاحبتي فلا ينلها بمكروه ، فتفرق الفوم عليهن وحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فسلم يجدوا الى ذلك سبيعلا ولم تزل النساء لا يدنو اليهن أحد من الروم الا ضربن قوائم فرسه فاذا تنكس عن جواده بادرت النساء بالاعمدة فيعتلنه وبأخذن سلاحه ٠

(قال الواقدي) ولعد بلغني ان النسوة قنلن ثلاثين فارسما من الروم، فلما نظر بطرس الى ذلك غضبا شديدا وترجل و نرجلت أصحابه تحسو النساء والنساء يحرض بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا تمتن لئاما، وأظهر بطرس رأسه وتلهمه عندما نظر الى غملهن، ونظر الى خولة بنت الازور، وهي نجول كالاسد وتقول:

نحن بنات تبعم وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر لاننا في الحرب نار تسعر اليوم تسقون العذاب الاكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها ، ورأى حسنها وجمالها ، قال لها يا عربية اقصري عنفعالك فاني مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون انا مولاك وانا الذي بهابني أهل النصرابية ولى ضياع ورسابيق وأموال ومواش ومنزلة عند الملك هرقل ، وجميع ما أنا فيه مردود اليك ، أما ترضين أن تكوني سيده أهل ده تدى فلا تقتلي نفسك ، فقالت له يا ملدون ويا ابن ألف ملدون والله لئن ظفرت بك لاقطعن رأسك والله ما أرضى بك ان ترعى لى الابل فكيف ارضاك أن تكون لى كنؤا ، وقال فلما سمح كلامها حرض أصحابه على الفتال ، وقال أتروز.

عارا اكبر من هذا في بلاد الشام ان النسوة غلبنكه فاتقوا غضه بلك ، قال فافترق القوم وحمله الحملة عظيمه وصبه وصبه النساء لههم صبه الكرام ، فبينما هم على ذلك اذ أقبل خهالد بن الوليد (رض) ومن معه مه الكرام ، فبينما هم على ذلك اذ أقبل خهالد بن الوليد (رض) ومن معه مه المسلمين ، ونظروا الى الغبار وبريق السيوف ، فقال لاصحابه من يأتيني بغبر القوم فقال رافع بن عميره الطائي انا آتيك به قال ثم اطله و جهواده حتى أشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت وقال فرجع وأخبر خالدا بما رأى ، فقال خالد لا أعجب من ذلك انهن من بنات العمالقة ونسل التبابعة ، وما بينهن وبين تبع الا قرن واحد ، وتبع بن بكر بن حسان الذي ذكر رسول الله (ص) قبل وطهوره ، وشهد له بالرسالة قبل ان يبعث ، وقال :

شهدت بأحمد أنه رسول من الله بارىء كل النسم وأمته سميت في الزبور بأمة أحمد خير الامم فلو مد عمرى الى عصره لكنت وزيرا له وابن عم

بطولة النساء

(قال الواقدي) قال خالد لا تعجب يا رافع واعسلم ان هؤلاء النسوة لهن الحروب المذكورات والمواقف المشهورات ، وان يكن فعلهن ما ذكرت ، فلقد سدن على نساء العرب الى أآخر الابد وأزلن عنهن العار فتهللت وجوه الناس فرحا ووثب ضرار بن الازور عندما سمع كلام رافع • فقال خالد مهلا يا ضرار ولا تعجل فانه من تأنى نال ما تمنى ايها الامير لا صبر لى عن نصــــرة بنــــت ابي وامي فقال خالد قد قرب الفسرج انشاءاللسه تعسال ثسم ان خالسدا وثسب ووثب اصحابه ، وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى القـــوم فتفرقوا عليهـــم وأحدقوا بهم فعسى ان يخلص حريمنا ، فقالوا حبا وكرامة • ثم تقدم خــالد • قال فبينما القوم في قتال شديد مع النسوة اذ أشرفت عليهم المواكب والكتائب والاعلام والرايات ، فصاحت خولة يا بنات التبابعة ، قد جــــاءكم الفرج ورب الكعبة • ونظر بطرس الى الكتاثب المحمدية ، وقد اشرفت فخفق فؤاده وارتعدت فرائضه وأقبل القوم ينظر بعضهم بعضا ٠ قال فصاح بطرس يا معاشر النسوة وهبتكن للصليب • فاذا قدم رجالكن فأخبرنهم بذلك • ثم عطف يريد الهرب اذ نظر الى فارسين ، قد خرجا من قلب العسكر احدهما قد تكمي في سلاحه والآخر عاري الجسد ، وقد أطلقا عنانهما كأنهما أسدان • وكانا خالدا وضرارا ، فلما رأت خولة أخاها قالت له الى أين يا أبن ؤمي أقبل ؟ فصاح بها بطرس : انطلقي الى اخيك ، فقد وهبتك له • ثم ولى يطلب الهرب • فقالت له خولة ، وهي تهزأ به ليس هذا من شيم الكرام تظهر لنا المحبة والقرب • ثم تظهر الساعة الجفاء والتباعد وخطت نعوه • فقال قد زال عني ما كنت أجد مرت محبتك • فقالت له خولة لا بدلي منك على كل حال • ثم اسرعت اليه ، وقد قصده ضرار • فقال له بطرس خذ اختك عني فهي مباركة عليك ، وهي هدية مني اليك • فقال له الامير ضرار قد قبلت هديتك وشكرتها واني لا أجد لك على ذلك الاسنان رمحي فخذ هذه مني اليك • ثم حمل عليه ضرار ، وهرو يقول دولا حييتم بتحيه فعيو بأحسن منها أو ردوها مهمهم اليه بالطعنة ووصلت اليه خولة فضربت قوائم فرسه فكبا به الجواد ووقع عدو الله الى الارض فأدرك ضرار قبل سقوطه وطعنه في خاصرته فأطلع السنان مرن الجانب الآخر فتجندل صريعا الى الارض فصاح به خالد لله درك يا ضرار هده طعنية لا يخيب طاعنها •

ثبر حملوا في أعراض القوم وجميع المسلمين معهم فما كانت الا جــــولة جائل حتى قتل من الروم ثلاثة الاف رجل • قال حامد بن عامر اليربوعي : لقـــــ عددت لضرار بن الازور في ذلك اليوم ثلاثين قتيلا وقتلت خولة خمسة وعفراء بنت غفار الحميرية أربعة • وقال وانهزم بقية القـــوم ، ولم يزالوا في أدبارهم والمسلمون على اثرهم الى أن وصلوا الى دمشق فلم يخرج اليهم أحسب بل زاد فزعهم واشتد الامر عليهم ورجع المسلمون وجمعوا الغنائم والخيسل والسلاح والاموال ، نم قال خالد : الحقوا بأبي عبيدة لئلا يكون وردان وجيوشه قد لحقوا به ، فسار ضرار والقوم ، وقل جعل ضرار رأس البطريق على سنان رمحه ، ولم عبيدة حتى اشرف المسلمون عليه فكبر وكبر خسالد بن الوليد (رض) ومعسه المسلمون • فلما اجتمع الناس سلم بعضهم على بعض ورأوا المأسورات وقسم خلصن ، وأخبر خالد أبا عبيدة بما فعلت خولة وعفــرة وغيرهن من الصحابــــة فاستبشر بنصر الله وعلموا أن الشام لهم • ثم دعا خالد ببولص ، فقال له أسلم والا فعلت بك كما فعلت بأخيك • فقال له وما الذي صنعت بأخي • قال قتلته ، وهذه رأسه ورماها ضرار قدامه • فلما رأى اخيه بكي ، وقال له لا بقاء لي بعـــده حيا فألحقوني به • قال فقام اليه المسيب بن يحيى الفزاري (رض) فضرب عنقه بأمر خالد ثم رحل القوم ٠

(قال الواقدي) حدثنا سعيد بن مالك • قال لما بعث خالد الكتب الى شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) والى يزيد بن أبي سفيان والى عمرو بن العاص قرأ كل واحد من الامراء كتابه • قال فساروا بأجمعهم الى اجنادين لعون اخوانهم وجاءوا بعددهم وعديدهم • قال سفينة م ولى رسول

الله (ص) كنت في خيل معاذ بن جبل ، فلما أشرفنا بأجمعنا على اجنادين كنا كلنا على سيارة واحدة في يوم واحد ، وذلك في شهر صفر سنة ٢٠ من الهجرة ونبادر المسلمون يسلم بعضهم على بعض ، قال ورأينا جيوش الروم في عدد لا يحصى و فلما أشرفنا عليهم أظهروا لنا زينتهم وعددهم واصطفوا مواكب وكتائب ومدوا صفوفهم ، فكانوا ستين صفا في كل صف الف فارس ، قال الضحاك بن عروة والله لقد دخلنا العراق ورأينا جنود كسرى فما رأينا اكثر من جنود الروم ولا اكنر من عددهم وسلاحهم وقال فنزلنا بازائهم وقد ركبوا أخذنا عسلى ولا اكنر من عددهم وسلاحهم وقال فنزلنا بازائهم ، وقد ركبوا أخذنا عسلى بادرت الروم نحونا وقال الضحاك و فلما رأيناهم ، وقد ركبوا أخذنا عسلى أنفسنا وتأهبنا ، وان خاندا ركب ، وجعل ينخلل الصفوف : ويقدر اعلموا انكم لستم نرون للروم جيشا منل هذا اليوم ، فان هزمهم الله على أيديكم فما يقوم لهم بعدها فائمة أبدا فأصدقوا في الجهاد وعليكم بنصر دينكم واياكم أن تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار وأقرنوا المواكب ومكنسوا المضارب ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة وأيقظوا هممكم و

(قال الواقدي) ولقد بلغني ممن اثق به أن وردان لما رأى اصحاب رسول الله (ص) اقد اجتمعوا وعولوا على حربهم جمع اليه الملوك والبطارقة وقال لهم : يا بني الاصفر اعلموا أن الملك يعول عليكم ، وإذا انكسرتم لا تقوم لكم بعدها فائمة أبدا وتملك العرب بلادكم رتسبي حريمكم معليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا واعلموا أن كل ثلاثة منا بواحسه منهم واستعينوا بالصليب ينصركم ، عهذا ما كان من هؤلاء • وأما خالد (رض) فانه مشى على أصحابيه وقال : معاشر المسلمين من فيكم يحذر لنا القوم وينذرهم ؟ فقال ضرار بن الازور أنا ايها الامير • فقال خالد انت لها والله ولكن يا ضرار اذا أشرفت على القـــوم فأياك أن تحمل نفسك ما لا تطيق ، وإن تغرر بنفسك وتحمل على القــــوم فما أمرك الله بذلك ، فقد قال الله تعالى ؟ _ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة _قال فأطلق ضرار عنان جوادء حتى اشرف على جيش الروم فرأى أناثهـــم وخيامهم وشعاع البيض والطوارق والرايات كأجنحة الطيور ، قال وكان وردان ينظر نحو جيش المسلمين اذ نظر الى ضرار ، وهو مشرف على القوم ، فقال للبطارقة انى أرى فارسا قد أقبل ولست اشك انه طليعة للقوم فأيكم يأتيني به فانتدب من القوم ثلاتين فارسا طلبوا ضرارا ، فلما نظر اليهم ضرار ولى من بين ايديه_م فتبعوه وظنوا انه قد انهزم ، وانما أراد بذلك ان يبعدهم عن أصحابهم ، فلما بعدوا علم انه تمكن منهم فلوى رأس جواده اليهم وصوب السنان عليهم ، فأول مـا طعن فارسا من القوم أرداء وانني على الآخر فأعدمه الحياة وصال فيهم صولة الانسد على الغنم ودخل رعبه في قلوبهم فولوا منهزمين فتبعهم ، وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس الى أن صرع منهم تسعة عشر فارسا .

فلما رأوا ذلك وقرب هو من جيوش الروم لوى راجعا الى خالد ومعسله اسلابهم وخيولهم وأعلمه بما كان ، فقال له خالد ألم اقل لك لا تغرر بنفسك ولا تحمل عليهم ، فقال ان القسوم طلبوني فخفت ان يراني الله منهزما فجاهدت باخلاص ولا جرم أن الله ينصرنا عليهم والله لولا خوفي من ملامك لاحملن على الجميع و واعلم أن القوم غنيمة لنا وقال فرتب خسالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل في القلب معاذ بن جبل وفي الميمنة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وفي الميسرة سعيد بن عامر وفي الجنساح الايسر شرحبيل بن حسنة ، وفي الساقة يزيد بن أبي سفيان في أربعة آلاف فارس حسول الحريم والبنات والاولاد ، ثم التغت الى النموة وهن عفراء بنت غفار الحميرية وأم أبان والخضاب في يدها والعطر في رأسها ، وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت زارع وغيرهن من النسوة ممن عرفن بالشجاعة والبراعة وسلمة

نصحية خساله

فقال لهن خالد: يا بنات العمالقة وبقية التبابعة قد فعلتن فعللا أرضيتن به الله تعالى والسلمين ، وفد بفي لكن الذكر الجميل ، وهذه أبواب الجنة قـــد فتحت لكن ، وأبواب النار قد أغلفت عنكن وفتحت لاعدائكن ، وأعلمن أني أنقَ بكن • فان حملت طائفة من الروم عليكن فعائلن عن أنفسكن ، وإن رأيتن أحمدًا من المسلمين قد ولى هاربا فدونكن وايساه بالاعمدة وارمين بولده وقلن له اين نو أي عن أهلك ومالك وولدك وحريمك فانكن نرصين بذلبك الله تعالى • فقالت ـُ عفرا، بنت عفار . أبها الامير والله لا يفرحنا الا أن نموت أمامك ، فلنضربين وجوه الروم ولنقاتلن الي أن لا تبقى لنا عين تطرف ، والله ما نبالي اذا رمينا الروم كله قال فجزاهن خيراً • نم عاد الى الصفوف فجعل يطوف بينهم بفرسه ، ويحرض الناس على القتال ، وهو ينادي برفيمه صوته يا معاشر المسلمين : انصروا الله ينصركم ، وقاتلوا في سبيل الله واحتسبوا نفوسكم في سبيل الله ولا تحملوا حنى آمركم بالحملة ، ولتكن السهام اذا خرجت من اكبـــاد القسى كأنها من قوس واحدة • فادا تلاصفت السهام رشقا كالجراد لم يحل أن يكون ميا سهم صائب ، ـ واصبروا وصابروا ورابطوا والقوا الله لعلكم تفلحون ـ ، وملوكهم فجردوا السيوف وأوتروا الفسي وفوقوا السهام • ثم ان خالدا أقبل ووقف في القلب مع عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر قيس بن هبيرة ورافع بن عميرة وذي الكلاع الحميري ورببعة بن عامر رنظائرهم • قال فلما نظر ودان الى بعيش المسلمين قد زحف ، زحفوا وبكانوا مل على الارض في المطول والعوض من كنرتهم فترامى الجمعان وتلاقى الفريقان ، وقسد اظهر أعسدا الله الصلبان والاعلام ، ورفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام عسلى البشير النذير .

فلما قرب القوم بعضهم من بعض خرج من علوج الروم شسخ كبير وعليه قلنسوة سوداء • فلما قرب من المسلمين نادى بلسان عربي: أيكم المقسدم فليخاطبني وليخرج الي وعليه أمان • قال فخرج اليه خالد بن الوليد • فقال له القس : انت أمير القوم ؟ • فقال خالد : كذلك يزعمون ما دمت على طاعة الله وسنة رسوله ، وإن أنا غيرت أو بدلت فلا امارة لي عليهم ولا طاعة • قال القس : بهذا نصرتم علينا ، ثم قال : اعلم انك توسعطت بلادا ما جسر علك من الملوك أن يتعرض لها ولا يدخلها ، وان الفرس دخلوها ورجعوا خائبين ، وان التبابعــــة أتوها وأفنوا أنفسهم عليها وما بلغوا ما أرادوا ، واكنكم أنتم نصرتم علينا وان. النصر لا يدوم لكم وصاحبي وردان قد اشفق عليكم وقد بعثني اليكم وقال : انسه يعظى كل واحد منكم دينارا وثوبا وعمامة ولك أنت مائة دينارا ومائة ثوب ومائة عمامة وارحل عنا بجيشكم فان جيشنا على عدد الذر ولا تظن ان هؤلاء مثل من لقيت من جموعنا ، فإن الملك ما انفذ في هذا الجيه ش الا عظمها البطارقة والاساقفة • قال خالد : والله ما نرجع الا باحدى ثلاث خصال : اما ان تلمخلوا في ديننا ، أو تؤدوا الجزية ، أو القتال • وأما ما ذكرت من أنكم عدد الذر فان الله تعالى قد وعدنا النصر على لسان محمد (ص) وأنزل ذلك في كتابه العزيز م واما ما ذكرت من أن صاحبكم يعطي كل واحد منا دينارا وعمامة وثوبا فعن قريب ان شاء الله نرى ثيابكم وبلادكم وعمائمكم كل ذلك في ملكنا وبأيدينا م فقسال الراهب اني راجع الى صاحبي أخبره بجوابك ، ثم لوى راجعا وأخبر وردان بما كان من جواب خالد • فقال وردان : أيظن أننا مثل من لقيه من قبل وانما هـؤلاء لحقهم الطمع اذ تقاصرنا عن قتالهم والملك قد أرسىل اليهم أكابر البطارقة ومسا بيننا وبينهم الا جولة الجائل ثم نتركهم صرعى ، ثم رتب اصحابه وزحف وقدم أمامه الرجالة صفا أمام القوم والخيالة وبأيديهم المزاريق والقسى • قــال فصاح عاذ بن جبل : معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت لكم والنار قد فتحت لاعدائكم والملائكة عليكم قد اقبلت والحور العين قد تزينت للقائسكم فابشروا بالجنسة السرمدية ، ثم قرأ ـ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة _ بارك الله فيكم الحملة • فقال خاله : مهلا يا معاذ حتى اوصى الناس ، ومشى فه الصفوف ورتبها وقال: اعلموا أن هؤلاء أضعافكم فطاولوهم الى وقت العصر،

تنانها ساعة نرزق فيها النصر ، واياكم أن تولوا الادبار فيراكم الله منهزمين ، الزحفوا على بركة الله تعالى •

فلما تقارب الجمعان رمت الاروام سهامهم رمية واحدة وقال فقتلوا رجالا وجرحوا اناسا ، وخالد قد منع الناس من الحملة وفقيال ضرار بن الازور: وما لنا والوقوف والحق سبحانه وتعالى قد تجلى علينا، والله ما يظن أعداء الله الا أننا قد فشلنا عنهم وجزعنا ، فأمرنا بالحملة حتى نحمل معك وقال فأنت لها وياضرار ، فخرج ضرار بن الازور، وقال والله ما من شيء اشهى الى قلبي من ذلك ثم حمل ضرار ، قد تدرع بدرع كان لبطرس أخي بولص ، وألقيي الزرد على وجهه وركب جواده ، وكان عليه يومئذ جبتان من جلود الفيلة كان قيد اخذهما أيضا من بطرس ، وقد اخفى نفسه عن الروم بلباسه ذلك ، وقد اطلق عنانه وقوم سبنانه وحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام فلم يصل اليه منهم أذى ، وهو يخترق صفوفهم ، فما كان قدر ساعة حتى قتل من الروم عشرين فارسا ومنلها رجالة وقال عنان بن عوف النجبي : كنت ممن يعد قتلى ضرار بن الازور ، وكنت كلما قتل فارسا من الروم أعده ، فكان جملة قتل ضرار في حملته هيده ورسانا ورجالا ثلاثين فارسا ه

(قال عمر بن سالم) هكذا حدثني نوفل بن زياد • ثم انه رمي البيضة عن ٠ رأسه والزرد عن وجهه ونادي بأعلى صوته : أنا الموت الاصفر ، أنا ضــــرار بن الازور ، أنا صاحبكم ، أنا قاتل همدان بن وردان ، أنا البلاء المسلط عليكم وعلى من أشرك بالرحمن • قال فلما سمعت الروم كلامه عرفوه وتقهقروا الى ورائهم • قال فطمع فيهم وحمل على أثرهم ، فعند ذلك انطبقت عليه الروم • فقال وردان من هذا البدوي ، فقالوا أيها الملك هذا الذي بقى طول عمره عاري الجسد ، ومرة برمح ومرة بنبل • فلما سمع ذلك وبذكر ضرار بن الازور تنفس الصعداء وقسال هذا قاتل ولدي ، ولقد اشتهيت من يأخذ منه بثاري وله مني ما يريد • قال فبرز اليه بطريق ، وكان صاحب طبرية ، وقال لوردان انا آخذ لك بالثأر ، ثم لـــوى عنانه وحمل على ضرار فجالا أكثر من ساعة ، ثم طعنه ضرار طعنة صادقة خسرق بها كبد عدو اللهفتجندل صريعا، فقال وردان لهم ماأتي به ولو اتى به عينا ماصدقته، فان هذا لاتطيق الانس أن تقاتله ، وأنا أرى لهذا غيري ، ثم ترجل وغير لامته وألقى عليه درعاً ، وجعل على رأسه التاج وركب جوادا من الخيــول العربية وهم أن يخرج التي ضرار بن الازور ، فتقدم اليه بطريق اسمه اصطفان ، وهــو صاحب عمان • قال وباس ركاب وردان وقال ايها السيد ان أخذ بثارك من هــذا الذميم أو أسرته لك أتزوجني ابنتك ، فقال له وردان هي لك وأشهد عليه من حضر من

مبود انسام • فلما سمع اصطفان بذلك خرج كأنه شعلة نار وحمل على ضرار وفان له ويلك قد نزل بك ما لا قدرة لك به • قال فلم يدر ضرار ما يقول غير وفان له ويلك قد نزل بك ما لا قدرة لك به • قال فلم يدر ضرار ما يقول غير سنسلة من الفضة وجعل يقبله ويرفعه على رأسه فعلم ضرار انه يستنصر به عليه ، فقال ضرار (رض) ان كنت تستنصر على به فأنا أستنصر بالقريب المجيب اندي هو ممن دعاه قريب • نم حمل عليه وأرى الناس أبوابا مسن الحرب حتى ضيح الناس من قتالهما ، فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التكاسل والتغافل والجنة قد فتحت لك والنار قد فتحت لاعدائك ، وإياك الكسل فان الله عز وجل يعينك قال فأيقظ ضرار نفسه وانقض من سرجه وحمل على خصمه ونصايحت الروم بصاحبها تشجعه وكلاهما في ضرب عظيم ، وقد حميت الشمس ونعب الجوادان • فأشار البطريق الى ضرار أن نرجل حتى نتقابل ، فهم ضراد ونعب الجوادان • فأشار البطريق ، فلما نظر اليه ضرار صاح في جواده ، وقال له : اجلد معي ساعة والا شكوتك الى رسول الله (ص) •

قال فحمحم الجواد وسمر اجنحته جريا واستفبل ضرار غسلام البطريق بطعنة فقتله واخذ الجنيب فركبه وأطلق جواده نحو عساكر المسلمين فتناه لوه وعاد ضرار نحو البطريق • فلما رآه اقبل اليه بعد ما قتل غلامه وركب جـواده ايقن عدو الله بالهلاك وعلم انه ان ولى قتله بلا محالة ، وان وفف اهلكه • فلما نظر ضرار الى عدو الله علم ما عنده فهجم عليه اذ نظر الى الروم وقد خرج منهم مُر روس ، وذلك أن وردان لما نظر الى صاحبه وقد اشرف على الموت علم انه ان لم يدركه هلك ، فقال لقومه يا فوم ان هذا الشيطان قد أكــل من كبـدي قطعة ، وإذا لم أقتله فتلت نفسي ولا بد لي من الخروج اليه • قال فخــرج فـــي عشرة من البطارفة وهم مدرعون ، وفي ارجلهم اخفاف من الحديد وسواعد من الحديد ، وبأبديهم اعمدة من الحديد ووردان فد لبس لامته وعلى رأسه تاج عظيم فخرجرا ووردان أمامهم كأنه شعلة نار ونظر أصطفان الى من خرج فصرخ بضرار فلم يلتفت الى من خرج اليه الا أنه تأهب • فبينما هم كذلك اذ نظر خالد الى القوم وخروجهم ونظرالي التاج ، وهو يلمع على رأس صاحبهم • فقال انه التاج لا يكون الا على رأس الملك ولا شك انه صاحب القوم قد خرج الى صاحبنا فما الذي يفهدنا عن نصرته ؟ • ثم قال لاصحابه لا يخرج الا عشرة حنى نساوى التموم ، فمخرج خالد في عشرة اصحابه وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة ، قال ووصل الروم الى ضرار فاستقبلهم بقلب اقوى من الحجر الجلمود ، قال فناداه خالد

ادشر با ضرار • فقد استعدال الجبار ولا تجزع من الكفار ، فقال ضرار (رض) ما اقرب النصر من الله ، وجاء خالد ومن معه والتقت الرجال بالرجال وانفــرد كل واحد بصاحبه وطلب خالد وردان ، ولم يبرح ضرار عن خصمه اصطفان ، وقد كل ساعة وارتعدت فرائصه عندما نظر الى خاله ومن معه ، فنظـــر يمينا وشمالا ليطلب الهرب فعلم ضرار منه ذلك فهجم عليه بسنانه ، فلما أيقن بالموت القى نفسه الى الارض وولى هاربا فبادر اليه ضرار والفي نفسه عن جواده وطلب عدو الله حتى لحقه وتقابضا على وجه الارض ،وكان عدو الله كالصخر الجلمود، وكان ضرار نحيف الجسم غير ان الله تعالى اعطاه قوة الايمان • فلما طال بهم العراك ضرب بيده الى مراق بطنه وقلعه من الارض بحيله وجلد به الارض فصاح عدو الله وجعل يستنجد بوردان وقال بالرومية : ايها السيد انجدني مما الا فيه فقد هلكت فصاح وردان يا ويلك ومن ينقذني انا من هؤلاء السباع الكاسرة ، فسمع خالد ذلك فطمع فيه وحمل على وردان وهم ضرار بخصمه ونظر اليهما الفريقان ، وأقبل صاحب رسول الله (ص) ضرار فلم يمهل خصمه دون حتى برك على صدره وذبحه مئل البعير ، وكل واحد مشتغل عن نصيرة صاحبه • فال فأخذ ضرار رأس عدو اللهوهو ملطخ بالدماء وركب جواده وحملت الروم على المسلمين ونادى سعيد بن زيد : يا معشر الناس اذكروا الوقوف بين يدى الله الملك الجبار فاياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا دخول النار ، يا أهل الايمان با حملة القرآن اصبروا · قال فزاد الناس بقوله نشاطـا وتزاحـم الفريقان • فال وجاء وفت العصر فافترفوا وقد قتل من الروم تلاتة الاف وعشرة من ملوكهم ، ومنهم رومان صاحب الاميرة ، ودمر صاحب نوى ، وكوكب صاحب ارض البلقاء ، ولاوى بن حنا صاحب غزة • قال نم افترف القوم ورجح وردان وقتالهم ٠ فجمع البطارقة وقال لهم : يا أهل دين النصرانية ما تقولون في هؤلاء العرب فاني اراهم غالبين علينا وقد رأيت اسيافهم قاطعة وخيلهم صابسرة وسمواعدكم بليدة ، وان القوم أطوع منكم لربكم وما خذلتم الا بالظلم والجـور والغدر ، وما مرادي منكم الا أن تتوبوا الى ربكم ، فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر من عدوكم ، وإن لم تفعلوا ذلك فائذنوا بحرب من المسيح وبهلك انفسكم ، فإن الله عاقبكم اسمه عقوبة أذ سلط عليكم أقواماً لا نفكر بهم ولا نعدهم ، لان اكنرهم جياع وعبيد وعراه ومساكين اخرجهم الينا فحط الحجاز وجوعه وشدة الضرر والبلاء ، والان قد أكلوا من خبز بلادنا وفواك أرضنا وأكلوا العسال والتين والعبب ، وأعظم ذلك سبي نسائكم واموالكم •

(قال الواقدي) فلما سمع القوم ذلك بكوا وقالوا نقتل عن آخرنا ولا يصل الينا هؤلاء القوم وانا نرى أن نقاتلهم بالرماح • قال فلما صمع وردان ذلك منهم صاح بالبطارقة وقال لهم ما عندكم من الرأي ؟ • فقال ربع لل منهم يا وردان اعلم انك قد بليت بقوم لا تقوم لقتالهم ، وقد رأيت الواحد منهم يحمل على عسكرنا ولا يبالي من احد ولا يرجع حتى يقتل منهم ، وقد قال لهم نبيهم ان من قتل منكم صار الى الجنة • ومن قتل من الروم صار الى النار ، والموت والحياة عندهم سواء وما أرى لكم من القوم مطمعا الا أن نتحيل على صاحبهم فنقتله فان قتلتموه ينهزم القوم وانك لا تصل اليه الا بحيلة توفيه فيها • فقال وردان واي حيلة ندخل بها على القوم والحيل والخداع والمكر منهم ؟ •

فقال له البطريق : أنا أقول لك شيئا ان صنعته وصلت به الى امير البرب من حيث لا يصل اليك شيء ولا أذى ، وذلك أنك تنتخب عشرة من ر الفرسان من ذوي الشدة والبأس ويكمنون في مكمن من جهة العسكر قبل خروجك اليه وبعد ذلك تخرج اليه وتشاغله بالحديث ثم اهجم عليـــه وأخــرج قومك يبادرون من المكمن ويقطعونه اربا اربا وتستريح منه وبعد ذلك تتفرق اصحابه ولا يجتمع منهم أحد • قال فلما سمع وردان ذلك من البطريق فسرح فرحا عظيماً • وقال : ما هذا الا رأي سديد فنعم ما أشرت به وقد أصبت فيما ذكرت غير أن هذا الامر يعمل في جنح الليل ولا يأتي الصباح الا وقد فرغنا مما نريد ، ثم ان وردان دعا برجل من العرب المتنصرة اسمه داود وكانفي سكنه ٠ وقال له يا داود أنا أعلم انك فصيح اللسان واني أريد ان تخسرج الى هـؤلاء العرب وتسألهم أن يقطعوا الحرب بيننا وبينهم ، وقل لهم لا يخرجون لنا بكرة. النهار حتى أخرج بنفسى اليهم منفردا عن قومي ولعلنا نصطلح صع العرب • فقال داود ويحك وتخالف أمر الملك هرقل فيما أمرك به من الحرب وتصطلب انت والعرب فان الملك ينسبك الى الجزع والفزع وما كنت بالذي أخاطب العرب في ذلك أبدا فيبلغ الملك اني كنت السبب في ذلك فيقتلني • فقال له وردان يا ويلك انما دبرت حيلة على أمير العرب حتى أصل اليه بها فأقتله وتتفرق هؤلاء العرب عنا ثم انه حدثه بما عزم عليه من المكر بخالد بن الوليد · فقال لوردان ان الباغي مخذول في كلفعل فالق الجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه ، فقال. وردان وقد غضب ويلك أنت تعاندني فيما أمرتك به دع عنك المحاججة • فقال حباً وكرامة ، ثم انه مضمى وقال في نفسه ان وردان قد عزم ان يلحق بولده ،ثم اقبل حتى انه وقف قريبا من المسلمين ونادى برفيع صوته ، وقال يا معاشم العرب حسبكم من القتل وسفك الدماء فان الله تعالى يسألكم عن سفكها ، وأريد أن يخرج الي أمير العرب حتى اخاطبه بما ارسلت به · قال فما استتم كلامه حتى خرج اليه خالد (رض) و هو كأنه سُعلة نار ·

فلما نظر اليه داود النصراني قال له : يا عربي على رسلك فما خرجت أحارب ولا أنا من رجال الحرب وما أنا الا رسول • فلما سمع خالد مقالته قرب هلك ، فقال صدفت يا عربي : أن أميرنا وردان كاره سفك الدماء ، وقد رأى شدتكم ولا يريد حربكم ، وقد نظر الى من قتل من جماعته فكره أن يحاربكم ، وقد رأى ان يدفع لكم مالا و يحقن به دماء الناس لكن بشرط ان يكون بينك وبينه كتاب و نشهد عليك كبراء قومك انك لا تتعرض له ولا لاحد من أصحابــه ولا نحصن من حصونه ، فإن فعلت ذلك وثق بقولك وهو يسألك أن تقطع الحرب بقية يومك ، فاذا اصبحت فاخرج بنفسك ولا يكن معك أحد ويخرج هو أيضا منفردا فننظر ما تتغقان عليه عسى ان تحقنا دماء الناس بيننا وبينكم • قال فلما سمع خالد ما نطق به داود قال له : ان كان ما أخبر به صاحبكم يريد به حيلة أو مكيدة فنحن والله جرتومة الخداع وما متلنا يأتي بحملة ولا بخديعة ، فان كان ذلك ضميره واعتقاده فما هو الا قرب أجله وانقطاع عمـــره وهــــلاك جموعكم والانفصال بيننا وبينكم ، وان كان ذلك حقا من قوله فلست اصالحه الا اذا أدى الجزية عن جماعته • وأما المال فلست براغب فيه الا على ما ذكرته لكم وعن قريب نأخذ اموالكم ونملك بلادكم • فقال داود وقد عظم عليه كلام خالد ما يكون الامر الاكما ذكرت فاذا نوافقتم كان الانفصال بيننا ، وها انـــــا راجع فأذكر له ما ذكرت ثم لوى راجعا وقد امتلأ قلبه رعبا من خالد وفزع منه فزعا شديدا ، ثم قال في نفسه صدق والله أمير العرب وأنا اعليم والله ان وردان اول مقتول ونحن من بعده وما لي الا أن أصدق أمير العرب وآخذ ليي ولاهلى منه أمانا ، ثم رجع الى خالد وقال له : يا امير انى قد أضمرت على سر وأريد أن أبديه لك لاني أعلم أن البلاد لكم ، إن وردان قد نوى على شيء ، فقال خالد وما هو ؟ • فقال خذ لنفسك الحذر وكن مستيقظا فانه قسه اضمر لك كيدا ، ثم أخبره بالقصة من أولها الى اخرها ، ثم قال لخالد أريد منك الامان لى ولاهلى • فقال خالد الامان لك ولاهلك ولاولادك ان أنت لم تخبر القوم ولم تغدر قال داود لو أردت أن أغدر لما حدثتك • فقال خالد وأين كمين القوم ؟ • قال عند كثيب عن يمين عسكرهم ، ثم انه خلاه ورجع وأعلم وردان ففرح وقال الان ارجو أن يظفرني الصليب بهم ، ثم انه دعا بعشرة من الابطال ، وقال لهـم امضوا رجالة وأكمنوا وأمرهم أن يفعلوا ما دبروه ٠ وأما خالد فانه رجع فلقيــه امِينِ الامة ابو عبيدة فرآه ضاحكا ٠ فقال يا ابا سليمان اضحك الله سنك ما الخبر ؟ فحدثه بما جرى • فقال ابو عبيدة على ماذا عزمت • قال عزمت ان اخرج الى القوم وحدى • فقال يا ابا سليمان لعمرك انك لكف، ولكن ما أمرك الله أن تلقى بنفسك الى التهلكة والله تعالى يقول _ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ـ وقد أعد لك عشرة ، وهو حادى عشر وما آمن عليك من اللعين ولكن اندب له رجالة كما ندب لك رجالية ويكمنون قريبا من القوم ، فاذا صرخ اللعين بقومه فاصرخ انت بقومك ونكون نحن متأهبين على خيولنا ، فاذا فرغت من عدو الله حملنا جميعا ونرجوا من الله النصر ، نم قال : والمسلمون هم رافع بن عميره الطائي ، ومعاذ بن جبل ، وضرار بن الازور ، وسعيد بن زيد ، وقيس بن هبيرة ، وميسرة بن مسروق العبسىي، وعدي بن حاتم حتى استتم العشرة واخبرهم خالد بما قد عزم عليه الروم من الحيلة والمكيدة التي قد دبرها وردان • وقال اخرجوا رجالة بعيث لا يدري بكم احد حتى انكم تأتون الكتيب الذي عن يمين العسكر فاكمنوا هناك ، فاذا صرخت بكم فبادروا وانفروا للقوم كل واحد لواحد واتركونــــي أعدو الله فانني ان شاءالله تعالى كفء له فقال ضرار : ايها الامير اخاف ان يكشر عليك الجمع الكتير فلا نأمن ان يصلوا بشرهم اليك ، وقد كنت ادبر لك حيلة اننا نسير من وقننا هذا الى مكمن الفوم فاذا وجدناهم رقودا قتلناهم وفرغنا منهم قبل الصباح ونكمن نحن ني مواضعهم فاذا خلوت انت بعدو الله خرجنا عليكم بغير مفاله ٠

فقال خالد افعل یا ابا الازور ما ذکرت ان وجدت الی ذلك سبیلا وخد معك هؤلاء الذین ندبتهم وانت الامیر علیهم ، وارجو ان الله یبلغك ما تطلبه ، وخرج هو واصحابه فی جنئ اللیل رجالة وبآیدیهم اسلحتهم وودعوا الناس ، وکان وقت خروجهم قد مضی ثلث اللیل ، ثم سار ضرار حتی وصل الکثیب فاوتف اصحابه وقال علی رسلکم حتی استخبر لکم خبر القوم ، فلما اشرف عنیهم من بعید سمع غطیطهم وهم نیام سکری غرقوا فی النوم لما نالهم مسن التعب والنصب وقد أمنوا من أحد ینظرهم ، فقال ضرار فی نفسه ان أنا دنوت من القوم لاقتلهم خسیت ان یوقظ بعضهم بعضا ، قال فرجع الی اصحاب من القوم لاقتلهم خسیت ان یوقظ بعضهم بعضا ، قال فرجع الی اصحاب وقال لهم ابشروا فقد اتاکم الله بما تریدون ، وأذهب عنک ما تحذرون ، فجردوا سیوفکم وسیروا الی القوم فاقتلوهم کیف شئتم ، ثم تقدم ضرار فجردوا سیوفکم وسیروا الی القوم فاقتلوهم کیف شئتم ، ثم تقدم ضرار مامهم وهم فی اثره الی ان وصل بهم الیهم فوجدوهم نیاما کل واحد منه سلاحه عند رأسه فانفرد کل واحد منهم بواحد ، فلم یلبثوا الا وقد فرغوا منهم عن اخرهم وأخذ کل واحد سلاح غریمه وأخذوا کل ما معهم من الزاد وغیره ، فقال لهم ضرارا أبشروا فان هذا اول النصر ان شاء الله تعالی ، وأقبلوا بقیلة فقال لهم ضرارا أبشروا فان هذا اول النصر ان شاء الله تعالی ، وأقبلوا بقیلة فقال لهم ضرارا أبشروا فان هذا اول النصر ان شاء الله تعالی ، وأقبلوا بقیلة فقال لهم ضرارا أبشروا فان هذا اول النصر ان شاء الله تعالی ، وأقبلوا بقیلة

ليلتهم يصلون ويدعون الله ان ينصرهم على عدوهم ولم يزل كل واحد منهم في مصلاه الى ان اضاء الفجر فصلوا صلاة الفجر • فلما فرغوا من الصلاة لبس كل واحد ثياب غريمه ولباسه وغيبوا القتلى مخافة انيرسل اليهوروان خبرا • •

معركة اجنادين

(قال الواقدي) فلما اصبح الصباح صلى خالد بالناس ورتب اصحابه الاهبة الحرب ، فبينما هم كذلك اذ خرج مهن القلب فارس وقال : يا معاشر العرب أريد اميركم ليخرج الى صاحبنا وردان لنمظر ما يتفقان عليه من أمر الجيشين وحقن الدماء بينهما • قال فخرج اليه خالد بن الوليد • فقال له الفارس ان وردان يريد ان تنتظره حتى تتكلم معه ٠ فقال خالد السمع والطاعة ارجع واخبره ، فعند ذلك خرج وردان وقد تزين بفلادة جوهر وعلى رأســـه تاج • فقال خالد عندما رآه هذه غنيمة للمسلمين ان شاء الله تعالى • قال فلما نظر عدو الله الى خالد ترجل عن جواده وكذلك خالد وجلس كلاهما ، وقيد جعل عدو الله سيفه على فخذه • فقال له خالد قل ما تشاء ، واستعمل الصدق والزم طريق الحق ، واعلم انك جالس بين يدي رجل لا يعرف الحيل · فقال ما تريد ؟ فقال وردان يا خالد اذكر لي ما الذي تريدون وقرب الامر بينــــــى وبينكم ، فان كنت تطلب منا شيئًا فلا نبخل به عليك صدقة منا عليكم لانسا ليس عندنا امة اضعف منكم ، وقد علمنا انكم كنتم في بلاد قحط وجــوع تمو تمون جوعا فاقنع منا بالقليل وارحل عنا • فلما سمع منه خالد هذا الكلام • اموالكم نتقاسمها بيننا وأحل لنا نساءكم واولادكم الا ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ، وان ابيتم فالحرب بيننا وبينكم ، أو الجزية عن يد وانتم صاغرون ، وبالله اقسم ان الحرب اشهى لنا من الصلح • واما قولك يا عدو الله لم تكن امة اضعف منا عندكم فانتم عندنا بمنزلة الكلاب ، وان الواحد منا يلقى الفا منكم بعون الله تعالى وما هذا خطاب من يطلب الصلح ، فان كنت ترجو ان تصل الى بانفرادي عن قومي وقومك فدونك وما تريد؟

قال فلما سمع وردان مقالات خالد وثب من مكانه من غير ان يجرد سيفه وتشابكا ونقابضا وتعانقا • قال فصاح عدو الله عندما وثق من خالد وقسال لاصحابه : بادروا الان الصليب قد مكنني من أمير العرب ، فما استم كلامه حتى بادر اليه الصحابة كأنهم عقبان يتقدمهم ضرار بن الازور ، وقد رموا

النشاب عنهم وجردوا سيوفهم وضرار عارى الجسد بسراويله قابض على سيفه وهو يزأر كالاسد وأصحابه من ورائه فالتفت عدو الله ونظر الى القوم وهمم يتسابقون اليه وهو يظن انهم قومه حتى انهم وصلوا اليه ونظر في أوائلهم ضرار بن الازور ٠ فقال لخالد سألتك بحق معبودك ان تفتلني أنت بيدك ولا تدع هذا الشيطان يقتلني • فقال خالد هو قاتلك لا محالة فهز ضرار سيف ه وقال يا عدو الله اين خديعتك من خديعة اصحاب رسول الله (ص) • فقال خاند اصبر يا ضرار حتى آمرك بقتله ، تم وصل اليه اصحاب رسول اللـــه (ص) فهزوا سيوفهم في وجهه ومرادهم ان يقتلوه ونظر عدو الله الى مــا الله لا نعطي الامان الا لاهل الامان وانت اظهرت لنا المكر والخديعة _ واللــه خير الماكرين _ فلما سمع ضرار كلام خالد لم يمهله دون ان ضربه على عاتقه فخرج السيف يلمع من علائقه ، ثم أخذ التاج من على رأسه • وقال من سبق. الى شمىء كان اولى به وقد أدركته سيوف المجاهدين فقطعوه اربا اربا وتبادروا الى سبيفه فأخذوه ، ثم ان خالدا قال لاصحابه اني اريد ان تحملوا على الروم لانهم مشتاقون الى اصحابهم • قال فأخذوا رأس عدو الله وردان وتوجهوا نحو عسكر الروم ٠ فلما وصل خالد الصفوف نادي ٠٠ يا اعسداء الله هذا رأس صاحبكم وردان ٠٠ انا خالد بن الوليد انا صاحب رسول الله (ص) ، ثم انه رمى الرأس وحمل عليهم وحمل المسلمون وحمل ابو عبيدة وقال احملوا يسا اهل القرآن وحفاظ الدين وحماة المسلمين • فلما رأى الروم رأس وردان ولوا الادبار وركنوا الى الفوار ، ولم يزل السيف يعمل فيهم من وقت الصباح الى الغروب • قال عامر بن الطفيل الدوسي : كنت مع ابي عبيدة ونحن نتبـــع المنهزمين الى طريق غزة اذ اشرف علينا خيل فظننا انها نجدة من عند الملك هرقل فأخذنا على انفسنا واذا بالغبرة قد قربت منا ، فاذا هي عسكر من ارسلها ابو بكر الصديق ، وما رأوا احدا من المنهزمين الا قتلوه ونهبوا ما معه. (قال الواقدي) وكان الروم بأجنادين تسعين الفا فقتل منهم في ذلك الميوم خمسون الفا وتفرق من بقى منهم ، فمنهم من انهزم الى دمشق ، ومنهم من انهزم الى قيسارية وغنم المسلمون غنيمة لم يغنم مثلها واخذوا منهم صلبان الذهب والفضة ، فجمع خالد ذلك كله مع تاج وردان الى وقت القسمة وقال خالد لست أقسم عليكم شيئا الا بعد فتح دمشق ان شاء الله تعالى ، وكانت الوقعة باجنادين ليلة سبت خلت من جمادي الاول سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية ، وذلك قبل وفاة ابي بكر بثلاث وعسرين ليلة ، ثم ان خالدا (رض)

كتب كتابا الى ابي بكر يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد المخزومي الى خليفة رسول الله (ص) ، سلام عليك ٠ اما بعد فأنى احمد الله الذي لا اله الا هو ، واصلي على نبيه محمد (ص) ، وازيد حمدا وشكرا على المسلمين ودمارا على المتكبرين المشركين وانصداع بيعتهم ، وانا لقينا جموعهم بأجنادين وقد رفعوا صلبانهم وتقاسموا بدينهـــــم ان لا يفروا ولا ينهزموا ٠٠٠ فخرجنا اليهم واستعنا بالله عز وجل متوكلين على الله خالقنا فرزقنا الله الصبر والتصر ، وكتب الله على اعدائنا القهر فقاتلناهم في كل واد وسبسب ، وجملة من احصيناهم ممن قتل من المشركون خمسون الفا وقبل من المسلمين في اليوم الاول والثاني اربعمائة وخمسون رجلا ختم الله لهـــم بالمسلمين فرفع أبو بكر رأسه وقرأ الكتاب سرا ، فلما فهم ما فيه قرأه على عشرون والباقي من اخلاط الناس ، ويوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادي الاخر ، ونحن راجعون الى دمشيق ان شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاتك، وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد وامره بالمسير الى المدينــــة المنورةعلى ساكنها افضل الصلاة واتم السلام، وسار خالد بالمسلمين طالب دم___شق •

(قال الواقدي) رحمة الله عليه: ولقد بلغني ان أبا بكر الصديق كان يخرج كل يوم بعد صلاة الفجر اذ أقبل عبد الرحمن بن حميد و فلما رآه تسابقت اليه أصحابه وقالوا له من أين أقبلت؟ قال من الشام وان الله قد نصر المسلمين فسجد أبو بكر الصديق لله شكرا، وأقبل عبد الرحمن ابن حميد الى أبي بكر وقال: يا خليفة رسول الله ارفع رأسك فقد أقر الله عينك شالمسلمين فرفع أبو بكر رأسه وقرأ الكتاب سرا، فلما فهم ما فيه قرأه على المسلمين جهرا، فتزاحم الناس يسمعون قراءة الكتاب، فشاع الخبر في المدينة فهرعت الناس من كل مكان، فقرأه أبو بكر ثاني مرة وتسامع الناس من أهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله على أيدي المسلمين وما ملكوا من أموال الروم فتسابقوا بالخروج الى الشام ورغبوا في الثواب والاجر، وأقبل الى المدينة من أهل مكة وأكابرهم بالخيل والرماح وفي اوائله م ابو سفيان والغيداق بن وائل، وأقبلوا يستأذنون أبا بكر في الخروج الى الشام فكره عمر بن الخطاب خروجهم الى الشام وقال لابي بكر: لا تأذن للقوم فان في قلوبهم حقائد وضغائن، والحمد لله الذي كانت كلمته هي العليا وكلمتهم عي السفلى وهم على كفرهم وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله على السفلى وهم على كفرهم وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله

الا أن يتم نوره ، ونحن مع ذلك نقول : ليس مع الله غالب • فلما أن أعـز الله ديننا ونصر شريعتنا اسلموا خوفا من السيف • فلما سمعوا ان جند الله قد نصروا على الروم أتونا لنبعث بهم الى الاعداء ليقاسموا السابقين الاولين ، والصواب أن لا نقربهم · فقال أبو بكر لا أخالف لـــك قــولا ولا أعصى لك أمرا ٠ قال وبلغ أهل مكة ما تكلم به عمر بـن الخطــاب فأقبلـوا بجمعهم الى ابي بكر الصديق في المسجد فوجدوا حوله جماعة من المسلمين وهم يتذاكرون ما فتح الله على المسلمين وعمر بن الخطاب عن يساره وعلى بن ابي طالب عن يمينه والناس حوله ، فأقبلت قريش الى أبي بكر فسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتشاوروا فيمن يكون أولهم كلاما ، فكان أول من تكلم أبو سفيان بن حرب فأقبل على عمر بن الخطاب وقال : يا عمر كنت لنا مبغضا في الجاهلية ، فلما هدانا الله تعالى الى الاسلام هدمنا ما كان لك في قلوبنا لان الايمان يهدم الشرك وأنت بعد اليوم تبغضنا فما هذه العداوة ما ابن الخطاب قديما وحديثا ؟ اما آن لك ان تغسل ما بقلبك من الحقه والتنافر ، وانا لنعلم أنك أفضل منا وأسبق في الايمان والجهاد ، ونحن عارفون بمرتبتكم غير منكرين ٠ قال فسكت عمر (رض) واستحى من هـذا الكلام • فقال أبو سفيان اني اشهدكم اني قد حبست نفسي في سبيل الله وكذلك تكلم سادات مكة • فقال ابو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون ، وأجزهم باحسن ما يعملون وأرزقهم النصر على عدوهم ولا تمكن عدوهم فيهم ــ انك على كل شيء قدير ـ •

(قال الواقدي) فما تمت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي (رض) يريد الشام فما لبنوا حتى أقبل مالك بن الاشتر النخعى (رض)عنه فنزل عند الامام علي (رض) بأهله ، وكان مالك يحب سيدنا عليا ، وقد شهر معه الوقائع وخاض المعامع في عهد رسول الله (ص) وقد عزم على الخروج مع الناس الى الشام •

كتاب أبو بكر الى خالد

(قال الواقدي) واجتمع بالمدينة نحو تسعة الاف، فلما نم امرهم كتب ابو بكر كتابا الى خالد بن الوليد يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين • أما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو، وأصلي على نبيه محمد (ص)، وأوصيكم وآمركم بتقوى الله في السر والعلانية، وقد فرحت بما أفاء الله على المسلمين

من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل الى دمشيق الى أن يأذن الله بفتحها على يدك فاذا تم لِك ذلك فسر الى حمص وانطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ، وقد تقدم اليك أبطال اليمن وأبطال مكة ويكفيك بن معد يكرب الزبيدي ومالك بن الاشتر وانزل على المدينة العظمى انطاكية ، فان بها الملك هرقل فان صالحك فصالحه وان حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب ، وأقول هذا وان الاجل قد قرب · تم كتب _ كل نفس ذائقة الموت _ ثم ختم الكتاب وطواه ودفعه الى عبد الرحمن ، وقال له أنت كنت الرسول من الشام وانت ترد الجواب فأخذه عبد الرحمن وسار على مطيته يطوى المنازل والمناهل الى أن وصل الى دمشق •

(قال حدثني) نافع بن عميرة قال لما بعث خالد بن الوليد الكتاب الى ابي بكر الصديق ارتحل يريد دمشق ، وكان أهلها قد سمعوا بقتل بطريقهم. وأبطالهم وانهزام جيوشهم ومن أرسلهم الملك بأجنادين فخافسوا وتحصنوا بدمشق واعدوا آلة الحصار ورفعوا السيوف والطوارق وعلوا على الاستوار ونشروا الاعلام والصلبان ، فلما أخذوا على أنفسهم اشرف عليهم الامير خالد بن الوليد والجيش قد زاد عمرو بن العاص في تسعة الاف ويزيد بن أبي سفيان في الفين وشرجبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة في ألفين ، وأقبل السواد من ورائهم معاذ بن جبل في الفين ، فلما رأى أهل دمشق عسكرالمسلمين منل البحر الزاخر ايقنوا بالهلاك ، وأقبل خالد في جيش الزحف فنـــزل على الدير المعروف به ، وبينه وبين المدينة أقل من ميل ، فلما نزل هناك دعا بالامراء فأحضرهم ، فقال لابي عبيدة انت نعلم ما ظهر لنا من غدر هؤلاء القوم عند انصرافنا عنهم وخروجهم في اثرنا فامض بلمن معك من اصحابك وانزل بهم على باب الجابية ولا تسمح للفوم بالامان فيأخذوك بمكرهم ولتكن متباعدا عن الباب وابعث اليهم فوجا بعد فوج، واجعل قتال الناس دولا ولا يضق صدرك. من كشرة المقام ولا تبرح من مكانك واحذر من القوم الكافرين • فقال ابو عبيدة حبا وكرامة • ثم انه خرج حتى نزل بباب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من الباب •

حول دمشيق

(قال الواقدي) حدثني مسلمة بن عوف عن سالم بن عبدالله عن حجاج الانصاري و قال قلت لجدي رفاعة بن عاصم، وكان ممن قاتل بدمشق، وكان في خيل أبى عبيدة فقلت يا جداه ما منع ابا عبيدة أن ينصب له قبة من بعض.

قبب الروم مما اخذه من اجنادين ومن بصرى ، فقد كان عندهم الوف من ذلك ، ففال يا بني منعهم من ذلك التواضع ولم يتنافسوا في زينة الدنيا وملكها حتى ينظر الروم انهم لا يقاتلون طلبا للملك ، وانما يقاتلون رجاء ثواب الله تعالم. وطلب الاخرة ونصرة للدين ولقد كنا ننزل فننصب خيامنا وخيام الروم بالبعد • قال فلما نزل ابو عبيدة على باب الجابية أمر اصحابه بالقتال • ثم ان خالدا استدعى بيزيد بن ابى سفيان ، وقال له يا يزيد خذ صاحبك وانزل على الباب الصغير واحفظ قومك ، وان خرج اليك احد لا يكون لك به طاقة فابعث الــــى حتى انجدك ان شاء الله تعالى • ثم استدعى بشر حبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) وقال له انزل على باب توما • ثم توجه بقومه واستدعى بعمرو بن العاص وأمره ان يسير الى باب الفراديس • ثم استدعى بعده بقيس بن هبيرة ، وقال له اذهب بقومك الى باب الفرج • ثم نزل خالد الى الباب الشرقي ودعا بضرار بن الازور (رض) وضم اليه ألفي فارس ، وقال لـ تطوف حول المدينة بعسكرك ، وان دهمك أمر أو لاحت لك عيون القوم فأرسل الينا • قال ثم سار ضرار واتبعه قومه وبقى خالد على الباب الشرقى • ثم قدم عبد الرحمن بن حميد من المدينة بكتاب أبي بكر الصديت (رض) وعسدل الى ناحية خالد بن الوليد على الباب الشرقى وقد تقدم للقتال طائفة من اصحابه مع رافع بن عميرة • فلما رفع اليه الكتاب فرح بعد أن قــرأه على المسلميــن واستبشر بقدوم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وأبي سفيان بن حرب • قال وشاع الخبر عنه جميع الناس وبعث خالد كتاب ابي بكر الى كل بـاب فقـرىء على الناس وبات الناس متأهبين للحرب يتحارسون الى الصباح وضراريطوف حولهم ولا يقف في مكان واحد مخافة أن يكبس بهم العدو ٠

(قال الواقدي) ولقد بلغني ان اهل دمشق اجتمعوا الى كبارهم من البلد وتشاوروا فيما بينهم • فقال بعضهم ما لنا الا الصلح ونعطي العرب جميع ما طلبوه منا ، وقال اخرون ما نحن بأكثر من جموع اجنادين • فقال لهم بطريق من الروم اطلبوا لنا صهر الملك توما نتشاور في هذا الامر لنسمع ما يقول ونطلب منه ان يكشف عنا ما نحن فيه فاما ان يصالحهم ، واما ان يحامي عنا والله فضى القوم الى توما وعليه رجال موكلون بالسلاح ، فقالوا لهم ما الذي تريدون ؟ فقالوا نريد صهر الملك توما نشاوره في هذا الامر • قال فأذنوا لهم فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه • فقال لهم ما الذي تريدون ؟ فقالوا أيها السيد انظر ما نزل ببلادنا ، وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به • فاما ان نصالح العرب على ما طلبوا • واما ان نرسل الى الملك فينجدنا او يمانع عنا فقد أشرفنا على

الهلاك ، علما سمع ذلك منهم نبسم ضاحكا وقال : يا ويلكم أطمعتم العرب فيكم وحق رأس الملك ما أرى القوم أهلا للقتال ولا هم خاطرون لي على بال فلو فتح لهم الباب ما جسروا ان يدخلوا • فقالوا أيها السيد ان أكبرهم وأصغرهم يقاتل العسرة والمائة وصاحبهم داهية لا تطاق • فان كان ولا بعد فاخرج بنا لقتالهم • فقال لهم توما انكم أكتر منهم ومدينتنا حصينة ولكم منل هذا العدد والسلاح ، وأما القوم فهم حفاة عراة ، فقالوا له أيها السيد ان معهم من عددنا واسلحتنا كتيرا مما أخذوه من واقعة فلسطين ومما أخذوه من بصرى ومن يوم لقائهم بكلوس وعزازير ومما أخذوه من أجنادين ، وأيضا ان نبيهم قال لهم ان من قتل منا صار الى الجنة فلاجل ذلك يبقون عراة الاجساد ليصلوا الى ما قال لهم نبيهم • قال فضحك من قولهم ، وقال لهم لاجل ذلك أطمعتم العرب فينا ولو صدقتم في الحرب والصدام لقتلتموهم لانكم اضعافهم ميرادا •

ففالوا ايها السيد اكفنا مؤونتهم كيف شئت ، واعلم انك ان لم تمنعهم عنا فتحنا لهم الابواب وصالحناهم • فلما سمع توما كلامهمم فكر طويلا وخشي أن تفعل القوم ذلك • فقال انا أصرف عنكم هؤلاء العرب واقتل اميرهم وأريد منكم ان تقانلوا معي • قالوا نحن معك وبين يديك نقاتل حتى نهلك عن أخرنا • فقال لهم باكروا القوم بالقنال فانصرفوا عنه وهم له شاكرون ولامره منتظرون ، وبانوا بقية ليلتهم على الحصن وأصحاب رسول الله (ص) في مواضعهم ولهم ضجة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشيم النير وخالد بن الوليد عند الدير ومعه النساء والعيال والاموال والغنائم التي غنموها من أعدائهم ، ورافع بن عميرة على الباب الشرقي في عسكر الزحف وغيرهم ولم يزل الناس في الحرس الى ان برق الصباح وصلى كل امير بمن معه من قومه وصلى أبو عبيدة بمن معه • ثم أمر اصحابه بالزحف، وقال لهم : لا تخلوا عن القتال واركبوا الخيل •

(حدثني) رفاعة بن قيس ، قال سالت والدي قيسا ، وكان ممن حضر فتوح دمسق الشام فقلت له أكنتم تقاتلون في دمشق خيالة او رجالة يـوم حصار المسلمين ، فقال ما كان أحد منا فارسا الا زهاء الفي فارس مع ضراد بن الازور ، وهو يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما أتى بابا من الابواب وقف عنده وحرض أهله على القتال ، وهو يقول صبرا صبـرا لاعداء الله • قال وأقبل توما صهر الملك هرقل من بابه الذي يدعى باسمه ، وكان عندهم عابدا راهبا ولم يكن في بلاد الشرك أعبد منه ولا أزهد في دينهم ،

وكان معظما عند الروم فخرج ذلك اليوم من قصره والصليب الاعظم على رأسه وعلا به فوق البرج وأوقف البطارقة حوله والانجيل تحمله ذوو المعرفة قال ونمسوه بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم ، وتفدم توما ووضع يده على أسطر من الانجيل • وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا ولا تسلمنا لاعدائنا واخذل الظالم منا فانك به عليم اللهم اننا نتقرب اليك بالصليب ومن صلب على دبنه ، وأظهر الايات الربانية والافعال اللاهوتية انصرنا على هؤلاء الظالمين • قال وأمن الناس على دعائه • قال رفاعة بن قيس : هكذا حدثني شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) والذي فسر لنا هذا الكلام روماس صاحب بصرى ، وكان في جيش شرحبيل بن حسنة يقاتل على باب توما ، وكلما قال الروم شيئا بلغتهم فسره لنا • قال ونهض سرحبيل وقصد الباب بحملته ، وقد عظم عليه قول توما اللعين ، وقال له يا لعين لقد كذبت أن ممل عيسى عند الله كمنل آدم خلقه من تراب احياه متى شاء ورفعه متى شاء ٠ نم ان روماس ناوشه بالقتال ، فقاتل توما قتالا شديدا وهشم الناس بالحجارة ورمى النشاب رميا متداركا فجرح رجالا ، وكان ممن جرح أبان بن سعيد بن العاص أصابته نشابة ، وكانت مسمومة فأحس بلهيب السم في بدنه فتأخر وحمله اخوانه الى ان اتوا به الى العسكر فأرادوا حل العمامة • فقال لا تحلوها فان حللتم جرحي تبعتها روحي أما والله لقد رزقني الله ما كنت أتمناه • قال فلم يسمعوا قوله وحلوا عمامته • فلما حلوها شخص الى السماء وصار يشير باصبعيه أشهد أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، فما استتمها حتى توفى الى رحمة الله تعالى •

بطولة المرأة

وكانت ذوجته بنت عمه ، وكان قد تزوجها باجنادين ، وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب ذهب من يدها ، ولا العطر من رأسها ، وكانت من المترجلات البازلات من اهل بيت الشجاعة واليراعة ، فلما سمعت بموت بعلها أتته تتعثر في أذيالها الى ان وقعت عليه ، فلما نظرته صبرت واحتسبت ، ولم يسمع منها غير قولها هنئت بما أعطيت ومضيت الى جوار ربك الذي جمع بيننا ثم فرق ، ولاجهدن حتى الحق بك فاني لمتشوقة اليك ، حرام علي أن يمسني بعدك أحد واني قد حبست نفسي في سبيل الله عسى ان الحق بك وأرجو أن يكون ذلك عاجلا ، ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف ، وصلى عليه خالد بن الوليد ، فلما غيب في التراب لم تقف عسلى قبره دون أن أتت الى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك ، قبره دون أن أتت الى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك ،

وفالت على أي باب فتل بعلى ؟ فقيل لها على باب توما والذي فتله هـو صهـر الملك ، فال صمارت الى أصحاب شرحبيل بن حسسة فاختلطت بهم ، وقاتلت مع الناس فتالا لم ير مله ، وكانت أرمى الناس بالنبل ، وكان قسد جعل لها قوس وكنانة ٠ قال شرحبيل بن حسنة رأيت يوم حصار دمشق رجلا على باب يوما يحمل الصليب وهو امام نوما ، وهو بشير اليه اللهم انصر هذا الصليب ومن لاذ به ، اللهم اظهر له نضرته وأعل درجته ، قال شرحبيل بن حسنة وانا دائما أنطر اليه اذ زمته زوجة ابان بنبلة فلم تخطئ رميتها ، واذا بالصليب قد سقط من يده وهوى الينا وكأني أنظر لمعان الجوهر من جوانبه فما فينا الا من بادر اليه ليأخذه وقد استتر بالدرق وتزاحم بعضنا على بعض كل منا يسبق اليه ليأخذه ونظر عدو الله توما الى ذلك من تنكس الصليب الاعظم واصوائه الى المسلمين ، فعند ذلك كفر وعظم عليه الامر ، وقال يبلغ الملك ان الصليب الاعظم أخذ منى وملكته العرب ، لا كان ذلك أبدا ثم انه حزم وسطه وأخذ سيفه ، وقال : من شاء منكم فليتبعني ومن شاء فليقعد فلا بد لي من الفوم عسى ان أشعي صدري ، نم انحدر مسرعا وأمر بفتح الباب ، وكان هو أول مبادر • فلما نظرت الروم الى ذلك لم يكن فيهم الا من انحمد فسي محيطون بالصليب ، فلما خرج الروم ووقع صياحهم حذر الناس بعضهم بعضا ، فلما نظر المسلمون الى الروم سلموا الصليب الى شرحبيل بن حسنة وانفردا لاعدائهم وحملوا في أعراضهم وأخذهم النشاب والحجارة ومن كــل مكان مــن أعلى الباب ، فصاح شرحبيل بن حسنة : معاشر المسلمين تقهقروا الى ورائكم لتأمنوا النشاب من أعداء الله العالين على الباب ، قال فتقهقر الناس الى ورائهم الى أن أمنوا من ضرب النشاب فاتبعهم عدو الله توما ، وهو يضرب يمينا وشمالا وحوله أبطال المشركين من قومه ، وهو يهدر كالجمل • فلمـــا نظـر شرحبيل بن حسنة ذلك صرخ بقومه ،وقال معاشر الناس كونوا آيسين من آجالكم طالبين جنة ربكم وأرضوا خالقكم بفعلكم • فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا أن تولوا الادبار فاحملوا عليهم واقربوا اليهم بارك الله فيكم ، قال فحمـــــل الناس حملة منكرة واختلط الناس بعضهم ببعض وعملت بينهم السيوف وتراموا بالنبل ، وتسامع أهل دمشق ان توما خرج الى العرب من باب وان صليبه الاعظم سقط اليهم من كف حامله فجعلوا يهرعون الى أن تزايد أمرهم وجعل عدو الله ينظر يمينا وشمالا وينظر الصليب فحانت منه التفاتة فنظر فرآه مع شرحبيل بن حسنة ، فلما نظر اليه لم يكن له صبر دون أن حمل وصاح

هات الصليب لا أم لك ، فقد لحقتك بواثقه •

قال ونظر شرحبيل بن حسنة الى عدو الله ، وهو مقبل فرمي الصليب من يده وصادمه • فلما رأى عدو الله الصليب مرميا على الارض صرخ بأصحابه صرخة هائلة ونظرت زوجة أبان ابن سعيد الى حملة عدو الله على شرحبيل • ففالت من هذا؟ قيل هو صهر الملك ، وهو قاتل بعلك أبان بن سعبه، فلما سمعت ذلك منهم حملت حملة منكرة الى أن فاربته ورمته بنبلة ، وكان الروم أرهبوها فلم تلتفت اليهم دون أن حققت نبلتها على صاحبها ، وقالت بسم الله وبركة رسول الله (ص) تم أطلفتها ، وكان عدو الله واصلا الــي شرحبيــــل اذ جاءته النبلة فأصابت عينه اليمني فسكنت النبلة فيها فتقهقر الي وراثه صارخا وهمت بأن ترميه بأخرى فتبادرت اليها الرجال واستتروا بالطوارق وتبادر اليها قوم من المسلمين يحامون عنها ، فلما أمنت من شر الاعداء اخذت ترمي بالنبل ٠ ثم انها رمت علجا من الروم فأصابت صدره فسقط هاويا الى الارض ، وكان عدو الله أول من تقهقر ذلك اليوم هاربا من شدة حرارة النبلة وصرخ صرخة عظیمة الی ان دخل الباب ونظر شرحبیل الی ذلك فصرخ بأصحابه یا ویلکم دونكم وكلب الروم احملوا على الكلاب عسى أن تدركوا عدو الله • قال فحمل الناس على الروم الى أن أوصلوهم الى الباب فحماهم قومهم من أعلى الباب بالحجارة والنساب • قال فتراجع الناس الى مواضعهم ، وقد قتلوا مــن الروم مفتلة عظيمة وأخذوا أسلابهم وأموالهم وصليبهم ، ودخل عدو اللـــه توما الــي المدينة وأغلقوا الابواب وجاء الحكماء يعالجون في قلع النبلة من عينه فلم تطلع فجذبوها فلم تنجذب ، وهو يضب بالصراخ فلما طال على القوم ذلك ولم يجدوا حيلة في اخراجها نشروها وبقي النصل في عينه ولم تزل في مكانها وسألوه المسير الى منزله فأبى وجلس داخل الباب الى ان سكن ما به وخف عنه الالم ، فقالوا له عد الى منزلك بقية ليلتك ، فقد نكبنا في يومنا هذا نكبتين نكبة الصليب ونكبة عينك كل هذا مما وصل الينا من النبال ، وقد علمنا ان القوم لا يصطلى لهم بنار ، وقد سألناك أن نصالح القوم على ما طلبـوه منا ، قـال فغضب توما من قولهم ، وقال : يا ويلكم يؤخذ الصليب الاعظم وأصاب بعيني وأغفل عن هذا ويبلغ الملك عني ذلك فينسبني للوهن والعجز ولا بد من طلبهم على كل حال وآخذ صليبي وآخذ في عيني الف عين منهم وسأوقع حيلة أصـــل بها الى كبيرهم وآخذ جميع ما غنموه وبعد ذلك اسير الى صاحبهم الذي هـو للوحوش • ثم ان الملعون سار الى أعلى السور ، وهو معصوب العين وصار يحرض الناس لكي يزيل عن قلوبهم الرعب وأقبل يقول لهم : لا تفزعوا ولا تجزعوا مما ظهر لكم من العرب ولا بد للصليب أن يرميهم وأنا الضامن لكم • قال فتبت القوم من قومه وحاربوا حربا شديدا وبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم • فقال الرسول : ان عدو الله توما قد ظهر لنا منه ما لم يكن في الحساب ونطلب منك رجالا لان الحسرب عندنا اكثر من كل باب ، فلما سمع خالد ذلك الخبر حمد الله ، وقال كيف أخذتم الصليب من الروم ؟ فقال الرسول كان يجمل صليب الروم رجل وهو أمام توما صهر الملك فرمته زوجة أبان بنبلة فوقع الصليب الينا وخرج عدو الله فرمته زوجة أبان بنبلة فوقع الصليب الينا وخرج عدو الله فرمته زوجة أبان بنبلة فوقع الصليب الينا وخرج عدو الله فرمته زوجة أبان بنبلة في عين توما اليمني •

فقال خالد ان توما عند الملك معظم وهو الذي يمنعهم عن الصلح ونرجو من الله أن يكفينا شره • ثم قال للرسول: عد الى شرحبيل وقل له كن حافظا ما أمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤت من قبلهم وأنا بالقرب منك ، وهــذا ضرار بن الازور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك • قال فرجـــع الرســول فأخبره بذلك فصبر وقاتل بقية يومه ووصل الخبر الى أبي عبيسدة بما نزل بشرحبيل بن حسنة من توما وبما غنم من صليبه فسر بذلك ، قال ولما أصبح الصباح بعث توما الى أكابر دمشق وأبطالهم • فلما حضروا بين يديه قال لهم يا أهل دين النصرانية انه قد طاف عليكم قوم لا أمان لهم ولا عهد لهم وقد أتسوا يسكنون بلادكم فكيف صبركم على ذلك وعلى هتك الحريم وسبى الاولاد وتكون نساؤكم جواري لهم وأولادكم عبيدا لهم وما وقع الصليب الاغضبا عليكم مما اضمرتم لهذا الدين من مصالحة المسلمين واذلالكم للصليب وأنبا قد خرجت ولولا أنى أصبت بعيني لما عدت حتى أفرغ منهم ولا بد من أخذ ثاري وإن اقلع الف عين من العرب ثم لابد أن أصل الى الصليب وأطالبهم به عن قريب • فلما سمعوا كلامه قالوا له : ها نحن بين يديك وقد رضينا بما رضيت لنفسك ، فان امرتنا بالخروج خرجنا معك وإن أمرتنا بالقتال قاتلنا ، فقال توما : اعلموا أن واكبسهم في أماكنهم فان الليل مهيب وانتم اخبر بالبلد من غيركم فلم يبق الليلة فيكم أحد حتى يتأهب للحرب ويخرج من الباب وأرجو أن لا أعود حتى تنقضى الاشغال فاذا فرغت من القوم أخذت أميرهم اسيرا وأحمله الى الملك يأمـر فيــه بأمره ، فقالوا حبا وكرامة فعند ذلك فرق القوم على الباب الشرقي فرقة وعلى باب الجابية فرقة وعلى كل باب جماعة ، وقال لهم : لا تجزعوا ، فأن أمير القوم متباعد عنكم وليس هناك الا الاراذل والموالي فاطحنوهم طحن الحصيد • قال

ودعا بفرقة أخرى الى باب الفراديس الى عمرو بن العاص وخرج توما من بابــه واخذ معه أبطال القوم ولم يترك بطلا يعرف بالشجاعة الا أخذه معه ورتب على الباب ناقوسا ، وقال لهم اذا سمعتم الناقوس فهي العلامة التي بيننا فافتحوا الابواب واخرجوا مسرعين الى اعدائكم ولا تجدوا رجالا نيامــــا الا وتضعـون السيف فيهم • فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم في هذه الليلة وانكسروا كسرة لا يجبرون بعدها أبدا ، قال ففرح القوم بذلك وخرجوا الى حيث امرهم وقعدت كل فرقة على بابها وأفاموا ينتظرون صوت الناقوس ليبادروا الى المسلمين ، قال ودعا توما برحل من الروم ، وقال له خذ ناقوسا واعل به على الباب فاذا رأيتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قومنا ، وقد سار توما بقطعة من جيشه عليهم الدروع وبايديهم السيوف وتوما في أوائلهم وبيده صفيحة هدية والفي على رأسه بيضة كسروية كان هرقل قد أهداها له ، وكانت لا تعمل فيها السبوف الفواطع حتى وصل الى الباب ، ثم وقف حتى تكامل القوم ، فلما نظر اليهم قال با قوم فتحنا لكم الباب فأسرعوا الى عدوكم وجدوا في سعيكم الى أن تصلوا الى القوم ، فاذا وصلتم اليهم فاحملوا ومكنوا السيوف فيهم ومن صاح منهم بالامان فلا تبقوا عليه الا أن يكون أمير القوم ومن أبصر منكم الصليب فليأخذه فقالوا حبا وكرامة •

القتال من فوقالاسوار

ثم أمر رجلا من أصحابه أن يسير الى الذي بيده الناقسوس ويأمره أن يضربه ضربة خفيفة نم فتح الباب وتبادر الرجال الى أصحاب رسول الله (ص) رهم في غفلة مما دبر القوم لهم الا أنهم في يقظة ، فلما سمعوا الصوت أيقظ بعضهم بعضا وتواثبت الرجال من أماكنهم كالاسود الضارية فلم يصل اليهم العدو الا وهم على حذر وحملوا عليهم وهم في غير ترتيب فتقاتل القوم في جنح الطلام وعمل السيف وسمع خالد بن الوليد فقام ذاهل العقل مما سمع من الزعقات فصاح واغوتاه واسلاماه كيد قومي ورب الكعبة اللهم انظر لهم بعينك الني لا تنام وانصرهم يا أرحم الراحمين و وسار خالد ومن معه وهم أربعمائة فارس من أصحابه ، وهو بغير درع قد لبس ثوب كتان من عمل الشام مكشوف فارس من أصحابه ، وهو بغير والاربعمائة فارس معه كأنهم الليوث العوابس الى الرأس ثم جد في السير والاربعمائة فارس معه كأنهم الليوث العوابس الى بن عميرة الطائي والنا وأصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير ، والقوم من أعلى الاسوار قد أشرفوا وتصايحوا عندما استيقظ لهم المسلمون فحمل من أعلى الاسوار قد أشرفوا وتصايحوا عندما استيقظ لهم المسلمون فحمل خالد بن الوليد على الروم ونادى برفع صوته أبشروا يا معشر المسلمين أتاكم

الغوث من رب العالمين ، أنا الفارس الصنديد ، أنا خالد بن الوليد وحمل في أوساط الناس بمن معه فجندل أبطالا وقتل رجالا ، وهو مع ذلك مستغل القلب على أبي عبيدة والمسلمين الذين على الابواب وهو يسمع اصواتهم وزعقانهم ، قال وتصايح الروم والنصارى واليهود .

(قال سنان بن عوف) قلت لابن عمى قيس هل كانت اليهود تقاتلكم ؟ قال نعم يقاتلوننا من أعلى الاسوار ويرمون بالسهام وخشي خالد على شرحبيل ابن حسنة مما وصل اليه من عدو الله توما لانه ملازما الباب • وقـــال لقي شرحبيل بن حسنة من عدو الله توما أمرا عظيما لم يلق احد منله وذلك أنه هجم عليه توما في تلك الليلة ، وكان أول من وصل الى المسلمين عدو الله توما قال فصبروا له صبر الكرام وقاتل عدو الله قتالا شديدا وهو ينادي أين أميركم الذميم الذي أصابني انا ركن الملك الرحيم ، أنا ناصر الصليب • قال فلما سمع شرحبيل صوته قصد جهته ، وقد جرح رجالا من المسلمين ، وقال رسبول الله (ص) فعطف عليه توما عطفة الاسد ورأى من شرحبيل بن حسنة أمرا هائلا ولم يزالوا كذلك الى أن زال من الليل شطره وكل قرن مع قرنه وكانت زوجة آبان مع شرحبيل وكانت في تلك الليـــلة احسن الناس صبرا ورمت بنبالها ، وكانت لا تقع نبلة من نبالها الا في رجل من المشركين الى أن قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال والروم يتحايدون عنها الى ان لاح رجل من الروم فرمته بنبلة فبهيت معلقة في نحره • قال فصرخ بالروم فهاجموها وأخذوها أسيرة ومات عدو الله الذي رمته • قال ولقي شرحبيل من الروم ما لا يلقاه احد وانه ضرب توما ضربة هائلة فتلقاها الملعون بدرقته فانكسر سيف شرحبيل فطمع عدو الله فيه وحمل عليه وظن انه يأخذه اسيرا واذا بفارسين قد أسرفا من ورائهما مع كبكبة من الفرسان فهجموا على الروم ونظروا واذا بزوجة آبان قد خلصت وهجمت على الروم وهتفت فلحقها فارسان فبرز لهما عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) ، وأبان بن عثمان بن عفان (رض) فقتلا الرجلين ورجع عدو الله توما هاربا الى المدينة •

(قال حدثني) تميم بن عدي ، وكان ممن شهد الفتوحات • قال كنت في خيمة ابى عبيدة وذلك أن أبا عبيدة كان يصلى فيها اذ سمع الصياح • فقال لا حول ولا قوة الابالله العلي العظيم ثم لبس سلاحه ورنب قومه ودنا من المقوم فنظر اليهم وهم في المعمعة والحرب وعدل عنهم ميسرة وميمنة الى أن جاوزهم وعطف نحو الباب وكبر وكبر المسلمون ، فلما سمع المشركون تكبيرهم

ظُنُوا أن السلمين قد دهموهم من ورائهم في جمع كثير فولوا راجعين فتلقاهم. ابو عبيدة وقومه واخذوا عليهم المجاز وبذل أبو عبيدة السيف فيهم ·

(قال الواقدي) ولقد بلغني أنه ما سلم من الروم تلك الليلة احد من الذين هم غرماء ابي عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم فبينما هم في القتــال اذ أشرف عليهم ضرار بن الازور ، وهو ملطخ بالدماء • فقال له خالد ما وراءك يا ضرار ؟ فقال أبشر أيها الامير ما جئتك حتى قتلت في ليلتي هذه مائة وخمسين رحلا وقتل قومي ما لا يعد ولا يحصى ، وقد كفيتكم مؤنة من خرج من الباب الصغير الى يزيد بن أبي سفيان ، ثم عطفت الى سائر الابواب فقتلت خلقًا كنه ١ قال فسر بذلك خالد بن الوليد ، ثم ساروا جميعا حتى أتوا شرحبيل بن. حسنة وشكروا فعله وكانت ليلة مقمرة ولم يلق مثلها الناس فقتلوا في تلك الليلة ألوفا من الروم قال فاجتمع كبار أهل دمشق الى توما وقالوا له أيهــــا انسيد انا قد نصحناك فلم تسمع لقولنا وقد قتل منا أكثر الناس وهذا أمير صالحنا وأنت وشأنك • فقال يا قوم أمهلوني حتّى أكتب الى الملك واعلمه مِماً نزل بنا ، فكتب من وقته وساعته كتابا يقول فيه : الى الملك الرحيم من صهرك توماً ، أما بعد فان العرب محدقون بنا كاحداق البياض بسواد العين ، وقسمه قتلوا أهل اجنادين ورجعوا الينا وقد قتلوا منا مقتلة عظيمة ، وقد خرجت اليهم وأصيبت عيني ، وقد عزمت على الصلح ودفع الجزية للعرب فأما أن تسيير بنفسك ، واما ان ترسل لنا عسكرا تنجدنا بهم ، وامسا أن تأمرنا بالصلح مع القوم ، فقد تزايد الامر علينا ثم طـــوى الكتاب وختمه وبعث بـــه قبل الصباح ٠٠٠

فلما أصبيح الصباح باكرهم المسلمون بالقتال ١٠٠ وبعث خالد لكل أمير أن يزحف من مكانه فركب ابو عبيدة ووقع القتال واشتد الامر على أهل دمشق فبعثوا لخالد أن أمهلنا فأبى الا القتال ولم يزل كذلك الى أن ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون أمر الملك واجتمع اهل البلد وقالوا لبعضهم ما لنا صبر على ما نحن فيه من الامر وان هؤلاء ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم أضر بننا الحصار فاطلبوا من القوم صلحا على ما طلبوه منكم ، فقال لهم شيخ كبير من الروم وقد قرأ الكتب السالفة : يا قوم والله اني أعلم أنه لو اتى الملك في جيشه جميعا لما منعوا عنكم هؤلاء لما قرأت في الكتاب ان صاحبهم محمدا خاتم المرسلين سيظهر دينه على كل دين فأطبعوا القوم وأعطوهم ما طلبوا منكم فهو وأفق لكم ، فلما سمع القوم مقالات الشيخ ركنوا اليه لما يعلمون من علمه

ومعرفته بالإخبار والملاحم · فقالوا كيف الرأي عندك ؟ فنحن نعلم ان هـذا الامير الذي على باب شرقي رجل سفاك للدماء · فقال لهم: ان أردتم تقارب الامر فامضوا الى الذي على باب الجابية ، وليتكلم رجل يعرف بالعربية ، ويقول بصوت رفيع ، يا معاشر العرب الامان حتى ننزل اليكم ونتكلم مـــع صاحبكم · فال أبو هريرة (رض) : وكان أبو عبيدة قد انفذ رجالا من المسلمين مكرا بالقرب من الباب مخافة الكبسة مثل الليلة التي خلت ، وكانت النوبة نلك الليلة لبني دوس والامير عليها عامر بن الطفيل الدوسي · قال فبينما نحن جلوس في مواضعنا من الباب اذ سمعنا اصوات القوم وهم ينادون قال أبو هريرة ، فلما سمعت بادرت الى ابي عبيدة قال وبشرته بذلك فاستبشر وقال أمض وكلم القوم وقل لهم لكم الامان قال فأتيت القوم وبشرتهم بالامان فقالوا من أنت ؟

فقلت أنا أبو هريرة صاحب رسول الله (ص) ولو أن عبيدا أعطــوكم الاسلام. قال فنزل القوم وفتحوا الباب واذ هم مائة رجل من كبرائهم وعلمائهم فلما قربوا من عسكر أبي عبيدة تبادر اليهم وأزلوا عنهم الصلبان الى أن وصلوا خيمة أبي عبيدة فرحب بهم وأجلسهم وقال ان نبينا محمدا (ص) قال « اذا أناكم عزيز قوم فأكرموه »وتكلموا في أمر الصلح وقالوا انا نريد منكم ان تتركوا كنائسنا ولا تنقضوا علينا منها كنيسة وهي الجامع الآن بدمشق، فقال لهم أبو عبيدة جميع الكنائس لا يؤمر بهدمها قال وكان في دمشق كنائس واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة حنا وكنيسة سوق الليل وكنيسة انذار ، وهي عند دار عبد الرحمن ذرة فكتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيه اسمه ولا اثبت سُهودا وذلك ، لانه لم يكن أمير المؤمنين ، فلما كتب لهم الكتاب تسلموه منه وقالوا له قم معنا الى البلد • قال فقام أبو عبيدة وركب معه ابو هريرة ومعاذ بن جبل ونعيم بن عمرو وعبد الله بن عمرو الدوسى وذو سلمة ومعمر بن خليفة وربيعة بن مالك والمغيرة بن شعبة وأبو لبابة بن المنذر وعوف بن ساعدة ، وعامر بن قيس ، وعبادة بن عتيبة ، وبشر بن عـــامر ، وعبد الله بن قرط الاسدي وجملتهم خمسة وثلاثون صحابيا من اعيان الصحابة (رض) ، وخمسة وستون من اخلاط الناس فلما ركبوا وتفدموا نحو الباب • قال ابو عبيدة أريد منكم رهائن حتى ندخل معكم فأتوه برهائن ، وقيل ان ابا عبيدة رأى في منامه أن رسول الله (ص) يقول له : نفتح المدينة ان شاء

الله تعالى في هذه الليلة ، فقلت يا رسول الله أراك على عجل قـــال لاحضر جنازة أبي بكر الصديق • قال فاستيقظت من المنام •

(قال الواقدي) وقد بلغني ان أبا عبيدة لما دخل دمشق بأصحابه سارت القسس والرهبان بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخي بالند والعود ، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد بن الوليد لانه شد عليهم بالقتال • قال وكان هناك قسيس من قسس الروم اسمه يونس بن مرقص وكانت داره ملاصقة للسور مما يلي باب شرقي الذي عنده خالد وكان عنده ملاحم دانيال عليه السلام وكان فيها : ان الله تعالى يفتح البلاد على يد الصحابة وبعلو دينهم على كل دين ، فلما كانت تلك الليلة نقب يونس مــن داره وحفر موضعا وخرج على حين غفلة من أهله واولاده وقصد خالدا وحدثه أنه خرج من داره وحفر موضعا والآن أريد أمانا لي ولاهلي ولاولادي قال فأخذ خالد عهده على ذلك وانفذ معه مائة رجل من المسلمين اكثرهم مـــن حمير ، وقال لهم اذا وصلتم المدينة فارفعوا أصواتكم بأجمعكم واقصدوا الباب واكسروا الاقفال وأزيلوا السلاسل حتى تدخلوا ان شاء الله تعالى • قال ففعل القوم ما أمرهم به خالد (رض) وساروا ومضبى أمامهم يونس بن مرقص حتى دخل بهم من حيث خرج • فلما حطوا في داراه تدرعوا واحترسوا ثم خرجوا وقصدوا الباب واعلنوا بالتكبير • قال فلما سمع المشركون التكبير ذهلوا وعلموا ان أصحاب رسول الله (ص) حطوا معهم في المدينسية ، وأن أصحاب رسول الله (ص) قصدوا الباب وكسروا الاقفال وقطعوا السلاسل ، ودخل خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين ووضعوا السيف في الروم وهم مختلفون بين يديه الى ان وصل الى كنيسة مريم وخالد بن الوليد يأسر ويقتل ٠

(قال الواقدي) والتقى الجمعان عند الكنيسة جيش خالد وجيش أبي عبيدة وأصحابه سائرون والرهبان سائرون بين ايديهم وما أحد من أصحاب أبي عبيدة جرد سيفه ، فلما نظر خالد اليهم ورأى ان لا أحد منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر اليهم متعجبا ، قال فنظر اليه أبو عبيدة وعرف فى وجهه الانكار ، فقال أبا سليمان قد فتح الله علم يدي المدينة صلحا وكفى الله المؤمنين الفتال ،

(قال الواقدي) ما خاطب ابو عبيدة خالدا يسسوم الفتح بدمشق الا بالامارة: فقال ايها الامير قد تم الصلح • فقال خالد وما الصلح ؟ لا أصلح الله بالهم وأنى لهم الصلح وقد فتحتها بالسيف ، وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم وأخذت الاولاد عبيدا وقد نهبت الاموال • فقال ابو عبيدة أيهسا

الامير : اعلم اني ما دخلنها الا بالصلح • فقال له خالد بن الوليد انك لم تزل مغفلا وأنا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقى لهم حمايــة فكيف صالحتهم • قال أبو عبيدة : اتق الله أيها الامير ، والله لقد صالحت القوم ونفذ السهم بما هو فيه وكتب لهم الكتاب وهو مع القوم • فقال خالد وكيف صالحتهم من غير أمرى وأنا صاحب رايتك والامير عليك ولا أرفع السيف عنهم حتى افنيهم عن آخرهم • نقال أبو عبيدة والله ما ظننت أن لخالفني اذا عقدت عقددا ورأيت رأيا فالله الله في أمري ، فوالله لقد حقنت دماء القوم عــن آخرهم واعطيتهم الامان من الله جل جلاله وامان رسول الله (ص) وقـــد رضى من معي مــن المسلمين ، والفدر ليس من نسيمنا • قال وارتفع الصياح بينهما وقد شخص الناس اليهما وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ، ونظـــر أبو عبيدة الى ذلك فرأى اصحاب رسول الله (ص) مع خالد وهم جيش البوادي مسن استسرب منستبكون على قتال الروم ونهب اموالهم • قال فنادى أبو عبيدة واثكلاه خفرت · الله و نقض عهدي وجعل يحرك جواده ويشير المي العرب مرة يمينا ومرة شمالا · وينادي معاشر المسلمين اقسمت عليكم برسبول الله (ص) أن لا نمدوا ايديكم نحو الطريق الذي جثت منه حتى نرى ما نتفق أنا وخالد عليه ، فلما دعـــاهم بذلك سكتوا عن القتل والنهب واجتمع اليهما فرسان المسلمين والامسراء واصحاب الرایات مثل معاذ بن جبل (رض) ویزید بن ابی سفیان (رض) وعمرو ابن العاص (رض) وسُرحبيل بن حسنة (رض) وربيعة بن عامر (رض) وعبدالله بن عمر بن الخطاب (رض) أجمعين ونظرائهم ، والتقوا عند الكنائس واجتمع هناك فرسان للمنسورة والمناظرة • فقالت طانفة من المسلمين منهم معـــاذ بن جبل ويزيد بن أبي سنفيان الرأي أن تمضي الي ما أمضاه أبو عبيدة بن الجراح وتكفر عن القنال للقوم • فان مدن الشام لم تفتح ابدا ، وهرقل في انطاكية كما تعلمون ، وان علم اهل المدن صالحتهم وغدرتم لم تفتح لكم مدينـــة صلحاً ولان تجعلوا هؤلاء الروم في صلحكم خير من قتلهم ، تم قـــالوا لخالد أمسك عليك ما فتحت بالسين ويعينك أبو عبيدة بجانبه واكتبا الى الخليف وتحاكما اليه ، فكل ما أمر به نعلناه ، فقال لهم خالد بن الوليد قد أحبت المر ذلك وقبلت مشورتكم ، فأما أهل دمشتي فقد امنتهم الا هذين اللعينين نوما وهربيس وكان هربيس هو المؤمر على نصف البلدة ولاه توما حين رجع الامر اليه • فقال أبو عبيدة أن هذين أول من دخل في صلحي فلا تخفر ذمتي رحمك الله تعالى • فقال خالد ، والله لولا ذمامك لقتلتهما جميعا ، ولكن يحرجان من الامير ابا سليمان قوله فول وعهده عهد ولا يفول الا الصدق قال فالطلق توما

الى المدينة فلعنهما الله حيث سارا .

قال ابو عبيدة وعلى هذا صالحتهما • قال ونظر توما وهربيس الى خالد وعو يتنازع مع أبى عبيدة مخافا الهلاك فأقبلا على أبى عبيدة ومعهما من يترجم عنهما وقالا له ما يقول هذا يعنى خالدا • قال الترجمان لابي عبيدة ما نقول انت وصاحبك فيه من المساورة : ان صاحبك هـــذا يريد غدرنا فنحن واهل المدينة دخلنا في عهدكم ونقض العهد ما هـو من شيمكم ، واني أسألكم ان تدعوني أن أخرج أنا وأصحابي واسلك اي طريق أردت • فقال أنت في ذمتنا فاسلك اي طريق شئت ، فاذا صرت في أرض تملكونها فقد خرجت من ذمتنا أنت ومن معك • فقال نوما وهربيس نحن في ذمتكم وجواركم ثلائة ايسام أي طريق سلكنا ، فاذا كان بعد ثلائة ايام فلا ذمة لنا عندكم ، فمن لقينا منكم. بعد للانة ايام وطفر بنا فنحن لهم عبيد ان شاء أسرنا وان شاء قتلنا • فقال خالد قد اجبناك الى ذلك ، لكن لا تحملوا معكم من هذا البلد الا الزاد الــذي تتقوتون به • قال أبو عبيدة لخاله : هذا كلام داع لنقض العهد والصلح انما وقع بيننا انهم يخرجون برجالهم وأموالهم • فقال خالد سمحت لهم بذلك الا العطقة يعنى السلاح فاني لا أطلق لهم شيئا من ذلك • ففال توما لا بد لنا من السلاح نمنع به عن انفسنا في طريقنا ان طرقنا طارق حتى نصل الى بلدنا ، والا فنحن بين ابديكم فاحكموا فينا بما أردتم • فقال ابو عبيدة اطلق لـــكل واحد قطعة من السلاح ان أخذ سيفا فلا بأخذ رمحا ، وان أخذ رمحا فلا يأخذ سيفا ، وان اخذ قوسا فلا يأخذ سكينا • فقال توما لما سمع منهم ذلك الكلام قد رضينا بذلك وما يريد كل واحد منا الا قطعة من السلاح لا غيم ، ثم قال نوما لابي عبيدة اني خائف من هذا الرجل اعني خالد بن الوليد فليكتب لي بذلك قال ابو عبيدة نكلتك امك انا معاسر العرب لا نغيه ولا نكذب وان الامير أبا سليمان قوله قول وعهده عهد ولا يقول ألا الصدق قال فأنطلق توما وهربيس يجمعان قومهما ويأمرانهم بالخروج • قال وكان الملك له خزانة ديباج وهربيس يجمعان قومهما ويأمرانهم بالخروج • قال وكان الملك له خزانـــة ديباج في دمشيق فيها زهاء من تلاثمائة حمل دبباج وحلل مذهبة فعزم عليي اخراجها وأمر نوما فضربت له خيمة من القن ظاهر دمشق وأقبلت الروم تخرج الامتعة والاموال والاحمال حتى اخرجوا شيئًا عظيماً ، فنظر خالد بن الوليد الى كسرة احمالهم • فقال ما اعظم رحالهم ، نم قرأ قوله تعالى _ ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها بظهرون ــ الاية ، تم نظر خالد الى القوم كأنهم حمر مستنفرة ولم يلتفــــت احد الى اخيه من شدة عجلتهم ، فلما نظر خالد الى ذلك رفع يديه الى السماء . وقال: اللهم جعله لنا وملكنا اياه واجعل هذه الامتعة قوتا للمسلمين آميسن انك سميع الدعاء ، ثم اقبل على اصحابه وقال لهم اني رأيت أنا رأيسل فهل انتم تتبعوني عليه ؟ فقالوا نتبعك ولا نخالف لك امرا ، فقال خالم قوموا بخيولكم حق القيام واحسنوا اليها ما استطعتم وانجزوا سلاحكم فاني اسير بكم بعد تلاثة ايام في عللب هؤلاء القوم وارجو من الله ان يغنمنا هذه الغنيمة والاموال التي رأيتموها وان نفسي تحدثني ان القوم ما تركوا في دمشق متاعا ولا ثوبا حسنا الا وقد اخذوه معهم و

فقانوا افعل ما تريد فما نخالف لك أمرا ، تم اخذوا في اصلاح شأنهم ، وتوما وهربيس قد جمعوا مال الرساتيق وجميع المال ، فلما جمعوه جاءوا به الى ابي عبيدة • ففال لهم وفيتم بما عليكم فسيروا حيث شئنم فلكم الامان لهنا ثلاثمة ايام • قال يزبد ابن ظريف فلما سلموا المال لابي عبيدة ارتحلوا لمائرين كأنهم سواد مظلم ، وكان قد خرج مع القوم خلق كنير من اعل دمشف بأولادهم وكرهوا ان يكونوا في جوار المسلمين • قال واشتغل خالد عسن انباعهم بخسلاف ما وقع بينهم وبين أهل دمشق في حنطة وشعير وجدوا في المدينة منه شيئا كثيرا • فقال ابو عبيدة هو للقوم دخل في صلحهم فكادت الفتنة ان تئور بين اصحاب خالد وبين اصحاب ابسي عبيدة ، واتفق رأيهم أن ان يكتبوا كتابا الى ابي بكر الصديق (رض) في ذلك وليس عندهم خبر انه مات يوم دخولهم دمشق •

(قال عطية بن عامر) كنت واقفا على باب دمشق في اليوم الذي سارت فيه الروم مع توما وهربيس ومعهم ابنة الملك هرقل وقال فنظرت الى ضرار بن الازور وهو ينظر الى القوم شزرا ويتحسر على ما فاته منهم وقلت له يا ابن الازور مالى اراك كالمتحسر أما عند الله اكتر من ذلك فقال والله ما عني مالا وانما أنا متأسف على بقائهم وانفلاتهم منا ولقد أساء ابو عبيدة فيما فعل بالمسلمين فقلت يا ابن الازور ما أراد أمين الامة الاخيرا للمسلمين أن يحقن دمائهم وازواجهم من تعب القتال فان حرمة رجل واحد خير مما طلعت عليه الشمس وان الله سبحانه وتعالى اسكن الرحمة في قلوب المؤمنين وان الرب بقول في بعض الكتب المنزلة ان الرب لا برحم من لا يرحم وقال تعالى: والصلح خير وفنار لعمري انك لصادق ولكن اشهدوا على اني لا ارحم من يجعل له زوجة وولدا والحد من يجعل له زوجة وولدا والحد من يجعل له زوجة وولدا والمنادق والكن اشهدوا على اني لا الرحم من يجعل له زوجة وولدا والمنادق والمنادق والكن اشهدوا على اني لا الحرم من يجعل له زوجة وولدا والمناد المنادق والمنادق والكن اشهدوا على انها الرحم من يجعل له زوجة وولدا والمنادق والمناد والمنادق والمنادة والمنادق والمنادق والمنادق والمنادق والمنادق والمنادق والمنادة والمنادق والمن

(قال حدثني) عمر بن عيسى عن عبد الواحد بن عبد الله البصري عن وائلة بن الاسقع • قال كنت مع خالد بن الوليد في جيش دمشق ، وكان قد

جعلنى مع ضرار بن الازور في الخيل التي تجوب من باب شرقى الى باب توما الى باب السلامة الى باب الجابية الى باب الصغير الى باب قيان اذ سمعنا صرير الباب وذلك قبل فتوح السام واذا به قد خرج منه فارس فتركناه حتى قرب منا فأخذنا قبضا بالكف وفلنا ان تكلمت قتلناك فسكت واذا قد خرج فارس آخر قام على الباب وجعل ينادي بالذي قد آخذناه ، فقلنا له : كلمه حتى يأتي • قال نرطن له بالرومية ان الطير في السبكة فعلم انه قد اسر فرجع وأغلق الباب • قال فاردنا قتله ، فقال بعضنا لا تقتلوه حتى نمضي به الى خالد الامير • قال فأتينا به خالدا ، فلما نظر اليه قال له من انت ؟ قـــال له أنا من الروم واني تزوجت بجارية من قومي قبل نزولكم عليهم وكنـــت أحبها ، فلما طال علينا حصاركم سألت أهلها ان يزفوها علــــي فأبوا ذلك ، وقالوا ان بنا شغلا عن زفافك وكنت احب انالفاها ولنا في المدينة ملاعب نلعب فيها فوغدتها أن نخرج السي الملاعب فخرجت وتحدثنا فسألتني أن اخرج بها الى خارج المدينة ففتحنا الباب وخرجت انظر اخباركم فأخذنـــــــى أصحابك فناديني • ففلت الالطير وقع في الشبكة احذرها منكم مخافة عليها ولو كان غيرها لهان على ذلك • فقال خالد ما تقول في الاسلام ؛ فقـــال أنسهد ان لا اله الا الله واشبهد أن محمدا رسول الله فكان يقاتل معنا قتالا شديدا ، فلما دخلنا المدينة صلحا أقبل يطلب زوجته • ففيل له انها لبست ثيـــاب الرهبانية فأقبل اليها وهي لا تعرفه • فقال لها ما حملك على الرهبانية ؟ قالت حملني على ذلك اني غررت بزوجي حتى أخذته العرب وترهبنت حزنـــا عليه • قال أنا زوجك وقد دخلت في دين العرب • قال فلما سمعت ذلك قالت وما نريد ؟ قال أن تكوني في الذمة • فقالت وحق المسيح لا كان ذلك أبدا ومالي الى ذلك سبيل ، وخرجت مع البطريق توما ، فلما نظر الى امتناعها أقبل الى خالد بن الوليد فشكا له حاله ٠

فقال له خالد ان ابا عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك اليها ولما علم ان خالدا يسبير وراء القوم · فقال أسير معه لعلي افع بها وأقام خالد بدمشق الى اليوم الرابع ، ثم اقبل اليه يونس الدمشقي زوج الجارية وقال ايها الامير قد لهزمت على المسير في طلب هذين اللعينين توما وهربيس واخذ ما معهما قال بلي · فقال له وما الذي أقعدك عن ذلك · قال بعد القوم وبيننا وبينهم اربعة ايام بلياليها وهم يسيرون سير المخوف وما يمكن اللحاق بهم · فقال لونس ان كان تخلفك لبعد المسافة بيننا وبينهم فأنا اعرف الديار وأسلك طريقا فنلحقهم ان شاء الله تعالى ، ولكن البسوا ذي لخم وجذام وهو العرب المتنصرة

وخذوا الزاد وسيروا • قال فسار خاله واخذ عساكر الزحف وهم اربعة آلاف فارس فامرهم ان يسيروا ويخففوا حمل الزاد ففعلوا ذلك ، وخالد ومن معه قد ساروا ويونس الدليل امامهم وهو يتبع اثار القوم وقسد أوصى خالد أبا عبيدة على المدينة والمسلمين • قال زيد بن طريف وكان يونس دليلنا •قال فرأى اثار القوم وانهم اذا سقط منهم حمل جمل تركوه ، وسار خالد ومن معه كلما دخلوا بلدا من بلاد الروم يظنون انهم من العرب المتنصرة من لخم وجذام حتى أشرف بهم الدليل على ساحل البحر ونوى ان يطلب الاثر واذا بالفوم ف عدوا انطالكية ولم يدخلوها خيفة الملك • قال فوقع للدليل عند ذلك حيرة في امره فعدل الى قرية هناك ، وسأل بعضا من الناس فاخبروه أن الخبر قد أنصل الى الملك بأن نوما وهربيس قد سلما دمشني للعرب فنقم عليهما ولمسم يدعهما يأنيان اليه ، وذلك انه جمع الجيوش وأرسلها الى اليرموك فخاف أن بنحدثوا بشيجاعة العرب اصحاب رسول الله (ص) فنضعف قلوبهم فبعث الى نوما ومن معه ان يسيروا الى القسطنطينية ، فلما علم يونس ان القوم عدلوا واخذوا في طلب التحيز فكر في ذلك وغاب عن المسلمين فوقف خالـــــ وصلى بالناس واذا بيونس قد اقبل وقال : ايها الامير اني والنه قد غررت بكم وبلغت الغابة في الطلب • قال خالد وكيف الامر؟ قال أيها الامير تبعنني في اثارهم في هذا المكان رجاء ان الحقهم ، وانالملك منعهم من الدخول الــــى انطاكية نئلا يرعبوا عسكره وامرهم أن يطلبوا القسطنطينية ، وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وانتم في جبل هرقل وهو يجمع عسكره ويسير الي حربكم وانى خائف عليكم ان تركتم هذا الجبل خلف ظهوركم هلكتم وبعد هذا فالامر اليك وكل ما أمرتني به فعلت • قال ضرار بن الازور فرأيت خالدا وقد انتقع لونه كالخضاب ٠٠٠ وكانذلك منه جزعا وما عهدت به ذلك • فقلت يا أمهر على ماذا عولت؟ فقال يا ضرار والله ما فزعت من الموت ولا من القتل ، وانما خفت ان يؤتى المسلمون من قبلي واني رأيت قبل فتح دمشق منامــــا افزعني وأنا منتظر تأويله وارجو ان يجعل الله لنا خيرا وينصرنا على عدونا • فقال ضرار خبرًا رأيت وخبرًا يكون أن شاء الله تعالى فما الذي رأيت؟ قال : رأيت المسلمين في برية قفرة ونحن سائرون فبينما نحن كذلك واذا بقطيع من حمر الوحس كنبرة عظيمة اجسامها مهزولة اخفافا وهي لا تكدم برماحنا ونحن نضربها بأسيافنا وهي لا تكترث فيما نزل بها من الاذي ولا تهلع مما ينسزل فلم نزل مئلذلك حتى اجتهدنا واجتهدت خيولنا وأنى اقبلت على اصحابي وفرقتهم عليها من اربعة جوانب البربة وحملت عليهم فجفلت من أيدينا الى مضايـــق وتلال واودية خصبة فلم نأخذ منها الا اليسير فبينما نحن نطبخ ونشوي لحومها

واذا هي قد رجعت تطلب الحرب منا ، فلم انظرت اليه وقد طرحت المضايق والاجام صحت بالمسلمين اركبوا في طلبها بارك الله فيكم فاستوى المسلمون على خيولهم وركبت معهم وطلبناها حتى وقعت بها وتصيدت منها بعيرا عظيما فقتلته فجعل المسلمون يقتلون ويتصيدون فما بقي منها الا اليسير فبينما أنا فرح وأنا اريد الرجوع بالمسلمين الى وطنهم اذ عثرت فرسي فطارت عمامتي من على رأسي فهويت لاخذها فانتبهت من منامي وانا فزع مرعوب ، فهل فيكم احد يفسره ؟ فاني اقول الرؤيا ما نحن فيه ، قال فصعب ذلك على القوم وجعل خالد يراود نفسه على الرجوع .

فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق (رض) : اما نفسير الوحوش فهؤلاء الاعاجم الذين نحن في طلبهم ، وأما سقوطك عن فرسك فانه أمر تنحط عليه من رفعة الى خفضة ، واما سقوط العمامة عن رأسك فالعمائم تيجان العرب وهي معرة تلحقك • فقال خالد : اسئال الله العظيم ان كان ذلك تأويل ما رأيته أن يجعله من أمر الدنيا ولا يجعله من امر الاخرة وبالله استعين وعليه أتوكل في كل الامور • قال ثم سار خالد والدليل امامهم حتى قطعوا الجبل ، فلما كانت الليلة التي أردنا ان نصبح فيها القوم أتى مطر كافواه القرب وكان من توفيق الله عزوعلا أن حبس القوم عن المسير • قال روح بن طريف (رض) ، ولقد رأيتنا ونحن نسير والمطر ينزل علينا كافواه القرب طول ليلتنا ، فلما اصبح الصباح وطلعت الشمس قال يونس: ايها الامير قف حتى أنظر القوم لانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صياحهم • فقال له خالد بن الوليد أحقا سمعت صياحهم يا يونس قال نعم أيها الامير واريد منك أن تأذن لي بالمسير اليهـم وآتيك بخبرهم • قال فعند ذلك التفت خالد بن الوليد الى رجل اسمه المفرط بن جعدة ٠ قال له : يا مفرط سر مع يونس وكن له مؤنسا واحذر ان يأخذ خبركما القوم فقال المفرط السمع والطاعة لله ولك ايها الامير ، ثم انطلقا الى أن صعدا على جبل يقال له الابرش والروم تسمه جبلباردة • قال المفسرط فلما علونا عليه وجدنا مرجا واسعا كثير الجنبات كنير النبات وفيه خضرة عظيمة ، وان القوم قد اصابهم المطرحتى بل رحالهم وقد حميت عليهم الشمس فخافوا اتلافها فاخرجوها واخرجوا الديباج ونشروها في طول المرج ، وقد نام اكثرهم من شدة السير والتعب والمطر الذي اصابهم • قال المفرط بن جعدة ، فلما رأيت ذلك فرحت فرحا شديدا ورجعت الى خالد بن الوليد وتركت صاحبي يونس ، فلما رآني خالد وحدي اسرع الي وظن ان صاحبي كيد ٠ ففال مــــا وراءك يا ابن جعدة اخبرني وعجل بالخير ؟ فقلت الخبر والغنيمة يا امير القوم

نشروا امتعتهم • فقال بشرك الله بالخير ، ثم ظهر لى من وجهه الخير والفرح والسرور ، فبينما نحن كذلك واذا بيونس قد اقبل • فقال له خالد خيرا ، فقال له ابشر أيها الامير فان القوم امنوا على انفسهم ، ولكن اوصى اصحابك ان كل من وقع بزوجتي فليحفظها فما اريد من الغنيمة سواها • فقال له خالد هي لك ان شاء الله تعالى ، تم ان خالدا قسم اصحابه اربع فرق فأمر ضرار بن الازور على اللف فارس وعلى الالف النائي رافع بن عميرة الطائي ، وعلى الالف البالث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وبقي هو في الفرقة الرابعة • وفال سيروا على بركة الله تعالى واياكم ان نخرجوا اليهم دفعة واحدة : بل يخرج كن امير منكم بينه وبين صاحبه قدر ساعة ، ثم افترق القوم وحمل ضرار بن الازور والروم مطمئنون وحمل من بعده رافع بن عميرة الطائي ، ثم عبد الرحمن بن والروم مطمئنون وحمل من بعده رافع بن عميرة الطائي ، ثم عبد الرحمن بن والي بكر الصديق ، تم خالد بن الوليد الي عنيد ابن سعيد لقد كدنا ان نعتنه من حسن منظره فزعق فينا خالد بن الوليد وقال عليكم باعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانها الكم وقال عليكم باعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانها لكم وقال عليكم باعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانها كم

تم عطف خالد بن الوليد (رض) على الروم وقد نطرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد امامهم ، فعلموا انها خيول المسلمين فبادروا الـــى السلاح وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض انها خيل قليلة ساقها المسيح اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها • قال فنبادر الروم وهم يظنون أن ليس وراء خاله احد ، واذا بضرار بن الازور قد خرج عليهم في ألف فارس وطلع رافع بن عميرة الطائي بعده وطلع عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق بعدهم وطلبت كل كتيبة فرقة من الروم وتفرقوا من حولهم وطلبوا ما في ايديهم وقد رفعوا اصواتهم يقولون : لا اله الا الله محمد رسول الله وانصبت خيـــل المسلمين على الروم كأنها السيل المنحدد ونادى هربيس برجداله قاتلوا عن نعمكم فما لهؤلاء القوم حيلة ولا يخلصون من هذا المكان ابدا ، عانفسمت الروم خمسمائة فارس وقد رفع بين عينيه صليبا من الجوهر مقمعا بالذهب الاحمر فعدل خالد وحمل عليه وقال : يا عدو الله اظننتم انكم تفلنون منا والله تعالى يطوي لنا البلاد وكان توما أعور عورته امرأة آبان قال فحمل عليه وطعنه في عينه الأخرى ففقأها وارداه عن جواده وحمل اصحابه عسلي رجال تومسا ولله در عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق (رض) ، فانـــه لمــــا نظر الي توما وقد سقط عن جواده نزل وجلس على صدره واحتز رأسه ورفعها على السنان ونادي قد قتل والله توما اللعين فاطلبوا هربيس •

(قال الواقدي) ففرح العرب بذلك • قال رافع بن عميرة الطائي نزل عن جواده ، وهو يقاتل علجة مع نساء الروم وهي تظهر عليه مرة فدنوت انظرها • فاذا هو يونس الدليل وهو يقاتل زوجته ويصراعها صراع الاسد • قال رافع فدنوت ان انقدم اليهما فاعينه فقصد الي عشرةمن النساء يرمين قومي بالحجارة فخرج حجر كبير من امرأة حسناء عليها ثياب الديباج • قال فوقع الحجر في جبهة جوادي فانكب على رأسه ، وكان جوادا شهدت عليــه اليمامة فسفط الجواد ميتا ٠ قال فأسرعت في طلبها فهربت من بين يسدي كأتها ظبية الفناص وهربث النساء من وراءها فلحقتهن وقصدت قتلهن وزعقت عليهن وكنت اريد قتلهن ومالي قصد الا الجارية التي قتلت حصاني فدنـوت منها وعلوت بالسيف على رأسها فجعلت تقول الغوث الغون فرجعت عن قتلها وأقبلت اليها ، واذا عليها تياب الديباج وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ فاخذنها أسيرة من النساء وأوثقتها كتافا ، ورجعت على اثري فركبت جوادا من خيل الروم • ثم قلت والله لامضين وانظر ما كان من امر يونس فوجديه ، وهـــو جالس وزوجته بجانبه وقد تلطخت بدمائها وهو يبكي عليها ، فلما رأيتها قلت لها اسلمي ، فقالت لا وحق المسيح لا اجتمعت انا وانتم ابدا . ثم اخرجت سكينا كانت معها فقتلت بها نفسها • فقلت أن الله عز وجل أبدلك ما هــي اعظم منها وعليها ثياب الديباج وشبكة من اللؤلؤ وهي كأنها القمر فخذها لك بدلا عن زوجتك ، فقال اين هي ؟ فقلت ها هي معي ٠

قال فلما نظر اليها والى ما عليها من الحلى والزينة وتبين حسنه وجمالها راطنها بالرومية وسألها عن امرها فرطنت عليه ، وهي تبكي فالتفت الي ، وقال لى أتدري من هذه ؟ قلت لا فقال هذه ابنة الملك هرقل زوجة توما وما مثلي يصلح لها ولا بد لهرقل من طلبها ويفديها بماله • قال وافتقد المسلمون خالذا قلم يجدوا له اثرا فقلقوا عليه قلقا عظيما وخالد (رض) غائص في المعركة وقصد اللعين هربيس بعد قتل توما ، فبينما هو يحمل يمينا وشمالا اذ نظر علجا من علوج الرومان عظيم الخلقة احمر اللون فظن خالد انه اللعين فأطلق جواده نحوه وطلبه طلبا شديدا ليقتله ، فلما نظر اليه العلج والى حملته فر هاربا من بين يديه فوكزه خالد بالرمح ، واذا هو واقع على الارض على أم رأسه فانقض عليه خالد كالاسد ، وهو يقول ويلك يا هربيس أظننت انك تفوتني وذلك العلج يعرف العربية • فقال يا عربي ما انا هربيس أظننت انك فابق علي ولاتقتلني • فقال خالد مالك من يدي خلاص الا اذا كنت تدلني على فابق علي ولاتقتلني • فقال خالد مالك من يدي خلاص الا اذا كنت تدلني على

هربيس • فاذا دللتني عليه اطلقتك • فقال له العلج انذا دللتك عليه تطلفني، فقال خالد نعم لك ذلك • فقال العلج يا أخا العرب قم من على صدري حتى ادلك عليه فقام خالد من على صدره فوثب العلج ونظر يمينا وشمالا • قسال نم قال لخالد أترى هذا الجبل وهذه الخيل الصاعدة اقصدها فان هربيس فيها٠ قال فوكل خالد بالعلج واحدا ، وهو ابن جابر ثم اطلق خالد عنان جواده حتى لحق بهم وصرخ عليهم ، وقال : يا ويلكم اني لكم مني خلاص ؟ فلما سمع هربيس ذلك ظنه من بعض العرب فزعق فيه ورجع ورجعت البطارقة بالسلاح. فقال لهم خالد يا ويلكم ظننتم انالله لا يمكننا منكم أنا الفارس الصنديد انا خاله بن الموليد ، نم طعن فارسافرماه واخر فأرداه ، فلما سمع هربيس كلام خالد ، قال لاصحابه يا ويلكم هذا الذي قلب السام على اصحابه ، هذا صاحب بصرى وحوران ودمشىق وأجنادين دونكم واياه قال فطمع القوم فيه لانفراده عن اصحابه ، وكان المسلمون في قتال الروم ونهب الاموال وكل منهم مشتغل بنفسه • قال فترجلت البطارقة حول خاله لانهم في جبل كنير الوعر واحاطوا بخالد بن الوليد فعندها ترجل عن جواده واخذ سيفه وجعفته وصبر لفتالهم ٠ قد صحت الرؤيا • فلما نرجل اقبل يقاتل بنفسه واقبل اليه هربيس ، وهو مشتغل بالقتال وأتاه من ورائه وضرب خالدا بالسيف فوقع السيف علىي البيضة فقدها ، وقد عمامته وانقض السيف من يد هربيس وخاف خالد ان يلتفت الى ورائه فتهجم عليه الروم وخاف ان يفلت هربيس من بين يديــــه فعند ذلك صاح بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير كأنه مستبشر بشمىء اغاثه او ادركه وذلك خديعة منه وحيلة يريد بها ان يتمكن من الاعلاج ٠ فبينما هو كذلك اذ سمع من المسلمين زعقات ، وقد اخذت الروم من وراثهم وهم يصيحون بالتهليل والتكبير وقائل يقول: لا اله الا الله محمد رسول الله أتاك النصر من رب العالمين انا عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق • فلما سمع خالد صوته لم يلتفت الى عبد الرحمن ولا الى من معه ومضى يفرق الاعلاج ذات اليمين وذات الشمال ، وما ان سمع اللعين هربيس اصوات المسلمين اراد الهرب فلحقه سيدنا خالد وضربه ضربة فأرداه قتيلا وعجل الله بروحمه الى النار واستطال اصحاب رسول الله (ص) على اصحاب هربيس ونزلوا فيهم بالسيه فحتى ابادوهم عن اخرهم ، وكان اكثرهم قتلا من يد ضرار بن الازور . فلما انكشف الكرب عن خالد ونظر الى ما فعل ضرار • قال افلح الله وجهك يا ابن الازور فما زلت مباركا في كل افعالك انجح الله اعمالك واصلح ربسي

حالك • ثم سلم على عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق (رض) وعلى المسلمين ، وفال من ابن علمتم مكاني هذا ، فقال عبد الرحمن يا امين بينما نحن في قتال الروم ، وقد نصرنا الله عليهم والمسلمون قد اشتغلوا بالغنائم اذا سمعنا هاتفا من الهواء يقول اشتغلتم بالغنائم وخالد قد احاطت به الروم • فلما سمعنا ذلك لم ندر اي مكان انت فيه ، وفقدنا شخصك فدلنا عليك علج كان بيد رجل من اصحابك ، وقال ان صاحبكم انا الذي دللته على هربيس وانه معه في هسندا الجبل فسرنا اليك •

فعال خالد لقد دلنا على عدونا ودل علينا المسلمين ، وقد وجب له الحق علينا ورجع خالد واصحابه الى المسلمين ، فلما رأوه بادروا وسلموا عليه فرد عليهم السلام • ثم ان خالدا (رض) دعا بذلك العلج الذي دله على هربيس، وقال له انك وفيت لنا ونريد ان نوفي لك بما وعدناك لانك نصحت لنا فهل لَكُ أَنْ تَكُونُمُنَ اصحاب دين الصلاة والصيام وملة محمد عليه الصلاة والسلام نمكون من اهل الجنة ، فقال ما أريد بديني بدلا فأطلق خالد سبيله • قال نوفل بن عسرو فرأبته قد استوى على ظهر جواده يطلب بلاد الروم وحده ٠ ثم ان حالدا (رض) امر بجمع الغنائم والاسارى فجمع ذلك اليه ، فلما رأى كثرته حمد الله تعالى وشكره واثنى عليه ودعا بدليله يونس النجيب • ثم قال له ما نعلت بزوجتك فحدثه معها ، وما كان من امرها فعجب من ذلك ، فقال رافع بن عميرة ايها الامير اني أسرت ابنة الملك هرقل ، وقد سلمتها اليه بدلا من زوجته ، فقال خاله : وأين ابنة الملك هرقل فمنلت بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها وما منحها الله به من الجمال فصرف وجهه عنها ، وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق ما نشاء وتختار • ثم قرأ قوله تعالى ــ وربك يخلق ما يشاء ويخمار ـ تم قال ليونس اتريدها بدلا من زوجتك • قال نعم ولكني اعلـم ان الملك صرفن لا بدله ان يفديها بالاموال او يخلصها بالقتال • فقال خالد خذها لك الان فان لم يطلبها فهي لك ، وان طلبها فالله يعوضك خيرا منها • فقال يونس ايها الامير انك في مكان ضيق ومكان صعب فاعزم على الخروج قبل ان يلحق نفير القوم • فقال خاله : الله لنا ومعنا وعطف راجعا يجد في مسيره والغنائم امامه والمسلمون في اثره فرحين بالغنيمة والسلامة والنصر •

(قال روح بن عطية) فقطعنا الطريق كلها وما عرض لنا من الروم احد ونحن نخوض في وسبط ديار القوم خوضا، فلما وصلنا مرج الصغير عند قنطرة أم حكبم نظرنا الى غبرة من وراءنا • فلما عايناها انكرنا ذلك فاسرع رجال من المسلمين الى خالد يخبرونه بالغبرة • قال أيكم يأتيني بخبرها فبادر بالاجابة

رجل من غفار يقال له صعصعة بن يزيد الغفاري • قال : انا ايها الامير • ثم نزل عن جواده ، وكان بجريه يسبق الفرس الجواد لقوة عزمه فورد الغبرة واختبرها ورجععلى عقبه ، وهو ينادي ايها الامير ادركنا الصلبان من ورائنا وهم مصفدون في الحديد لم يبن منهم غير حماليق الحدق ، فدعا خالد بيونس الدليل عندما قاربته الخيل وقال يا يونس اقصد نحو الخيل وانظر مـــا يريدون • فقال السمع والطاعة • ثم دنا من الخيل وفاربهم ، ثـم رجع الى خالد ، وقال له ألم أقل لك ايها الامير ان هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد انفذ هذه الخيل يريدون ان يأخذوا الغنيمة من أيدي المسلمين ، فلما لحقوك ههنا قريبا من دمنسق بعنوا رسولا يسألك في الجارية أما بيعها واما هدية ، فبينما خالد يتحدث اذ أقبل اليه شيخ عليه لبس المسوح فأقبل حتى دنا من المسلمين فاوقفوه امام خالد ، وقال له قل ما تشاء • فقال الشيخ انا رسول الملك هرقل وانه يقول لك بلغني ما فعلت برجالي وقتلت توما زوج ابنتيبي وهتكت حرمتي ، وقد ظفرت وسلمت فلا تفرط بمن معك ، والان ما ان تبيع ابنتي أو تهديها الي فالكرم شيمتكم وطبعكم ولا يرحم من يرحم واني ارجو أن يقع بيننا الصلح ، فلما سمع خالد ذلك ، قال للشيخ قل لصاحبك والله لا رجعت عنه وعن اهل ملته حتى أملك سريره وما تحت قدَّميه كما في علمك ، واما ابفاؤك علينا فلو وجدت الى ذلك من سبيل فماقصرت ، وأما ابنتك فهي الله هدية منا ثم ان خالدا اطلق ابنة الملك هرقل وسلمها للشيخ ولم يأخذ في فدائها شيئا ، فلما بلغ ذلك الرسول الى الملك هرقل قال لعظماء الروم هذا الذي اشرت عليكم فلم تقبلوه واردتم قتلي وسيكون الامر اعظم ، ولكن ليس هذا منكم بل هو من رب السماء ٠

(قال الواقدي) فبكت الروم بكاء شديدا وسار خالد حتى أتى دمشق، وكان المسلمون وابو عبيدة قد أيسوا من خالد ومن معه فهم في أعظم القلق والاياس اذ قدم عليهم خالد (رض) والمسلمون فخرجوا الى لقائه وهنئوه بالمسلامة وسلم المسلمون بعضهم على بعض ووجد خالد في دمشق عمرو بن معد يكرب الزبيدي ومالك بن الاشتر النخعي ومن كان معهما واقبل خالد الى جانب أبي عبيدة ، وهو يحدثه بما لاقنى في غزوته وابو عبيدة يتعجب مسن شمجاعته وجسارته ، فلما استقر بخالد مكانه اخذ الخمس من الغنائم وفرق الباقي على المسلمين ، ثم ان خالدا اعطى من ماله ليونس ، وقال خذ هسذا فتزوج به او اشتر به جارية لك من بنات الروم • قال يونس والله لا اتزوج في الاخرة بعيناء من الحور

نعين • قال رافع بن عميرة الطائي فسهد معما القتال الى يوم اليرموك فمسا كنت أراه في حرب الا ويجاهد جهادا عظيما ، وقد أبلى في الروم بلاء حسنا فأتاه سهم في لبته فخر ميتا رحمه الله تعالى • قال رافع فحزنت عليه واكترت من الترحم عليه فرأيته في النوم وعليه حلل تلمع وفي رجليه نعلان من ذهب وهو يجول في روضة خضراء ، فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لـــــي واعطاني بدلا من زوجتي سبعين حوراء لو بدت واحدة منهن في الدنيا لكف ضوء وجهها نور الشمس والقمر فجزاكم الله خيرا فقصصت الرؤيا على خالد ، فقال ليس والله سوى السهادة طوبي لمن رزقها •

كتب خالد بالفتح

(قال الواقدي) ولفد بلغني ان خالدا (رض) لما رجع من غزوته ومسيره غانما ظن ان الخليفة ابا بكر الصديق (رض) حي لم يقبض فهم ان يكتب لــه كتابا بالفتح والبشارة وما غنم من الروم ، وابو عبيدة لا يخبره بذلك ولا يعلمه ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فدعا خالد بدواة وبياض وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله خليفة رسول الله (ص) من عامله علـــــى الشام خالد بن الوليد • اما بعد سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد (ص) ثم أنا لم نزل في مكايدة العدو على حرب دمشق حتى انزل الله علينا نصره وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوة بالسيف من باب شرقي ، وكان ابو عبيدة على باب الجابية فخدعته الروم فصالحوه على الباب الاخر ومنعني ان اسبى واقتل ولقيناه على كنيسة يقال لها كنيسة مريم وامامه الفسس والرهبان ومعهم كتاب الصلح ، وان صهر الملك توما واخر يقال له هربيس خرجا من المدينة بمال عظيم واحمال جسيمة فسرت خلفها في عساكر الزحف وانتزعت الغنيمة من ايديهما وقتلت الملعونين واسرت ابنة الملكك هرقل ، ثم اهديتها اليه ورجعت سالما ، وانا منتظر امرك والسلام عليك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ، وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ، ودعا برجل من العرب يقال له عبد الله بن قرط فدفع اليه الكتاب وسار الى مدينة رسول الله (ص) فوردها والخليفة عمر بن الخطاب (رض) فقرأ عنوان الكتاب ، وإذا هو : من خالد الى خليفة رسول الله (ص) فقال عمر أما عرف المسلمون وفاة ابي بكر (رض) ، فقال لا يا امير المؤمنين ، فقال قد وجهت بذلك كتابا الى ابي عبيدة وامرته على المسلمين وعزلت خالدا وما اظن ابا عبيدة يريد الخلافة لنفسه ، فسكت وقرأ الكتاب : قال اصحاب السير

في حديتهم ممن تفدم ذكرهم واستنادهم في اول الكتاب ممن روى فتـــوح النسام ونقلوها عن التقاب منهم محمد بن اسحق وسيف بن عمرو وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (رض) كل حدث بما رواه وسمعه ثقة عن ثقة . قالوا جميعا في اخبارهم: انه لما قبض ابو بكر الصديق (رض) وولى الامس بعده عمر بن الخطاب (رض) وله من العمر اننتان وخمسون سنة بايعه الناس غي مسجد رسول الله (ص) بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته احد لا صغير ولا كبير وانقطع في امارته الشقاق والنفاق وانحسم الباطل وقام الحق وقوي السلطان في امارته وضعف كيد الشيطان وظهر أمر الله وهم كارهون ، ومن أمره انه كان يجلس مع الفقيـــر ويتلطف بالناس والمسلمين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويعطف على اليتيم وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق اليي اهله ولا نأخذه في الله لومة لائم ، وكان في امارته يدور في اسواق المدينة وعليه مرفعة وبيده درته وكانت درته أهيب من سيف الملوك وسيوفكم هذه ، وكان قوته في كل بوم خبز الشعير وادمه الملح الجريش ، وربما اكل خبزه بغير ملح تزهدا واحتياطا وترفقا على المسلمين ورأفة ورحمة لا يريد بذلك الا التواب من الله سبحانه ونعالى ولا يشغله شاغل عن اداء الفريضة . وما اوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام قالـــت عائنية (رض) : ولقد نولي والله عمر بن الخطاب (رض) الخلافة فجد فيسى التشمر وترك عن نفسه التكبر ، ولقد كان احرقه خبز السُعير واللح واراد أكل الزيت واليابس من التمر ، وربما أخذ سيئا من السمن ، ويقسول أكلت الزيت وخبر الشعير والملح والجون اهون غدا من نار جهنم ، من حل بها لم يمت ولم يجد فيها راحة ابدا ، قرارها بعيد وعذابها شديد وشرابها الصديد لا يؤذن لهم فيعتذرون ، جند الجنود في امارته وبعت العساكر وفتح الفتوحات ومصر الامصار ، وكان يحاف عذاب النار ، (رض) •

(قال الواقدى) رحمه الله تعالى: ولقد بلغني ان هرقل لما بلغه ان عمر بن الخطاب (رض) قد ولى الامر من بعد ابي بكر الصديق (رض) جمع الملوك والبطارقة وارباب دولته وقام فيهم خطيبا على منبر قد نصب له فى كنيسة القسيسين ، وقال يا بني الاصفر : هذا الذي كنت احذركم منه فلم تسمعوا مني ، وقد اشتد الامر عليكم بولاية هذا الرجل الاسمر وقد دنا موعد صاحب الفتوح المشبه بنوح ، والله ثم والله لا بد ان يملك ما تحت سريري هذا الحذر تم الحذر قبل وقوع الامر ونزول الضرر ، وهدم الفصور وقتل القسس وتبطيل الناقوس ، هذا صاحب الحرب والجالب على الروم والفرس الكرب ، هسذا

الزاهد في دنياه ، وهذا الغليظ على من أتبع في غير ملته هواه ، واني ارجو لكم النصر ان امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتم الظلم واتبعتم المسيح في اداء المفروضات ولزوم الطاعات وترك الزنا وانواع الخطايا ، وان ابيتم الا الفساد والفسوق والعصيان والركون الى شهوات الدنيا يسلط الله عليكم عدوكم ويبلوكم بما لا طاقة لكم به ، ولقد أعسلم أن دين هؤلاء سيظهر على كل دين ولا يزال اهله بخير ما لم يغيروا ويبدلوا ، فاما ان ترجعوا اليه ، واما ان تصالحوا القوم على اداء الجزية ، فلما سمع القوم ذلك نفروا وبادروا اليه وهموا بقتله فسكن غضبهم بلين كلامه ولاطفهم ، وقال لهم انما أردت أن أرى حميتكم لدينكم وهل تمكن خوف العرب في قلوبكم أم لا ؟

ثم استدعى برجل من المتنصرة يقال له طليعة بن ماران وضمن له مالا ، وقال له انطلق من وقتك هذا الى يثرب وانظر كيف تقتل عمر بن الخطاب ، ده لله طليعة نعم أيها الملك ، ثم تجهز وسار حتى ورد مدينة رسول الله (ص) وكمن حولها ، واذا بعمر بن الخطاب (ض) خرج يشرف على أموال اليتامى ويفتقد حدائقهم فصعد المننصر الى شجرة ملتفة الاغصان فاستتر بأوراقها ، واذا بعمر (رض) قد اقبل الى أن قرب من الشجرة التي عليها المتنصر ونام على ظهره وتوسد بحجر ، فلما نام هم المتنصر ان ينزل اليه ليقتله ، واذا بسبع أقبل من البرية فطاف حوله وأقبل يلحس قدميه ، واذا بهاتف يقول يا عمر عدلت فأمنت ، فلما استيقظ عمر (رض) ذهب السبع ونزل المتنصر وترامى على عمر (رض) فقبل يديه ، وقال بأبي أنت وأمي أفدى من الكائنات مسن على يديه ،

(قال الواقدي) ثم ان عمر (رض) كتب كتابا لابي عبيدة بن الجراح يقول فيه : قد وليتك على الشام وجعلتك أميرا على المسلمين وعزلت خالد بن الوليد والسلام • ثم سلم الكتاب الى عبد الله بن قرط وأقام قلقا على ما يرد عليه من أمور المسلمين وصرف همته الى الشام •

تولية ابي عبيدة

(قال الواقدي) حدثني رافع بن عميرة الطائي • قال حدثني يونس بن عبد الاعلى ، وقد قرأت عليه بجامع الكوفة • قال حدثني عبد الله بن سالم الثقفي عن أشياخه الثقات • قال لما كانت الليلة التي مات فيها ابو بكر الصديق (رض) رؤيا قصه الرحمن بن عوف الزهري (رض) رؤيا قصه العلم

عمر (رض)، وكانت تلك الليلة بعينها • قال رأيت دمشق والمسلمون حولها وكأنى أسمع تكبيرهم في أذني وعند تكبيرهم وزحفهم رأيت حصنا قد ساخ في الارض حنى لم أر منه شيئا ورأيت خالدا ، وقد دخلها بالسيف وكأن نارا أمامه وكأنه وقع على النار فانطفأت ، فقال الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنهم اجمعين : أبشر فقد فتح الشام هذه الليلة أو قال يومك هذا ان شاء الله تعالى ،فبعد أيام قدم عقبة ابن عـــامر الجهني صاحب رسول الله (ص) ومعه كتاب الفتح، فلما رآه قال يا ابن عامر كم عهدك ؟ قال قلت يوم الجمعة • قال ما معك من الخبر ؟ فقلت خير وبسارة واني سأذكرها بين يدي الصديق (رض) • فقال فبض والله حميدا وصار الى رب كريم ، وقلا.ها عمر الضعيف في جسمه فان عدل فيها نجا وان ترك أو خلط هلك • تـــال عقبة بن عامر فبكيت وترحمت على أبي بكر الصديق (رض) ، وأخرجت الكتاب فدفعته اليه ، فلما قرأه نظر فيه وكتم الامر الى وقت صلاة الجمعة • فلما خطب وصلى ورقى المنبر واجنمع المسلمون اليه وقرأ عليهم كتاب الفتح فضبج المسلمون بالتهليل والكبير وفرحوا ، ثم نزل عـن المنبر وكتب الى أبي عبيدة (رض) بتوليته وعزل خالد ، ثم سلمني الكتاب وأمرني بالرجوع ، قال فرجعت الى دمنيق فوجدت خالدا قد سار خلف، توما وهربيس فدفعت الكتاب الى ابى عبيدة فقرأه سرا ولم يخبر احدا بموت ابي بكر الصديق (ض) ثم كتم أمره وكتم عزل خالد وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية فكتب الكتاب بفتح دمشق ونصرهم على عدوهم وبما ملكوا من مرج الديباج واطلاق بنت الملك هرقل وسلم الكتاب الى عبد الله بن قرط ، فلما ورد به الى عمر بن الخطاب (رض) ، وقرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد الي أبي بكر الصديق (رض) انكر الامر ورجعت حمرته الى البياض ، وقال : با بن قرط أما علم الناس بموت أبي بكر (رض) وتوليتي أبا عبيدة بن الجراح ؟ قال عبد الله بن قرط • قلت لا ، فغضب وجمع الناس اليه وقام على المنبر • ثم قال يا معاشر الناس اني أمرت أبا عبيدة الرجل الامين ، وقد رأيته لذلك أهلا ، وقد عزلت خالدًا عن أمارنه ، فقال رجل من بني مخزوم : أتعزل رجلًا قد أشهر الله بيده سيفا قاطعا ونصربه دينه ، وان الله لا يعذرك في ذلك ولا المسلمين ان انت أغمدت سيفا وعزلت أميرا أمره الله لقـــد قطعت الرحم ، نم سكت الرجل ، فنظر عمر (رض) الى الرجل المخزومي فرآه غلاما حدث السن · فقال شاب حدث السن غضب لابن عمه ثم نزل على المنبر وأخذ الدُتاب وجعـــله تحت رأسه وجعل يؤامر نفسه في عزل خالد ، فلما كان من الغد سلمي صلاة

الفجر وفام فرقى المنبر خطيبا فحمد الله وأتنى عليه وذكر الرسول (ص) فصلى عليه وترحم على أبي بكر الصديق (رض) ، ثم قال: ايها الناس اني حملت امانة عظيمة واني راع وكل راع مسؤول عن رعيته ، وقد جئت لاصلاحكم والنظر في معايشكم وما يقربكم الى ربكم أنتم ومن حضر في هذا البلد فاني سمعت رسول الله (ص) يقول « من صبر على أذاها وشرها كنت له شفيعا يوم القيامة » وبلادكم بلاد لا زرع فيها ولا ضرع ولا ماء أوقر به الابل لآمن مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة وانى أريدها للخاصة والعامة لأؤدي الامانة والتوقير للمسلمين ٠٠٠ وما كرهت ولاية خالد على المسلمين الا لان خالدا فيه تبذير المال يعطي الشاعر اذا مدحه ويعطي للمجد والفارس بين يديه فوق ما يستحقه من حقه ولا يبقى لففراء المسلمين ولا لضعفائهم شيئا، واني أريد عزله وولاية أبي عبيدة مكانه والله يعلم أني ما وليته الا أمينا فلا يقصول قائلكم : عزل الرجل الشديد وولى الامين اللين للمسلمين فسان الله معه يسدده ويعينه ، تم نزل عن المنبر وأخذ جلد أدم منشور وكتب الى أبي عبيدة كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو ، وأصلى على نبيه محمد (ص) وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحى فان الله لا يستحى من الحق ، واني أوصيك بتفوى الله الذي يبقى ويفني ما سواه استعملتك على جند ما هنالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل اني أرجو لكم النصر فان النصر انما يكون مع اليقين والنقة بالله ، وآياك والتغرير بالقاء المسلمين الى الهلكة ، وغض عن الدنيا عينيك واله عنها قلبك ، واياك ان تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانمابينك وبين الآخرة ستر الخمار وقد تقدم فيها سلفك وأنت كأنك منتظر سفرا ورحيلا من دار قد مضت نضرتها وهبت زهرتها فأحزم الناس فيها الراحل منها الي غيرها ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت ، وما الحنطة والشعير الذي وجدت بدمشق وكترت في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين ، وأمــا الذهب والفضة ففيهما الخمس والسهام، وأما اختصامك انت وخالد في الصلح او القتال فأنت الولى وصاحب الامر وان صلحك جرى على الحقيقة أنها للروم فسلم اليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين ،

واما هديتك ابنة المنك هرفل فهديتها الى ابيها بعد أسرها تفريط ،وقد كان يأخذ في فديتها مالا كبيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وطوى الكتاب وختمه بخاتمة ، ثم دعا بعامر بن أبي وقاص أخي سعد ودفع الكتاب اليه ، وقال له انطلق الى دمشق وسلم كتابي هذا الى أبي عبيدة وامره أن يجم الناس اليه واقرأه انت علمي انناس يا عامر واخبره بموت أبي بكر الصديق (رض) ثم دعا عمر (رض) شداد بن أوس فصافحه ، وقال له أمض انت وعامر الى الشام فاذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس يبايعونك لتكون بيعتى .

(قال الواقدي) فانطلقا يجهدان في السير الى ان وصلا الى دمشق والناس مقيمون بها ينتظرون ما يأتيهم من خبر أبي بكر الصديق (رض) وما يأمرهم به فأشرف صاحبا عمر (رض) على المسلمين ، وقد طالت اعناقهم اليهما وفرحوا بقدمومها فاقبلا حتى نزلا في خيمة خالد (رض) وقال له عامر بن ابي وقاص تركته يعني عمر بخيه ومعي كتاب وانه أمرني أن اقرأه على الناس بالاجتماع فاستنكر خاله ذلك واستراب الامهورة وجمع المسلمية اليه فقام عامر أبي وقاص فقرأ الكتاب فلما انتهى الى وفاة أبي بكهر الصديق (رض) ارتفع للناس ضجة عظيمة بالبكاء والنحيب وبكى خالد (رض) ، وقال ان كان أبو بكر قد قبض وقد استخلف عمر فالسمع والطاعة لعمر وما أمر به وقرا عامر الكتاب الى وكانت المبايعة بدمشق لشيام فيه من أمر المبايعة لشداد بن أوس بايعوه ، وكانت المبايعة بدمشق لشهر شعبان سنة ثلاث عشر حن الهجرة ،

(قال الواقدي) رحمه الله تعالى : قد بلغني أنه كان على العدو بعد عزله اشد فظاعة وأصعب جهادا لا سيما في حصن أبي القدس • ذكر حديث وقعة أبي القدس

(قال الواقدي) رحمه الله تعالى: سألت من حدث بهذا الحديث عن حصن أبي القدس قال ما بين عرقا وطرابلس مرج يقال له مرج السلسلة وكان بازائه دير وفيه صوامع وفيه صومعة راهب عالم بدين النصرانية وقد قرأ الكتب السالفة وأخبار الامم الماضية المتقدمة وكانت تفصده السروم وتقتبس من علمه وله من العمر ما ينوف عن مائة سنة ، وكان في كال سنة يقوم عند ديره عيد آخر صيام الروم وهو عيد الشعانين فتجتمع السروم والنصارى وغيرهم من جميع النواحي والسواحل ومن قبط مصر ويحدقون به فيطلع عليهم من ذروة له فيعلمهم ويوصيهم بوصايا الانجيل ، وكان يقوم في ذلك العيد سوق عظيم من السنة الى السنة ، وكان يحمل له الامتعة والذهب

والفضية ويسعون ويشيترون ثلاثة آيام ، وما كان المسلمون يعلمون بذلك ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل نصراني من المعاهدين وقد اصطفاه وأمنه وأهله ، فلما ولى أبو عبيدة أمر المسلمين أراد ذلك المساهد أن يتقرب الى أبي عبيدة (رض) فعسى أن يكون فتح الدير والسوق على يديه فأقبل اليه وأبو عبيدة فد أطال الفكر فيما يصنع واي بلد من بلاد الروم يقصد ، فمرة يقول أسير الى بيت المقدس بالجيش فانها أشرف بلدهم وكرسى مملكة الروم بها قيام دينهم ، ووقتا يقول اسير الى انطاكية وأقصد هرقل وأفرغ منه ، وبينما هو يفكر في أمره وقد جمع المسلمين اذ أقبل ذلك المعاهد وكان مـــن نصاري الشام • فقال : أيها الامير انك قد احسنت الى وأمنتني ووهبتني أهـــلي ومالي وولدي وقد اتيتك ببشارة وغنيمة تغنمها المسلمون ساقها الله اليهم، فأن أظفرهم الله بها استغنوه غنى لا فقر بعده • فقال أبو عبيدة أخبرنا ما هذه الغنيمة وأين تكون ؟ فما علمتك الا ناصحا • فقال أيها الامير انها بازائك على دير الساحل وهو حصن يعرف بأبي القدس وبازائه دير فيه راهب تعظمه النصرانية وينبركون بدعائه ويقتبسون من علمه وله في كل سنة عيد يجتمعون اليه من كل النواحيوالقرى والامصار والضياعوالاديرة ويقوم عنده سوق عظيم يظهرون فيه فاخر ثيابهم من الديباج والذهب والفضة يقيمون عنده ثلاثة ايام او سبعة وقد قرب وقت قيام السوق فتأخذون جميع ما فيله وتقتلون الرجال وتسبون النساء والذراري ، وهذه غنيمة يفرح بهـــا المسلمون ويوهن لها عدوكم ٠

(قال الواقدي فلما سمع ابو عبيدة ما قاله المعاهد فرح رجاء ان يكون ما قاله المعاهد غنيمة للمسلمين • فقال للمعاهد كم بيننا وبين هذا الدير ؟ قال عشرة فراسخ للمجد السائر • قال أبو عبيدة وكم بقي الى قيام السوق قال أيام قلائل قال أبو عبيدة فهل يكون لهم حامية يلي أمرهم ويصد عنه قال المعاهد لسنا نعرف ما ذكرت في بلاد الملك لانه لا يصيب بعضنا بعضا لهيبة هرقل في قلوبهم ، فلما سمع ابو عبيدة قال هل بالقرب منه شيء من مدائن الشام ؟ قال نعم بالقرب من السوق مدينة تسمى طرابلس وهي مينا الشام اليها تقدم المراكب من كل مكان وفيها بطريق عظيم كثير التجبر وقد أقطعه الملك إياها من تجبره وهو يحضر السوق وما كنت أعهد أن لهذا السوق حامية من الروم الا أن يكون الآن لخوفهم منكم ولو سار الى السدير والسوق أدنى المسلمين لرجوت لهم الفتح أن شاء الله تعالى •

فقال ابو عبيدة : أيها الناس أيكم يهب نفسه لله تعالى وينطلق مع جيش

ابعثه فتحا للمسلمين فسكت الناس ولم يتكلم أحد ، فنادى أبو عبيدة ثانيــة وانما يريد خالدا بقوله واستحى أن يواجهه في ذلك لاجل عزله ، فقام مــن وسبط الناس غلام شاب نبت شعر عارضيه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب عبد الله بن جعفر (رض) ، وكانت أمه أسماء بنت عميس الختعمية وكان أبوه جعفر (رض) قد مات في غزوة تبوك وخلف ولده عبد الله صغيرا فتزوجها أبو بكر الصديق (رض) ، فلما كبر وترعرع كان يقول لامه يا أماه : ما فعل أبي ؟ فتقول يا ولدي قتله الروم وكان يقول لئن عشت لآخذن بثاره ، فلما مات أبو بكر و تولى عمر (رض) جاء عبد الله الى الشام في بعث بعثه عمـــر مع عبد الله بنانيس الجهني وكان فيه مشابهة مسن رسول الله (ص) في خلقه وخلقه وهو احد الاصحاب الاسخياء ، فلما قال ابو عبيدة (رض) : إيها الناس من ينطلق الى هذا الدير وثب عبد الله بن جعفر الطيار (رض) • فقال أنا أول من يسير مع هذا البعث يا أمين الامة ففرح أبو عبيدة وجعل يندب له رجالًا من المسلمين وفرسان الموحدين وقسال له : أنت الإمير يا ابن عم رسول الله (ص) وعقد له راية سوداء وسلمها اليه ، وكان عسلى الخيل خمسمائة . فارس منهم رجال من أهل بدر، وكان من جملة من سنيره مع عبد الله ابو ذر الغفاري وعبد الله بن أبي اوفي وعامر بن ربيعة وعبد الله بن أنيس وعبد الله ابن ثعلبة وعقبة بن عبد الله السلمي ووائسلة بن الاسقع وسهل بن سعد وعبد الله بن بشر والسائب بن يزيد ومثل هؤلاء السادات (رض) اجمعين •

(قال الواقدي) ولما ان اجتمعت الخمسمائة فارس تحت راية عبد الله بن جعفر وما منهم الا من شهد الوقائع وخاض المعامع لا يولون الادبار ولا يركنون الى الفرار عولوا على المسير • وقال أبو عبيدة لعبد الله بن جعفر: يا ابن عم رسول الله (ص) لا تقدم على القوم الا في أول قيسسام السوق ، ثم انسه ودعهم وساروا •

(قال الواقدي) وكان في هذه السرية مع عبد الله بن جعفر وائلة بن الاسقع وكان خروجهم ملى أرض الشام وهي دمشق الى دير ابي القدس في ليلة النصف من شعبان وكان القمر زائد النور • قال وأنا الى جانب عبد الله ابن جعفر • فقال لي يا ابن الاسقع ما احسن قمر هذه الليلة وأنوره فقلت يا ابن عم رسول الله (ص) هذه ليلة النصف من شعبان وهي ليسلة مباركة عظيمة ، وفي هذه تكتب الارزاق والآجال وتغفر فيها الذنوب والسيئات وكنت أدرت أن أقومها • فقلت ان سيرنا في سبيل الله خير من قيامها والله جزيل العطاء • فقال صدقت ثم اننا سرنا ليلتنا ، فبينما نحن سائرون اذ أشرفنا

علم صومعة راهب وعليه برنس اسود ، فجعل يتأملنا وينظر في وجوهنـــــا فتفقدنا واحدا بعد واحد ، ثم جعل يطيل النظر في وجه عبد الله ، ثم قال اهذا الفتى ابن نبيكم ؟ فقلنا لا قال ان نور النبوة يلوح بين عينيه فهل يلحق به ٠ فقلنا هو ابن عمه • فقال الراهب هو من الورقة والورقة من الشجرة • فقــال عبد الله : ايها الراهب وهل تعرف رسول الله (ص) ؟ • فقال وكيف لا أعرفه واسمه وصفته فيالتوراة والانجيل والزبور ، وانـــه صاحب الجمل الاحمر والسيف المشهر • فقال عبد الله فلم لا تؤمن به وتصدقه ؟ فرفــــع يده التي السماء وقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء فاعجبنا كلامه وسرنا والدليسل بين ايدينا اذ أتى بنا الى واد كثير الشجر والماء أمرنا ان نكمن فيه ، ثم قسال لعبد الله بن جعفر اني ذاهب أجس لكم الخبر • فقال له عبد الله : أسرع في مسيرك وعد الينا بالخبر • قال فانطلق مسرعا وأقام عبد الله بن جعفر يحرس المسلمين بنفسه الى الصباح • قال فلما اصبحنا صلينا صلاة الصبح وجلسنا ننتظر رجوع الرسول فلم يأت وأبطأ خبره علينها فقلق المسلمون عليه لاحتباسه وخافوا من المكيدة ووسوس لهم الشبيطان وساءت بالدليل الظنون فما من المسلمين الا من ظن بالمعاهد شرا الا أبا ذر الغفاري (رض) فانه قـال : ظنوا بصاحبكم خيرا ولا تخافوا منه كيدا ولا مكرا ان له شأنا تعلمونه • قال فسكت الناس بعد ذلك واذا بصاحبهم قد اقبل • قال وائلة بن الاسقع فلما رأيناه فرحنا به وظننا أنه يأمر بالنهوض الى العدو فاقبل حتى وقف وسط المسلمين • وقال : يا أصحاب محمد وحق المسيح ابن مريم أني لا أكذبكم فيما احدثكم به واني رجوت لكم الغنيمة وقد حال بينكم وبينها ماء ٠

فقال له عبد الله (رض): وكيف حيل بينا وبينها ؟ قال حال بينكسم وبينها بحر عجاج، وذلك اني اشرفت على السوق وقد قام فيه البيع والشراء، فاجتمع فيه اهل دين النصرانية وقد دار أكثرهم بالدير دير أبي القدس واجتمع اليه القسسوالرهبان والملوك والبطارقة، فلما نظرت الى ذلك لم ارجع حتى اختبرت ما السبب الذي تجمعت له الخلق زيادة على كل سنة، وذلك انسي مضيت واختلطت بالقوم واذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملكا من ملوك الروم، وقد أتوا بالجارية الى الدير ليأخذوا لها من راهبهم قربانا وقد دار بها فرسان الروم المنتصرة في عددهم وعديدهم، كل ذلك خوفا منكم لانهم يعلمون وسان الروم المنتصرة في عددهم وعديدهم، كل ذلك خوفا منكم لانهم يعلمون انكم بأرض الشام: يا معاشر المسلمين وما ارى لكم صوابا ان تصلوا الى القوم لانهم خلق كثير وجمع غزير و فقال عبد الله بن جعفر (رض) في

كم يكون القوم وكم خررتهم ؟ فقال اما السوق ففيه اكثر من عشرين الفا من عوام الروم والارمن والنصارى والقبط واليهود من مصر والشام وأهال السيواد والبطارقة والمنتصرة ، وأما المستعدون للحرب فخمسة الاف فارس فما لكم بالقوة طاقة ، وان وقع طائح في بلادهم انضاف اليهم امثالهم فان بلادهم متصلة بهم ، وأما أنتم فعددكم يسير ، والعرب منكم بعيد .

(قال الواقدي) فصعب ذلك على عبد الله بن جعفر وعلى المسلمين المسلمين ، ما الذي تقولون في هذا الامر ؟ فقالوا نرى أن لا نلقي بأيدينا الـ التهلكة كما امر ربنا في كتابه العزيز ، ونرجع الى الامير ابي عبيدة (رض) والله لا يضيع أجرنا ٠ قال فلما سمع عبدالله قولهم قال أما أنـا فأخاف ان فعلت ذلك أن يكتبني الله من الفارين وما ارجع أو أبدى عذرا عند الله تعالى ، فمن ساعدني ففد وقع اجره على الله ، ومن رجع فلا عتب عليه ، فلما سمعوا ذلك من عبدالله بن جعفر اميرهم وبذل مهجته استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا افعل ما تريد فما ينفع حذر من قدر ففرح باجابتهم ، نم عمد الى درعه فأفرغه عليه ووضع على رأسه بيضة وشد وسطه بمنطقة وتقلد بسيف أبيه واستوى على متن جواده واخذ الراية بيده وامر الناس بأخذ الاهبة فلبسسوا دروعهم واشتملوا بسلاحهم وركبوا خيولهم وقالوا للدليل سربنا نحو القوم فستعاين من اصحاب رسول الله (ص) عجباً • قال وائلة بن الاسقع فرأيت الدليل قد اصفر وجهه وتغير لونه وقالوا سيروا انتم برأيكم وما علي مـن امركم وخرج قال أبو ذر الغفاري فرأيت عبدالله بن جعفر يتلطف به حتى سار بين يديه يدله على القوم ساعة ، ثم وقف وقال أمسكوا عليكم فانكم قد قربتم من القوم فكونوا في مواضعكم كالمنين الى وقت السحر ثم أغيروا على القوم • قال وائلة بن الاسقع فبتنا ليلتنا حيث امرنا ونحن نطلب النصر من الله تعالى على الاعداء ، فلما أصبح النهار صلي بهم عبدالله بن جعفر صلاة الصبح ، فلما فرغوا من صلاتهم قال ما ترون في الغارة ؟

فقال عامر بن عميرة بن ربيعة أدلكم على أمر تصنعونه قالوا قل • قسال اتركوا القوم في بيعهم وشرائهم واظهار امتعتهم ، ثم اكبسوا عليهم على حين غفلة وغرة من امرهم ، فصوب الناس رأيه وصبروا الى وقت قيام السوق ، ثم اظهروا السيوف من أغمادها وأوتروا القسى وشرعوا لاماتهم ، وعبدالله بن جعفر امامهم الراية بيده ، فلما طلعت الشمس عمد عبدالله الى المسلميسن

فجعلهم خمسة كراديس كل كردوس مائة فارس وجعل على كل مائة نقيبا وقال تأخذ كل مائة منكم قطرا من أقطار سيوقهم ولا تشتغلوا بنهب ولا غـــارة ، ولكن ضعوا السيوف في المفارق والعواتق ، وتقدم عبدالله بن جعفر بالراية وطلع على القوم فنظر التي الروم متفرقين في الارض كالنمل لكئرتهم وقسد وهو يعظ الناس ويوصيهم ويعلمهم معالم ملتهم وهم اليه شخوص بابصارهم وابنة البطريق عنده في الدير والبطارقة وابناؤهم عليهم الديباج المتقسسل بالذهب ، ومن فوقهم دروع وجواشن تلمع وبيض وهم ينظرون صيحة بيــن ايديهماو طارقا يطرقهم من خلفهم ، ونظر عبد الله الى الدير والى ما أحدق به، والى الراهب وما حول صومعته فهاله ذلك من امرهم وصاح فيهم قبل الحملة. وقال يا صاحب رسول الله (ص) احملوا بارك الله فيكم ، فان كانت غنيمة وسرور فالفتح والسلامة ويكون الاجتماع تحت صومعة الراهب ، وان كــان غير ذلك فهو وعدنا الجنة ونلتقي عند حوض رسول الله (ص) مع الصحابة ٠ قال وطلب عبدالله الجم العظيم فغاص فيهم وجعل يضرب بسيفه ويطعن برمحه ويحمل المسلمون من ورائه , وسمع الروم اصوات المسلمين مرتفعة بالتهليل والتكبير فتيقنوا ان جيوش المسلمين قد ادركتهم وكانوا لذلك منتظرين وعلى يقظة من امرهم ، فأما السوقة فانهم تبادروا الى اسلحتهم والمتع عن انفسهم وأموالهم وأخرجوا السيوف من الاغمدة وانعطفوا على قتال المسلمين عطفية الاسد الضاري ، وطلبوا صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرهــــا فأحدقوا بالراية من كل جانب ومكان وقامت الحرب على ساق وثار الغبار وانعقد وأحدق الروم بالمسلمين ، فما كان المسلمون فيهم الاكشامة بيصــاء في جلد بعير انسود ، وما كان اصحاب رسول الله)ص(يعرف بعضهم بعضا الاً بالتهليل والتكبير , وكل واحد مشنغل بنفسه عن غيره ، وقال ابو سبسرة ابراهيم بن عبد العزبز بن ابي قيس ، وكان من السابقين والمتقدمين بايمانهم في الاسلام وصاحب الهجرتين جميعا قال : شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن ابي طالب (ر ض) وشهدت المساهد مع رسول الله (ص) في بدر وفي احد وفي حنين ، وقلت اني لا اشهد ملها ، فلما قبض الله (ص) حزنت عليه ولم استطع ان اقيم بالمدينة بعد فقده فقدمت مكة فأقمت بها فعوتبت في منامي من التّخلف عن الجهاد ، فخرجت الى الشام وشهدت اجناديــــن والشام وسرية خالد خلف توما وهربيس وشهدت سرية عبدالله بن جعفر وكنـــت معه على دير ابي انقدس فانستني وقعتها ما شهدت قبلها من الوقائع بين يدى رسول الله (ص) ، وذلك اني نظرت الى الروم حين حملنا عليهم في كثرتهم وعددهم وقلنا ماثم غيرهم وليس لهم كمين عظيم • قال فرأينا اجسادهم هائلة وعليهم الدروع وما يبين منهم الاحماليق الحدق لهم طقطقة وزمجمرة عندما يحملون حتى نظرت الى المسلمين قد غابوا في اوساطهم ولا اسمع منهم الا الاصوات تارة يجهرون بها وتارة اقول هلكوا •

ثم انظر الى الراية بيد عبدالله بن جعفر (رض)مرفوعة بذلك ، وعبدالله يقائل بالراية ويكر على المشركين ولا يتنى ٠٠٠ ويجاهد على صغر سنة ولـم تزل الحرب بيننا كلما طال مكنها اشتد ضرامها وعلا قتامها والتهب نارها ، وصار عبدالله في وسط القوم وهم حوله كالحلقة الدائرة والروم يحدقسون به فجعل كلّما حمل يمينا حملت يمينا وان حمل شمالا حملت شمالا ولم نزل في الحرب والفتال حتى كلت منا السواعد وخدرت منا المناكب • قال وعظم الامر علينا وهالنا الصبر وتتلم سيف عبدالله في يده وكادت نقع فرسه من تحته فالتجأ بأصحابه في موضع ، فاجتمع اصحابه اليه فنظر المسلمون السي رايته فقصدوها ، وما منهم الا مكلوم من المسركين فضاق لذلك ذرعه وما نزل في نفسه متل ما نزل بالمسلمين فألجأ الى الله تعالى أمره وفوض الى صاحب السماء شأنه ورفع يده الى السماء وقال في دعائه يا من خلق خلقه وابلسيي بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسألك بجاه محمد النبي (ص) الا مـــا جعلت لنا من امرنا فرجا ومخرجا ، ثم عاد الى القتال واصحاب رسول الله (ص) یقاتلون معه تحت رایته ، فلله در ابی ذر الغفاری(ر ض) فانه نصر ابن عم رسول الله (ص) وجاهد بين يديه • قال عمرو بن ساعدة فلفد رايته مع كبر سنه يضرب بسيفه ضربا شديدا في الروم وينتمي التي قومه ويذكر عنه حملانه اسمه ويقول انا أبو ذر ، والمسلمون يفعلون كفعلة الى ان بلغت القانوب الحناجر وظنوا ان في ذلك الموضع قبورهم ٠

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبدالله بن انيس الجهنسي وقال كنت احب جعفرا واحب من اولاده عبدالله ، فلما قبض ابو بكر (رض) وكان قائما مقام ابيه نظرت الى أمه أسماء بنت عميس حزينة فكرهت ان انظر اليها في ذلك الحزن ، وايضا ان ابا بكر (رض) في المسير السي الشام فاستأذن عبدالله بن جعفر عمر سن الخطاب (رض) في المسير السي الشام وقال لي : يا ابن انيس الجهني اشتهي ان ألحق بالشام ومعنا عشرون فارسبا أكون مجاهدا أفتصحبني ؟ فقلت نعم فودع عمه عليا (رض) وودع عمر (رض)

وسار يريد الشام ومعنا عشرون فارسا حتى اتينا تبوك • فقال يا ابــــن انيس اتدري موضع قبر ابي ؟ فقلت نعم فقال المتهى ان ارى الموضع • قال فما اتينا الموضع فاريته موضع مصرع.أبيه وموضع الوقعة وقبر ابيه جعفـــر رحمه الله تعالى وعليه حجارة ، فلما نظر اليه نزل ونزلنا معه وبكي وترحم فأقمنا عنده الى صبيحة اليوم الناني ، فلما رحلنا رايت عبد الله يبكي ووجهه منل الزعفران فسألته عن ذلك • فقال رأيت ابي البارحة في النوم وعليه حلتان خضراوتان وتاج وله جناحان وبيده سيف مسلول اخضر فسلمه السي وقال یا بنی قاتل به آعداءك فما وصلت الی ما تری الا بالجهاد ، وكأني اقاتل بالسيف حتى تثلم • قال عبدالله بن انيس وسرنا حتى اتينا عسكر ابي عبيدة (رض) بدمشق ، فبعثه امير نلك السرية إلى دير ابى القدس ، قال عبدالله بن انيس فلما رأيت بينه وبين الروم ، قلت يوشك ان يذهب عبدالله فسرت كالبرق ورجعت الى ابي عبيدة (رض) ، فلما راني قال أبشارة يا ابن انيس ام لا ؟ فقلت انفذ المسلمين الى نصرة عبدالله بن جعفر ومن معه ، نم حدثت ه بالقصة فقـــال ابو عبيـــدة (رض) _ انا لله وانا الله راجعون ايصاب عبدالله بن جعفس ومن معسه تحت رايتك يسما ابا عبيدة وهي اول امارتك ٠

(قال الواقدي) ثم التفت خالد بن الوليد (رض) و فقال له يا ابسا سليمان سألتك بالله و الحق عبد الله بن جعفر فأنت المعد لها و فقال خالد انا لها ان شاء الله وما كنت انتظر الا ان تأمرني فقال ابو عبيدة (رض) استحيت منك يا ابا سليمان فقال والله لو امر علي طفل صغير لاطيعن له و فكيف اخالفك وانت اقدم مني ايمانا واسبق اسلاما سبقت باسلامك مسع السابقين وسارعت بايمانك مع المسارعين وسماك رسول الله بالامين ، فكيف الحقك او انال درجتك ، والان اشهدك اني قد جعلت نفسي حبيسا في سبيل الله تعالى لا أخالفك ابدا ، ولا وليت امارة بعدها ابدا و

قال (قال الواقدي) فاستحسن المسلمون قوله ، فقال ابو عبيدة (رض) يا ابا سليمان الحق اخوانك رحمك الله • قال فوثب خالد (رض) كانه الاسد وسار الى رحلة فأفرغ عليه درع مسيلمة الكذاب الذي سلبه منه يوم اليمامة والقى بيضة على رأسه واردفها قلنسوة وتقلد بحسامه وانصب في سرجه كأنه السيل ونادى بجيش الزحف هلموا الى جزب السيوف فأجابوه مسرعين كأنه السيل ونادى بجيش الزحف هلموا الى جزب السيوف فأجابوه مسرعين كأنهم العقبان وبادروا الى طاعة الرحمن واخذ خالد الراية بيده وهزهما على ركابه ودار به عسكر الزحف من كل جانب وودع المسلمون بعضهم بعضة وساروا وسار خالد وعبدالله بن انيس يدلهم على الطريق • قال رافع بن عميرة

الطائي: كنت يومئذ من اصحاب خالد بن الوليد (رض) ولم يزل مجدا فسي السير والله عز وجل يطوي لنا البعيد ، فلما كان عند غروب الشمس اشرفنا على القوم والروم كالجراد المنتشر قد غرق المسلمون في كترتهم ، فقال خالد يا ابن انيس في اي جانب اطلب ابن عم رسول الله (ص) فقلت له انه واعد اصحابه ان يلتقوا عند دير الراهب او موعدهم الجنة ،

(قال الواقدي)فنظر خالد نحو الدير فشاهد الراية الاسلامية ، وهي ببد عبدالله بن جعفر ، وما من المسلمين الا من اصيب بجرح ، وقد ايسو من الحياة الفانية وطعموا في الحياة السرمدية ، والروم تناوشهم بالحرب وتكشر الطعن والضرب وعبدالله بن جعفر يقول لاصحابه دونكم والمشركين واصبروا لقتال المارقين واعلموا انه قد تجلى عليكم ارحم الراحمين ، نم قرأ الاية فوله تعالى ـ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين _ فلما نظر خالد (ر ض) الى صبرهم وتجلدهم على القتال اعدائهم لم يطق الصبر دون ان حمل عليهم وهز رايته ، وقال لاصحابه دونكم القوم القباح فأرووا من دمانهم السلاح ، وابشروا بالنجاح يا اهل حي على الفلاح .

(قال الواقدي) رحمه الله تعالى: فبينما اصحاب عبد الله بن جعفر في اشد ما يكونون فيه اذ خرجت عليهم خيل المسلمين وكتائب الموحديــن كأنهم الطيور وعليها الرجال كأنهم العقبان الكاسرة والليوث الضارية وهمم غائصون في الحديد ، وقد ارتفع لهم الضجيج ، وبخيلهم العجيج فلما نظـــر عبدالله واصحابه الى ذلك ظنوا انها نجدةالاعداء فأيقنوا بالهلاك والفناء وجعلوا ينظرون الى الخيل التي رأوها هي قاصدة اليهم ففزعوا وظنوا ان كمينا من وقد لحق بالمشركين الدمار واتاهم حرب مثل النار،والسيوف تلمع ،والرؤوس من الرجال تقطع ، والارض قد امتلات قتلي وهم في ايدي المشركين كالاسري والقوم في اشد القتال والسيف يعمل في الرجال اذ نادي فيهم مناد وهتـف بهم هاتف خذل الامن ونصر الخائف يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتهم على عبدة الصلبان ، وقد بلغت القلوب الحناجر ، وعملت المرهفات البواتر ، واذا بفارس على المقدمة كأنه الاسد الزائر او الليث الهادر ويده تشرق بالأنوار كاشراف القمر فنادى الفارس باعلى صوته ابشروا يا معاشر حملة القرآن بالنصر المشيد أنا خالد بن الوليد فلما نظر المسلمون الربايــة وسيمعوا صوت خالد (ر ض) كانهم كانوا في لجه واخرجهم فاجابوه بالتهليل والتكبير ، وكانت اصواتهم كالرعد القاصف والرياح العواصف ، ثم حمـــل خالد بن الوليد (رض) بجيش الزحف الذي لا يفارقه ووضع السيف فـــى الروم · وال عامر بن سراقة فما شبهت حملته الاحملة الاسعد في الغنم ففرقهم يمينا وشمالا · قال فنبت المسلمون ،وكل علج من الروم شهديد يمانع عن نفسه وخالد يطلب ان يصل الى عبدالله بن جعفر ·

ولما نظر المسلمون الى الخيل المقبلة عليها ولم يعلموا ما هي حتى سمعوا صوت خالد بن الوليد (رض) ، فقال : يا ايها الناس دونكم الاعداء ، فقد جاءكم النصر من رب السماء ، ثم حمل المسلمون معه • قال وائلة بن الاسقع لقد كنا ايسنا من انفسنا وايقنا بالهلاك حتى اتتنا المعونة من الله عز وجل ، فحملنا بحملة اخواننا • قال فما اختلطا لظلام حتى نظرت الى خالد بن الوليد (رض) والراية بيده ، وهو يسوق المشركين بين يديه سوق الغنم ، الى المراعلي والمسلمون يقلون ويأسرون فلنه در ابي ذر الغفاري وضرار بن الازور والمسيب بن نجية الفزاري لقد قرنوا المواكب وهزوا المضارب وقتلوا الروم من كسل جانب والتقى ضرار بعبدالله بن جعفر (رض) فنظر اليه والدم على اكمامدرعه كأكباد الابل فقال: شكر الله تعالى لك يا ابن عمرسول الله (ص) والله انك لقد اخذت بثأر ابيك وشفيت غليلك ، فقال عبد الله بن جعفر (رض) : من الرجل يعرفه عبدالله • فقال انا ضرار بن الازور صاحب رسول الله (ص) ، فقال يعرفه عبدالله • فقال انا ضرار بن الازور صاحب رسول الله (ص) ، فقال مرحبا بطلعتك وبأخ منا عدل لنا وقام لنصرتنا •

معركة ضرار

قال عبدالله بن انيس فبينما هم على ذلك اذ اقبل خالد بن الوليسه (رض) وجيس الزحف و فقال شكر لك الله واحسن جزاءك ، ثم قال عبد الله يا ضرار اعلم ان حامية الروم والبطارفة عند الدير لاجل ابنه صاحب طرابلس وما معها من الاموال ، وقد احاط بها كل فارس من الروم ، فهل لك يا ابن الازور ان تحمل معي ؟ فقال وأين هم ؟ فقال اما تنظر اليهم فمد عينه ، واذا بحامية الروم وبطريق طرابلس وقد احدقوا بالدير يمنعون عن الجاريسة والنيران مشتعلة والصلبان تلمع كضوء النار وكانهم سد من حديد ، فقال ارشدك الله للخيرات فنعم المرشد انت احمل حتى احمل معك بحملتك قال : فحمل عبدالله بن جعفر من جهته وحمل ضرار بن الازور من جهته واتبعتهما الرجال وزعقوا في الروم وحماة المشركين وهم يمانعون عن انفسهم وكسان اشدهم منعة بطريقهم فبرز امام القوم وهو يهدر كالبعير ويزأر زئير الاسديسيع بكلمة الكفر ويحمل حملات الشجعان فقصده ضرار بن الازور وباطشه في الضرب والتقت الاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته وتمكنه فسي

سرجه وشدة ضربه وحسن احترازه فاخذ ضرار منه حذره ، واحترز منسسه البطريق وطلبه اشد الطلب وكل واحد منهما طامع في صاحبه ، فانفرد ضرار ين الازور مع صاحب القوم وكل قرن مع قرنه ، وليس مع ضرار احد المسلمين فأنبسط ضرار بين ايديهم ليمكر بهم وطلبه البطريق واصحابه وقصمحدوه بحملتهم ، فلما نظر ضرار الى ذلك قصد موضعا يصلح لمجال الخيل فاعترضه واحد من ظلمة الليل فكبابه الجواد فسقط الارض هاويا ثم ثار من سقطتـــه يروم اخذ الفرس فلم يجد الى ذلك سبيلا فوقف مكانه وسيفه وجحفت ــــه بيده وجعل يجاهدهم بسيفه وصبر لهم صبر الكرام ولم يأخذه في الله لومة لائم فخفق عليه بطريق الروم واقبل يضرب بعموده ، فلما لازمه ورمى العمود عليه زاغ ضرار عن الضربة ، ثم وثب اليه وثبة الاسد وضربه ضربة ازعجت فرس البطريق من تحته وقام على رجليه وشك بيديه وضربه الثانية فوقعت ضربة ضراد في عين جواده فانتكس الجواد الى الارض ووقع العلج علــــى ظهره ولم يقدر أن يقوم لانه مزرد في سرجه ، فعالجه ضرار قبل وصلحول غلمانه اليه وضربه على حبل عانقه فنبأ سيفه ولم يعمل شيئا فناهضه المعلج وقد ايكن بالهلاك وقبض عليه وكان كالجبل العظيم فرماه ضرار تحتــه وملك صدر واستوى على نحره ، وكان مع ضرار سكين من صنعة اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب صد عدو الله الى سرته فسقط عدو الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار •

ثم وثب ضرار وملك جواد عدو الله واستوى في سرجه ، وكان على البجواد كثيرا من الذهب والفضة والفصوص التي تساوي ثمنا كثيرا ، فلما صار على ظهر الجواد حمل وكبر على المشركين ففرقهم يمينا وشمالا ، وكان ضرار لما انبسط امام القوم ملك عبدالله بن جعفر الدير ومن فيه ومن معه من المسلمين واحدقوا به ولم ياخذوا منه شيئا حتى رجع خالد (رض) من اتباع الروم ، وذلك ان خالدا اتبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس الشام، والروم يعرفون مخاوضه فوقف خالد ورجع الى اصحاب رسول الله (ص) فوجدهم قد ملكوا الدير وقتلوا العلج وانتشرت الناس في جمع الغنائم وما كان في السوق والفراش والقماش والثياب والطعام وغيره قال واثلة بسن الاسقع : فجعلنا نجمعه ونأكل الخيرات واخرجوا ما كان في الدير من انيسة الذهب والفضة والستور والمراتب واخرجوا ابنة البطريق ومعها اربعسون جارية لهن حلي وحلل ، والمال على البراذين والبغال والحنير فانقلب اصحاب رسول الله (ص) بالغنيمة والاموال الجسيمة .

(قال الواقدي) فنسبت تلك السرية لثلاث : عبد الله بن جعفر صاحبها،

وعبدالله بن انيس مدركها ، وخالد بن الوليد منجدها ولقي خالد فيها مشقة وجراحا مؤلمة ، فلما سار واقبل خالد الى الدير فصاح بصاحبه يا راهب فلم يكلمه فهتف به مرة اخرى وهدده فاطلع عليه وقال ما تشاء وحق المسيم ليطالبنك صاحب هذه الخضراء بدماء من قتلت • فقال خالد كيف يطالبنا وقد امرنا ان نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك النواب ، ووالله لولا رسوال الله (ص) نهانا ان نتعوض لكم لاتركتك في صومعتك بل كنت قتلتك اشر قتلة فسكت الراهب عنه ولم يجبه وانقلب خالد والمسلمون بالغنائم التي دمشق وابو عبيدة (رض) فيها فشكر لهم وسلم خالد وعلى عبدالله بن جعفر (رض) ورجع الى مكانه فخمس الغنيمة وقسمها على الناس فدفع لضرار بسن الازور فرس البطريق وسرجه وما عليه من حلى الذهب والفضة والجواهر والفصيوص فأتى به ضرار الى اخته السيدة خولة (رض) قال فرأيتها تنزع فصــوص الجوهر فنفرقها على نساء المسلمين وان الفص منها ليساوي النمن الكثيسس قال وعرض السبي على ابي عبيدة (رض) وفي الجملة ابنة البطريق ، فقال عبد الله ابن جعفر اريدها • قال ابو عبيدة : حتى استأذن امير المؤمنين في ذلك فكتب اليه يعلمه بها وبمسألة عبدالله بن جعفر فكتب عمر بن الخطاب (رض) هي له ، فأخذها عبدالله واقامت زمانا عنده وعلمها الطبخ ، وكانت من قبل تعرف طبخ الفرس والروم واقامت عنده الى ايام يزيد فأخبر بها فاستداها منه فاهداها له ، وكانت عنده ، وقال عامر بن ربيعة : اصابني من غنيمــة سوق الدير اثواب ديباج حرير فيها صور الروم ، وكان في كل ثوب منهــــا صورة حسنة وهي صورة مريم وعيسى عليهما السلام فحملت النياب السيي اليمن فبيعت بثمن كثير وكتب الى عمي وأنا مع ابي عبيدة : يا ابن اخي ابعث لى من هذه الثياب واكثر منها فانها تنفق ٠

(قال الواقدي) فلما رجع جيش المسلمين غانما كتب ابوعبيدة بـــن الجراح (رض) الى عمر بن الخطاب (رض) كتابا يخبره بما فتح الله علـــى يديه وما غنم المسلمون من دير ابي القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثني عليه ويخبره بما قالوما تكلم بهوساله في كتابهان يكتب الى خالديستشيره في المسير الى هرقل او الى بيت المقدس وكتب اليه ايضا ان بعض المسلمين يشربون الخمر ، قال عاصم بن ذؤيب العامري ، وكان ممن شهد قتال الروم بالشــام وفتح دمشق العرب الوافدين من اليمن فأخذوا في الشرب واستطابوا ذلــك فانكر ذلك الامير ابو عبيدة ، فقال رجل من العرب اطنه سراقة ابن عامر يا

معاشر المسلمين خلوا شرب الخمور فانها تزيل العقول وتكسب الاثـــم ، وان رسول الله (ص) لعن شارب الخمر حتى لعن حاملها والمحمولة اليه •

(وحدثني) اسامة بن زيد الليتي عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الغفاري قال: كنت مع ابي عبيدة بالشام فكتب الى عمر بن الخطاب (رض) يخبره بفتح الشام وفي الكتاب: ان المسلمين يشربون الخمر واستقلوا الحد فقدمت المدينة فوجدت عمر (رض) في مسجد رسول الله (ص) جالسا وعنده نفر في الصحابة وهم عنمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف يتحدث و فدفعت الكتاب اليه ، فلما قرأه جعل يفكر في ذلك ثم قال ان رسول الله (ص) جلد من شربها ، ثم سأل عمر عليا (رض) في ذلك وقال ما ترى في هسنا فقال علي (رض) ان السكران اذا سكر هذي ، واذا هذي افترى فكتب اليه عمر ان من شرب الخمر فعليه ثمانون جلدة ولعمري ما يصلح لهم الا الشدة والفقر ، ولقد كان حقهم يراقبوا ربهم عز وجل ويعبدوه ويؤمنوا به ويشكروه فمن عاد فأقم عليه الحد ،

قال الواقدي ق فلما ورد كتاب عمر (رض) وقراه نادى في المسلمين من من كان في نفسه حد فليعط ذلك من نفسه وليتب الى الله عز وجل ففعال ذلك كثير من الناس ممن كان شرب الخمر واعطى الحد من نفسه ، ثم قال ابو عبيدة (رض) اني عزمت على المسير الى انطاكيا وقصد قلب الروم لعل الله يفتح فتحا على ايدينا ، فقال المسلمون : سرحيث شئبت فنحن تبع لك نقاتل اعداءاك فسر بقولهم وقال تأهبوا للرحيل فاني سائر بكم الى حلب فاذا فتحناها توجهنا منها ان شاء الله تعالى الى انطاكيا ، فاسرع المسلمون فسي اصلاح شأنهم واخذوا اهبتهم ، فلما فرغ ابو عبيدة (رض) من جميع شغله امر خالد بن الوليد (رض) ان يأخذ راية العقاب التي عقدها ابو بكر الصديق (رض) وامره ان يسير امام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة ومعه ضرار بن الازور ورافع بن عمرة الطائي والمسيب بسن نجيبة الفزاري والناس يتبع بعضهم بعضا وترك على دمشق صفوان بن عامر السلمسي

ذكسر فتسح حمص

قال الواقدي : وسار ابو عبيدة على طريق البقاع واللبوة ، فلما وصل الى هناك بعث خالد بن الوليد (رض) الى حمص قال : يا ابا سليمان انهض

على بركة الله تعالى وعونه ، ونازل القوم وشن الغارة على ارض العواصـــم وفنسرين وأنا اسير الى بعلبك فلعل الله ان يسهل علينا فتحها ، نم ودعه وسار حالد رر ض) بمن معه الى حمص وتوجه ابو عبيدة (رض) الى بعلبك اذ ورد بطرين جوسية ومعه الهدايا والتحف وصالح المسلمين سنة كاملة وقال : ان فتحتم بعلبك فانا بين ايديكم ولانخالف لكم قولا فصالحهم ابو عبيدة (رض) على اربعة الاف درهم وخمسين ثوبا من الديباج ، فلما انبرم الصلح سار ابو عبيدة (رض) ، يطلب بعلبك فما بعد من اللبوة الا وقد اشرف عليه راكب نجيب فاذا هو اسامة بن زيد الطائي ، فقال يا اسامة من اين اقبلت ؟ فأتاح نجيبه وسلم على ابي عبيدة (رض) وعلى المسلمين وقال انيت من المدينة وسلم اليه كتابا من محمر بن الخطاب (رض) ففضه ابو عبيدة (رض) ، واذا فيه: لا الله الا الله محمد رسول الله ، بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى امين الامة : سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هـو واصلى على نبيه محمد (ص) ، اما بعد فلا مرد لقضاء الله وقدره ، ومن كتب نى النوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له ، وذلك أن جبلة بن الايهم الغسانــــى آن قدم علينا ببني عمه وسراة قومه ، فأنزلتم واجسنت اليهم واسلمـوا على يدي وفرحت بذلك أذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ، ولم أعلم ما كمن في الغيب وانا سرنا الى مكة حرسها الله تعالى وعظمها نطلب الحج ، فطاف جبلة بالبيت اسبوعا فوطىء رجل من فزارة ازاراه فسقط ازاره عسن كتفه فالتفت الى الفزاري ، وقال يا ويلك كشفتني في حرم الله تعالى ، فقــال والله ما تعمدتك فلطم جبلة بن الايهم الفزاري لطمة هشم بها انفه وكسر ثناياه الاربع فأقبل الفزاري الى مستعيا على جبلة ، فأمرت باحضاره وقلت له مــا حملك على ان لطمت الحاك في الاسلام وكسرت ثناياه الاربع وهشمت انفه ؟ فقال جبلة : انه وطيء ازاري برجله فحله ، ووالله لولا حرمة هذا البيست لفتلته ، فقلت له اقررت على نفسك فاما ان يعفو عنك واما ان اخذ له منسك الفصاص ، فقال ايقتص وانا ملك وهو من السوقة ؟ قلت قد شملك واياه الاسبلام فما تفضله الا بالعافية ، فقال اتتركني الى غدا او تقتص منى ؟ فقلت للفزاري انتركه الى غد ؟ قال نعم • فلما كان الليل ركب في بني عمه وتوجه البي الشام الي كلب الطاغية ، وأرجوا ان الله تعالى يظفرك به فانزل علـــــى حمص ولا تنفذ عنها فان صالحك اهلها فصالحهم ، وان ابوا فقاتلهم وابعـــث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المنتصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى حميع المسلمين •

(قال الوافدي) فلما قرأ ابر عبيدة الكتاب في سره جهر به مرة اخرى ثم لوى يطلب حمص ، وكان خالد (رض) سبقه اليها بتلث الجيش فنـــزل عبيها يوم الجمعة من شوال سنة اربع عشرة من الهجرة النبوية ، وكـــان عليها واليا بطريق من فبل هرقل اسمه لقيطا وكان قد مات قبل نزول خالم والمسلمين (ر نس) عنهم اجمعين فاجتمع المشركون في كنيستهم العظمي ، وقال كبيرهم اعلموا ان صاحب الملك قد مات وليس عند الملك خبر من هؤلاء العرب يفتحوا جوسيه وبعلبك وان انتم قاتلتوهم وكاتبتم الملك ان يسير اليكسم واليا وجيشًا ، فإن العرب لا تمكن أحدا من جنود الملك أن يسيراليكم ولا يصل لكم ، وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار ، فقالوا ايها السيد فما الذي ترى ؟ قال تصالحون القوم على ما ارادوا وتقولون نحن لكم وبين ايديكم ان فتحتم حلب وقنسرين وهزمتهم جيش الملك ، فاذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك ان يمدنا بجيش عرمرم ويولي من اراد علينا ويستوثق لنامن الطعام والعدد ، وبعد ذلك نقائلهم فاستصوب القوم رأيه وقالوا دبرنا بحسن رأيك وتدبيرك فبعث البطريق الى ابي عبيدة (رض) جاثليقا كان عندهم معظما ليعقد الصليح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاثليق ووصل الى ابي عبيدة (رض) وتكلم في الصلح معه بما تحدث به البطريق من امر سير المسلمين الى حلمسب القوم وهم اهل حمص على عشرة الاف دينار ومائتي ثوب من الديباج وعقهد الصلح مع القوم سنة كاملة اولها ذو القعدة واخرها شوال سنة اربع عشرة المسلمين فباعوا واشتروا ورأى اهل حمص سماحة العرب من ينهم وشرائهم وربحوا منهم ربحا وافيا •

ذكر حديث سرية خالد بن الوليد (د ض)

(قال الواقدي) ان ابا عبيدة دعا بخالد وضم اليه اربعة الاف فارس من لخم وجدام وطي ونبهان وكهلان وستس وخولان وقال ياابا سليمان شن الغارة بهذه الكتيبة واقصد بها المعرة واقرب من معرة حلب وشن بها الغارة على بلدة العواصم وارجع على اثرك ونفذ عيونك وانظر ان كان للقوم نجدة او ناصحر من قومهم ام لا ؟ فاجابه خالد الى ذلك واخذ الراية و تقدم امام الكتيبة وجعل ينشد ويقول:

اخذتها والملك العظيم وانني بحملها زعيم لانني كبش بني مخزوم وصاحب لاحمد الكريم اسيرمثل الاسد الغشوم ياربفارزقنيقتال الروم

(قال الواقدي) وسار خالد بن الوليد الى شيزر ونزل على النهسس المقلوب، ودعابمصعب بن محارب اليسكري وضم اليه خمسمانة فارس وأمره ان يشن الغارة على العواصم وقنسرين ٠٠ وسار خالد بن الوليد الى كهسر طاب والمراه والى دير سمعان وجعلت خيل المسلمين تغير يمينا وشمالا على القرى والرسانين ويأخذون الغنانم والاسارى فرجعوا الى خالد بن الوليسد بالاسارى فسار بهم الى ابي عبيدة (رض)، فلما نظر الى خالد وما معه من الغنانم والاموال فرح فرحا شديدا واذا خلف خالد سواد عظيم قد ارتفعست اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على المبشير النذير ٠ ففال ابو عبيسدة (رض) ما هؤلاء يا أبا سليمان ؟

فقال خالد: هذا مصعب بن محارب اليسكري وقد عقدت له راية على خمسمانة فارس من قومه ، ومن اهل اليمن وانه اغار بهم على العواصــــم وقنسرين وقد اتى بالغنائم والسبي والاموال ، فالتفت الامير ابو عبيدة فنظر الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين عليها رجال ونساء وصبيان ولهــم دوي عظيم وبكاء شديد فقصدهم ابو عبيدة (رض) واذا برجال مقرونين فـي الحبال وهم يبكون على عيالهم ونهب اموالهم ، وخراب ديارهم ، فقال ابــو عبيدة (رض) لترجمانه : قل لهم ما بالكم تبكون ولم لا تدخلون في دين الاسلام وتطلبون الامان والذمام لتأمنوا على انفسكم واموالكم ؟ فقال لهم الترجمـان ذلك ، فقالوا : ايها الامير نحن كنا بالبعد منكم وكانت اخباركم تأتينا ومـا ظننا انكم نبلغون الينا فما شعرنا حنى اشرف علينا اصحابكم فنهبوا اموالنا وساقونا في الحبال كما نرى ،

(قال الواقدي) وكانت الاعلاج زهاء من اربعمائة علج • فقال لهم الاميس ان مننا عليكم واطلقناكم من اسركم ورددنا عليكم اموالكم واهاليكم فهسل تكونون في طاعتنا وتؤدون الجزية الينا والخراج ؟ فقالوا : اوف لنا بذلك ونحن نفعل جميع ما شرطته علينا ، فعند ذلك اقبل ابو عبيدة (رض) السمالين ، وقال لهم : قد رأيت من الرأي ان اؤمن هؤلاء من القتل وارد عليهم اموالهم وعيالهم فيكونوا عبيدا لنا ويعمروا الارض والبلاد ونأخذ خراجهسم. وجزينهم فما انتم قائلون فما كنت بالذي اقطع امرا الا بمشورتكم ، فقالوا : الرأى في ذلك ايها الامير ان رأيت صلاحا للمسلمين •

(فال الواقدي) ففرص على كل واحد اربعة دنابير وبذلك كتب الى عمر بن الخطاب (رض) ، فعمد ذلك رد عليهم اموالهم واولادهم وافرهم على على بلادهم وكتب اسماءهم وامرهم بالرجوع الى اوطانهم ، فلما استقروا فليم خيامهم اخبروا من كان بالعرب منهم بحسن سيرة العرب وما عاملوهم به من الجميل وقالوا : لقد ظننا الهم يفنلوننا وبستعبدون اولادنا والآن قدرحمونا واقرونا في بلادنا على اداء الجزية والخراج .

(قال الوافدى) فسمعت الروم ذلك فأفبلوا الى ابي عبيدة (رض) في طلب الامان واداء الجزية والحراج ·

ذكر فتح قنسرين

(قال الواقدي) وبلغ الخبر الى اهل قنسرين ان الامير ابا عبيدة يعطي الامان من قصده فأحبوا ان يأخذوا الامان من ابي عبيدة (رض) واجمعوا رأيهم على ذلك وان ينفدوا رسبولا من غير علم بطريقهم •

(قال الوافدي) وكان على قنسرين والعواصم بطريق من بطارفة الملك من اهل الشيدة والياس ، وكان اهل قنسرين يخافون منه ، وكان اسمه لوقا ، وصاحب حلب عسكره مثل عسكره وسطوته منل سطوته ، وكان الملك هرقــل قد دعا بهما اليه ، فقالا له ايها الملك ما كنا نترك ملكنا من غير أن نقائل قنالا شديدا فشكرهما الملك هرقل على ذلك ووعدهما أن يبعث اليهما جيشك عرمرميا وكانا منتظر بن ذلك من وعد الملك لهما ، وكان مع كل واحد منهما عشرة آلاف فارس الا انهما لا يجتمعان في موضع واحد . قال فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزم عليه اهل قنسرين من الصلح مع ابي عبيدة غضب غضبا شدیدا وعزم ان یمکر بهم فجمع اهل قنسرین الیه وقال لهم : یا بنسی الاصفر ما تريدون أن أصنع مع هؤلاء العرب وكأنكم بهم وقد أقبلوا الينسا يفتحون بلادنا كما فتحو اكثر بلاد الشام؟ . فقالوا ايها السيد قد بلغنا انهم اصحاب وفاء وذمة وقد فتحوا اكثر البلاد بالصلح والعدل ومن قاتلهم قاتلوه واستعبدوا اهله واولاده ، ومن دخل تحت طاعتهم اقروه في بلده وكان آمنا من سطوتهم، والرأى عندنا أن نصالح القوم ونكون آمنين على انفسهم واموالنا • فقال لهم البطريق : لقد اشرتم بالصواب والامر الذي لا يعاب ، لان هؤلاء العرب قوم منصورون على من قاتلهم ، وها أنا اعقد لكم الصلح معهـــم -سنة كاملة الى ان توافينا جيـوش الملك هـرقل ونعطف عليهم وهم آمنون فنبيدهم عن آخرهم . فقالوا افعلوا ما فيه الصلاح .

(قال الواقدي) واتفق اهل فنسرين والبطريق على صلح المسلمينوفي قلوبهم الغدر ٠ قال وان لوفا البطريق دعا برجل من اصحابه اسمه اصطخر ، وكان قسيسا عالما بدين النصرانية فصيح اللسان فوي الجنان يعرف العربية والرومية ، وقد عرف الدينين اليهودية والنصرانية . فقال لوقا: يا أبانا سر الى العرب وفل لهم يصالحونا سنة كاملة حتى نبعد القوم بالحيلـــة والخداع • نم كتب الكناب الى الامير ابى عبيدة (رض) • فقال بعد كلمة كفره: اما بعد يا معاسر العرب ان بلدنا منيع كتير العدد والرجال فما تأتونا من قبله ولو اقمتم علينا مائة سمنة ما قدرتم علينا ، وإن الملك هرقل قد استنجد عليكم من حد الخليج الى رومية الكبرى ونحن قد بعثنا اليكم نصالحكم سنة كاملة حتى نرى لن تكون البلاد، ونحن نريد منكم ان تجعلوا بيننا وبينكم علامة من حد ارض فنسرين والعواصم حتى اذا همت العرب بالغارة بدت العلامة تريكم حد ارضنا، على اصطخر خلعة سنية واعطاه بغلة من مراكبه وعشرة غلماز ، وسار حتمى وصل الى حمص فرأى الامير ابا عبيدة (رض) يصلى بالمسلمين صلاة العصر فوقف اصطخر ينطر ما يفعلون وبعجب من ذلك ، فلما فرغوا من صلاتهـــم ونظروا الى القسيس وثبوا اليه ، وقالوا له من انت ؟ ومن اين اقبلت • فقال : انا رسول ومعى كتاب، فمثلوه بين يدى ابى عبيدة فهم القسيس بالسبجود له فمنعه ابو عبيدة (رض) ، من ذلك ، وقال له نحن عبيد الله عز وجل فمنسا شقى ومنا سعيد ـ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض _ فلما سمعاصطخر ذلك بهت وبقى لا يرد جوابا ، وهو متعجب مما تكلم به الامير ابو عبيدة (رض) ، فناداه خالد بن الوليد (رض) ، وقال له ما شانك ايها الرجل ورسول من انت؟ فقال اصطخر: أأنت أمير القوم؟ فقال خالد لا بل هذا أميرنا ، وأشار الى أبي عبيدة (رض). فقال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين والعواصم، نم أخرج الكتاب ودفعه الى ابي عبيدة (رض) فأخذه وقرأه على المسلمين ، فلما سمع خالد بن الوليد (رض) مافي الكناب من صفة مدينتهم وكنرةعددهم ورجالهم وتهديدهم بجيوش الملك هرقل حرك رأسه وقال لابي عبيدة : وحق من ايدنا بالنصر وجعلنــــا من امة محمد (ص) الطاهر ان هذا الكتاب من عند رجل لا يريد الصلح بـــل يريد حربنا ، ثم قال لاصطخر تريدون ان تخدعونا حتى اذا جاءت جنـــود صاحبكم ورأيتم القوم وقد جاءتكم نقضتم صلحنا وكنتم اول من يقاتلنــــا ، الحرب مواعدة من غير ان يكون صلحا سنة كاملة ، فان لحق بكم جيش هذه. السنة من الملك هرقل ، فلا بد من قتاله فمن اقام في المدينة ولم يقاتــــل مع الجيش فهو على صلحنا لا نتعرض لله · قال اصطخر : قد اجبناكم الـــى ذلك فاكتبوا لنا كتابا بذلك. فقال خاله بن الوليد (رض) : ايها الامير اكتب لهم كتابا بمواعدة الحرب سنة كاملة اولها مستهل شهر ذي القعدة سنـــة اربع عشرة من الهجرة النبوية · قال فكتب له ابو عبيدة (رض) بذلك ، فلما فرغ من الكتاب · قال له اصطخر ايها الامير حدبلادنا معروف وبازائنا صاحب. حلب وبلاده بحد بلادنا ونريد ان تجعل لنا علامة فيما بيننا وبينكم حتى اذا طلب اصحابكم الغارة لا يتجاوزون ذلك ·

(قال الوافدي) فرضني ابو عبيدة (رض) بذلك ، وقال انا ابعث من يحدد لكم ذلك ، قال اصطخر ايها الامير ما نريد معنا احدا من اصحابك نحن نصنع عمودا وننصحه ويكون عليه صورة الملك هرقل ، فاذا رآه اصحابك لا يجاوزنه ، فقال ابو عبيدة (رض) افعل ذلك ، ثم دفع اليه الكتاب ونادى في عساكر المسلمين واصحاب الغارات من نظر الى عمود فلا يتعداه ولا يتجاوزه بل يشن الغارة على ارض حلب وحدها ولا يتجاوز العمود فليبلغ الشاهسد.

(قال الواقدي) ورجع اصطخر الي بطريق قنسرين واعلمه بها جرى. له مع خالد بن الوليد (رض) ودفع له الكتاب، ففرح بذلك وقصد الى عمود عظيم وصنع عليه صورة الملهاك هرقل كأنها على كرسي مملكته ٠

(قال الواقدي) وكانت خيل المسلمين تضرب غارتها الى اقصى بلاد حلبوالعمقوانطاكية ويحيدون عن حد قنسرين والعواصم الا يقربون العمود. قال عمر بن عبدالله الغبري عن سالم بن قيس عن ابيه سعد بن عبادة (رض) قال : كان صلح المسلمين لاهل قنسرين والعواصم على اربعة الاف دينسار ملكية ومائة اوقية من الفضة والف ثوب من متاع حليه والف وسق مسن طعسام .

(قال الواقدي) حدثنا عامر • قال كنا في بعض الغارات اذ نظرنا الي العمود وعليه صورة الملك هرقل فجئنا عنده وجعلنا نجول حوله بخيولنا ونعلمها الكر والغر ، وكان بيد أبي جندلة قناة تامة فقرب به الحواد من الصورة ، وهو غير متعمد ذلك ففقاً عين الصورة ، وكان عندها قوم مــن الروم وهم غلمان صاحب قنسرين يحفظون العمود فرجعوا الي البطريسيق وأعلموه بذلك فغضب غضبا شديدا ودفع صليبا من الذهب الي بعسيض امير العرب وقل له غدرتم بنا ولم توفوا بذمامكم ، ومن غدر جندل ، فأخــذ اصطخر الصليب وسار مع الله فارس من الروم حتى اشرف على ابي عبيدة (رض) ، فلما نظر المسلمون الى الصليب ، وهو مرفوع اسرعوا اليسمه ونكسوه فاستقبل ابو عبيدة القوم وقال من انتم ؟ قال اصطخر انــا رسول صاحب قنسرين اليك ، وهو يقول لك غدرتم ونقضتم العهد الذي بيننا وبينكم لا فقال بو عبيدة (رض): وحق رسول الله (ص) ما علمت بدلك وسوف اسأل عنه ، ثم نادى يا معاشر الناس من فقاً عين التمثال فليخبرنا بذلك ، فقالوا ايها الامير : ابو جندلة وسهل بن عمرو صنعا ذلك من غيــــر ان يتعمداه. فقال ابو عبيدة (رض) لاصطخر ان صاحبنا فعل ذلك من غير ان يتعمد فما الذي يرضيك منا ؟ فقالت الاعلاج لا نرضى حتى تفقأ عين ملككم يريدون بذلك أن يتطرقوا إلى رقاب المسلمين • فقال أبو عبيدة (رض) ها أنا فاصنعوا بي مثل ما صنع بصورتكم • قالوا لا نرضي بذلك الا بعين ملككم الأكبر الذي يلي امر العرب كلها • فقال ان عين ملكنا تمنع مسن ذليك ٠

(قال الواقدي) وغضب المسلمون حين ذكر الاعلاج عين عمر بسن المخطاب (رض) وهمسوا بقتل الاعلاج ، فنهاهم ابو عبيدة (رض) عن ذلك فقال المسلمون : ايها الامير تحن دون امامنا فنفديه بانفسنا ونفقاً عيوننسا دون عينه، فقال اصطخرعندما نظر الى المسلمين وقد همو ابقتله وقتل من معهمن الاعلاج : لا نفقاً عين عمر ولا عيونكم ، ولكن نصور صورة اميركم على عمود

ونصنع به مثلما صنعتم بصورة ملكنا . فقالت المسلمون : ان صاحبنا فعل ذلك من غير تعمد وانتم تريدون العمد • فقال ابو عبيدة (رض) مهلا: يا قوم ، فاذارضي القوم بصورتي فقد اجبتم الى ذلك ولا يتحدث القوم عنا اننا عاهدنا وغدرنا فان هؤلاء القوم لا عهد لهم ولا عقل ، ثم اجابهم المستى ذلك •

(قال الواقدي) فصوروا ابي عبيدة (ر ض) على عمود وجعلوا ك عينين لمن زجاج واقبل فارس منهم حنقا فففاً عين الصورة ، ثم رجع اصطخر الى صاحب قنسرين واخبره بذلك، فقال لقومه بهذا نالهم ما يريدون، قال واقام ابو عبيدة على حمص يغير يمينا وشمالا ينتظر خروج السنة لينظر ما بعد ذلك ،

(قال الواقدي) وأبطأ خبر أبي عبيدة على عمر بن الخطاب (رض)، ولم يرد عليه شيء من الكتب والفتح ، فأنكر عمر ذلك وظن به الظنور وحسب انه قد داخله خبر وقد ركن الى القعود عن الجهاد ، فكتب اليه عمر بن الخطاب (رض) كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى امين الامة أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك ، فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد (ص) وآمرك بتقوى الله عز وجل سرا وعلانية ، وأحذركم عن معصية الله عز وجل وأحذركم وانهاكم ان تكونوا ممن قال الله في حقهم _ قل ان كان آباؤهمم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم _ الآية ، وصلى الله على خاتمم النبيين وامام المرسلين ، والحمد لله رب العالمين • فلما وصل الكتاب الى ابي عبيدة (رض) قرأه على المسلمين ، فعلموا ان امير المؤمنين عمر يحرضهم على القتال ، وندم ابو عبيدة (رض) على صلح قنسرين ولم يبق احد من المسلمين الا بكى من كتاب عمر بن الخطاب (رض) • وقالوا :

ايها الامير ما يقعدك عن الجهاد فدع اهل شيزروقنسرين واطلب بنا. حلب وانطاكية ، فلعل الله أن يفتحهما على أيدينا وقد انقضى أجل الصلح

وما يقي الا القليل، وما البقاء الا للملك الجليل، فعزم ابو عبيدة على المسير الى حلب وعقد راية لسهل بن عمرو، وعقد راية اخرى لمصعب بن محارب اليشكري، وامر عياض بن غانم ان يسير على مقدمتهم واتبعه خالد بسن الوليد وسار ابو عبيدة (رض) الى ان نزل على الرشين وصالح اهلها وسار الى حماة فخرج اهلها اليه ومعهم الانجيل وقد رفعه الرهبان علسي اكفهم والقسس امام القوم يطلبون منه الصلح والذمام، فلما رآهم ابسو عبيدة (رض) وقف، وقال لهم: ما الذي تريدون ؟ . فقالوا: أيها الامير نريد ان نكون في صلحكم وذمامكم فأنتم احب الينا .

(قال الواقدي) فصالحهم ابو عبيدة وكتب لهم كتاب الصلح والذمام وخلف رجالا من المؤمنين وسار حتى نزل الى شيزر فاستقبلوه فصالحهم وقال لهم: اسمعتم للطاغية هرقل خبرا ؟ فقالوا ما سمعنا له خبرا غير انه اتصل بنا الخبر ان بطريق قنسرين قد كتب الى الملك هرقل يستنجيك عليكم ، وقد بعث بجبلة بن الايهم الغساني من بني غسان والعرب المنتصرة عليكم ، وقد بعد بحبرة ألاف فارس وقد نزلوا على جسر الحديد في عمرية في عشرة آلاف فارس وقد نزلوا على جسر الحديد فكن منهم على حذر ايها الامير ، فقال ابو عبيدة (رض): حسبنا الله ونعم الوكيل ،

(قال الواقدي) واقام الامير ابو عبيدة على شيزر وبقي مرة يقول: السير الى حلب ومرة يقول اسير الى انطاكية فجمع امراء المسلمين اليه ووقال: ايها الناس قد بلغني ان بطريق قنسرين قد نقض العهد وارسل للملك هرقل والخبر كذا وكذا فما انتم قائلون؟ فقالوا ايها الامير دع اهل قنسرين موالعواصم وسر بنا الى حلب وانطاكية وقال خذوا اهبتكم رحمكم الله و

(قال الواقدي) وكان بقي من الصلح والعهد الذي بينهم وبين اهل قنسرين، شهر او اقل من ذلك ، فأقام ابو عبيدة (رض) ينتظر انفصال العهد وقال وكانت عبيد العرب يأتون بجراثيم الشجر من الزيتون والرمان وغير ذلك من الاشجار التي تطعم الشمار فعظم ذلك على الامير ابي عبيدة

(ر ض) فدعا العبيد اليه وقال ما هذا الفساد ؟ فقالوا ايها الامير أن الاحطاب متباعدة منا وهذه الاشجار فريبة • فقال الامير ابو عبيدة عزيمة مني عليي كل حر وعبد قطع سنجرة لها طعم ونمر لاجازينه ولانكلن به ، فلما سمسع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالاحطاب من اقصى الدبار . قال سعيد بن عامر وكان معى عبد نجيب وكان اسمه مهجعا وقد شهد معى الوقائـــــع والحروب وكان جريء القلب في القتال وكان اذا خرج في غارة او في طلب حطب بتوغل وبىعد فخرج هو وجماعة من العبيد ممن شهد الوقائع في طلب الحطب ، فأبطأ خبره على سيده سعيد بن عامر ، فركب جواده وخرج في طلبه وجعل يقفو انره واذا لاح له شخص وقد سال دمه على وجهه وصبغ سائر جسده وما كاد يمشي خطوة واحدة الا ويهوي على وجهه ٠ قال سعيـــد بن عامر فنزلت اليه وقلت له ما وراءك من الاخبار ؟ فقال هلكة ودمار يـــــا مولاي فقلت عليك يا ابن الاسود حدثني بخبرك • قال سعيد فلم يكد يقف حتى سقط على وجهه ، فنضحت على وجهه ماء فسكن ما به . فقال : يـــا مولاي انج بنفسك والا ادركك القوم يصنعون بك مدل ما صنعوا بي • فقلت ما القوم الذين صنعوا بك ما ارى ؟ فقال خرجت يا مولاي أنا وجماعة من الموالي لنحطتب حطبا ، فتباعدنا كثيرا في البر واذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء عن الف فارس كلهم عرب وفي اعناقهم صلبان الذهب والفضة وهـــم معتقلون بالذهب والفضة والرماح ، فلما نظروا الينا اسرعوا نحونا وداروا بنا وعزموا على قتلنا . فقلت لاصحابي دونكم واياهم!

فقالوا: ويحك ومن يقاتل وليس لنا طاقة بقتال هذه الكتيبة والخيل وما لنا الا ان نلقي بأيدينا الى الاسر فهو اهون من القتال • فقلت لا والله ما سلمت نفسي اليهم دون ان اقاتل قتالا شديدا ، فلما رأوا مني الجد فعلوا مثل فعلي فقاتلنا القوم وقاتلونا فقتلوا منا عشرة وأسروا عشرة ، وأما انا فأثخنت بالجراح حتى سقطت على وجهي فرجعوا عني وبقيت كما ترى •قال سعيد بن عامر الانصاري فغمني والله ما نزل بالعبيد فأردفته ورائي ورجعت على اتري واذا بالخيل قد طلعت من ورائي كأنها الريح الهبوب او الماء اذا الدفق من ضيق الانبوب ، واذا بخيل غسان احدقت بالرماح الطوال وههسم

يقولون : نحن بنو غسان من حزب الصليب والرهبان • قال سعيد بن عامر فناديتهم أنا من اصحاب محمد المختار (ص) • فأسرع بعضهم الى وهسم أن يعلوني بالسيف فناديته: يا ويلك اتقتل رجلا من قومك • ففال من اي الناس انت ؟ قلت انا من الخزرج الكرام ، فرد السيف وقال أنت طلبة سيدنا جبلة بن الايهم وحق المسيح ، فقلت ومن ابن يعر فني جبلة حتى بطلبني ؟ فقال انه يطلب رجلا من اهل اليمن من انصار محمد بن عبد الله ، ثم قال ســر بنا طائعا والا سرت كرها . قال سميد بن عامر فسرت والحيس معى حتى اشرفنا على جيش عرمرم وعنده اعلام وصلبان قد رفعت فلم ازل مع القهوم حتى اتوا بي الى مضرب جبلة بن الايهم واذا به جالس على كرسى من ذهب احمر وعليه ثياب الديباج الرومي وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفي عنقه صليب من الياقوت • فلما وقفت بين يديه رفع رأسه الى وقال : من اى عرب انت ؟ قلت أنا من اليمن ، فال اكرمت من ايها • فقلت انا من ولد حارثــة بن ثعلبة بن عمرو وبن عامر بن حارثة بن تعلبة بن امرىء القيس بن عبدالله بن الازور بن عوف بن مالك بن كهلان بن سبأ . فقال جبلة من اي الملأ انت نسيا ؟ فقلت أنا من ولد الخزرج بن حارثة من الصار محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام . فقال جبله : وإنا من قومك من بني غسان ؟ فقلت إنا من القبيلة التي نسبت اليها ، فقال : انا جبلة بن الايهم الذي رجعت عن الاسلام. فما رضى صاحبكم عمر بن الخطاب ان يكون مثلي لهذا الدين ناصرا حتى يأخذ منى القود لعبدحفير وانا ملك اليمن وسيد غسان • فقلت : يا جبلة ان حـق. الله اوجب من حقك وديننا لا يقوم الا بالحق والنصفة ، وان عمر بن الخطاب (ر ض) لا يخاف ولا تأخذه في الله لومة لائم ، فقال لي ما اسمك ؟ فقلت. سعيد بن عامر الانصاري ، فقال اوطىء يا سعيد قال فجلست فقال الك عهد. بحسان بن ثابت الانصاري • فقلت شاعر رسول الله (ص) ومن قال فيه المصطفى : انت حسان ولسانك حسام · فقال لى كم لك منذ فارقته ؟ فقلت عهدي به قريب وقد دعاني الى دعوة صنعها وامر مولاته ان تنشد بها شعرا فىك فانشىدت:

لله در عصابة نادمتهم

يوما بجلق في الزمان الاول

يغشبون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

بيض الوجوه كريمة انسابهم شم الانوف من الطراز الاول

الملحقين فقيرهم بغنيهم المشفقين على اليتيم الارمل

اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن ماريةالكريم المفضل

ثم خرجنا الي الشام وهذا آخر عهدي به • قال جبلة بن الايهم اوحفظ لى هذه المكرمة ؟ قلت نعم ، قال فأمر لى بثوب من الكتان الرومي وفيه شمىء من الورق • وقال : أنا امرت لك بالكتان كم تلبسه ولا تحرمه ، نم قال لي بحق ذمة العرب ما كنت تصنع في المكان الذي اسرت فيه ؟ فقلت أن الصدق اوفي ما استعمله الرجل ، انا من اصحاب الامير ابي عبيدة بن الجراح وقد قصدنا نريد حلب وانطاكية ٠ فقال جبلة : اعلم ان الملك قد بعثني انا وهذا البطريق صاحب عمورية حتى ننصر صاحب قنسرين ، فانه قد كادكم بصلحه لكم وانا منتظر ان يلاقينا بهذا المكان ولكن ارجع الى صاحبك ابي عبيدة وحذره من اسيافنا وفل له يرجع من حيث قدم ولا يتعرض لبلاد هرقل وسوف ينزع من ايديكم ما قد ملكتموه من الشام • قال سعيد بن عامر : فركبت واردفت غلامي وسرت حتى اتيت عسكر المسلمين ، فأسرع الناس الي وقالوا این کنت یا ابن عامر فأتیت خیمة الامیر ابی عبیدة (ر ض) وحدثته بقصتی مع جبلة بن الايهم فقال لي لقد خلصك الله بذكرك لحسانبن ثابت الانصاري، ثم جمع اصحاب رسول الله (ص) للمشورة ، ثم قال ايها الناس ما ترون من قصة هذا البطريق وقد وفينا له وكادنا ؟ فقال خالد بن الوليد (رض) : ان البغيّ مصرعة وان كادنا كان الله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده اعظـــم مكيدة وانا اسير الى لقائه بعشرة رجال من اصحاب رسول الله (صل فقال

ابو عبيدة ائت لها يا ابا سليمان ولكل كريهة فخذ من احببت من اصحاب رسول الله (ص) • فقال خالد بن الوليد (رض) اين عياض بن غائلسلم الاشعري ، اين عمرو بن سعيد ، اين مصعب بن محارب اليشكري ، اين ابو جندلة بن سعيد المخزومي ، اين سهل بن عمرو العامري ، اين رافع بي عميرة الطائي ، اين المسيب بن نجية الفزاري ، اين سعيد بن عامر الانصاوي ، اين عمرو بن عمر و بن معمد يكرب الزبيدي ، اين عاصم بن عمر القيسي ، اين عبد الرجمن بن ابي بكر الصديق (رض) ؟ فاجابوه بالتلبية م

(قال الواقدي) وكان ضرار بن الازور (ر ض) رمد العينين لم يحضر هذه الوقعة ، فقال لهم خالد بن الوليد هلموا فوجدوه قد تدرع بـــدرع مسيلمة الكذاب الذي استلبه منه يوم اليمامة واشتمل بلامة حربه وركيب جواده ، وقال لعبده همام : سر معي حتى ترى مني عجبا فسار معه وسار خالد بن الوليد (رض) والعشرة من اصحاب رسول الله (ص) وابو عبيدة يا سعيد اما اخبرك جبلة بن الايهم من اين يأتي البطريق صاحب قنسرين اليه؟ فقال نعم يا ابا سليمان اخبرني فقال له خذنا في الطويق الى جبلة بن الايهم (رض) يدعو لهم بالنصر • فأقبل خالد على سعيد بن عامر الانصاري وقال: حتى نكمن له فيه ، فاذا اتى البطريق صاحب قنسرين كدناه كما كادنـــا ودمرناه ومن معه ، فسار سعيد امام القوم يدلهم ويجد السير طالب عسكر جبلة بن الايهم ، وكان مسيرهم ليلا فلما وصلوا الى قرب النيران وسمعوا اصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر الى صوب طريق البطريق وكمن بمن معه من الرجال الى وقت الصباح فلم يأت احد فصلى خالد بأصحابه صلاة الفجر وهم في المكمن فبينما هم في الممكمن اذ اشرف عليهم جيش جبلة بن الايهم والعرب المنتصرة وصاحب عمورية وهم طالبون ارض العواصم وقنسرين فقال المسلمون لخالد يا ابا سليمان: أما ترى هذا الجيش الذي قد اشرف علينا في عدد الشوك والشجر ؟ فقال خالد بن الوليد (رض) فما يكون من كثرتهم اذا كان النصر لنا والله معنا فاختلطوا بهم انتم وكونوا في جملتهم كانكم من جيشهم الى ان نلتقي بالبطريق صاحب قنسرين ويفعل الله تعالى ما ينساء ويختار ، فعند ذلك اختلطوا بهم وصاروا في جملتهم وهم لايفترقون قال رافع بن عميرة الطائي ، فلما اشرفنا على حد صلحنا ولاح لنا بلمسلم العواصم وقنسرين اذا ببطريقها قد استقبلنا وقد رفع امامه الصليب واخرج بين يديه القسوس والرهبان وهم يقرأون الانجيل وقد ارتفعت اصواتهم عكلمة الكفر ودنا بعضهم من بعض .

وخرج البطريق امام الصحابة ليأتي الى جبلة بن الايهم يسلم عليك فاستقبله خالد بن الوليد (ر ض) مواجها له وحوله اصحاب رسول اللـــه (ص) فلما قرب البطريق منهم · قال سلمكم المسيح وأبقاكم الصليب · فقال خالد ويا ويلك ما نحن من عباد الصليب ، بل نحن من اصحاب رسول الله (ص) محمد الحبيب وكشف خالد بن الوليد (ر ض) وجهة ونادى : لا الـــه الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله يا عدو الله انا خالد بــن الوليد انا المخزومي صاحب رسول الله (ص) وضرب بيده البطريق وقبض عليه وانتزعه من سرجه وبرز اصحاب رسول الله (ص) وسلوا السيوف علمي اصحابه وارتفعت الضجة والجلبة واعلن العدو بكلمة الكفر ، وضج المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب عمورية اصوات المسلمين ، وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير فانزعجوا لذلك ونظروا الى السيوف وقد جردت والرماح وقد شرعت فبرزوا نحو اصحاب رسول الله (ص) واحاطوا بهم من كل جانـــب ومكان ، فلما نظر خالد الى ما دهمه ونزل بأصحابه الذين معه والبطريـــق صاحب قنسرين لا يفارقه وقد ملك قياده وهو خائف أن ينفلت من يديه أو جمجري عليه حادثة قبل أن يقتله هم خالد أن يقتله ورفع السيف ليعلوه به فتبسم البطريق من فعاله وعجب خالد من ضحكه ، وقال ويلك مم ضحكك ؟ خقال البطريق لانك مقتول انت ومن معك وتريد قتلي ، وان انت ابقيت على

فهو اصوب فتركه خالد ولم يقتله ثم صاح خالد بأصحابه اصحاب رسول الله (ص) كونوا حولي واحموا عني واصبروا على ما نزل بكم ولا يكثر عليكسم من احدق بكم فان اشد ما تخافون منه القتل والموت منية خالد في سبيل الله واني والله اهدبت نفسي للقتل مرارا لعلي ارزق الشهادة ؛ واعلموا رحمكم الله ان حجتنا واضحة ومفوضة الى الله عز وجل وكأني بكم ، وقد وصلته الى ربكم وسكنتم دارا لا يموت ساكنها ، ثم قرأ - لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين - •

جبلة يحارب خالدا

(قال الواقدي) فاجتمع اصحاب رسول الله (ص) الى خالد (رض) وداروا من حوله وسار عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق (رض) عن يمينه ورافع بن عميرة عن يساره وعبده همام من ورائه واصحابه محدقون به وسلم خالد البطريق صاحب قنسرين الى عبده همام وقال اوثقه الى جانبك ولا تبرح من مكانك وأبشر بالنصر من الله عز وجل •

(قال الواقدي) واقبلت اليهم العرب المنتصرة يقدمهم جبلة بن الايهم في عنقه صليب من الذهب الاخمر وفيه طوق من الجوهر وعليه ثباب الديباج المزركش ومن فوقه درع مذهب الزرد وعلى رأسه بيضة من الذهب وعلى اعملاها صليب من الجوهر ، وفي يده رمح طويل رسنانه يضيء كالفنديل وصاحب عمورية كالبرج المشيد ومن حوله الاعلاج المدلجة وقد احدق بهسم الجيش من كل جانب • فلما نظر صاحب عمورية الى خالد بن الوليد (رض) وقد ملك صاحب قنسرين وهو في يده اسير خاف ان يعجل عليه خالد ، فأقبل الى جبلة وقال له وحق المسيح ما هؤلاء العرب الا شياطين الا تسرى الى هــذا العربي ومعه وهم عشرة رجال وقد احدق بهم هذا الجيش العظيم وما يفكرون فيه وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم اسير ولا يخلص من ايديهـــم العربي ، وقل له يخلى صاحبنا ويوصله الينا حتى نجود لهم بانفسهم ، فاذا اطلقوا صاحبنا حملنا عليهم وقتلناهم عن آخرهم • قال رافع ابن عميسرة الطائي فبينما نحن وقوف حول خالد بن الوليــــــ (ر ض) وجيش الروم والعرب المنتصرة محدقون بنا ونحن لا نفكر في كنرتهم لانا واثقون باللسه عز وجل واذا بجبلة بن الايهم وهو ينادي برفيع صوته ، ويقول : من انتسم من اصحاب محمد المعروفين ؟ • • من انتم من العرب التابعين ؟ اخبرونا من قبل أن ينزل بكم الدمار ، فكان المكلم له خالد وبادره بالخطاب وقال له : بل نحن من اصحاب محمد المختار المعروفين بأهل الفبلة والاسلام والاكسسرام والانعام • وأما سؤالك عن السابنا فنحن الآن من قبائل شتتي وقد جعل الله كالمتناو احدة ونحن مجتمعون عليها اوهى قوللا اله الا الله محمدر سول الله زاده

الله تعالى شرفا · فلما سمع جبلة كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديد ٦ اذ لم يفكر فيه ولا فيمن معه ·

فقال جبلة: يا فتى انبت امير هؤلاء العرب؟ • فقال خالد لست اميرهم بل اخوهم في الاسلام ، وهم اخواني المؤمنون • فقال جبلة: من انت مسن. اصحاب محمد بن عبدالله (ص) ؟ فقال خالد انا المعروف بكبش بني مخزوم ، انا خالد بن الوليد صاحب رسول الله (ص) ، وهذا الرجل الذي عن يميني هو عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق (رض) ، وهذا الذي عن شمالي من اهل اليمن من كرام طيء ، وهو رافع بن عميرة الطائسي صهري وفؤادي ، وذلك اني اخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف ، وبطلها الموصوف ، فسلا نزدر بقتلنا ، ولا تفرح بكثرتهم ، فما انتم في القتال الا كطيور وقع عليها صائدها وهي كامنة في اوكارها فألقى القانص الشبكة عليها فما انفلت منها النحب .

(قال الواقى) فزاد غضب جبلة من كلام خالد ، وقال له ستعلم ان كلامك عليك ميشوم اذا دارت بك الاسنة وبقيت انت ومسن معك طعاما علينا وهو سهل لدينا • فأنت من العرب التي قد نسبت لعبادة الصليب ، فقال انا سيد بني غسان ومن ملوك همدان ، انا ملك غسان وتاجها ، انا جبلة-بن الايهم ، فقال انت المرتد عن دين الاسلام ومن اختار الضلالة على الهدى ، وسلك سبيل الغي وضل وغوى، فقال جبلة لست كذلك أنا الذي اخترت العز على الذل والهوان ، فقال خالد : فانك على ذل نفسك حريص ، وانما الكرامة غدا في دار البقاء والبعد عن دار الشقاء ، فقال جبلة يا اخا بني مخزوم لاتفرط علينا في المقال فانما بقائي عليك وعلى اصحابك بسبب هذا الاسير الذي في يدك لاني اخاف ان حملت عليكم قتلته وهو معظم عند الملك هرقل وقريـــب عنده في النسب فأطلقه من يدك حتى اجود عليكم بأنفسكم ، فقال خالد : اما اسيري فلا اطلقه من يدي حتى اقتله ولا ابالي بما صنع بي بعده ، واما قولك تحمل علي وعلى من معى بهذه الجموع فما انصفت في المقال ، فاذا اردت غارس وهذا أميركم ، فأر قتلتمونا فقد خلصتم اسيركم ، وأن أظفرنا الله احدقت بنا اعنت خيولكم واسنة رماحكم وطيال سيوفكم فابرزوا فارسا بكم وما النصر الا من عند الله فما يعظم عليكم هلاك اسيركم اذا هلكت انفسكم. قىلە •

قال ااواقدى،) فعند ذلك نكس جبلة رأسه واقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالك بن الوليد (رض) فغضب صاحب عمورية غضبا سديدا وانتضى سيفه فلما نطر خالد بن الوليد الى البطريق وقد جرد سيفه علم أنه يريد القتال ، فلما هم صاحب عموربة بالحملة أمسكه جبلة ومنعه عن الحملة وأوقفه تحت صليبه واقبل حِيلة على خالد بن الوليد ، وقال : يا أخا بني مخزوم أن الحرب كما ذكرت تحدمل النصفة وهؤلاء بنوا الاصفر اعلاج الروم غنم ما يعرفون النصفة في البراز وقد حدننهم بحديث معي وقد رضوا منك بالمبارزة فمن أراد منكم المبارزة فليبرز . قال رافع بن عميرة الطائي : فعزم خالد بن الوليد ان يبرز فمنعه عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق (رض) ، وقال يا أبا سلمان وحق القبر الذي ضم أعضاء رسول الله (ص) وحق شيبة أبي بكر الصديق (رض) لا يبرز لهؤلاء القوم غيرى وأبذل المجهود فيهم فلعلى الحق بأبي بكر الصديق فتركه خالد ، وقال اخرج شكر الله مقالك وعرف لك مفالك . قال فخرج عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق (رض) ، وهدو على فرس كان لعمر بدن الخطاب (رض) وكان دفعه له من قسمة غنيمة وقعة أجنادين وكان الجواد من خيل بني لخم وجذام من العرب المتنصرة وكان كالطود العظيم وعبد الرحمن غارقا في الحديد والزرد النضيدوبيده قناة تامة الطول فجال عبد الرحمن بجواده بين عساكر الروم والعرب المتنصرة ودعاهم الى القتال والبراز والنزال وقالدونكم والقتال فأنا ابن الصديق ثم جعل بقول:

أنا ابن عبدالله ذي المالي والشرف الفاضل ذي الكمال ابي المجيد الصادق القال الدين عبدا الدين بالفعال

ثم طلب البراز . قال رافع بن عميرة : فخرج اليه خمسة فوارس من شجعان الروم فما كان يجول عبد الرحمن على الفارس الا جولة واحدة فيصرعه قتيلا فلما قتل الخمسة فوارس توقفوا عنه فهم بالحملة على عسكر الروم فخرج اليه جبلة بن الايهم وقد اشتد به الغضب ، فلما قرب من عبد الرحمن قال له يا غلام قد تعديت علينا في فعالك وبفيت علينا في قتالك ، فقال عبد الرحمن : وكيف ذلك وما البغي من شيمتنا، قال جبلة لانك قد ملات الارض من قتلانا وما خرجت اليك اقاتلك لانك لست لي كفوًا في القتال ، وانما خرجت اليك لان رجلا من أصحابك قد خرج يعينك ، وليس هذا من شيم الاشراف والانصاف . قال فلما سمع عبد الرحمن كلام جبلة تبسم ، وقال يا ابن الابهم تريد ان تخدعني وانا تربية الامام على بن أبي طالب (رض) ، وقد شهدت معه الوقائع والقتال . فقال جبلة لست مخادعا وما قلت الاحقا ، فقال عبد الرحمن : فأخرج بازاء من خرج معي فارسا من قومك ان كنت صادقا في مقالتك واحمل على على فاني كفء كريم .

(قال الواقدي) فلما نظر جبلة بن الايهم الى عبد الرحمن وانه لا يؤتي من قبل الخداع والحيل، قال هل لك يا غلام ان تلقي بيدك الينا واغمسك في ماء المعمودية غمسة تخرج منها نقيا من الذبوب كما خرجت من بطن امك وتكون من حزب الصليب والانجيل

وتأكل القربان وتأخذ الجائزة العظيمة من الملك هرقل وأزوجك ابنتي وأقاسمك نعمتي واتفضل عليك باكرامي وأنعامي ، وأنا الذي مدحني شاعر نبيكم حيث يقول:

ان ابن جفنة من بقية معشر لم تغذهم آباؤهم باللوم باللوم يعطي الجزيل ولا يسراه بأنه الا كبعسض عطية المذموم لم ينسني بالشام أذ هسو بارح يومسا ولا متنصرا بالسروم ان جئته يسوما تقر بمنزل تسقى براحته من الخسرطوم

فأسرع ألى ما عرضته عليك لتنجو من المهالك وتكون في النعم والعيش السليم. فقال عبد الرحمن: لا اله الا الله وحده لا شريك له يا ويلك يا ابن اللئام أتدعوني من الهدى الى الضلال ومن الايمان الى الكفر والجهالة ، وأنا ممن وقر الايمان في قلبه وعرف رشده من غيه وصدق نبى الله وأبفض من كفر بالله ، فدونك والقتال ودع عنك الخديعة والمحال وتقدم الى ما عزمت عليه حتى اضربك ضربة اعجل بها حمامك وأرغم بها أنفك وتستريح العسرب من أن تنسب اليك لانك كافسر بالرحمسن وعابد للصلبان . قال ففضب جبلة من كلام عبد الرحمن وحمل عليه وهم به ورفع رمحه يريد أن يطعنه فزاع عبد الرحمن من الطعنة وحمل على جبلة حملة عظيمة وتطاعنا بالرماح حتى كل عبد الرحمن من حمل قناته فرماها من يده وانتضى سيفه وتعاركا فى الحرب فهجم عبد الرحمن على جبلة وضرب رمحه فبراه فرمى جبلة باقي الرمح من يده وانتضى سيفه من غمده وكان من سيوف كندة من بقايا كأنه صاعقة بارقة ما ضرب به شيئا الا براه وحمل على عبد الرحمن (رض) حملة عظيمة . قسال رافع بن عميرة الطائى: فعجبنا والله من عبد الرحمن وصبره على قتال جبلة ومنازلته على صغر سنه وقلة أعوانه ، ثم التقيا بضربتين واصلتين فسبقه عبد الرحمن بالضربة فأخذها جبلة من حجفته فقطع الدرق ونزل السيف الى البيضة فاثنى سيف عبد الرحمن عنها لانها ذات سقابة عظيمة فجرحه جرحا واضحا اسال دمه وضربه جبلة ضربة واصلة فقطع ما كان عليه من الزرد والدروع والثياب ووصلت الضربة الى منكبه فجرحته ، فلما أحس عبد الرحمن (رض) بالضربة قد وصلت اليه ثبت نفسه وارى قرينه كأن الضربة لم تصل وحرك جواده واطلق عنان فرسه حتى لحق بخالـــــــ بن الوليد (رض) واصحابه ، فلما وصل اليهم قال له خالد قد وصل اليك عدو الله بضربته ؟ فقال نعم ، واظهر له ضربته وما لحقه فأخذوه عن فرسه وسدوا جراحه . فقال يا ابن الصديق ان كان جبلة قد وصل اليك بضربته فوحق بيعة ابيك لافجعنهم في اسيرهم كما فجعوني بك ثم صاح خالد بعبده همام وقال قدم هذا العلج فقدمه بين يديه فضربه بسيفه فأطاح رأسه عن جسده ، فلما نظرت الروم الى صاحبهم وقد قتله خالد فجعهم ذلك وغضب جبلة ، وقال أبيتم الا الغدر وقتلتم صاحبنا نهم صاح في الروم والعرب المتنصرة وهموا بالحملة ونظر خالد اليهم وقد حملوا عملى المسلمين . فقال لعبده همام قف انت عند عبد الرجمن فامنع عنه من اراده بسوء ، ثم قسال لاصحابه اصحاب رسول الله (ص) لا يخرج احد منكم عن صاحبه وكونوا حولي. فما اسرع الفرج والنصر من الله عز وجل ، فوقف اصحاب رسول الله (ص) حول خالد بن الوليد (رض) كما امرهم وما قصدهم الا من آيس من نفسه وحملت الروم والعرب المتنصرة بأجمعهم وببت لهم المسلمون الاخيار وعظم بينهم القتال ودارت بهم الاهوال ، قال ربيعة بن عامر : والله لقد كان خالد بن الوليد كلما كثرت الخيل حولنا وازدحمت علينا يتقيها بنفسه ويفرقها بسيفه ولم نزل كذلك حتى اخذنا العطش والظمأ ، قال رافع بن عميرة الطائي : فلما رايت ذلك قلت لخالد بن الوليد يا ابا سليمان لقد نزل بنا القضاء . فقال والله لقد صدقت يا ابا عميرة لاني نسبيت القلنسوة المباركة ولم اصحبها معى .

(قال الواقدي) وقد عظم عليهم الامر وعز منهم الصبر واخذهم الانبهار ورأوا من المشركين الدمار والارض قد ملئت من قتلى المشركين وهم بين الروم كأنهم أسرى واذ قد نادى بهم مناد وهتف بهم هاتف وهو يقول: خذل الآمن ونصر الخائف أبشروا يا حملة القرآن جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الاوثان ، هذا وقد بلفت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر ودارت عليهم الحوافر .

(قال الواقدي) حدتنا بسرة عن اسحق بن عبدالله قال كنت مع ابي عبيدة (رض) فبينما نحن في شيرزة وابو عبيدة في مضربه واذا به قد خرج في بعض الليل من مضربه وهو ينادي النفير النفير يا معشر المسلمين لقد أحيط بفرسان الموحدين قال فأسرعنا اليه من كل جانب ومكان وقلنا له ما نزل بك أيها الامير ؟ فقال الساعة كنت نائما اذ طرقني رسول الله (ص) وجرني وقال لي معنفا: يا ابن الجراح اتنام عن نصرة القوم الكرام ، فقم والحق بخالد بن الوليد (رض) فقد أحاط به القوم اللئام وانك تلحق به ان شاء الله تعالى رب العالمين .

(قال الواقدي) رحمه الله تعالى: فلما سمع المسلمون قول أبي عبيدة (رض) تبادروا الى لبس السلاح والزرد وركبوا خيولهم وساروا يريدون خالدا ومن معه قال فبينما الامير أبو عبيدة (رض) على المقدمة في أوائل الخيل أذ نظر الى فارس يسرع به جواده وهو أمام الخيل ويكر في سيره كرا فأمر أبو عبيدة (رض) رجالا من المسلمين أن الحقوا به فلم يقدروا على ذلك لسرعة جواده قال فلما كلت الخيل عن ادراكه نظر أبو عبيدة اليه وظن أنه من الملائكة قد أرسله الله أمامهم غير أنه نادى به الامير أبو عبيدة على رسلك أيها الفارس المجد والبطل المكد أرفق بنفسك يرحمك الله فوقف الفارس حين سمع النداء ، فلما قرب أبو عبيدة من الفارس أذا هي أم تميم نوجة خالد بن الوليد (رض) . فقال لها أبو عبيدة ما حملت على المسير أمامنا فقالت أيها الامير أني سمعتك وأنت تصيح وتضج بالنداء وتقول أن خالدا أحاطت به الإعداء فقلت أن خالدا ما يخذل أبدا ومعه ذؤابة المصطفى (ص) أذ حانت منى التفاتة الى

القلنسوة المباركة وقد نسيها فأخذتها واسرعت اليه كما ترى . فقال أبو عبيدة شد درك يا أم تميم سيري على بركة الله وعونه قالت أم تميم كنت في جماعة نسوة من مذحج وغيرهم من نساء الغرب والخيل تطير بنا طيرا حتى اشر فنا على الغبرة والقتال ونظرنا الاسنة والصوارم تلوح في القتال كأنها الكواكب وما للمسلمين حس يسمع قالت فأنكرنا ذلك وقلنا أن القوم قد وقع بهم عدوهم فعند ذلك كبر الامير أبو عبيدة (رض) وحمل وحملت المسلمون ، قال رافع بن عميرة : فبينما نحن قد أيسنا من أنفسنا أذ سمعنا التهليل والتكبير فلم تكن الا ساعة حتى أحاط جيش المسلمين بعسكر الكافرين ووضعوا السيوف من كل جانب وعلت الاصوات وارتفعت الزعقات قال مصعب بن محارب اليشكري فرأيت عبدة الصلبان وهم هاربون ورأيت خالد بن الوليد (رض) وهو تابت في سرجه متشوف الى الاصوات من أين هي ، وأذا بفارس قد خرج من الفبار وهو يسوق فرسان الروم بين يديه ويهربون منه حتى أزاح من حولنا الكتائب والرجال فأسرع خالد بن الوليد اليه ، وقال : من أنت أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام ؟ فقالت أنا زوجتك أم تميم يا أبا سليمان ، وقد أتيتك بالقلنسوة المباركة التي تنصر بها على أعدائك فخذها اليك فوالله ما نسيتها الالهذا الامر القدر ، ثم سلمتها اليه فلمع من ذؤابة رسول الله (ص) نور كالبرق الخاطف .

(قال الواقدي) وعيش عاش فيه رسول الله (ص) ما وضع خالد القلنسوة على راسه وحمل على الروم الا قلب اوائلهم على اواخرهم وحملت المسلمون حملة عظيمة ، فما كان غير بعيد حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار ولم يكن في القوم الاقتيل وجريح واسير ، وكان جبلة اول من انهزم والعرب المتنصرة اثره ، فلما رجع المسلمون من اتباعهم اجتمعوا حول راية الامير ابي عبيدة (رض) واتباعه وسلموا على الامير ابي عبيدة (رض) وعن المسلمين وشكروا الله على سلامتهم ، ونظر ابو عبيئة (رض) الى خالد بن الوليد واصحابه وهم كأنهم قطعة ارجوان فصافحه وهنأه بالسلامة ، وقال لله درك يا ابا سليمان قد اشفيت الغليل وارضيت الملك الجليل . ثم قال الامير ابو عبيدة (رض) : يا معاشر الناس قد رايت ان نسير من وقتنا هذا ونفير على قنسرين والعواصم ونقتل الرجال وننهب الاموال ، فقال المسلمون : نعم ما رايت يا امين الامة .

(قال الواقدي) فانتخب ابو عبيدة (رض) فرسانا فجعلهم في المقدمة مع عياض بن غانم الاشعري وساروا حتى اشرفوا على قنسرين والعواصم . فقال لاصحاب رسول الله (ص) تسنوا الفارات فشنوا الفارات عليهم وسبوا الذراري وقتلوا الرجال ، فلما نظر اهل قنسرين الى ذلك غلقوا مدينتهم واذعنوا بالصلح واداء الجزية ، فأجابهم أبو عبيدة (رض) الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وفرض على كل راس منهم أربعة دنانير ، وبذلك أمره عمر بن الخطاب (رض) .

(قال الواقدي) لما فتح ابو عبيدة (رض) قنسرين والعواصم . قال لاصحاب

ول الله (ص) اشيروا علي برايكم رحمكم الله ، فإن الله تعالى يقول لنبيه (ص) : وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله الآية ، فهل أسير الى حلب وقلاعها وانطاكية وملوكها وعساكرها أو نرجع الى ورائنا ؟ فقالوا أيها الامير كيف نرجع الى حلب وانطاكية ، وهذه أيام انقضاء الصلح الذي بيننا وبين أهل سيزر وأرمين وحمص وجوسية ولا شك انهم قد اخذوا الحصار وقووا بلادهم بالاطعمة والرجال ونخاف ان يتفلبوا علينا ، فيما اخذناه من البلاد ويغيروا علينا لا سيما بعلبك وحصنها ، فانهم أولو شدة وعديد ، ونرى من الرأي أنا نرجع اليهم ونقاتلهم فلعل الله عز وجل أن يفتح على أيدينا . قال فاستصوب ورجع على طريقه فوجدوا البلاد كما قالوا ، قد تحصنت بالعدد والرجال والطعام ولم يكن لابي عبيدة قصد الاحمص فوجدها قد تحصنت بالعدد والعديد ، وقد بعث اليها الملك هرقل بطريقا من أهل بيته ، وكان من أهل الشيدة والبأس ومعه جيش عرمرم ، وكان اسم البطريق هربيس ، فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك ترك على حمص خالد بن الوليد (رض) ، وسار هو الى بعلبك ، فلما قرب منها ، واذا بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس ومعهم البغال والدواب وعليها من انواع التجارات ، وقد اقبلت من الساحل يريدون بعلبك ، فلما نظر أبو عبيدة (رض) الى سوادها قال لن حوله من الفرسان ما هذا الا جمع كثير أمامنا . فقالوا لا علم لنا بذلك . فقال على بخبرهم فسارت الخيل اليهم وأخذت أخبارهم ورجع بعضهم الخبرها والقافلة من قوافل الروم محملة متاعاً . قال شداد بن عدي : وكانت أحمال القافلة أغلبها سكر ، وكانت لاهل بعلبك ، فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال: أن بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد فخذوا ما قد ساقه الله اليكم ، فأنها غنيمة من عند الله •

(قال الواقدي) فاحتوينا على القافلة ، وكان فيها أربعمائة حمل من السكر والفستق والتين وغير ذلك وأخذنا أهلها أسارى ، فقال أبو عبيدة (رض) كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء فابتعناهم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب وصنعنا من السكر العصيدة والفالوذج بالسمن والزيت ودعس المسلمون دعبنا وبتنا حيث حوتنا القافلة ، فلما أصبح الصباح أمرنا أبو عبيدة (رض) بالمسير الى بعلبك والنزول عليها ، وكان قد هرب قوم من القافلة وأخبروا أهل بعلبك بالقافلة .

(قال الواقدي) وكان على بعلبك بطريق عظيم يقال له هربيس وكا نشديد البأس شجاع القلب ، فلما أتاه الخبر بقدوم عساكر المسلمين جمع رجاله وأهل الحرب وأمرهم بلبس السلاح والعدد وخرج بعسكره وجعل يسير ، وهو يعلم أن الامير أبا عبيدة (رض) سائر اليهم بجيوش المسلمين ، فلما انتصف النهار وتراءى الجمعان ، وكان هربيس معه سبعة آلاف فارس سوى من اتبعه من سواد بلده ، ونظر طوالع وكان هربيس معيدة (رض) ، ونظر المسلمون الى ذلك نادوا النفير فعندها تبادرت الفرسان

وتقدمت الشجعان وشرعوا رماحهم وجردوا سيوفهم وصف هربيس رجاله وعباهم تعبية الحرب ، فقال له بعض بطارقته ما الذي تريد ان تصنع مع العرب ، فقال اقاتلهم لئلا يطمعوا فينا فينزلوا على مدينتنا ، فقالوا له : الراي عندي ان لا تقاتل العرب وارجع سالما انت ورجالك . فان اهل دمشق الشام ما قدروا عليهم ولا ردهم عساكر اجنادين ولا جيوش فلسطين ، وقد بلفك ما فيه كفاية مما جرى لهم بالامس مع صاحب قنسرين وصاحب عمورية والعرب المتنصرة ، وكيف ردهم هؤلاء العرب على اعقابهم منهزمين والصواب انك تفوز بنقسك وبمن معك وارجع .

فقال هربيس: لست أفه لل ذلك ولا أنهزم أمام العرب ، وقد بلغني أن عسكرهم الكبير على حمص مع الأمير ببي عبيدة الذي كان فيها خالد بن الوليد وهذه غنيمة ساقها المسيح لنا ، فقال ذلك البطريق الناصح: أما أنا فلست أتبع وأيك ولا أقاتل العرب . ثم لوى عنان فرسه راجعا الى بعلبك واتبعه خلق كثير من القوم ، وأما هربيس فأنه صف رجاله وزحف يريد القتال ، فلما نظر أبو عبيدة (رض) ذلك وأنهم قد عولوا على الحرب صف رجاله وعساكره ، وقال أيها الناس اعلموا رحمكم الله تعالى أن الله قد وعدكم وأيدكم بالنصر حتى هزم أكثر هؤلاء القوم وهذه المدينة التي أنتم قاصدون اليها وسط ما فتحتموه من البلاد وأهلها قد أكثروا من الزاد والعدد والقوة فاياكم والعجب وانتصروا واغزوا أعداء الدين وانصروا الله ينصركم واعلموا أن الله معكم . ثم حمل الأمير أبو عبيدة وحمل المسلمون قال عامر بن ربيعة : وعيش عاش فيه رسول الله (ص) سيد المرسلين ما كان بيننا وبينهم الا جولة الجائل حتى ولوا الادبار وطلبوا الاسوار ودخل هربيس المدينة مع أصحابه وفيه سبع جراحات فقال هربيس قبحك المسيح اتهزا بي ، وقد قتلت العرب رجالي ، وقد جرحت هذه الحراحات ، فقال له البطريق : ألم أقل لك أنك مهلك نفسك ورجالك .

(قال الواقدي) ثم ال الامير ابا عبيدة سار حتى نزل على بعلبك فنظر الى مدينة هائلة وحصن حصين والقوم قد أغلقوا الابواب، وقد أحرزوا أموالهم ومواسيهم في جوفها واطلع المسلمون على الاموال كأنها الجراد المنتشر. قال فلما نظر الامير ابو عبيدة (رض) الى البلد وتحصينه وامتناعه وكثرة رجاله وشدة برده وذلك انه بلد لا يزايله البرد في الشتاء والصيف. فقال الامير أبو عبيدة (رض) لخواص أصحاب رسول الله (ص) ما الرأي في ذلك أا فاجتمع رابهم على شورى واحدة، وهو أن يحاصروا القوم ويضيقوا عليهم، فقال معاذ بن جبل (رض): اصلح الله الامير اني اعلم أن الروم ازدحم بعضهم ببعض من كثرتهم وأظن أن المدينة لا تسمهم، وأن طاولناهم رجونا من النصر وأن يفتحها الله على أيدينا، فقال الامير يا ابن جبل من أين علمت أن القوم يتضايقون في مدينتهم، فقال أيها الامير : أني كنت أول من أسرع بجواده

قبل واشرفت على هذه المدينة والقلعة البيضاء ورجوت ان نلحق سوابق الخيل فرايت القوم يدخلون المدينة من جميع الابواب مثل السيل المنحدر والمدينة مسحونة باهل السواد والقرى والمواشي ودوابهم فيها ، وقد ضاقت بهم وهذه اصوات القوم في المدينة كانهم النحل من كثرتهم ، فقال ابو عبيدة صدقت يا معاذ ونصحت وايم الله ما عرفتك الا مبارك الراي سديد المشورة .

(قال الواقدى) وبات المسلمون تلك الليلة يحرس بعضهم بعضا الى الصباح . ثم كتب أبو عبيدة (رض) الى أهل بعلبك كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيوش المسلمين بالشام وخليفة أمير المؤمنين فيهم أبو عبيدة بن الجراح الى اهل بعلبك من المخالفين والمعاندين . أما بعد فان الله سيحانه وتعالى وله الحمد اظهر الدرر وأعز أولياءه المؤمنين على جنود الكافرين وفتح عليهم البلاد وأذل أهل الفساد ، وان كتابنا عذا معذرة بيننا وبينكم وتقدمة الى كبيركم وصفيركم لانا قوم لا نرى في ديننا البغي وما كنا بالذين نقاتلكم حتى نعلم ما عندكم . وأن دخلتم فيما دخل فيه المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم ، وأن أردتم الذمام ذممناكم وأن أبيتم الا القتال استعنا عليكم بالله وحاربناكم فأسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى . ثم كتب _ انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى _ وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وأمره أن يسير به الى أهل بعلبك ويأتيه بالجواب فاخذ المعاهد الكتاب واتى به الى السور وخاطبهم بلفتهم ، وقال اني رسول اليكم من هؤلاء العرب فدلوا حبلًا فربطه في وسطه ، وأخذه القوم اليهم وأتوا به الى بطريقهم هربيس فناوله الكتاب فجمع هربيس اهل الحرب والبطارقة وقرأ عليهم كتاب ابي عبيدة (رض) ، وقال اشيروا على برايكم ، فقال له بطريق من بطارقه ، وهو صاحب مشورة الراى:

"عندي أن لا نقاتل العرب لانا ليس لنا طاقة بقتالهم ومتى صالحناهم كنا في أمن وخصب ودعة كما قد صار أهل أركه وتدمر وحوران وبصرى ودمشق ، وأن نحن قاتلناهم وأخذونا في الحرب قتلوا رجالنا واستعبدونا وسبوا حريمنا والصلح خير من الحرب ، فقال هربيس: لا رحمك المسيح فما رأيت أجبن منك ولا أقل جلدا يا ويلك كيف تأمرنا أن نسلم مدينتنا ألى أوباش العرب ، ولا سيما وقد عرفت حربهم وقتالهم واختبرت نزالهم وأني في هذه النوبة لو حملت في ميسرتهم كنت هزمتهم ، فقال له البطريق نعم كانت الميسرة والقلب يخافون منك . ثم تخاصما وتشاتما وافترق أهل بعلبك فرقتين فرقة بطلبون الصلح وفرقة يطلبون القتال ورمى هربيس الكتاب الى المعاهد بعد أن مزقه وأمر غلمانه أن يدلوه الى ظاهر المدينة ففعلوا ذلك ووصل الماهد الى عسكر المسلمين وأتى أبا عبيدة (رض) وحدثه بما كان من القوم ، وقال أبها الامير أن أكثر القوم عولوا على القتال ، فقال أبو عبيدة (رض) للمسلمين شدوا

عليهم ، واعلموا أن هذه المدينة في وسط أعمالكم وبلادكم . فأن بقيت كانت وبالا على من صالحتم ولا تقدرون على سفر ولا على غيره ، قال فلبس أصحاب رسول الله (ص) السلاح والعدد ورجعوا الى الاسوار وعطف اهل بعلبك عليهم وتراموا بالسهام والاحجار ، وان هربيس قد نصب كرسيه وسريره على برج من ابراج القلعة من ناحية النملة ، وقد عصب جراحته ولبس سلاحه ولامته ولبس على راسه صليبا من الجواهر وحوله البطارقة والديرجانية بالدروع المذهبة والعدد الكاملة وفي اعناقهم صلبان الذهب والجوهر وبأيديهم القسى والسهام . قال عامر بن وهب اليشكري شهدت حرب تعلبك ، وقد زحفت المسلمون الى سورها . قال ونشاب الروم كالجراد المنتشر ، وكان اناس من العرب بلا سلاح فأصابهم سهام القوم . قال ورايت القوم يتساقطون علينا من السور تساقط الطير على الحب فذهبت الى رجل سقط لاضرب عنقه فصاح الفوث الفوث وكنا قد عرفنا من الحرب أن من قال: الفوث يعني الامان ، فقلت له يا ويلك لك الامان فما الذي القاك الينا من سوركم ؟ فجعل يكلمني بالرومية ، وأنا لا ادرى ما يقول . قال عامر ابن وهب اليشكري فسنحبته الى خيمة ابى عبيدة ، وقلت له أيها الامير: اطلب من يعرف لغة هذا العلج فاني رأيتهم يرمى بعضهم بعضا ، فقال ابو عبيدة (رض) لمن حضر من المترجمة اخبرنا بخبر هذا العلج وما قضيته ، ولم يرمى بعضهم بعضا ؟ فقال له الترجمان يا ويلك قد اعطيناك الامان فاصدقنا في الكلام وقل لنا لم يرمي بعضكم بعضا ؟ قال أنْ بعضنا لا يرمي بعضا ولكنا من أهل والقرى ، فلما سمعنا بمسيركم ورجوعكم عن أهل قنسرين التجأنا الى هذه المدينة من جميع الرساتيق لنتحصن فيها لما نعلم من كثرة ما بها من الجيش فضيق بعضنا على بعض وسددنا طرقات المدينة ومضى بعضنا الى السور ، فاذا ليس لنا موضع ناوي اليه ولا مسكن نسكن فيه فجعلنا الابراج والاسوار مسكنا لنا . فلما زحفتم الى القتال برز اليكم أهل الحرب والنزال من هذه المدينة فجعلوا يدوسوننا بأرجلهم ، واذا اشتد الحرب عليهم والقتال يدفع الرجل منهم الرجل منا فيلقيه اليكم .

(قال الواقدي) فلما سمع الامير أبو عبيدة (رض) ذلك فرح فرحا شديدا وقال ارجو من الله أن يجعلهم غنيمة لنا ، قال وأخذت الحرب مأخذها وطحنت رجالها وعلا الضجيج وحمى الروم أسوارهم فلم يقدر أحد من المسلمين أن يصل اليها من كثرة السهام والحجارة ، قال غياث بن عدي الطائي : حاربنا أهل بعلبك في أول يوم فأصيب من المسلمين أثنا عشر رجلا ، وأصيب من الروم على السور خلق كثير من أهل الحرب وغيرهم ، وانصرف المسلمون الى رحالهم وما لهم همة الى الطعام ولا الشراب ولا يريد أحد منا ألا الاصطلاء بالنار من شدة البرد . قال فبينما نحن ليلتنا نوقد النار ونتناوب في الحرس الى الصباح ، فلما صلينا الفجر نادى مناد من قبل ابي عبيدة (رض) يقول : عزيمة مني على كل رجل من المسلمين لا يبرز الى حرب

هؤلاء القوم حتى ينفذ الى رحله ويصلح له طعاما حارا باكله ليكون بذلك شديدا على لقاء العدو . قال فابتدرنا لاصلاح أمورنا ، فلما نظر أهل بعليك إلى تأخرنا عن حربهم وقتالهم طمعوا فينا وظنوا أن ذلك فشل منا وعجز ، فصاح هربيس في الروم وقال اخرجوا لهم بارك المسيح فيكم . قال غياث بن عدى : فلم يشعر المسلمون الأ والابواب قد فتحت والخيل والرجال قد طلعت الينا كالجراد المنتشر . قال وكان يعضنا قد مد يده الى الطعام وبعضنا ينضج له القرص واذا بمناد ينادي يا خيل الله اركبي وللجهاد تأهبي ، فدونكم والقوم قبل أن يدهموكم . قال حمدان بن أسيد الحضرمي وكان لي قرص خبزته وقدمت شيئا من الزيت لاجعله ادامي للقرص واذا بالمنادي ينادي النفير النفير ، قال فوالله ما راعني ذلك حتى أخذت قطعة وغمستها في الزيت وهويت بها الى فمي ، سمعت النفير فقمت مسرعا وركبت جوادى عريانا من دهشتى لسرعة الاجابة وضربت بيدي على عمود من اعمدة الخيام وحملت على القوم ، فوالله ما شعرت بما صنعت ولا عقلت على نفسي حتى صرت في الروم فجعلت احطمهم حطما واهبرهم بالسيف هبرا . قال فنظرت الى خيل الروم متفرقة والأمير ابو عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها ، وان أبا عبيدة (رض) ينادى برفيع صوته اليوم يوم له ما بعده . قا لونظر ابو عبيدة الى شدة ضرب الروم وصبرهم على قتال المسلمين ، فحمل عليهم بالخيل العربية واحاط بالروم من كل جانب ومكان وكان في جملة خيله عمرو بن معد يكرب الزبيدي وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) وربيعة بن عامر ومالك بن الاشتر وضرار بن الازور (رض) وذو الكلاع الحميرى فلله درهم فلقد قاتلوا قتالا شديدا وابلوا بلاء حسنا ، فلما نظرت الروم الى فعلهم رجعوا الى اعقابهم طالبين الاسوار وغلقوا الابواب ، ورجع المسلمون الى عسكرهم واضرموا نيرانهم ودفنوا من استشهد منهم واقبلت رؤساء المسلمين الى الامير أبي عبيدة (رض) وقالوا: أيها الامير ما الذي قد عزمت عليه وما عندك من الرأي يرحمك الله ؟ فقال أبو عبيدة (رض) : اعلموا أن من الرأي أن نتأخر عن المدينة مقدآر شوط فرسخ ليكون ذلك مجالا لخيلكم ومنعة لحريمكم والنصر من عند الله تعالى . .

ثم دعا ابو عبيدة (رض) بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعقد له راية وامره على خمسمائة فارس وثلثمائة راجل وأمرهم ان يهبطوا الى الوادي وأن يقاتلوا القوم على الابواب وأن يشغلوهم عن المسلمين ، ثم دعا ضرار بن الازور وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس ومائة راجل سرحه الى باب الشام ، وقال : يا بن الازور اظهر شجاعتك على بني الاصفر فقاتل من هناك من الروم ، فقال حبا وكرامة ، قال ومضت كل فرقة الى جهة من الجهات ، فلما أصبح الصباح فتحت الروم الابواب وخرجوا في خلق كثير الى أن تكاملوا حول بطريقهم هربيس ، فقال لهم البطريق : اعلموا يا

معاشر النصرانية أن أهل هذا الدين من قبلكم قد فشلوا عن قتال هؤلاء العرب وعجزوا عن قتالهم ونزالهم . فقالوا أيها السيد طب نفسا وقر عينا فانا كنا نخاف من العرب قبل أن نختبرهم ونعلم قتالهم ، وقد علمنا أنهم أذا لاقوا حربنا لم يكونوا أصبر منا على الحرب ، لان أحدهم يلقي الحرب وعليه ثوب خلق خام أو فروة خلقة ، ونحن علينا الدروع والزرد وقد وهبنا أنفسنا للمسيح .

(قال الواقدي) فلما نظر أبو عبيدة الى كثرتهم نادى برفيع صوته : يا معاشر المسلمين لا تفشلوا فتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . قال وان الروم داخلهم الخوف لما كانوا قد نالوه من غرة المسلمين بالامس فحملوا حملة عظيمة . قال سهل بن صباح العبسي شهدت قتال أهل بعلبك ، وقد خرج الينا أهلها في اليوم الثاني وهم اطمع مما كانوا في اليوم الاول وقد حملوا علينا حملة عظيمة شديدة منكرة وكنت في ذاك اليوم اصابني جرح في عضدي الايمن وما اطيق أن أحرك يدي ولا أحمل سيفا فترجلت عن جوادي وجريت بين اصحابي وقلت في نفسي اذا قصدني احد من هؤلاء الاعلاج لم يكن لي غنى أدفع عن نفسي فطلعت الى ذروة الجبل فعلوته وأشرفت على العسكرين وجعلت انظر الى حربهم وقتالهم وقد طمعت الروم في العرب والمسلمون ينادون بالنصر ، وأبو عبيدة يدعو لهم بالنصر والتحمت القبائل وافتخرت العشائر قال سهل بن صباح: وأنا على الجبل من وراء حجر أنظر الى ضرب السيوف على البيض والحجف والشرر يطير من شعاعها وقد التقى الفريقان واختلط الجمعان فقلت في نفسي ويحي وما عسى أن ينفع المسلمين مقام سعيد بن زيد وضرار بن الازور على الأبواب والامير أبو عبيدة في مثل هذا الحرب وانهم والله على وجل أن ينكشفوا من عظم شدتهم وحربهم وهول ما يلقونه قال فاسرعت الى جراثيم الشبجر فجعلت أكسرها وأعبي الحطب بعضه على بعض وعمدت الى زناد كان معي فأوقدت النار وأضرمتها فيه وعبيت عليه حطبا أخضر ويابسا حتى علا منه دخان عظيم وكانت علامتنا اذا أردنا أن يجتمع بعضنا الى بعض بأرض الشام في الليل وقود النار واثارة الدخان قال فما هو الا أن علا الدخان وتصاعد الى الافق حتى نظر اليه سعيد بن زيد وأصحابه وضرار بن الازور وأصحابه فنادى بعضهم بعضا الحقوا الامير ابا عبيدة رحمكم الله فان هذا الدخان ما هو الا من شيء عظيم ، والصواب أن نكون بخيلنا في موضع واحد فأسرعوا بخيلهم وساروا حتى اشرفوا على المسلمين وهم في شدة الحرب وأعظم الكرب وقد بلفت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر واذا بمناد هتف بهم : يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان ، واذا قد اشرف عليهم سعيد بن زيد وضرار بن الازور في أوائل خيلهم وقد شرعا سنانهما وحملا في الروم وقد أيقن الروم انهم الغالبون اذ ظهرت عليهم رأيات المسلمين وكتائب المولمحدين فالتفتوا ينظرون ما الخبر ، واذا بالمسلمين من ورائهم وقد حالوا بينهم وبين مدينتهم فنادوا بالويل والخراب وظنوا انه قد انى للمسلمين نجدة ومدد وقد غرر بهم البطريق ، فلما نظر البطريق الى تبلدهم زعق فيهم وقال يا ويلكم لا ترجعوا الى المدينة قد حيل بيكم وبينها وهذه مكيدة من مكايد العرب ، فلما سمعت الروم ذلك احاطوا ببطريقهم كالحلقة المستديرة يحمي بعضهم بعضا قعدل بهم البطريق نحو الجبل ذات الشمال ، وكان سعيد بن زيد وضرار بن الازور قد اقبلا بجيشهما عن يمين الحصن وشماله فحملوا عليهم وانبعوا آنارهم حتى طلعوا الى الجبل والتجات الروم الى ضيعة في الجبل حصينة خالية من اهلها فاستند الروم اليها وتحصنوا فيها وتبعهم سعيد بن زيد في الخمسمائة فارس الذين كانوا معه وذلك ان الامير ابا عبيدة (رض) لما نظر الى هزيمة الروم نادى في المسلمين معاشر الناس لا يتبعهم احد ولا يفترق جمعكم لاني اخشى ان تكون هزيمة القوم مكيدة لكم حتى اذا تفرق جمعكم زحفوا عليكم ، قال وان سعيد بن زيد لم يكن يسمع النداء ، ولو سمع النداء ما تبع القوم .

(قال الواقدي) لما تحصنت الروم في الضيعة قال سعيد بن زيد: هذه طائفة قد اراد الله هلاكها فدوروا بهم وحاصروا في كل مكان ولا تدعوا احدا يطلع رأسه الى ان تلحق بكم المسلمون ويأتي اليكم امر من الامير أبي عبيدة نم أقبل الى رجل من عظماء المسلمين وقال له اخلفني في قومي حتى انظر راى الامير ابي عبيدة ومن معه ثم اخذ معه زهاء من عثيرين فارسا من أصحابه وسار حتى لحق بجيش المسلمين فلما نظر اليه الامير ابو عبيدة ومن معه قال يا سعيد ابن رجالك وما صنعت بهم ؟ قال ابشر أيها الامير فان المسلمين في خير وسلامة وقد حاصروا أعداء الله في ضيعة في هذا الجبل ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها . فقال أبو عبيدة: الحمد لله الذي هزمهم عن اوطانهم وجعلهم اشتاتا ، ثم أقبل أبو عبيدة على سعيد بن زيد وعلى ضرار بن الازور وقال لهما ما هذه المخالفة رحمكم الله الم آمركم بالاقامة على أبواب المدينة والمشاغلة للقوم فما الذي ردكم الى وقد ارعبتم قلبي وقلب من كان معي وظننت أن أهل المدينة كادوكم وهو الذي منعنا أن نتبع المنهزمين . فقال سعيد بن زيد ابها الامير والله ما عصيت لك امرا ولا خالفتك في قول واني قد وقفت حيث أمرتني اذ راينا دخانا قد علا قتامه ولاح لنا بيانه فقلنا والله ما هذه الا داهية من دواهي الروم أو نفير قد استدعانا به المسلمون فأسرعنا نحوك فعندها نادى الامير أبو عبيدة في المسلمين معاشر الناس: ايكم اوقد نارا او دخن دخانا في هذا الجبل فليجب الامير أبا عبيدة ؟ قال سهل بن صباح فلما سمعت الناداء اجبت المنادي واتيت الامير أبا عبيدة . فقال ما الذي جراك على ذلك فقصصت عليه قصتي . فقال أبو عبيدة لقد وفقك الله تعالى الى الجنة فاياك بعدها أن تحدث حديثا من غير اذن أميرك .

(قال الواقدى) فبينما الامير كذلك يحدث سهل بن صباح واذا برجل من

المسلمين منحدر من الجبل وهو ينادي النفير النفير يا أمة البشير النذير ادركوا اخوالكم المسلمين فقد احاط بهم الروم وهم في أشد ما يكون من القتال وأنه قد دنا البطريق من المسلمين ونادى بأصحابه ورجاله وقال يا عباد المسيح اليكم هذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة التي قد احاطت بكم فاقتلوهم وادخلوا المدينة فانكم ان قتلتم القوم كسرتم بذلك حدة العرب وانصرفوا عنكم . قال مصعب بن عدي : وكنت في بعلبك من اصحاب سعيد بن زيد ، وقد جعلنا محاصرين البطريق والروم في الضيعة ونحن دون الخمسمائة رجل فما شعرنا الا والبطريق والروم قد تبادروا الينا من كل مكان فنادى بعضنا بعضا واجتمعنا قال والله لقد كبوا علينا الخيل وأحاطوا بنا بعد ما كنا احطنا بهم وكان شعارنا في ذلك اليوم الصبر الصبر قال فبينما نحن كذلك في اشد الحرب واعظم الكرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملا الجبل ومناديا ينادى ويقول: اما من رجل يهب نفسه في الله ويشنف المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون ما نزل بنا . قال مصعب بن عدى : فلما سمعت الصوت همزت جوادى بكعبى ، وكان جواد عتيقا يسبق الربح الهبوب او الماء اذ انسكب من ضيق الانبوب وكانه الطود العظيم ، والله لقد خرج من تحتى كأنه البرق ولم تلحق منه الروم الا الفيار بعد ما قتلت منهم رجلين ، ولقد نظرت الى فرسى ، وهو يشب الصخرة وسلك الوعرة حتى اشرفت على عساكر المسلمين فناديت النفير النفير يا امة البشبير الندس .

فلما سمع أبو عبيدة ذلك صاح بالرماة . فأجابه خمسمائة رام من اصحاب القسى العربية فضمهم الى سعيد بن زيد ، وقال له أجهيج بين حمك الله والحق بأصحابك فبل أن يأتي العدو اليهم . ثم نادي بضرار بن الازور واصحابه ، وقال له ادرك اخاك سعيد بن زيد . قال فسار المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على قلة الجبل وأشرفوا على الروم وهم محدقون بأصحاب رسول الله (ص) ، وقال أبو زيد بن ورقة بن عامر الزبيدي وكنت ممن شهد القتال على الضيعة مع أصحاب سعيد بن زيد ، وقد أحاطت بنا الروم ، وقد صبرنا لهم صبر الكرام ، وقد صرع منا سبعون رجلا ما بين جريح وقتيل ، ونحن في اشد ما يكون من القتال والجراح ، وقد طمعت الروم فينًا حتى سمعنا التهليل والتكبير ولحقنا النفير ، فلما اشرفت علينا راية المسلمين رجعت الروم على أعقابهم مدبرين الى الضيعة: راجعين ولحقنا من تأخر منهم وكثر فيهم القتل والجراح لكثرتهم وتحصن القوم في الضيعة فأحطنا بهم من كل جانب وما تركنا منهم أحدا يخرج رأسه من كثرة النبل وورد الخبر لي الامير ابي عبيدة (رض) بمن استشبهد من المسلمين ومن قتل من الكافرين ، وأن القوم قد لزمهم الحصار ، وأن لا زاد عندهم ولا ماء ؛ فقال أبو عبيدة الحمد لله . ثم قال للمسلمين معاشر الناس ارجعوا الى أموالكم واضربوا خيامكم حول المدينة ، فان الله عز وجل كاد عدوكم ، وهو منجز لنا ما وعدنا من نصره . قال فعندها رجع المسلمون الى أموالهم ومواضعهم التي كانوا فيها اول مرة وضربوا خيامهم وانفذوا طوالعهم وارسلوا الى المرعى خيولهم وابلهم وسرحوا الى المحطب عبيدهم وأضرموا النيران في عسكرهم وذهب منهم الخوف واتاهم الامان ، وان أهل بعلبك افترقوا على السور وجعلوا يضربون على وجوههم ويصيحون بلفتهم ، فقال الامير أبو عبيدة لبعض التراجمة: ما يقول هؤلاء ؟ فقال له الترجمان: أيها الامير أنهم يقولون يا ويلهم ويا عظم ما أصابهم ويا خراب ديارهم ويا فناء رجالهم حتى ظفرت العرب ببلادهم .

(قال الواقدي) فلما دنا المساء ارسل الامير ابو عبيدة الى سعيد بن زيد يقول له: يا بن زيد الحدر الحدر على من معك من المسلمين واجتهد رحمك الله أن لا يفوتك من الروم أحد ولا تفسيح لهم قدما واحدا فيخرج منهم واحدا ... فيتبع أولهم آخرهم ، فتكون كمن حصل في يده شيء فأضاعه ، فلما وصل الرسول إلى سعيد بن زيد بهذه الرسالة ، امر المسلمين أن يحيطوا بالضيعة من كل جانب ، وأن لا يخرجوا الى الحطب الا مائة بالسلاح ففعلوا ذلك وأضرموا نيرانهم وباتوا طول ليلتهم يهللون ويكبرون وبالضيمة يطوفون ، فلما نظر البطريق هربيس الى ذلك أقبل على اصحابه ورجاله وقال لهم : يا ويلكم لقد أيسنا من التدبير وأخطأنا الرأي وما لنا مدد ولا نجدة ولا نصير ولو اجتهدنا لما اجتهدت العرب على أن يحبسونا في هذه الضيعة ، والآن قد حبسنا أنفسنا في حبس ليس فيه طعام ولا شراب ، وأن دام علينا هذا يوما ثانيا أو ثالثا ضعف قوينا ومات ضعيفنا وبطلت حيلتنا وسلمنا أنفسنا كارهين فنقتل عن آخرنا ، فقالت البطارقة فما الذي ترى أيها السيد ؟ فقال قد رأيت من الرأى أن أخدع العرب واحتال عليهم وأسالهم السلح لنا ولاهل مدينتنا كما قد طلبوا واضمن أن افتح لهم المدينة ، ونكون في ذمامهم فاذا دخلنا المدينة حاربناهم على سورنا ولعلنا نرسل الى صاحب عين الجوز والى صاحب جوسبة فلعلهما يقدمان الى نصرتنا فيكونان لقتال العرب من خارج المدينة ونحن من أعلى الاسوار ، ويكفينا المسيح هذه النوبة .

فقالت البطارقة: اعلم ايها السيد ان صاحب جوسية لا يجيبك الى نجدة ابدا لانه مشتفل بنفسه وربما يكون محاصرا مثل حصارنا هذا ، فلقد بلفنا قبل نزول هؤلاء العرب علينا أنهم صالحوهم وليس لهم من القدرة والقوة ان يقاتلوا العرب ، واما اصحاب عين الجوز فانهم في تجارتهم متفرقون في اقصى الشام وما اظن الا انهم في صلح العرب ، فانظر لنفسك ورعيتك ما فيه الصلاح ، فلما سمع البطريق هربيس قولهم أجابهم الى ذلك ، فلما أصبح الصباح طلع البطريق على جدار الضيعة ونادى برفيم صوته : يا معاشر العرب اما فيكم رجل يعرف كلامي أنا هربيس البطريق ، فلما سمعه بعض التراجمة أقبل على سعيد بن زيد وقال له : يا مولاي أن هذا العلج هو هربيس صاحب القوم وهو يستدعى كلامك ، فقال له سعيد بن زيد ادن منه

وانظر ماذا يريد وما يقول ؟ قال فدنا الترجمان منه ، فقال له ما الذي تريد ؟ قال أربد أن يؤمنني أميركم هذا في ذمامه وذمام أصحابه ويدنو مني حتى أخاطبه بما يعود صلاحه على الفريقين ، فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد ، فقال سعيد بن زيد : لا كرامة له حتى أدنو منه وأمشى اليه حتى يخاطبني فان كان له حاجة فليأت الر. خاضعا ذليلا صاغرا حتى اسمع كلامه واعلم مراده . قال فأعلم الترجمان هربيس بكلام سعيد بن زيد ، فقال هربيس فكيف انزل اليه وأنا محارب له فأنا أخاف أن يقتلني ، فقال له الترجمان أنا آخذ لك منه الذمام فأن العرب لا تخون أذا أمنت ، فقال البطريق نعم قد تناهت الينا اخبارهم ولكني اربد أن استوثق لنفسى ولاصحابي واهل بلدى لانهم قوم قد لحقهم الحقد علينا وقد اصبنا منهم دما كثيرا واني أريد أن ارسل له شخصا يأخذ لي منه أمانا ، فقال الترجمان أنا أعرفه ذلك ، ثم أقبل الترجمان على سعيد بن زيد وقال له: أن البطريق هربيس يريد أن يوجه اليك رجلا من أصحابه بأخذ له منك أمانًا ، فقال سعيد بن زبد دعه بوجه من بربد وأعلمه أن رسوله منا في أمان حتى يرجع اليه ، قال فأعلمه الترجمان بذلك فأقبل البطريق على رجل من عظماء اصحابه ، وقال له ترى ما قد نزل بنا وكيف قد ملك العرب علينا الطريق وأن بلاد الشام قد أذن المسيح بخرابها وقد نصرت العرب علينا وانا في شدة شديدة وان لم نأخذ من القوم الامان والا هلكنا وهلكت خيلنا ، وبعد ذلك يتحكمون في اولادنا وحريمنا ويقتسمون أموالنا وذرارينا وليس لنا نجدة لان كل بلدة مشتفل بنفسه عن نصرتنا فانزل الى هؤلاء العرب وخذ لنا منهم أمانا واستوثق لنا منهم ، حتى أنزل أنا اليهم فلعلنا نحرى بينهم صلحا ولعلى أمكر بهم حتى نرجع الى المدينة ، ولعلى أرغب صاحبهم في شيء من المال فلعله يرغب وينصرف عنا الى أن نرى ما يكون بينهم وبين الملك هرقل .

(قال الواقدي) فنزل الرجل ووقف امام الامير سعيد بن زيد وهم الرجل ان يسجد له فمنعه من ذلك وتبادرت اليه المسلمون فامسكوه ففزع الرجل وقال لم تمنعوني ان اعظم صاحبكم ؟ فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد ، فقال انما أنا وهو عبدان الله تعالى ولا يجوز السجود والتعظيم الالله الملك المعبود القديم ، فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من الامم فقال سعيد بن زيد فما الذي جاء بك ؟ قال جئت لآخذ منك امانا لبطريقنا أن لا تنقض لنا عهدا فقال سعيد بن زيد ليس من اخلاق الامراء ، ومن يقود الجيوش أن يفدر بعد الامان ، ولسنا بحمد الله ممن بنقض عهدا ، وقد أعطيت صاحبك أمانا ولمن معه ممن القي السلاح وخرج يطلب الامان مستسلما ، فقال الرجل نريد منك الامان ومن اميرك وممن معك ، فقال سعيد لكم مستسلما ، فقال الرجل الى البطريق واعلمه بجواب سعيد . وقال له اخرج والاكم والفدر فانه يهلك صاحبه ، وان هؤلاء العرب لا يخونون امانهم وعهدهم .

(قال الواقدي) ولقد بلغني أن البطريق هربيس خلع ما كان عليه من الثياب والديباج والقى السلاح ولبس ثياب الصوف وخرج حافيا حاسرا ذليلا ومعه رجال من قومه حتى وقف بين يدى سعيد بن زيد فخر سعيد لله ساجدا وقال الحمد لله اللي ازال عنا الجبابرة وملكنا بطارقتهم وملوكهم ثم اقبل عليه وقال له: ادن مني فدنا الى أن جلس الى جانبه وقال له: اهذا لباسك دائما أم غيرته ، فقال لا وحق المسيح والقربان ما لبست الصوف أبدا غير الحرير والديباج وما لبست هذا الافي وقتى هذا فاني ما أريد حربكم ولا قتالكم ثم قال لسعيد هل لك أن تصالحني على أصحابي هؤلاء وعلى أهل المدينة ومن فيها ؟ فقال سعيد أما اصحابك هؤلاء فأنى أوفيهم على شرط أن من دخل في ديننا فله ما لنا ، ومن اختار الاقامة على دينه والقي السلاح كان آمنا من القتل وعليه العهد أنه لا يحمل علينا سلاحا ولا يكون لنا حربا ابدا ، واما المدينة فالامير أبو عبيدة عليها وقد فتحها أن شاء الله تعالى ، تم قال أن أحببت أن تسير معى الى أبي عبيدة حتى يسمع كلامك وتصالح عن قومك فسر وأنت في ذمامي فان اتفق بينكما الامل ، والاردتك المي موضعك هذا ومن اراد الرجوع معك من رجالك الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين . فقال البطريق أنا أفعل ذلك فعندها دعا سعيد بن زيد سعد بن ابي وقاص بن عوف العدوى ، وقال يا ابن ابي وقاص كن بشيرا للامير ابي عبيدة بما سمعت واسرع بالجواب . قال فاسرع ابن ابي وقاص بن عوف وركب جواده وكان حصانا شديد العدو وجعل يسير سيرا حثيثا حتى أشرف على الامير أبي عبيدة (رض) ووقف بين يديه وسلم عليه ، وقال أصلح الله تعالى شأن الامير أبشرك بأن البطريق هربيس قد أخذ الامان من سعيد بن زيد وهو يريد أن يقبل به عليك يسألك الصلح والامان له ولاهل مدينته ، فلما سمع الامير ذلك سجد لله شكرا ورفع راسه ، وقال أيها الناس تقدموا الآن الى قتال أهل المدينة وأظهروا أسلحتكم عليها وكبروا تكبيرة واحدة لكي ترعبوا بها القوم ، قال ففعل المسلمون ذلك فارتجت المدينة وفزع أهل بعلبك وتداعوا للقتال وأحاط المسلمون بالمدينة من كل جانب ، وكان اول من سبق الى المدينة واعطاهم خبر البطريق المرقال ابن عتبة وقال حصنوا انفسكم وأولادكم واموالكم بالصلح فان ابيتم ذلك فقد وعدنا الله تبارك وتعالى على لسان نبينا محمد (ص) أن يفتح لنا بلادكم وأمصاركم وغيرها وأن الله تعالى منجز أمره . فلها سمع أهل بعلبك ذلك فزعوا فزعا شديدا واغبرت وجوههم ورعبت قلوبهم وكلت من الحرب أيديهم ، وقالوا: أهلكنا البطريق وأهلك نفسه ولو كنا صالحنا العرب من قبل أن يوجد بنا هذا الحصار لكان خيرا لنا . قال وشدد المسلمون عليهم القتال .

(قال الواقدي) فلما علم أبو عبيدة أن نيران الحرب قد أضرمت على المدينة أرسل الى سعيد بن زيد يقول له أسرع بالبطريق الينا وله الامان الذي أمنت أنت ، فنحن لا ننقض لك عهدا ، فلما ورد رسول أبي عبيدة على سعيد بن زيد استخلف

على الضيعة رجلا من اصحابه وسار سعيد مع البطريق حتى وردا على الامير ابي عبيدة (رض) فلما وقف البطريق بين يديه ونظر الى زيه وزي من معه وشهد قتالهم وعظم ما تلقى المدينة من حربهم وقتالهم حرك البطريق راسه وعض على انامله . فقال أبو عبيدة (رض) لترجمانه ما لهذا يحرك راسه ويعض انامله كأنه يتأسف على شيء فاته ؟ قال فأعلمه الترجمان بذلك فأقبل على الترجمان ، وقال له وحق المسيخ وما مسلح وحق البيعة والمذبح لقد ظننت انكم اكثر عددا من الحصى واكثر مددا ، ولقد كان يخيل لنا عند حربكم وشدة ما نلقى منكم انكم على عدد الحصى والرمل من كثرتكم ، ولقد كنا نرى خيلا شهبا وعليها رجال وبأيديهم رايات صفر وعليهم تياب خضر فلما صرت بينكم لم أر من ذلك شيئًا وما اراكم الافي قلة عدد وما ادرى ما فعل جمعكم ابعثتموه الى عين الجوز أأو الى جوسية أو مكان آخر ؟ فأخبر الامير الترجمان بدلك . فقال أبو عبيدة للترجمان قل له يا ويلك نحن معاشر المسلمين يكثرنا الله تعالى في أعين المشركين ويمدنا بللائكة كما فعل بنا يوم بدر ، وبذلك فتح الله تعالى بلادكم وحصونكم علينا وأذل ملوككم ، فلما سمع البطريق كلام ابي عبيدة (رض) على لسان الترجمان قال: لقد وطئتم الشام الذي عجزت عنه ملوك الفرس والترك والجرامقة وما ظننا أن يكون ذلك أبدا ، وأما مدينتنا فهي حصينة لا تعبأ بالحصار لانها مدينة ليس بالشيام مثلها ، بناها سليمان بن داود عليهما السيلام لنفسه وعملها دار مقامه وخزانة لملكه ولولا ما سبق من تفريطنا وخروجنا عنها اليكم وانحرافنا عنها ما صالحناكم أبدا ولا هالنا حربكم ولو أقمتم علينا مائة سنة ، والآن فقد كان ذلك فهل لكم أن تصالحونا حتى نصالحكم فتعدل فينا فهو أقرب رشدا لنا ولكم ، فوحق المسيح والانجيل الصحيح لئن فتحنا لكم هذه المدينة لا يصعب عليكم في الشام حصن ولا مدينة ، قال فلما أخبر الترجمان الامير أبا عبيدة (رض) بما قاله ، قال أبو عبيدة للترجمان قل له الحمد لله تعالى الذي ملكنًا ارضكم ودياركم فلا بد أن تؤدوا الجزية ، وقد ظننت لنفسك امانا كاذبا حتى أراك الله الذل والصفار بعد العز والاقتدار ولا بد لنا أن نملك مدينتكم أن شاء الله تعالى ونقتل الرجال وناسر الابطال ، فمن أراد حربنا وقتالنا فلا يدخل في صلحنا أبدا ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . فقال البطريق لما سمع ذلك على لسان الترجمان: لقد تيقنت أن المسيح قد غضب على أهل هذه المدينة اذ بعث بكم اليها وملككم عليها ، وقد اجتهدت في حربكم ومكرت بكم وما نفع مكرى واجتهادي لانكم قوم مسلطون ، وانما طلبت منكم السلم والقيث يدي في أيديكم بعد جهد منى ، لا شفقة منى على نفسى ولا بقاء منى على ملكى ولكن أردت صلاح البلاد لان الله تعالى لا يحب الفساد ، والآن فهل لكم ان تصالحوا على المدينة وما فيها وعلى أصحابي هؤلاء؟ فقال له الامير أبو عبيدة (رض) فما الذي تبلل لنا في صلحك ؟ قال له البطريق: ايها الامير انظر ما الذي تريد ؟ فقال الامير ابو عبيدة: لو أن الله فتح على المسلمين من الصلح على هذه المدينة بملئها ذهبا وفضة ما كان احب

الى من سفك دم رجل واحد ، لكن الله تعالى أعطى الشبهداء في الآخرة اكثر من ذلك . فقال البطريق أنا أصالحكم على الف أوقية من الفضة البيضاء والف ثوب من الديباج. (قال الواقدي) فتبسم الامير ابو عبيدة من كلامه واقبل على المسلمين وقال لهم أما تسمعون ما يقول هذا البطريق ؟ قالوا نعهم ، قال فما رايكم فيما شرط على نفسه . فقالوا يزيد عليه وشرطه يرضينا ، فأقبل الامير على البطريق وقال له : أنا اصالحكم على الفي اوقية من الذهب الاحمر والفي اوقية من الفضة البيضاء والفي ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف من مدينتكم وسلاح اصحابك الذين هم في الضيعة محاصرون ، ولنا عليكم خراج ارضكم في العام الآتي واداء الجزية في كل عام وانتم بعد ذلك لا تحملون علينا سلاحا ولا تكاتبون ملكا ولا تحدثون حدثا ولا كنيسة وترون النصح للمسلمين ، فلما سمع البطريق ذلك من شرط الامير أبي عبيدة (رض) . قال لك ذلك كله علينا الا أني أريد أن أشرط عليك وعلى أصحابك شرطا . فقال له الامير أبو عبيدة وما شرطك ؟ فقال لا يدخل الينا من أصحابك أحد وتنزل صاحبك الذي تستخلفه علينا خارج المدينة بأصحابه وبكون له الخراج والجزية وتدعني أنا من داخل المدينة من قبل الاصلاح بين الناس والنظر في أحوالهم ، ونحن نخرج الى من تخلفه علينا من اصحابك سوقا يكون فيه من جميع ما في مدينتنا ، ولا يدخلون الينا مخافة أن يغلظوا بكلامهم على كبرائنا ويفسد الامر بيننا وبينكم ويكون سنبا للفدر ونقض العهد . قال أبو عبيدة: فاذا صالحناكم نجاهد عدوكم لانكم تصيرون في ذمتنا ويكون الرجل الذي نخلفه عليكم مثل الواسطة والسفير بيننا وبينكم . قال البطريق هربيس بكون خارج المدينة ويفعل ما يشاء أن يفعله من المحاماة . فقال أبو عبيدة : لكم ذلك وما لنا في الدخول الى مدينتكم من حاجة ، فقال البطريق: تم الصلح على ذلك ، ثم سار البطريق الى المدينة وابو عبيدة معه ، فلما وصل الى الباب حسر البطريق عن راسه ورطن عليهم بلفه الروم فعر فوه عند ذلك ، فقالوا له: وأين اصحابك ورجالك ١٠٠١ فقص عليهم قصته وأخبرهم بخبره وخبر اصحابه وأعلمهم بالصلح ، فبكي القوم وقالوا تلفت النفوس وذهبت الاموال. فقال لهم البطريق: يا قوم وحق المسيح ما صالحتم ولي وجه غير الصلح ، فقالوا له اذهب أنت وصالح عن نفسك . وأما نحن فلن نصالح العرب أبدا ولن ندع أحدا منهم يملكنا ولا يدخل بلادنا ومدينتنا وهي احصن مدينة في الشام . . وكان الامير ابو عبيدة ارض) قد أعلم المسلمين بمصالحة البطريق وامرهم أن يكفوا عن القتال والحرب . فلما سمع الترجمان كلام أهل بعلبك لبطريقهم أخبر الامير أبا عبيدة (رض) بذلك ، فأقبل البطريق فقال له أبو عبيدة : هات ما عندك والا نرد الحرب كما كان . فقال البطريق : دعني والقوم ، فوحق الانجيل الصحيح وعيسى المسيح لو لم يقبلوا مني لادخلنك بالكثرة اليهم فتضع السيف فيهم وتقتل رجالهم وتسبي نساءهم وتنهب أموالهم لاني خبير بعورات بلدهم وبطرقاتها . قال أبو عبيدة (رض) ما شاء الله كان . قال وكان الروم على سورهم

يسمعون كلام البطريق لابي عبيدة (رض) فدخل الزعب في قلوبهم ، فعند ذلك اقبل البطريق على الروم وقال لهم ما تقولون في صلح العرب ؟ فاني اسير في ايديهم ورجالهم وبنو عمكم في قبضتهم ، فان لم تصالحوا العرب والا يقاتلونا جميعا ويرجعوا اليكم من بعدنا .

فقالوا أيها السيد: أنا لا نطيق هذا المال . فقالوا يا ويلكم على وحدي ربع ما طلبوا فطابت قلوبهم بذلك وقالوا انا لا نفتح الباب الالك وحدك ولا يدخل معك آحد من العرب حتى نصلح مدينتنا ونرفع رحالنا ونخفي حريمنا . فقال البطريق: ويحكم فانى قد صالحت القوم على أن لا يدخل مدينتكم أحد منهم ، وأن الرجل الذي يخلفونه عليكم يكون هو واصحابه خارج المدينة وتخرجون اليه سوقا يتسوقون منه . قال ففرحت الروم بذلك وفتحوا له الباب فدخل اليهم ، وبعث الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد أن يخلي عن الرجال الذين هم في الضيعة المحاصرون فخلى سعيد بن زيد سبيلهم وجاء بهم عند الامير أبي عبيدة وأخذ سلاحهم وتركهم عنده رهائن على المال الذي عندهم لانه خاف أن تركهم أن يرجموا إلى المدينة ويغدروا بالمسلمين ، فتركهم عندة في عساكره ، هذا والبطريق في المدينة يجبى المال بعد اثني عشر يوما وهم مع ذلك يحملون الى عسكر المسلمين الزاد والميرة والعلوفة حتى كملت الاموال والثياب والسلاح وحملها البطريق الى ابي عبيدة (رض) وقال له تسلم الاموال على ما وافقتك عليه وخل عن الرجال ، وانظر الى من تخلفه علينا من اصحابك فاحضره لنا حتى نشرط عليه بحضرتك أن لا يجور علينا ولا يطالبنا بما لا نطيق ولا يدخل مدينتنا . قال فدعا أبو عبيدة برجل من سادات قريش اسمه دافع ابن عبدالله السهمي وقال له: يا رافع بن عبدالله استعملتك على هذه المدينة وضم اليك خمسمائة فارس من بنى عمك وعشيرتك واربعمائة فارس من اخلاط المسلمين ، واني آمرك بما امرك الله به فاتق الله حق تقاله ولا تكن الا من الولاة العادلين ، واياك والظلم والجور فتحشر مع الظالمين . واعلم أن الله تعالى سائلك عنهم ومطالبك بما تصنع بغير الحق . واعلم أني سمعت رسول الله (ص) يقول « أن الله تبارك وتعالى أوحي الى موسى بن عمران عليه السلام: أن يا موسى لا تظلم عبادي أخرب بيتك من نفسك » فأقم الارضاد في أطراف البلاد فانك بين أعدائك ، وبعد هذا ما عرفتك الا استيقاظا ، وأحذرك من السواحل وشن الفارة عليهم ، ولتكن غارتك في المائة والمائتين ، ولا تمكن احدا من المدينة يختلط بأصحابك في غارة حتى يطمع عدوكم فيه ، وأحسن معاملة من ساعدك وأصلح بينهم وأمرهم بالعدل ، وكن بينهم كأحدهم ، وأمر أصحابك ومن معك أن يكفوا أيديهم عن الفساد والظلم للرعية ، والله تعالى خليفتي عليك ، والسلام عليك .

ذكر حديث نزول السلمين على حمص

(قال الواقدي) ثم هم أبو عبيدة (رض) بالرحيل الى حمص ، واذ قد ورد عليه

صاحب عين الجوز يطلب منه الصلح فصالحه على نصف ما صالحه عليه اهل بعلبك وولى عليهم سالم بن ذؤيب السلمي واوصاه بمثل ما أوصي به رافع بن عبدالله ورحل الامير أبو عبيدة (رض) يطلب حمص ، فلما وصل الى بين الرأس والكفيلة لاقاه صاحب الجوسية ومعه هذية كثيرة فقبلها منه وجدد معه صلحا ، وسار الامير أبو عبيدة (رض) حتى نزل على حمص .

(قال الواقدى) حدثنا حبان بن تميم الثقفي . قال: كنت فيمن اقام مع رافع بن عبدالله السبهمي في جملة اصحابه ، وذلك أننا نصبنا بيوت الشبعر على العمد وأقمنًا خارج المدينة لا يدخل اليها احد منا ، ونحن مع ذلك نشبن الفارة على سواحل الروم ونكبس على العرب التي لم تكن في صلحنا ، وكنا اذا خرجنا في سرية نبيع الفنائم في بعِلبك ، ففرح أهلها ببيعنا وشرائنا ووجدونا قوما ليس فينا كلب ولا خيانة ولا نريد ظلم أحد وطابت قلوبهم وربحوا في تلك المدة اليسيرة مالا عظيما ، فلما نظر البطريق هربيس الى ما ربح اهل بعليك منا في تجارتهم ورخص ما يشترونه منا جمعهم اليه في كنيسة المدينة وهي الجامع اليوم وكان ذلك بميعاد وعدهم فيه الاجتماع ، فلما اجتمعوا عنده أقبل عليهم وقال للتجار والباعة والسوقة: لقد علمتم أي قد اجتهدت في اموركم واحرصت على سلامة نفوسكم وأهاليكم وأولادكم وأنتم تعلمون ما ذهب منى من المال ، وأنا اليوم وأحد منكم وقد سلمت مالي وسلاحي وقتل أكثر غلماني ورجالي وبنو عمي وانتم قوم قد اصبتم مع هؤلاء العرب خيرا كثيرًا في هذه التجاراتُ وقد اديت وحدي ربع المال ، فقالوا صدقت أيها البطريق وقد عرفنا كل ما وصفت فما الذي تريد الآن ؟ فقال يا قوم انما كنت قبل هذا اليوم بطريقكم وأنا اليوم واحد منكم واريد أن تردوا على بعض ما بذلت من المال للعرب . فقالوا أيها البطريق وأنى لك بدلك ؟ فقال البطريق: يا قوم السبت اكلفكم أن تخرجوا من أموالكم ولا مما حوته منازلكم شيئًا ، وانما أريد أن تجعلوا في هذه البيوع والاشربة العشر مما تأخذون وتعطون . قال فاضطرب القوم اضطرابا شديدا لذلك وعظم عليهم وأقبل بعضهم على بعض وقالوا يا قوم هذا رجل منا وصاحب ملكنا وقد اجتهد في أمورنا وحامى بماله ونفسه عنا وما عسى يصيب منا في مالنا . قال فأجابوه الى ذلك وجعلوا له عليهم العشر فنصب عليهم من قبله عشارا يأخذ منهم اعشارهم ويجمعها ويحملها اليه فأقام على ذلك اربعين يوما ، فلما نظر هربيس الى كثرة ما قد اجتمع له من المال العشر قال : أنا أعلم أن هذه المدينة في كسب عظيم وتجارة رابحة ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبدا ، ثم جمعهم في الكنيسة مرة ثانية وقال لهم يا قوم قد علمتم ما بذلت من المال على صلحكم وهذا الذي تعطوني اياه من العشر ليس يحزنني ، فان أردتم أن تردوا على مالى وتجعلوني كأحدكم فاجعلوا الى الربع في أموالكم محتى يرجع الى مالى سريعا والا فمتى اخلف من هذا العشر مالى وسلاحى وغلماني .

(قال الواقدي) فأبى القوم وضجوا عليه وأشهروا عددهم ووقفوا في الطريق بغلمانه فقطعوهم اربا اربا وارتفع ضجيجهم ، فجزع المسلمون لذلك وهم لا يعلمون بالقصة فاجتمعوا الى أميرهم رافع بن عبدالله السهمي وقالوا أيها الامير: أما تسمع أصوات هؤلاء القوم في مدينتهم ، فقال يا قوم قد سمعت كما سمعتم فما عسى أن أصنع بهم ولا يحل لنا الدخول اليهم ، وبهذا جرى الشرط بيننا وبينهم ، ونحن احق بمن أوفى بعهد الله تعالى ، فإن هم خرجوا الينا وأعلمونا بأمرهم صالحنا بينهم ونظرنا في أمورهم .

(قال الواقدي) فما استتم الامير رافع بن عبدالله كلامه حتى خرج أهل بعلبك يهرعون اليه ، فلما وقفوا بين يديه قالوا: أنا بالله وبك أيها الامير ، ثم أعلموه بقصتهم وما فعل البطريق بهم أول مرة وما فعل بهم ثاني مرة . قال رافع بن عبدالله أنا لا نمكنه من ذلك ، فقالواأيها الامير أنا قد قتلناه وجميع غلمانه فصعب ذلك على أصحاب رسول الله (ص) . فقال لهم رافع فما الذي تريدون ؟ . فقالوا نريد أن تدخلوا الى المدينة فأنا قد أطلقنا لكم الدخول اليها . فقال رافع بن عبدالله أنا لا أقدر أن أدخل المدينة الا بأذن الامير أبي عبيدة لانه ما أذن لي بذلك ، ثم كتب رافع بن عبدالله الى الامير أبي عبيدة يعلمه بالقصة وبحديث البطريق وبحديثهم الذي قالوه ، فكتب له بالدخول ألى المدينة كما قد أذنوا له فدخل رافع واصحابه .

(قال الواقدى) حدثنا موسى بن عامر قال حدثنا يونس بن عبدالله قال حدثنا سالم بن عدي عن جده عبد الرحمن بن مسلم الربيعي ، وكان ممن حضر فتوح الشام اوله وَآخره . قال لما فتح الله بعلبك على يد المسلّمين وترك أبو عبيدة رافع بن عبدالله وتوجه الى حمص للحوق بخالد بن الوليد ، فلما قرب من حمص موضع يقال له الزراعة وجه على مقدمة جيشه ميسرة بن مسروق العبسى وعقد له راية سوداء معلمة بالبياض ، وضم اليه خمسة الاف فارس من المسلمين ، فلما سار ميسرة حتى وصل الى حمص خرج خالد بن الوليد (رض) الى لقائه وسلم عليه وعلى من معه من المسلمين ، ثم بعث أبو عبيدة بعده ضرار بن الازور في خمسة آلاف فارس وبعث بعده عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقدم أبو عبيدة (رض) ببقية الجيش ، فلما أشر ف أبو عبيدة على حمص قال: اللهم عجل علينا فتحها واخدل من فيها من المشركين واستقبلهم المسلمون بأجمعهم وسلموا عليه وعلى من معه ، ونزل ابو عبيدة (رض) على النهر المقلوب ، فلما استقر به القرار كتب الى أهل حمص وبطريقها الجديد وهو هربيس كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي عبيدة عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) على الشيام وقائد جيوشه: اما بعد فان الله تعالى قد فتح علينا بلادكم ولا يفرنكم عظم مدينتكم وتشييد بنيانكم وكثرة رجالكم ، فما مدينتكم عندنا أذا أتاكم الحرب الاكالبرمة قد نصبناها في وسط عسكرنا والقينا اللحم فيها وجميع العساكر يتوقع الاكل منها

وقد داروا بها ينتظرون نضجها واكل ما فيها ، ونحن ندعوكم الى دين ارتضاه لنا ربنا عز وجل ، فان اجبتم الى ذلك ارتحلنا عنكم وخلفنا عندكم رجالا منا يعلمونكم امر دينكم وما فرض الله تعالى عليكم ، وان ابيتم الاسلام قررناكم على اداء الجزية ، وان ابيتم الاسلام والجزية فهلموا الى الحرب والقتال حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ، ثم طوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين ، وكان ذلك الرجل يحفظ بالعربية والرومية وقال له انطلق الى حمص وائتنا بالجواب ، فأخذ المعاهد الكتاب وسار حتى وصل الى السور فهم اهل حمص أن يرموه بالسهام والحجارة . فقال لهم بالرومية : يا قوم امسكوا عليكم فأنا رجل معاهد وقد جئتكم بكتاب من هؤلاء العرب .

(قال الواقدي) فدلوا له حبلا فربط وسطه به وشالوه اليهم واتوا به الى بطريقهم ، فلما وقف بين يديه خضع له وناوله الكتاب . فقال له البطريق ارجعت عن دينك الى دين هؤلاء العرب ؟ قال لا ، ولكن في ذمتهم وعهدتهم أنا وأولادي وأهلي ومالي وما رأينا من القوم الا خيرا والصواب عندي أن لا تقاتلوهم ، فأن القوم أولو بأس شديد لا يخافون ولا يرهبون الموت قد تمسكوا بدينهم والموت عندهم أفضل من الحياة ، وقد اقسم بدينهم لا يبرحون عن مدينتكم حتى تسلموها اليهم أو يفتحها الله على أيديهم ، وحق ديني انكم أحب الى من العرب وأديد النصر لكم دون القوم ، ولكني خالف عليكم من باسهم وسطوتهم فسلموا تسلموا ولا تخالفوا تندموا .

(قال الواقدي) فلما سمع البطريق هربيس كلامه غضب غضبا شديدا ، وقال وحق المسيح والانجيل الصحيح لولا أنك رسول لامرت بقطع لسانك على جراءتك علينا ، فلما قرأ الكتاب وعلم ما فيه أمر كاتبه أن يكتب ألى الامير أبي عبيدة بجواب كتابه فكتب كلمة الكفر . ثم قال يا معاشر العرب الهوصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ولسنا كمن لاقيتم من أهل الشام ولم يزل الملك هر تل يستنصر بنا على من عاداه وعلى من قصد اليه من العساكر والآن فلا بد لنا من الحرب والقتال ، فان سورنا شديد وأبوابنا حديد وحربنا عتيد والسلام . وطوى الكتاب وسلمه الى المعاهد وامر غلمانه أن يدلوه بالحبال من السور وسار حتى وصل الى الامير أبي عبيدة وسلمه الكتاب ففضه وقرأه ... فلما سمع المسلمون ما فيه عولوا على الحرب والقتال وقسم الامير ابو عبيدة عسكر المسلمين أربع فرق فبعث فرقة مع المسيب بن نجية الفزاري فنزل بهم على باب الجبل مما يلي باب الصفير ، وبعث فرقة اخرى مع المرقال بن هشام بن عقبة بن أبي وقاص فنزل بهم على باب الرستق ، وبعث فرقة اخرى مع يزيد بن أبي سفيان فنزل على باب الشام ونزل الامير أبو عبيدة وخالد بن الوليد على باب الصفير وزحف المسلمون اليهم من كل مكان وقاتلوهم بقية يومهم هذا وسهام الروم تصل اليهم فيتلقونها بالحجف ونبال العرب تصل اليهم والى من باعلى السور فاثرت لاجل ذلك ضرا فانفضوا عند المساء ، فلما كان الفد جمع خالد

بن الوليد كل عبد كان في عسكر المسلمين وامرهم ان يتقلدوا بالسيوف ويتنكبوا بالحجف ويزحفوا الى سور حمص ويضربوا السور بأسيامهم ويتلقوا السهام بحجفهم . فقال الامير ابو عبيدة : وما عسى ان يفني عنا هذا يا ابا سليمان ، فقال خالد (رض) على رسلك ايها الامير ولا تخالفني فيما صنعت فاني عزمت ان أقاتلهم بالعبيد ونعلمهم ان ليس لهم عندنا من القدر شيء فما نقاتلهم بأنفسنا الا ان يخرجوا الينا ، فقال ابو عبيدة (رض) افعل ما شئت فالله تعالى يو فقك ، فعند ذلك أمرهم خالد بن الوليد (رض) بالزحف على الاسوار وكانوا اربعة آلاف عبد ، وأمر خالد الفا من العرب أن تترجل معهم ففعلوا ذلك وزحفوا على السور ، وقد استتروا بالحجف والعرب من ورائهم فرموا بالنبل وضربوا بسيوفهم فمنها ما تثلم ، ومنها ما انكسر .

(قال الواقدي) واشرف عليهم هربيس صاحب حمص ، وقد دارت بطارقته واصحاب الرتب فجعلوا يتأملون الني افعالهم ، فقال هربيس يا معاشر البطارقة وحق المسيح ما ظننت أن العرب بهذه الصفة واذا هم كلهم سودان . فقال له بعض من لحقه بأجنادين وسائر المواطن لا أيها السيد بل هؤلاء عبيدهم وهذه من بعض مكايد العرب في الحرب وقد قدم هؤلاء السودان والعبيد الى حربنا وقتالهم معنا ، وأن ليس لنا عندهم من القدر أن يلقونا بأنفسهم أو نخرج اليهم ، فقال هربيس وحق المسيح أن هؤلاء أشد من العرب بأسا وأقوى مراسا وأعلموا أنه ما لزق قوم بسور مدينتنا ولا دنوا منها الا وقد هان عليهم أمرها واقترب على أيديهم فتحها .

(قال الواقدي) ولقد بلفني أن العبيد قاتلوا يومهم قتالا شديدا وهجموا على الابواب مرارا ولم يزالوا بقية يومهم حتى أقبل الليل ورجعت الموالي الى عسكر المسلمين وبعث هربيس من ليلته رسولا ألى الامير أبي عبيدة (رض) فأقبل الرسول والظلام معتكر فأحس جيوش المسلمين به فهموا به ، فقال أنا رسول من البطريق هربيس صاحب حمص وأريد الجواب عن هذا الكتاب فسلم اليهم كتاب هربيس فأخذه أبو عبيدة (رض) وقرأه ، فأذا فيه : يا معاشر العرب أنا ظننا أن عندكم عقلا تدبرون به الحرب وتستعينون به على الامور ، وأذا أنتم بخلاف ذلك لانكم في أول حربكم لنا تفرقتم على الابواب ، فقلنا هذا أشد ما يكون من الحصار وأعظم ما يقدرون عليه من الاضرار . .

فلما كان الفد تأخرتم عن حربنا وبعثتم هؤلاء المساكين الى حربنا يقطعون اسيافهم ويكسرون سلاخهم فيا لبت شعري هل تصبر سيوفهم على فساد سورنا ، وقد بان لنا عجز رايكم وتدبيركم في القتال وملاقاة الرجال والآن فأنا اشير عليكم بامر فيه الصلاح لنا ولكم، وهو أن تسيروا الى الملك هرقل وتفتحوا ما بين ايديكم كما فتحتم ما وراءكم واياكم واللجاج والبفي فانهما قاتلان لمن اتبعهما وراجعان على من بدا بهما أو نحن نخرج اليكم صبيحة هذه الليلة والله ينصر من يشاء منا ومنكم ممن على الحق .

قال فلما قرأ الامير أبو عبيدة كتاب هربيس صاحب حمص استشار المسلمين فيما يصنع ، وكان قد حضر عنده رجل كبير من أكابر خثم وسيد من ساداتهم اسمه عطاء بن عمرو الخثممي ، وكان كبير السن قديم الهجرة سديد الراي قد قاد الرجال وولى امر الجيش وحزم العساكر ، فلما سمع كتاب هربيس وثب قائما على قدميه ، وقال للامير أبي عبيدة (رض): أقسمت عليك أنها الامير برسول الله (ص) الا ما سمعت مقالي ، فإن فيه صلاحا للمسلمين فالله وفقني لمقالة أريد المسلمين بها ، قال أبو عبيدة (رض): قل يا أبا عمرو فأنت عندنا ناصح للمسلمين . قال فدنا من الامر أبي عبيدة وسارره ، وقال له أصلح الله الامير اعلم أن خبرك عند هؤلاء منذ نزلت على هؤلاء اللثام وهذا البطريق أشد منعة وأعظم جولة ممن كان قبله ، وقد علم بفتوح بعلبك وانك لا بد أن تنزل على حصارها ، وقد استدعى بالطعام والعلوفة وآلة الحصار ، وقد شيحنا بالرجال وما ترك في رساتيقها وقراها طعاما الا وقد خزنوه ، عندهم ما يكفيهم أعواما ، وأن نحن حاصرناهم يطول الامر كما طال أمر نا على دمشق ، والرأي عندى أن تخدعهم بخديعة وتحتال عليهم بحيلة . فأن تمت لنا عليهم الحيلة فتحنا المدينة عن قريب أن شاء الله تعالى . قال أبو عبيدة (رض) : وما الحيلة عندك يا أبن عمرو ؟ فقال الرأى عندى أن نكتب الى هؤلاء القوم أن يجبرونا بالزاد والعلوفة ونضمن لهم أن نرتحل عنهم ألى أن يفتح الله تعالى عليك غير مدينتهم ونرجع اليهم ، وقد قل زادهم وانتشروا في سوادهم وتفرقوا في امصارهم وتجاراتهم ونشن عليهم غارة فنملك ما ظهر منهم ويهون عليك أمر من بقي في حمص مع قلة الزاد والعلوفة ، فقال أبو عبيدة اصبت الراي يا ابن عمرو اني سوف أفعل ما ذكرته ونرجو من الله التوفيق والعون .

ثم دعا ابو عبيدة (رض) بدواة وبياض وكتب جواب الكتاب يعول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: اما بعد فاني رأيت في قولك صلاحا لنا ولكم ولسنا نريد البغي على احد من عباد الله عز وجل . وقد علمت ان عسكرنا كثير وخيلنا وابلنا كثير ، فان اردتم ان نرتحل عنكم فابعتوا لنا ميرة خمسة ايام وانتم تعلمون ان الطريق الذي امامنا بعيد وما نلقي بعدكم الاكل حصن منيع وابواب حديد فاذا مونتمونا رحلنا عنكم الى بعض مدائن الشام ، فاذا فنح الله علينا بعض مدائن السام رجعنا عنكم كما زعمتم ، فان فعلتم ذلك كان صلاحا لكم . وطوى الكباب وسلمه الى الرسول وسار الى حمص ، فلما قرا هربيس الكتاب فرح بذلك وجمع الرؤساء والرهابين ، وقال لهم اعلموا ان العرب قد بعثوا يطلبون منكم الزاد والميرة حتى يرحلوا عنكم فان العرب مثلهم كمثل السبع اذا وجد فريسته لم يرجع الى غيرها . وهم قد لحقهم الجوع في مدينتكم ، واذا السبع اذا وجد فريسته لم يرجع الى غيرها . وهم قد لحقهم الجوع في مدينتكم ، واذا اشبعناهم انصر فوا عنا . فقالوا ايها الامير : نخاف من العرب ان يأخذوا الزاد والعلوقة ولا يرحلوا عنا . فقال : انا نأخذ لكم عليهم العهود والموابيق انكم اذا امر تموهم يرحلون عنكم . فقالوا : افعل ما بدا لك ، واستوثق لنا ولك . قال فبعث هربيس وأحضر عنكم . فقالوا : افعل ما بدا لك ، واستوثق لنا ولك . قال فبعث هربيس وأحضر عنكم . فقالوا : افعل ما بدا لك ، واستوثق لنا ولك . قال فبعث هربيس وأحضر

القسوس والرهبان وأمرهم أن يخرجوا إلى الامير أبي عبيدة (رض) ويأخذوا عليهم العهود والمواثيق أذا أمرناهم يرحلون عنا .

قال فخرجوا وقد فتح لهم باب الرستن فساروا حتى وصلوا الى الامير ابى عبيدة واخذوا عليهم ميثاقا وعهدا أن يرحلوا عنهم اذا هم ماروهم ولا يرجع عليهم حتى يفتح الله على يديه مدينة من مدائن الشيام شرقًا أو غربا سهلا كان أو جبلا ، فقال الامير أبو عبيدة (رض): قد رضيت بذلك وتم الصلح علىذلك ، وأخرج لهم أهل حمص مما كانوا قد ادخروه من الزاد والعلوفة شيئًا عظيماً له ولعسكره ما يكفيهم مدة خمسة ايام ، فأقبل ابو عبيدة عليهم ، وقال يا أهل حمص قبلنا ما حملتموه لنا من الزاد والعلوفة ، فاذا رايتم الآن أن تبيعوا من الزاد والعلوفة ، فقالوا نحن نفعل ذلك ، فعندها نادى الامير ابو عبيدة بشراء الزاد والعلوفة ولتكثروا من ذلك ، فان قدامكم طريقا واسعا قليل الزاد والعلوفة ، فقالوا أيها الامير بماذا نشترى الزاد ، وعلى أي شيء نحمله ؟ فقال ابو عبيدة من كان معه شيء من الذي غنمتموه من الروم فليشتر به الزاد والعلوفة . قال حسان بن عدي الفطفاني خفف الله عن ابي عبيدة الحساب كما خفف عنا ما كنا نحمله من البسط والطنافس مما كان قد اتقلنا واثقل دوابنا فأخذنا به الزاد والعلوفة من القوم وكانت العرب تسمح لهم في البيع والشراء ويشتري منهم أهل حمص ما يساوي عشرين دينارا بدينارين ورغب اهل حمص في شراء الرخيص ولم يزل اهل حمص كذلك ثلاثة أيام وأهل حمص فرحون برحيل العرب عنهم . قال وكان للروم في عسكر العرب جواسيس وعيون يأخلون لهم الاخبار ، فلما نظرت الحواسيس الى أهل حمص ، وقد فتحوا مدينتهم وهم يميرون العرب ظنوا أنهم دخلوا في طاعتهم فسارت الجواسيس الى انطاكية طالبين وجعلوا كلما اجتازوا ببلد من البلد او حصن من الحصون يقولون ان اهل حمص قد دخلوا في طاعة العرب و فتحوا مدينتهم صلحا فكان يعظم ذلك على الروم ويزيدهم خوفا ورعبا ، وكان ذلك تو فيقا من الله عز وجل للمسلمين ، وكانت الجواسيس أربعين رجلا فدخل ثلاثة رجال منهم الى شيزر فأشاعوا ذلك وأشيع فيها ذلك .

ذكبر فتبح الرستين

(قال الواقدي) وسار الامير أبو عبيدة بالعسكر حتى نزل على الرستن فرآها حصنا منيعا وماؤها غزير وهي مشحونة بالرجال والعدد العديد فبعث اليهم رسولا يأمرهم أن يكونوا في ذمته فأبوا ذلك ، وقالوا لا نفعل حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل ، وبعد ذلك يكون ما شاء الله تعالى ، فقال الامير أبو عبيدة (رض) فأنا متوجهون الى قتال الملك هرقل ومعنا رجال وأمتعة وقد أثقلتنا واشتهينا أن نودعها عندكم الى وقت رجوعنا ، قال فأتى أهل الرستن الى بطريقهم ، وكان اسمه نقيطاس وشاوروه في ذلك ، فقال يا قوم ما زالت الملوك والعساكر يودع بعضهم بعضا وما يضرنا

ذلك ، ثم بعث ألى الامير أبي عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة فنحن نقضيها ونريد منكم المراعاة لاهل سوادنا حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل ، فقال الامير أبو عبيدة : ونحن نفعل أن شاء الله تعالى .

(قال الواقدي) عن تابت بن قيس بن علقمة . قال كنت ممن حضر عند ابي عبيدة (رض) ، فعند ذلك دعا أهل الرأى والمشورة من اصحاب رسول الله (ص) وقال لهم أن هذا حصن شديد منيع ليس لنا ألى فتحه سبيل الا بالحيلة والخديمة وأربد أن أجعل منكم عشرين رجلا في عشرين صندوقا وتكون الاقفال عندهم من باطنها ، فاذا صاروا في المدينة فثوروا على اسم الله تعالى فانكم تنصرون على من فيها من المشركين ، الوليد: فاذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة وبكون أسفل الصناديق أنثى في ذكر من غير شيء يمسكها فاذا حل أصحابنا في حصن من هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون . فان النصر مقرون بالتكبير ، فأجابه أبو عبيدة الى ذلك وأخد صناديق الطعام المنتخبة عند الروم ففض اسافلها وجعلها ذكرا في أنثى فأول من دخل في الصناديق ضرار بن الازور والمسيب ابن نجية وذو الكلاع الحميري وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والمرقال وهاشم بن نجعة وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ومالك بن الاشتر وعوف بن سالم وصابر بن كلكل ومازن بن عامر والاصيد بن سلمة وربيعة بن غامر وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص ودارم بن فياض العبسى وسلمة بن حبيب والفازع بن حرملة ونوفل بن جرعل وجندب بن سيف وعبدالله بن جعفر الطيار وجعله أميرا عليهم وسلموا الصناديق الى الروم ، فلما حطت الصناديق في الرستن القاها نقيطاس في قصر أمارته ، وارتحل الامير أبو عبيدة (رض) وسار حتى نزل في قرية يقال لها السودية ، فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد (رض) بجيش الزحف الى الرستن ينظر ما يكون من اصحابه وما فعلت الصحابة (رض) فسار خالد بن الوليد برجاله حتى وصل القنطرة واذا بالصياح قد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن .

(قال الواقدي) كان من امر الصحابة انه لما تركهم نقيطاس في دار امارته ركب الميعة مع بطارقته واهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر ، لاجل رحيل المسلمين عنهم وارتفعت اصواتهم بقراءة الانجيل وسمع اصواتهم اصحاب رسول الله (ص) فخرجوا من الصناديق وشدوا على انفسهم ، وشهروا سلاحهم وقبضوا على امراة نقيطاس وحريمه وقالوا نريد مفاتيح الابواب فسلمتها اليهم ، فلما حصلت المفاتيح في ايديهم رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وكبس القوم على ابواب مدينتهم فلم يجسروا عليهم لانهم بدون عدة وسلاح وبعث عبدالله بن جعفر الطيار ربيعة بن عامر والاصيد بن سلمة وعكرمة ابن ابي جهل وعتبة بن العاص والفارع بن حرملة وسلم اليهم المهاتيح ، وقال افتحوا الابواب وارفعوا اصواتكم بالتهليل

والتكبير ، فان اخوانكم المسلمين من حول المدينة كاملون فتبادر الخمسة الى الباب القبلي وهو باب حمص وفتحوه ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة واذا هم بعسكر الزحف ، وعلى المقدمة خالد بن الوليد (رض) فأجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة وسمع اهل الرشتن اصوات اصحاب رسول الله (ص) فعلموا انهم في قبضتهم وان مدينتهم قد اخذت من ايديهم فاستسلموا جميعا وخرجوا اليهم وقالوا لهم انا لا نقاتلكم ونحن الآن اسرى لكم فاعدلوا فينا فأنتم احب الينا من قومنا .

قال فعرض خالد بن الوليد (رض) الاسلام عليهم فأسلم منهم كثير وبقي الاكثر يؤدون الجزية ، واما اميرهم نقيطاس فانه قال لا أريد بديني بدلا . فقال له خالد بن الوليد: الآن فاخرج باهلك عنا وحدث قومك بعدلنا فأخرجوه من الرستن فتوجه بأهله وأمواله الى حمص ، وأعلى أهلها بفتح الرستن فصعب ذلك على أهل حمص وعلموا أن العرب تصبحهم أو تمسيهم بالفارة وبعث عبدالله بن جعفر الطيار الى أبي عبيدة يخبره بالفتح والنصر فسنجد لله شكرا وبعث اليهم الف رجل من اليمن ووصاهم بحفظ الرستن وامر عليهم هلال بن مرة اليشكري ، فلما استقروا بالرستن رحل خالد بن الوليد (رض) وعبدالله بن جعفر وأهلهم وعساكرهم وتوجهوا الى حماة وكان أهل حماة في صلح المسلمين كما ذكرنا وكذلك أهل شيزر الا أن بطريق أهل شيزر مات وبعث اليهم الملك هرقل بطريقا عاتيا جبارا اسمه نكس ففسخ الصلح وأذاق أهل شيزر ضرا وشرا وكان يصادرهم ويأخذ لموالهم ويحتجب عنهم لاهيا في اكله وشربه ، فلما بلغ الخبر الامير أبا عبيدة بعث خبلا جريدة ألى شيزر ففارت الخيل على بلدهم ووقعت الضجة بشيزر وسمع البطريق نكس الضجة فنزل اليهم من قلعته وأظهر لهم بعض حجابه وجلس في بيعتهم المعظمة عندهم وجمع الرؤساء منهم وقال لهم يا أهل شيزر انتم تعلمون أن الملك هرقل قد استخلفني عليكم احفظ مدينتكم وأمنع عن حريمكم واموالكم نم فتح خزانة السلاح وفرق عليهم العدد وامرهم بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك اذ أشرف عليهم خالد بن الوليد في أصحابه ومعه جيش الزحف فنزلوا بأزائهم واشرف بعده يزيد بن أبي سفيان بأصحابه فنزل عليهم وأشرف بعد الامير أبو عبيدة في عساكره جميعهم ، فلما نظر أهل شيزر تلاحق العساكر بهم هالهم ذلك وعظم عليهم وحارت أبصارهم .

(قال الواقدي) فلما نظر ابو عبيدة (رض) كتب الى اهل شيزر كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد يا اهل شيزر فان حصنكم ليس بأمنع من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم اشجع فاذا قراتم كتابي هذا فادخلوا في طاعتي ولا تخالفوني فيكون وبالا عليكم وقد بلفكم عدلنا وحسن سيرتنا فكونوا مثل سائر من صالحنا ودخل في طاعتنا من سائر بلاد الشام والسلام . وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وبعثه اليهم فلما وصل الكتاب اليهم اعطوه بطريقهم نكس فقرىء

عليه ، فلما فهم ما فيه قال: ما تقولون يا اهل شيزر فيما ذكرت العرب ؟ فقالوا: صدقت العرب ايها البطريق الكبير فان حصننا ليس بأمنع من الرستن ولا بعلبك ولا دمشق ولا بصرى وأنت أعلم شدة أهل حمص وحدة شجاعتهم ، وقد صالحوا العرب وكذلك أهل فلسطين ومدنها والاردن وحصنها ، فكيف تمنع عنهم شيزر وهى حصن لطيف فان عصيت هؤلاء العرب فانك معول على هلاكنا وخراب مدينتنا .

(قال الواقدي) وكثر فيهم الخطاب وعلا الكلام واقبل البطريق نكس يسب اهل شيزر وامر غلمانه بضربهم ، فلما نظر اهل شيزر ذلك غضبوا واظهروا سلاحهم عليه وعلى غلمانه ووقع القتال بين الفريقين فعرف المسلمون ذلك وقالوا: اللهم اهلكهم ببأسهم ... ولم يزل اهل شيزر في القتا لحتى نصروا على البطريق وعلى غلمانه وقتلوهم عن آخرهم ، نم اخرجوا الى الامير أبي عبيدة (رض) رجالا الى لقائه بفير سلاح ، فلما وقفوا بين يدي الامير أبي عبيدة سلموا عليه وقالوا أيها الامير أنا قنلنا بطريقنا في محبتكم ، قال: يا أهل شيزر بيض الله وجوهكم وأدر رزقتم فقد كفيتمونا الحرب والقتال ، بم قال للمسلمين الا ترون الى حسن طاعة هؤلاء الروم وفعالهم ببطريقهم في محبتكم والدخول في طاعتكم ، وقد رأيت من الرأي أن أحسن الى القوم وانعم عليهم . فقال المسلمون نعم ما رأيت حتى يصل ما تصنع الى غيرهم ويفتح الله علينا البلاد أن شاء الله تعالى .

(قال الواقدي) فأقبل على أهل شيزر ، وقال: أبشروا فأني لست أكره أحدا منكم فمن أحب منكم الدخول في ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا والخراج موضوع عنكم سنتين ومن أقام على دينه فعليه الجزية وقد وضعنا عنه الخراج سنة كاملة ، ففرح الروم بذلك ، وقالوا أبها ألامير سمعنا وأطعنا وهذا قصر بطريقنا فأنت أحق بما فيه وهو هدية منا أليك فدونك وأياه وما فيه من الرجال ، والآنية وألاموال ، فأخرج أبو عبيدة (رض) منها الخمس وقسم الباقي على المسلمين بالسوية ، ونادى أبو عبيدة (رض) : يا معاشر المسلمين قد فتح ألله على أيديكم هذه المدينة أيسر فتح وأهونه ، وقد خرج أهل حمص من ذمتكم ووفيتم لهم ما عاهدوكم عليه تأرجعوا بنا عليهم رحمكم الله تعالى .

(قال الواقدي) فركب المسلمون ظهور خيولهم وهموا بالمسير واذ قد لاح لهم غبرة مرتفعة من وراء النهر المقلوب وهي منقلبة من طريق انطاكبة وقد اخذت عرضا فأسرعت خيل المسلمين اليها ، اذا معها قسيس كبير من قسوس الروم ومعه مائة برذون موسوقة بالاحمال ومن حولها مائة علج من علوج الروم يحفظونها .

(قال الواقدي) ولم يكن للفسيس خبر بنزول المسلمين على شيزر فصاح بهم خالد بن الوليد (رض) وكبر المسلمون معه وأحدقوا بهم من كل جانب وأخذوا العلوج اسرى واخذوا البراذين ، واقبل خالد على القسيس ، وقال له يا ويلك من اين اقبلت

بهذه الاحمال . قال فرطن القسيس بالرومية فلم يدر خالد ما يقول هذا القسيس الميشوم ، فبدا اليه رجل من اهل شيزر وقال يا ايها الامير انه يذكر انه من القسوس المعظمة عند الملك هرقل ، وقد بعثه وبعث معه الى هربيس هذه الاحمال فيها ديباج احمر منسوج بقضبان الذهب وعثرة احمال مملوءة دنانير وباقي الاحمال مملوءة من الثياب والدنانير فأخذوها واخرجوا منها مالا عظيما وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لم يفنموا مثلها ، وساق خالد بن الوليد الاحمال الى الامير ابي عبيدة (رض) فوجده على النهر المقلوب مما يلي شيزر وتحته عباءة قطوانية وعلى راسه مثلها تظله من حر الشمس فأقبل خالد بن الوليد (رض) بالقسيس فأوقفه بين يديه . فقال ابو عبيدة ، ما هذا يا أبا سليمان . فقال خالد : انهم قوم من انطاكية ومعهم هدية لهربيس صاحب حمص من ملك الروم هرقل .

(قال الواقدي) وعرض عليه الفنيمة ففرح الامير ابو عبيدة بها فرحا شديدا وقال: يا أبا سليمان لقد كان فتح شيزر علينا مباركا ، ثم دعا بترجمان كان معه لا يفارقه ، وقال : اسأل هؤلاء عن ملك الروم الطاغية هرقل هل هو في جمع كثير ام لا ؟ فكلم الترجمان القسيس ساعة فقال القسيس : قل للامير ان الملك هرقل قد بلفه انكم فتحتم دمشق وبعلبك وجوسية وانكم لم تنزلوا على حمص فبعث معي هذه الهدية الىهربيس البطريق وكتب اليه يامره بقتالكم ويعده بالنجدة وقدوم العساكر اليه لان الملك هرقل قد استنجد عليكم كل من يعبد الصليب ويقرأ الانجيل فأجابته الروابية والصقالبة والافرنج والارمن والدقس والمفليط والكرج واليونان والعلف والفزنة وأهل رومية وكل من يحمل صليبا والعساكر قد وصلت الى الملك هرقل من كل جانب ومكان قال فحدث الترجمان الامير ابا عبيدة (رض) بكل ما اعلمه القسيس به فعظم ذلك على الامير أبي عبيدة وعرض على القسيس الاسلام ، فقال القسيس للترجمان قل للامير أبي عبيدة أني البارحة رأيت رسول الله (ص) في المنام وقد أسلمت على يديه ففرح الامير أبو عبيدة بذلك وعرض على الاعلاج الاسلام فأبوا ذلك فضربت دقابهم ، ورحل أبو عبيدة (رض) متوجها الى حمص ، وقد سير الخيل جريدة في مقدمته فما يشعر أهل حمص الا والخيل قد أغارت عليهم فرجع القوم الى المدينة وقد غلقوا الابواب ، وقالوا غدرت العرب وحق المسيح . قال ونزل المسلمون حول حمص وداروا بها من كل جانب ومكان ، وقد نفذ الزاد من المدينة وأكثر أهلها قد خرجوا الى تجارتهم وفي طلب الميرة، وقد تفرقوا في البلاد فلما نزل الامير أبو عبيدة (رض) على حمص ، دعا بالعبيد والموالي وامرهم أن يتفرقوا على الطرقات والمحارس وقال لهم كل من وجدتموه قد رجع الى حمص بزاد أو تجارة فائتوني به ، ففعل العبيد ذلك ، وصعب على هربيس صاحب حمص وكتب الى الامير أبي عبيدة كتابا يقول فيه: أما بعد يا معاشر العرب فانا لم نخبر عنكم بالفدر ولا بنقض العهد ، الستم صالحتمونا على الميرة فمرناكم ، فطلبتم منا البيع فابتعناكم فلم نقضتم ما عاهدناكم عليه ؟ فكتب الامير أبو عبيدة (رض) يقول: أريد أن ترسل إلى القسوس والرهبان الذبن أرسلتهم الى حتى أوقفهم على ما عاهدتهم عليه ليعلموك أننا لم نفدر ولا مثلنا من يفعل ذلك أن شاء الله تعالى ، فلما قرأ هربيس الكتاب أحضر القسوس والرهبان وبعث بهم الى الامير أبي عبيدة ، فخرجوا اليه وفتح لهم باب حمص وساروا الى أن وصلوا للامير أبي عبيدة ، فسلموا عليه وجلسوا بين يديه ، فقال لهم أبو عبيدة (رض) ألم تعلموا أني عاهدتكم وحلفت لكم أنى منصرف عنكم حتى أفتح مدينة من مدائن الشام سهلا كان او جبلا ، ثم يكون الرأى لى ان شئت رجعت اليكم أو سرت الى غيركم فقالوا بلى وحق المسيح ، فقال لهم : أن الله تعالى قد فتح علينا شيزر والرستن في أهون وقت ، وقد غنمنا الله مال بطريقهم نكس وغيره مما لم نؤمله في هذه المدة اليسميرة والآن فلا عهد لكم عندنا ولا صلح الا أن تصالحونا على فتح المدينة وتكونوا في ذمتنا وامانتنا ، فقال القسوس والرهبان لقد صدقت أيها الامير ليس عليكم لوم وقد وفيتم بذمتكم ، وقد بلغنا فتحكم شيزر والرستن والخطأ كان منا اذ نستوثق لانفسنا والآن الامر بيد بطريقنا ونحن نرجع اليه ونعلمه بدلك ، ثم رجعوا الى مدينتهم ودعا الامير ابو عبيدة (رض) بالرجال والابطال وأهل الحرب ، وقال : خذوا أهبتكم فأن القوم بلا زاد ولا مدد يأتي اليهم من عند طاغيتهم ولا نجدة فاستعينوا بالله وتوكلوا على الله . . .

فلبس المسلمون السلاح والعدد ورجعوا الى الابواب والاسوار واجتمع اهل حمص ببطريقهم هربيس وقالوا: ما عندك من الراي في امر هؤلاء العرب . فقال : الامر عندي ان نقاتلهم ولا نريهم منا ضعفا قالوا فان الزاد قد نفد من مدينتنا ، وقد اخذه القوم منا وما سمعنا بمثل هذه الحيلة ، فقال هربيس : ما لكم تعجزون عن حرب عدوكم وما قتل منكم قتيل ولا جرح منكم جريح ولم تصبكم شدة ولا جوع ، وانما أصابوأ منكم على غرة ولو دخلوا المدينة لما قدروا عليكم وأقل الرجال على السور يكفيكم اياهم وعندي من الزاد في قصري ما يعم كثيركم المدة الطويلة وما احسب أن الملك هرقل يغفل وسيبلغه خبركم ويؤجه العساكر .

(قال الواقدي) وكان عند البطريق هربيس في قصره جب عظيم مملوء طعاما فغتحه وفرق الطعام على اهل حمص فسكنت بذلك نفوسهم وجعل البطريق يفرق على كبيرهم وصغيرهم بقية يومهم ذلك ، وقد انحصر اهل حمص جميعهم فنفد ذلك اليوم نصف ما في الجب وقال لهم اقنعوا بما أعطيتكم ثلاثة أيام وابرزوا الى حرب عدوكم ، ثم أخذوا أهبة الحرب وعرص عسكره وانتخب منهم خمسة آلاف فارس من أولاد الزراوزة والعمالقة لا يساوينم غيرهم فيهم ألف مدبجة ملكية وفتح خزانة جده جرجيس وفرق عليهم الدروع والجواتين والبيض والمفافر والقسى والنتياب والحراب وأقبل يحرضهم على القتال ويوعدهم بالمدد والنجدة من الملك هرقل . . .

تم دعا بالمسوس والرهبان وقال لهم : خذوا أهبتكم وادعوا المسيح أن ينصرنا على العرب فان دعاءكم لا يحجب ولا يرد قال فدخلوا كنيستهم المعظمة عندهم وهي كنيسة جرجيس وهي الجامع اليوم ونشروا المزامير وضجوا بالتهمير واقبلوا يبتهلون بكلمة الكفر وباتوا بقية ليلتهم على مثل ذلك ، فلما كان الصباح دخل هربيس الى البيمة وتقرب وصلوا عليه صلاة الموتى فدخل قصره وقدم له خنوص مشبوي فأكله حتى أتى على آخره وقدم بين يديه باطية الذهب والفضة فشرب حتى انقلبت عيناه في أم راسه ثم لبس دبياجا محشوا بالفرو والزرد الصفار المضعف العدد ولبس فوقها درعا من الذهب الاحمر وعلق في عنقه صليبا من الياقوت وتقلد بسيف من صنعة الهند وقدم له مهر كالطود العظيم فاستوى على ظهره ، وخرج من قصره طالبا باب الرستن فأحاطت به بطارقته من الروم من كل جانب ومكان ، وفتحت ابواب حمص وخرجت السروم من كل جانب ومكان في عددهم وعديدهم وراياتهم وصلبانهم وبين يدي هدربيس خمسة آلاف فارس من علوج البروم وهم بالعدد العديد ، والزرد النضيد ، فصفهم هربيس أمام المدينة كأنهم سد من حديد ، أو قطع الجلمود ، وقد وطنوا نفوسهم على الموت دون اموالهم وذراريهم فتبادر المسلمون اليهم مثل الجراد المنتشر ، وحملوا عليهم حملة عظيمة والعلوج كأنهم حجارة نابتة ماولوا عن مواضعهم ولا فكروا فيما نزل بهم ، فعندها صاح البطريق هربيس على رجاله وزجرهم فتبادرت الروم وصاح بعضهم ببعض وركب المسلمون وحملوا عليهم ورشقوا الرجال بالسهام واشتبكت الحرب واختلط الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا ما عليه من مريد ، الا أن المسلمين رجموا القهقري ، وقد فشما فيهم القتل والجراح ...

فلما نظر الأمير ابو عبيدة الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وكبر لديه وصاح فيهم بصوته يا بني القرآن الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم من ايام الله تعللى فاحملوا معي بارك الله فيكم فتراجع الناس وحملوا على اهل حمص حملة عظيمة وشدوا عليهم الحملة ، وحمل خالد بن الوليد (رض) في جمع كثير من بني مخزوم وجعلوا يضربون فيهم بسيوفهم ويطعنون برماحهم حتى طحنوهم طحن التحصيد ووضع المسلمون فيهم السيف ، وحمل ابن مسروق العبسي في طائفة من قومه من بني عبس ، وقد رفعوا اصوانهم بالتهليل والتكبير وصدموا الروم صدمة عظيمة فتراجعت الروم الى الاسوار وقد فشا فيهم القتل ، فبربرت الروم بلغاتها وتراجعت على المسلمين واحاطوا بهم من كل جانب ومكان ورشقت العلوج بالنشاب وطعنوا في المسلمين بالحراب ، وقد استتروا بالدرق والطوارق . قال فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك برز باللواء وكان هو صاحب اللواء يوم حمص وصاح خالد بأصحابه وقال شدوا عليهم بالحملة بارك الله فيكم فانها والله غنيمة الدنيا والآخرة . قال فبينما خالد بن عليهم الوليد يحرض أصحابه على القتال اذ حمل عليه بطريق من عظماء الروم وعليه لامة الوليد يحرض أصحابه على القتال اذ حمل عليه بطريق من عظماء الروم وعليه لامة

مانعة وهو يهدر كالاسد فحمل خالد بن الوليد عليه وضربه على راسه فوقع سيفه على البيضة فطار السيف من يد خالد بن الوليد وبقيت قبضته في يده فطمع العلج فيه وحمل عليه ولاصقه حتى حك ركابه بركاب خالد وتعانقا جميعا بالسواعد والمناكب فضم خالد العلج الى صدره واحتضنه بيده وشد عليه بقوته فطحن اضلاعه وادخل بعضها في بعض فأرداه قتيلا ، وأخذ خالد سيف العلج وهزه في يده حتى طار منه الشرر ووضع راسه في قربوس سرجه وحمل وصاح في بني مخزوم فحملوا حملة عظيمة وهاجوا في أوساطهم وخالد بن الوليد (رض) يفرقهم يمينا وشمالا وهو ينادي برفيع صوته .

انا الفارس الصنديد ، أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله (ص) ، ولم يزالوا في القتال الشديد الذي ما عليه من مزيد حتى توسطت الشمس في كبد السماء وحمى الدرع على خالد بن الوليد (رض) فخرج من المعركة وبنو مخزوم يتقاطرون من خلفه والدم يسيل ملء درعهم وسواعدهم كانها شقائق الارجوان ، وخالد بن الوليد (رض) في أوائلهم وهو يقول:

ويل لجمع الروم من يوم شفب اني رايت الحرب فيه تلتهب وكم لقوا منا مواقع النصب وكم تركت الروم في حال العطب

قال فناداه الامير ابو عبيدة: لله درك يا ابا سليمان لله درك لقد جاهدت في الله حق جهاده ، فلما نظر المرقال بن هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الى غفلة الروم صاح في بني زهرة وحملوا في ميمنة الروم وحمل ميسرة بن مسروق العبسي في قومه وحمل عكرمة بن ابي جهل وحوله جمع كثير من بئي مخزوم ، وحمل المسلمون بأجمعهم وقد اطاموا على الشهادة وايقنوا بالعناية .

معركية حميص

(قال الواقدي) فلم يكن يوم حمص اشد حربا ولا اقوى جلدا من بني مخزوم غير ان عكرمة بن ابي جهل كان اشدهم بأسا واقداما وهو يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك ، فقال يا قوم انا كنت اقاتل عن الاصنام ، فكيف اليوم وانا اقاتل في طاعة الملك العلام واني ارى الحور متشوقات الي ولو بدت واحدة منهن لاهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله (ص) فيما وعدنا ، ثم سل سيفه وغاص في الروم ولم يزدد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله . فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق طربيس صاحب حمص وبيده حربة عظيمة تضيء وتلتهب وهزها في كفه وضربه بها فوقعت في قلبه ومرقت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله تعالى بروحه الى الجنة ، فلما نظر خالد بن الوليد الى ابن عمه وقد وقع صريعا اقبل حتى وقف عليه وبكى ، وقال يا ليت عمر بن الخطاب نظر الى ابن عمى صريعا حتى يعلم انا اذا لاقينا العدو ركبنا الاسنة ركوبا . قال ولم يزالوا في

الاهوال الشديدة حتى هجم الليل عليهم وتراجعت الروم الى مذينتهم وغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار ورجعت المسلمون الى رحالهم وخيامهم وباتوا ليلتهم يتحارسون ، فلما اصبح الصباح قال الامير ابو عبيدة (رض): يا معاشر المسلمين ما بالكم قد صدكم هؤلاء القوم ؟ وبعد الطمع فيهم ما بالكم هزمتم وجزعتم منهم والله البسكم عافية مجللة وسلامة سابفة واظفركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلاع ، فما هذا التقصير والله تعالى مطلع عليكم ؟

فقال خالد بن الوليد (رض) : هؤلاء فرسان الروم اشد الرجال ليس فيهم سوقة ولا جبان ، وقد تعلم انهم يكونون اشد في الحرب لانهم يمنعون عن الدراري والنسوان ، فقال ابو عبيدة (رض) : فما الراي عند يا ابا سليمان يرحمك الله ؟ . فقال خالد بن الوليد (رض) : أيها الامير قد رأيت من الرأي اننا ننكشف للقوم غدا وندع لهم سوائمنا وابلنا فاذا تباعدنا عن مدينتهم وتبعتنا خيلهم وتباعدوا عن مدينتهم وصاروا معنا عطفنا عليهم ومزقناهم بالاسنة ونفسلع ظهورهم لبعدهم عن مدينتهم . فقال أبو عبيدة : نعم الرأي من رأيت يا أبا سليمان ولقد اشرت واحسنت . قال وتواعد المسلمون على أن ينكشفوا بين أيدي الروم وأن يتركوا لهم سوائمهم ، فلما أصبح الصباح فتحت أبواب حمص وخرجت الروم من جميع الابواب وزحفوا يريدون القتال ، فسألهم العرب كفوا القتال واروهم التقصير والخوف واطمعوهم في انفسهم وجعلوا ينحرفون عن قتالهم حتى تضاحى النهار وانبسطت الشمس وطاب الحرب وطمعت الروم في المسلمين لما بان لهم من تقصيرهم فشد الروم بالحملة عليهم ، فانهزمت العرب من بين أيديهم وتركوا سوائمها .

قال نوفل بن عامر حدثنا عرفجة بن ماجد النميمي عن سراقة النخعي وكان ممن حضر يوم حمص . قال لما انهزمت العرب امام الروم وتبعنا هربيس البطريق في خمسة آلاف اشهب وكانوا اشد الروم . قال سراقة بن عامر وانهزمنا امام القوم كأننا نطلب الزراعة وجوسية ، وادركتنا البطارقة وبعضهم مال الى السواد طمعا في الزاد والطعام .

(قال الواقدي) وكان بحمص قسيس كبير السن عظيم القدر عند الروم قد حنكته التجارب وعرف أبواب الحيل والخداع ، وكان عالما من علماء الروم وقد قرا التوراة والانجيل والزبور والمزامير وصحف شيث وابراهيم ، وادرك حواري عيسى ابن مريم عليه السلام ، فلما أشرف ذلك القسيس ونظر الى العرب وقد ملك الروم سوادهم جعل يصيح ويقول وهو ينادي : وحق المسيح ان هذه خديعة ومكر ومكيدة من مكايد العرب ، وان العرب لا تسلم اولادها وابلها ولو قتلوا عن آخرهم . قال وجعل القسيس يصيح واهل حمص قد وقعوا في النهب وليس يفنيهم سوى الزاد والطعام ، والبطريق هربيس قد الح في طلب المسلمين في خمسة آلاف فارس ، فلما أبعدوا عن المدينة صاح الامير ابو عبيدة (رض) برفيع صوته : اعطفوا على الروم كالسباع

الضارية والعقبان الكاسرة فردوا عليهم كردوسا واحدا حتى احاطوا بالبطريق واصحابه من كل جانب وداروا بهم مثل الحلقة المستديرة واحدقوا بهم كاحداق البياض بسواد العين ، وبقيت الروم في أوساطهم كالشامة السوداء في الثور الابيض فعند ذلك نصبت العلوج نشابها على العرب ، والمسلمون يكرون عليهم مثل الاسود الضارية ويحومون عليهم كما تحوم النسور ويضربونهم بالسيوف ويصرعونهم يمينا وشمالا حتى انكسر اكثرهم .

(قال عطية بن فهر الزبيدي) فلما نظرت الروم الى فعلنا بهم تكالبت علينا > فلما حميت الحرب ابتدر خالد بن الوليد (رض) من وسط العسكر وهو على حواد أشقر وعليه جوشن مذهب كان لصاحب بعلبك اهداه له يوم فتح بعلبك ، وكان خالد بن الوليد (رض) قد عمم نفسه بعمامة حمراء وكانت تلك العمامة عمامته في الحرب وجعل يهدر كالاسد الحردان وقد انتضى سيفه من غمده وهزه حتى طار منه الشرر ونادى برفيع صوته: رحم الله رجلا جرد سيفه وقوى عزمه وقاتل أعداءه فعندها انتضب المسلمون سيوفهم وصدموا الروم صدمة عظيمة ونادى الامير أبو عبيدة يا بني العرب قاتلوا عن حريمكم ودينكم واموالكم فان الله مطلع عليكم وناصركم على عدوكم . قال وكان معاذ بن جِبل قد انفرد في خمسمائة فارس الى السواد والاموال وانقض على الروم فما شعرت الروح والعلوج ممن انفمس في الفارة وحمل الزاد والرحال والامتعة الا والطعن قد اخذهم بأسنة الرماح من كل جانب كأنها السنة النار المضرمة ونادى مناد يا فتيان العرب اطلبوا الباب لتلا ينجو احد من الروم برحالنا وأولادنا ، فجعل المسلمون يطلبون الابواب وكانت علوج الروم قد غرقت في رحال المسلمين ، فلما نظروا الى معاذ وقد حمل عليهم في رحاله عادت وقد رمت الرحال وطلبت الهرب فانفلت منهم من انفلت وقتل من قتل . قال صهيب بن سيف الفزاري: فوالله ما انفلت من الخمسة آلاف الذين كانوا مع هربيس صاحب حمص الا ما ينوف عن مائة فارس . قال واتبعنا القوم الى الابواب فكان اعظم المصيبة قتلنا اياهم على الابواب، لان أكثر الرجال من العواصم وغيرهم كانوا في المدينة . قال سعيد بن زيد : شهدت يوم حمص وكنت ممن اولع بعدد القتلى فعددت خمسة آلاف وستة غير أسير وجريح فدنوت من الامير أبي عبيدة (رض) وقلت البشارة أيها الامير فأنى عددت خمسة الاف وستة غير اسير وجريح . فقال الامير ابو عبيدة بشرت بخير يا سعيد يا أبن زيد فهل ترى قتل بطريقهم هربيس . فقال سعيد بن زيد : أيها الامير اذا كان قتل بطريقهم هربيس فما قتله غيري . فقال الامير أبو عبيدة وكيف علمت أنه قتيلك يا سعيد . فقال سعيد بن زيد: ايها الامير اني رايت فارسا عظيم الخلقة طويلا ضخما احمر اللون وبيده سيف وعليه لامة حربه صفتهما كذا وكذا وهو في وسط الروم كانه البعير الهائج فحملت عليه وقلت في حملتي: اللهم اني أقدم قدرتك على قدرتي وغلبتك

على غلبتى: اللهم اجعل قتله على يدي وارزقني اجره . فقال له ابو عبيدة اما اخذت سلبه يا سعيد . قال لا ، ولكن علامتي فيه نبلة من كنانتي اثبتها في قلبه فخر يهوي عن جواده ونفرت عنه اصحابه فلحقته فضربته بسيفي ضربة فصرمت حقوته ونبلتي في قلبه . قال أبو عبيدة (رض) ادركوه رحمكم الله وسلموا سلبه الى سعيد ففعلوا ذلك . (قال الواقدي) فلما اخذت الحرب اوزارها اخذ المسلمون الاسلاب والدروع والشبهابي ومثلوا الجميع امام الامير ابي عبيدة (رض) فاخرج منها الخمس لبيت مال المسلمين وقسم الباقي على المجاهدين . قال ووقع الصياح والبكاء في حمص على من قتل منهم من فرسان الكفار ورجالهم . قال واجتمع مشايخ حمص ورؤساؤهم الى بيعتهم وتحدثوا مع القسوس والرهبان على ان يسلموا حمص الى المسلمين ، وخرج علماء دينهم ورؤساؤهم الى ابي عبيدة (رض) وصالحوه على تسليم المدينة اليه وان يكونوا تحت ذمامه وامانه ، فصالحهم ابو عبيدة (رض) ، وقال لست ادخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين الملك هرقل واراد اهل حمص ان يكرموا المسلمين بالاقامة والعلوفة فنهاهم الامير ابو عبيدة عن ذلك ولم يدخل احد من المسلمين الى حمص الا بعد وقعة اليرموك كل ذلك ليتقرب المسلمون الى الروم بالعدل وحسن الصحبة .

(قال جرير بن عوف) حدثنا حميد الطويل . قال حدثني سنان بن راشد البربوعي . قال حدثنا سلمة بن جريج قال حدثنا النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام ، قال لما صالحنا اهل حمص بعد قتل هربيس خرج اهل حمص ودفنوا قتلاهم فافتقدنا القتلى الذين استشهدوا من اصحاب رسول الله (ص) فوجدنا من استشهد من المسلمين مائتين وخمسة وثلاثين فارسا كلهم من حمير وهمدان الاثلاثين رجلا من اهل مكة : وهم عكرمة بن ابي جهل وصابر بن جرىء والريس بن عقيل ومروان بن عامر والمنهال بن عامر السلمي ابن عم العباس (رض) ، وجمح بن قادم ، وجابر بن خويلد والربعي ، فهؤلاء من المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص والباقون من اليمن وهمدان ومن أخلاط الناس .

ذكس وقعسة اليرمسوك

(قال الواقدي) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل ان المسلمين ، قد فتحوا حمص والرستن وشيزر ، وقد اخلوا الهدية التي بعثها الى هربيس البطريق فبلغ ذلك منه دون النفس واقام ينتظر الجيوش والعساكر من اقصى بلاد الروم لانه قد كان كاتب كل من يحمل الصليب فما مضى عليه الا ايام قلائل حتى صار اول جيوشه عنده بانطاكية وآخرها في رومية الكبرى وانه بعث جيشا الى قيسارية ساحل الشام يكون حفظه على عكاء وطبرية وبعث بجيش آخر الى بيت المقدس واقام ينتظر قوم ماهان الارمني ملك الارمن ، وقد جمع من الارمن ما لا يجمعه احد من اهالي الملك هرقل ، وبعد أيام قدم على الملك هرقل المعان وبعد أيام قدم على الملك هرقل المعان وبعد أيام قدم على الملك هرقل القائه في ارباب دولته ، فلما قرب منه ترجل ماهان

وجنوده وكفروا بين يديه ورفعوا اصواتهم بالبكاء والنحيب مما وصل اليهم من فتح المسلمين بلادهم فنهاهم عن ذلك ، وقال يا اهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية قد حدرتكم وخوفتكم من هؤلاء العرب ولم تقبلوا مني فوحق المسيح والانجيل الصحيح والقربان ومذبحنا المعمدان لا بد لهؤلاء العرب ان يملكوا ما تحت سريري هذا والآن البكاء لا يصلح الا للنساء ، وقد اجتمع لكم من العساكر ما لم يقدر عليه ملك من ملوك الدنيا ، وقد بذلت مالي ورجالي كل ذلك لاذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم فتوبوا للمسيح من ذنوبكم وانووا للرعية خيرا ولا تظلموا وعليكم بالصبر في القتال ولا يخامر بعضكم بعضا واياكم والعجب والحسد فانهما ما نزلا بقوم الا ونول عليهم الخدلان واني اربد ان اسألكم واريد منكم الجواب عما اسأنكم عنه ، فقالت العظماء من الروم والملوك :

قال: انكم اليوم اكثر عددا واغزر مددا من العرب واكثر جمعا واكثر خياما واعظم قوة فمن ابن لكم هذا الخذلان وكانت الفرس والترك والجرامقة تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم ، وقد قصدوا اليكم مرارا ورجعوا منكسرين والآن قد علا عليكم العرب وهم اضعف الخلق عراة الاجساد جياع الاكباد ولا عدد ولا سلاح ، وقد غلبوكم على بصرى وحوران واجنادين ودمشق وبعلبك وحمص قال فسكت الملوك عن جوابه ، فعندها قام قسيس كبير عالم بدين النصرانية ، وقال أيها الملك اما تعلم لم نصرت العرب علينا ؟ قال لا وحق المسيح ، فقال القسيس أيها الملك لان قومنا بدلوا دبنهم وغيروا ملتهم وجحدوا باجابة المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه ولا احسان ولا يفعلون الطاعات وضيعوا اوقات الصلوات واكلوا الربا وارتكبوا الزنا وفشيت فيهم المعاصي والفواحش ، وهؤلاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم وهبان بالليل صوام بالنهار ولا يفترون عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم خملوا علينا لا يرجعون ، وان حملنا عليهم فلا يولون ، وقد علموا ان الدنيا دار الفناء ، وان الآخرة هي دار البقاء .

(قال الواقدي) فلما سمع القوم والملك هرقل ما قاله القسيس ، قالوا: وحق المسيح لقد صدقت ، بهذا نصرت العرب علينا لا محالة ، واذا كان فعل قومنا ما ذكرت فلا حاجة لي في نصرتهم واني قد عولت ان اصرف هذه الجيوش والعساكر الى بلادها وآخذ اهلي ومالي وانزل من ارض سورية وارحل الى اسبوك ، يعني القسطنطينية فأكون هناك آمنا من العرب ، قال فلما سمع القوم ذلك من الملك صفوا بين يديه ، وقالوا أيها الملك لا تفعل ولا تخذل دين المسيح فيطالبك بذلك يوم القيامة وتعيرك الملوك بذلك ويستضعفون رأيك وأيضا تشمت بنا اعداؤنا اذا انت خرجت من جنة

الشام وسكن بعدنا فيها العرب ، وقد اجتمع لنا مثل هذا الجيش الذي ما اجتمع للك من ملوك الدنيا ، ونحن نلقى العرب ونصبر على قتالهم ولعل المسيح أن ينصرنا عليهم فاعزم وقدم من شئت واتركنا ننهض الى قتال العرب .

قال ففرح الملك هرقل بقولهم ونشاطهم وعول على ان يبعث الجيش مع خمسة ملوك من الروم ، فأول ما عقد لواء من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعلى راسه صليب من الجوهر وسلمه الى قناطير ملك الروسية وضم اليه مائة الف فارس من الصقالبة وغيرهم وخلع عليه وتوجه ومنطقه وسوره ، ثم عقد لواء آخر من الديباج الابيض فيه شمس من الذهب الاحمر وعلى راسه صليب من الزبرجد الاخضر وسلمه الى جرجير وهو ملك عمورية وملورية وخلع عليه وسوره ومنطقه وضم اليه مائة الف فارس من الروم والفردانة ومن سائر الاجناس الرومية ، ثم عقد لواء ثالثا من الدستري الملون عليه صليب من الذهب الاحمر وسلمه الى الديرجان صاحب القسطنطينية وضم اليه مائة الف فارس من المفليط والافرنج والقلن وخلع عليه وسوره ومنطقه وسوره .

ثم عقد لواء رابعا مرصعا بالدر والجوهر عليه قبضة من الذهب وعليه صليب من الياقوت الاحمر وسلمه الى ماهان ملك الارمن وكان يحبه محبة عظيمة لانه كان من الهاقوت الاحمر وسلمه الى ماهان ملك الارمن والترك وهزمهم مرارا فلما عقد له لواء خلع عليه الثياب التي كانت عليه وتوجه وسوره ومنطقه وقلده بالقلائد التي لا يتقلد بها الا الملوك الاكابر ، وقال له يا ماهان : قد وليتك على هذأ الجيش كلة ولا لا يتقلد بها الا الملوك الاكابر ، وقال له يا ماهان : قد وليتك على هذأ الجيش كلة ولا أمر على امرك ولا حكم على حكمك . ثم قال لقناطير وجرجير والديرجان وقورين وهم ملوك الجيش : اعلموا أن صلبانكم تحت صليب ماهان وامركم اليه فلا تصنعوا أمرا الا بمشورته ورايه واطلبوا العرب حيث كانوا ولا تفشلوا ، وقاتلوا عن دينكم القديم وشرعكم المستقيم وافترقوا على اربع طرق فانكم أن أخذتم على طريق واحدة لم تسعكم وتهلكوا الارض ومن عليها . ثم خلع على جبلة بن الايهم الفساني وضم اليه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام ، وقال لهم : كونوا في المقدمة ، فان هلاك كل شيء بجنسه والحديد لا يقطعه الا الحديد ، ثم أمر القسوس أن يغمسوهم في ماء المعمودية ويقرءوا عليهم ويصلوا عليهم صلاة الموتى .

(قال حدثنا) نوفل بن عدي عن سراقة عن خالد . قال أخبرنا قاسم مولى هشام بن عمرو ابن عتبة ، وكان ممن حضر فتوح الشام كله ، قال : فكانت جملة من بعث الملك هرقل الى اليرموك من العساكر ستمائة الف فارس من سائر طوائف أهل الكفر ممن يعتقد الصليب .

(قال وحدثنا) جرير بن عبدالله عن يونس بن عبد الاعلى ان جملة من بعث الملك هرقل سوى جيش انطاكية الى البرموك سبعمائة الف فارس . قال راشد بن

سعيد الحميري كنت احضر اليرمرك من اوله الى آخره ، فلما اشرفت علينا عساكر الروم باليرموك نحونا صعدت على معمل من الارض مرتفع واقبلت الروم بالرايات والصلبان فعددت عشرين راية ، فلما استقرت الروم باليرموك بعث الامير ابو عبيدة (رض) روماس صاحب بصرى ليحزر عدد القوم ، قال فتنكر روماس وغاب عنا يوما وليلة ، ثم عاد الينا ، فلما رايناه اجتمعنا عنده وسأل ابو عبيدة روماس عن ذلك ، فقال أيها الامير سمعت النوم يذكرون أن عددهم الف الف فلا أدري أهم يتحدثون بذلك ليسمع جواسيسنا ويحدثوا بذلك أم لا ؟ فقال أبو عبيدة يا روماس كم عهدك بهم وكم يكون تحت كل راية من عساكر الروم ؟ فقال أيها الامير : أما ما عهدت في عساكر الروم فتحت كل راية خمسون الف فارس ، فلما سمع أبو عبيدة ذلك ، قال الله أكبر أبشروا بالنصر على الاعداء ، ثم قرأ الآية ـ كم من فئة قليلة غلبت فئة قال الله والله مع الصابرين ـ

(قال الواقدي) ثم ان الملك هرقل لما قلد أمر جيوشه ماهان ملك الارمن وأمره بالنهوض الى قتال المسلمين ركب الملك هرقل وركب الروم وضربوا بوق الرحيل وخرج الملك هرقل ليتبع عساكره على باب فارس وسار معهم يوصيهم ، وقال لقناطير وجرجير والديرجان وقورين: ليأخذ كل رجل منكم طريقا وأمر كل واحد منكم نافذ على جيشه ، فاذا لقيتم العرب فالامر فيكم لماهان ، ولا يد على يده ، واعلموا أنه ليس بينكم وبين هؤلاء الاهذه الوقعة ، فان غلبوكم فلا يقنعوا ببلادكم بل يطلبونكم حيث سلكتم ولا يقنعون بالمال دون النفس ويتخذون حريمكم واولادكم عبيدا فاصبروا على القتال وانصروا دينكم وشرعكم .

(قال الواقدي) ثم وجه قناطير بجيشه على طريق جبلة واللاذقية ، وبعث جرجير على طريق الجادة العظمى وهي أرض العراق وسومين ، وبعث قورين على طريق حلب وحماة ، وبعث الديرجان على أرض العواصم وسار ماهان في أثر القوم بجيوشه والرجال أمامه ينحتون له الارض ويزيلون من طريقهم الحجارة ، وكانوا لا يمرون على بلد ولا مدينة الا أضروا بأهلها ويطالبونهم بالعلوفة والاقامات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون عليهم ويقولون لارد.كم الله سالمين ، قال وجبلة بن الايهم في مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجدام .

(قال الواقدي) حدثني من ائق به ان الطاغية هرقل لما بعث جيوشه الى قتال السلمين ، وكان للامير ابي عبيدة في جيوش الروم عيون وجواسيس من المعاهدين يتعرفون له الاخبار ، فلما وصل جيش الروم الى شيزر فارقتهم عيون أبي عبيدة وساروا طالبين عسكر المسلمين فلم يجدوهم على حمص فسألوهم عنهم فأخبروهم انهم حلوا لان الامير ابا عبيدة (رض) لما فتح حمص ترك عندهم من يأخذ الخراج والذي تركه عندهم رجال من اهل حمص من كبرائهم ورؤسائهم وجعل الجواسيس

يسيرون حتى وصلوا الى الجابية وحضروا بين يدي الامير ابي عبيدة (رض) واخبروه بما راوه من عظم الجيوش والعساكر ، فلما سمع ابو عبيدة ذلك عظم عليه وكبر لديه ، وقال: لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وبات قلقًا لم تفمض له عين خو فًا على المسلمين ، فلما طلع الفجر أذن فصلى بالمسلمين ، فلما فرغ من صلاته أقسم على المسلمين أن لا يبرحوا حتى يسمعوا ما يقول ، ثم قام فيهم خطيبا وحمد الله تعالى وانني عليه وذكر النبي (ص) ، وترحم على ابكر الصديق (رض) ودعا للمسلمين بالنصر > وقال: يا معاشر المسلمين اعلموا رحمكم الله أن الله ابتلاكم ببلاء حسن لينظر كيف تعملون وذلك عندما صدقكم الوعد وأيدكم بالنصر في مواطن كثيرة ، واعلموا أن عيوني اخبروني أن عدو الله هرقل استنجد علينا من كبار بلاد الشرك ، وقد سيرهم اليكم والقلهم بالزاد والسلاح ـ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ـ واعلموا أنهم قد ساروا اليكم في طرق مختلفة ووعدهم طاغيتهم أن يجتمعوا بازائكم على قتالكم ، واعلموا أن الله معكم وليس بكثير من يخذله الله تعالى وليس بقليل من يكون الله تعالى معه فما عندكم من الراي رحمكم الله تعالى ؟ ثم قال لبعض عيونه قم واخبر المسلمين بما رايت فقام الرجل واخبر الناس بما راى من الجيوش الثقيلة وعددها وعديدها ، فعظم ذلك على المسلمين وداخل قلوب رجال منهم الهيبة والجزع ، وجعل بعضهم ينظر الى بعض ولم يرد احد منهم جوابا ، فقال ابو عبيدة (رض) ما هذا السكوت عن جوابي رحمكم الله فاشيروا على ايديكم . فان الله عز وجل يقول لنبيه محمد (ص) _ وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل عن الله _ .

(قال الواقدي) فتكلم رجل من اهل السبق وقال ايها الامير: ان تترجل لك رفعة ومكان وقد نزلت فيك آية من القرآن ، وانت الذي جعلك رسول الله (ص) امين هذه الامة . فقال عليه السلام: لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة (رض) عامر بن الجراح اشر انت علينا بما يكون فيه الصلاح للمسلمين . فقال الامين ابو عبيدة (رض): انما أنا رجل منكم تقولون وأقول وتشيرون وأشير والله الموفق في ذلك . فقام اليه رجل من أهل اليمن ، وقال: إيها الامير الذي نشير به عليك أن تسير من مكانك وتنزل في فرجة من وادي القرى ، فيكون المسلمون قريبا من المدينة والنجدة تصل الينا من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وأذا طلب القوم الرنا وأقبلوا الينا كنا عليهم ظاهرين ، فقال الامير أبو عبيدة (رض): اجلسوا رحمكم الله فقد اشرتم بما عندكم من الرأي وأني أن برحت من موضعي هذا كره لي عمر بن الخطاب ذلك وأخذ يعنفني ويقول تركت مدائن فتحها الله على يديك ونزحت عنها ، وكان ذلك هزيمة منك ، يعنفني ويقول تركت مدائن فتحها الله تعالى .

فقام اليه قيس بن هبيرة المرادي وقال يا أمير المؤمنين لاردنا الله الى اهلنا سالمين ان خرجنا من الشام ، وكيف ندع هذه الانهار المتفجرة والزروع والاعناب والذهب

والفضة والديباج ونرجع الى قحط الحجاز وجد به واكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن في مثل هذا العيش الرغد ، فأن قتلنا فالجنة وعدنا ونكون في نعيم لا يشبه نعيم الدنيا . فقال أبو عبيدة (رض) صدق والله قيس بن هبيرة وبالحق نطق ، ثم قال يا معاشر المسلمين أترجعون الى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الاعلاج قصورا وحصونا وبساتين وأنهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة ما لكم مع ما لكم عند الله عز وجل في دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس بن هبيرة في قوله لنا ولسنا ببارحين منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. قال فوثب قيس بن همرة وقال صدق الله قولك أيها الامير وأعانك على ولايتك ولا تبوح من مكانك وتوكل على الله وقاتل أعداء الله ، فإن فاتنا فتح عاجل فما يفوتنا ثواب آجل . فقال أبو عبيدة (رض) شكر الله فضلك وغفر لنا ولك والرأى رأيك وتتابع قول المسلمين بحسن رأبهم الا خالد بن الوليد (رض) فانه ساكت لا يقول شيئًا . فقال ابو عبيدة (رض) يا ابا سليمان أنت الرجل الجريء والفارس الشبهم ومعك رأى وعزم فما تقول فيما قال قيس بن هبيرة . فقال خالد (رض) نعم ما اشار به قيس الا ان الراي عندي غير رايه ولكن لا أخالف المسلمين ، فقال أن كان عندك رأى فيه صلاح فائت به وكلنا لرايك تبع ، فقال خالد بن الوليد (رض) اعلم أيها الامير أنك أن أقمت في مكانك هذا فانك تعين على نفسك ، لان هذه الجابية قريبة من قيسارية وفيها قسطنطين ابن الملك هرقل في أربعين الف فارس وأهل الاردن قد اجتمعوا اليه خوفا منكم ، والذي أشير به عليكم أن ترحلوا من منزلكم هذا وتجعلوا اذرعات خلف ظهوركم حتى ينزلوا البرموك ، ويكون المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) قريبا منكم متلاحقا بكم وأنتم على فتح لقتال عدوكم وهي أرض واسعة لمجال الخيل . قال فلما نطق خالد بن الوليد بهذا الكلام . قال المسلمون نعم ما أشار به خالد ، وقال أبو سفيان بن حرب أبها الامير : افعل برأى خالد بن الوليد (رض) وابعثه الى ما يلى الرمادة فيكون بين عسماكرنا وعساكر الروم المقيمة بالاردن لئلا ندهي منهم عند رحيلنا فانه سيكون لرحيلنا ورحيل عسكرنا بين هذه الاشجار ضجة عظيمة وجلبة هائلة فيداخل عدوكم فيكم الطمع فان اقبلوا يريدون غارة ومكيدة لقيهم خالد بن الوليد (رض) بمن معه . فقال خالد بن الوليد والله يا ابن حرب لقد نطقت عن ضميري وهكذا الرأي عندي .

فعند ذلك امر ابو عبيدة الناس بالرحيل من الجابية فرحلوا ودعا ابو عبيدة بجيش خالد بن الوليد الذي اقبل به من ارض العراق وهو جيش الزحف وهو يومئذ اربعة آلاف فارس وامر خالد بن الوليد (رض) أن يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم . قال ووقعت الضجة للمسلمين عند رحيلهم حتى سمع ضجيجهم من مسيرة فرسخين وطلبوا اليرموك وسمع الروم المجتمعة بالاردن ضجة السلمين عند رحيلهم فظنوا انهم هاربون الى الحجاز لما بلفهم من جيش هرقل فطمعوا

فيهم وهموا بالفارة على أطرافهم فلقيهم خالد بن الوليد (رض) فصاح في رجاله وقال دونكم والقوم فهذه علامة النصر ، قال فانتضى المسلمون السيوف ومدوا الرماح وحمل خالد بن الوليد (رض) وحمل ضرار بن الازور (رض) والمرقال وطلحة بن نوفل العامري وزاهد بن الاسد وعامر بن الطفيل وابن أكال الدم وغير هؤلاء من الفرسان المعدودين للبراز فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين والمسلمون يقتلون ويأسرون حتى وصلوا الى الاردن ففرق منهم خلق كثير ، ورجع خالد بن الوليد (رض) ، واما الامير أبو عبيدة فانه نزل باليرموك وجعل اذرعات من خلفه وكان هناك تل عظيم فعمد أبو عبيدة (رض) الى نساء المسلمين واولادهم فاصعدهم على ذلك التل واقام الحراس والطلائع على سائر الطرقات ، فلما وصل خالد بن الوليد (رض) بالاسارى والفنائم فرح أبو عبيدة (رض) فرحا شديدا ، وقال : أبشروا رحمكم الله تعالى هذه علامة النصر والظفر وأقام المسلمون باليرموك وهم مستعدون لقتال عدوهم كأنهم ينتظرون وعدا وعدوا به وبلغ الخبر الى قسطنطين ابن الملك هرقل بأن المسلمين قد نزلوا باليرموك ، وأن ملوك الروم سائرون لقتالهم فبعث رسولا الى الملوك يستضعف رأيهم في ابطاء أمرهم ويحثهم على قتال المسلمين ، فلما ورد رسوله الى ماهان دعا بالملوك والبطارقة وقرأ عليهم كتاب قسطنطين ابن الملك هرقل وامرهم بالمسير ، فسارت جيوش الروم يتلو بعضها بعضا لا يمرون ببلد من مدائن الشام التي فتحها المسلمون الا ويعنفون أهلها ويقولون لهم : يا ويلكم تركتم أهل دينكم وملتكم وملتم الى العرب . فيقولون لهم أنتم أبحق بالملامة منا لانكم هربتم منهم وتركتمونا للبلاء فصالحنا عن انفسنا فيعرفون الحق فيسكتون ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى اليرموك فنزلوا بدير يقال له دير الجبل وهو بالقرب من الرمادة والجولان وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولا وعرضا ، فلما تكاملت الجيوش باليرموك اشرفت سوابق الخيل على اصحاب رسول الله (ص) وكانجبلة بن الايهم في المقدمة في ستين الف فارس من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجدام وهم على مقدمة ماهان ، فلما نظر أصحاب رسول الله (ص) الى كثرة جيوش الروم قالوا: لا حول ولا قوة البالله العلى العظيم . قال عطية بن عامر : فوالله ما شبهت عساكر اليرموك الا كالجراد المنتشر اذا سد بكثرته الوادي . قال ونظرت الى المسلمين قد ظهر منهم القلق وهم لا يفترون عن قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وابو عبيدة (رض) يقول ـ ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ـ قال واخذ المسلمون اهبتهم ودعا الامير أبو عبيدة بجواسيسه من المعاهدين وامرهم أن يدخلوا عساكر الروم يجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم ، وقال أبو عبيدة (رض): أنا أرجو من الله تعالى أن يجعلهم غنيمة لنا .

(قال الواقدي) فلما نزل ماهان بعساكره باذاء المسلمين على نهر اليرموك اقام

جبلة بن الايهم

(قال الواقدي) وكان تُأخير ماهان لامر ، وذلك أن رسولا ورد عليه من الملك هرقل يقول له لا تنجز الحرب بينك وبين المسلمين حتى نبعث اليهم رسولا ونعدهم منا كل سنة بمال كثير وهدايا لصاحبهم عمر بن الخطاب ولكل أمير منهم ، ويكون لهم من الجابية الى الحجاز ؛ فلما وصل الرسول الى ماهان قال هيهات هيهات ان كانوا يجيبون الى ذلك أبدا . فقال له جرجير وهو من بعض ملوك الجيش وما عليك في هذا الذي ذكره الملك هرقل من المشقة . فقال ماهان : اخرج انت اليهم وادع منهم رجلا عاقلا وخاطبه بالذي سمعت واجتهد في ذلك . قال فلبس جرجير ثياب الديباج وتعصب بعصابة من الجوهر وركب شهباء عالية بسرج من الذهب الاحمر المرصع بالدر والجوهر وخرج معه الف فارس من المدبجة ، وسار حتى اشر ف على عساكر المسلمين ، أوقف جرجير أصحابه وقرب من المسلمين ووقف بازائهم وقال يا معاشر المرب أنا رسول من الملك ماهان فليخرج الي أميركم والمقدم عليكم حتى نعرض عليه مقالنا ولعلنا نصطلح ولا نسفك دم بعضنا . قال فسمعه المسلمون فأعلموا الامر أبا عبيدة (رض) بذلك فجرج بنفسه اليه وعليه ثوب من كرابيس العراق وعلى رأسه عمامة سوداء وهو متقلد بسيفه وسار الى ان وصل الى جرجير ورفس فرسه حين التقت عنق فرسيهما والناس ينظرون اليهما . فقال أبو عبيدة (رض) يا أخا الكفر قل ما أنت قائل وأسال عما تريد . فقال جرجير يا معاشر العرب! لا يفرنكم أن تقولوا هزمنا عساكر الروم في مواطن كثيرة وفتحنا بلادهم وعلونا اكثر ارضهم فانظروا الآن ما قد أتاكم من المساكر فأن معنا من سائر الاجناس المختلفة وقد تحالفُ الروم أن لا يفروا ولا ينهزموا وأن يموتوا عن آخرهم ، وليس لكم على ما ترون من طاقة فانصر فوا الى بلادكم وقد نلتم ما نلتم من بلاد الملك هرقل ، وقد عول الملك أن يتعود الاحسيان اليكم وهو يهب لكم ما أخذتم من بلادهم منذ ثلاث سنين وقد أخذتم السلاح والذهب والفضة وقد كنتم من الهالكين . فقال الامير أبو عبيدة : أما ما ذكرت من عساكر الروم وانهم لا يفرون ولا ينهزمون ، فلو رأت الروم شفار سيوفنا هربت ناكصة على أعقابها ، وأما تهويلك لنا بكثرة عددكم فقد رأت قلتنا وضعف أحسامنا ، وكيف لقينا جموعكم وكثرتها وعظم عددها وسلاحها واحب الاشياء الينا يوم مشاجرتكم بالحرب والقتال حتى يعرف من الذي يثبت للحرب ، فلما سمع جرجير كلام الامير أبو غبيدة التفت الى رجل من أصحابه يقال له بهيل . فقال ما بهيل:

ــ الملك هرقل كأنه أعرف بهؤلاء العرب منا ، ثم لوى رأس جواده ورجع الى ماهان وأخبره بما قال أبو عبيدة ... فقال له ماهان دعوتهم الى الموعد ؟ فقال لا وحق المسيح انى لم أفاتحه في شيء من ذلك لكن أبعث لهم بعض العرب المتنصرة ، فان

العرب يميل بعضهم الى بعض ، قال فعندها دعا ماهان بجبلة بن الايهم الفساني . وقال يا جبلة : اخرج الى هؤلاء وخوفهم من كثرتنا وتواتر عددنا والق في قلوبهم الرعب واحط بهم مكرك ، قال فخرج جبلة بن الايهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى برفيع صوته : يا معاشر العرب ليخرج الي رجل من ولد عمرو بن عامر لاخاطيه بما ارسلت به ،

فلما سمع الامير أبو عبيدة (رض) كلام جبلة بن الايهم . قال قد بعث اليكم القوم بأبناء جنسكم يريدون الخديعة بصلة الرحم والقرابة فابعثوا اليه رجلا من الانصار من ولد عمر وبن عامر ، فاسرع اليه بالخروج عبادة بن الصامت الخرجي (رض) وقال لابي عبيدة : أيها الامير أنا أخرج اليه وانظر ماذا يقول فأجيب عنه ، ثم خرج عبادة نحوه بجواده إلى أن وقف أمام جبلة بن الايهم فنظر جبلة إلى رجل اسمر طويل شديد السمرة كانه من رجال شنوءة فهابه ودخل الرعب في قلبه من عظم خلقته ، وكان عبادة بن الصامت من الخطاط (رض) . فقال له جبلة يا فتى من أي الناس انت فقال عبادة: أنا من من ولد عمر و بن عامر ، فقال جبلة : حييت فمن أنت وقفال عبادة بن الصامت صاحب رسول الله (ص) : فاسال عما تريد . فقال جبلة : يا ابن العم انما خرجت اليكم لاني أعلم أن أكثر كم من الرحم والقرابة فخرجت اليكم ناصحا ومشيرا ، وأعلم أن أكثر كم من الرحم والقرابة فخرجت اليكم بها وخلفهم عساكر وحصون وقلاء القوم الذين قد نزلوا بازائكم معهم جنود لا قبل لكم بها وخلفهم عساكر وحصون وقلاء القوم ال الحرب ودل وسجال ، وان هزمكم هؤلاء القوم لا يكون لكم ملجأ غير الموت ، وهؤلاء القوم ان الهزموا يرجعون الى بلادهم وعساكرهم والخزائن والحصون ، وما قد نلتم نيلا فخلوه وامضوا الى بلادكم سالمين .

(قال عبادة بن الصامت): يا جبلة أما علمت ما لقينا من جموعكم المتقدمة باجنادين وغيرها وكيف نصرنا الله عليكم وهرب طاغيتكم ونحن نعلم من بقي من جموعكم قد تيسر علينا أمره ونحن لا نخاف ممن يقدم علينا من جموعكم وقد ولفنا في الدماء فلم نجد أحلى من دماء الروم، وأنا يا جبلة أدعوك الى دين الاسلام وأن تدخل مع قومك في ديننا وتكون على شرفك في الدنيا والآخرة ولا تكون تابع علج من علوج الروم تفديه بنفسك من المهالك وأنت رجل من سادات العرب وملوكهم، وأن ديننا ظهر أوله وآخره يظهر كما ظهر أوله فاتبع سبيل من أناب الى الحق وصنق به، فقل: لا أله الا محمد رسول الله: اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

(قال الواقدي) ففضب جبلة بن الايهم من كلام عبادة بن الصامت ، وقال لسبت مفارقا ديني . فقال عبادة بن الصامت فان ابيت الا ما انت عليه من الكفر فاياك ان تلقاني في الموعد الاول فان لنا وقعة عظيمة ، فان اخدتك شفار سيوفنا فلا تخلص من شفارها ودعنا وعساكر الروم فهم اهون علينا فان ابيت الا ما أنت علية حل يك

مثل ما حل بهم .

(قال الواقدي) فغضب جبلة بن الايهم وقال لماذا تخوفني من سيوفكم: أما نحن عرب مثلكم رجل لرجل ، فقال عبادة بن الصامت قد علمنا أنك أنما خرجت الينا مخادعا ومعينا ولسنا كأنتم يا ويلكم نحن على قلتنا نوحد ربنا ونتبع سنة نبينا محمد وان وراءنا عسكرا يعلو الاقطار ويسد القفار . فقال جبلة لسبت أعرف وراءكم جيشا غير هذا الجيش ولا من ينصركم غيرهم . فقال عبادة بن الصامت كذبت والله يا ابن الايهم في قولك وان وراءنا رجالا انجادا وابطالا شدادا يرون الموت مفنما والحياة ـ مفرما كل واحد بنفسه للقي جيشا حافلا با ولك انسبت عليا وسطوته وعمر وشدته وعثمان وبراعته والعباس وطلعته والزبير مع ما يجتمع اليهم من فرسان المسلمين من مكة والطائف واليمن وغير ذلك . قال فلما سمع جبلةً ذلك من كلام عباة بن الصامت قال يا ابن العم أنا ما خرجت الا أريد النصيحة لكم فأن أبيتم ذلك فأسأل قومك يجيبونا الى الصلح . فقال عبادة بن الصامت لا صلح بيننا الا باداء الجزية أو الاسلام . او السيف وهو حكم بيننا وبينكم ، والله لولا أن الفدر يقبح بنا لعلوتك بسيفي هذا ، فلما سمع جبلة كلام عبادة وانه قد حاف عليه في الكلام لم يرد عليه جوابا ... غير أنه نئى راس جواده واتى الى ماهان فزعا مرعوبا وقد امتلا قلبه رعبا من كلام عبادة بن الصامت ، فلما وقف بين يدى ماهان تبين في وجهه الجزع والفزع . فقال لجبلة ما وراءك ؟ فقال أيها الملك انى خوفت وأرعبت ومنيت فكان ذلك كله عندهم بالسواء وقالوا ما بيننا الا الحرب والقتال . فقال له ماهان فما هذا الفزع الذي أراه في وجهك وهم عرب مثلكم وانتم عرب مثلهم وقد بلفني انهم ثلاثون الف فارس ، وانتم ستون الف فارس أما نقاتل الرجلان منكم الرجل الواحد منهم ، دونك يا جبلة فسر أنت وأبناء عمك من العرب المتنصرة الى قتالهم وأنا وراءكم ، فأن ظفرتم بهم كأن الملك مشتركا بيننا وبينكم وتكون اقرب الناس الينا ويسلم اليكم ما فتحه العرب من بلاد الشام .

(قال الواقدي) وجعل ماهان يرغب جبلة في العطاء ويلينه ويحرضه على القتال في المسلمين حتى اجابه الى ذلك ، واخبر قومه وبني عمه من بني غسان ولخم وجدام وغيرهم من العرب المتنصرة وامرهم باخذ الاهبة للحرب والقتال ففعل القوم ذلك وركبوا في سابغ الحديد والزرد النضيد وهم ستون الف فارس ما يخالطهم من غير العرب احد يقدمهم جبلة بن الايهم وعليه درع من الذهب الاحمر متقلد بسيف من عمل التبابعة وعلى راسه الراية التي عقدها له الملك هرقل ، فسار جبلة نحو الصحابة في ستين الف فارس حتى اشرف على عساكر المسلمين وأبو عبيدة يتحدث مع عبادة بن الصامت بما جرى بينه وبين جبلة بن الايهم أذ أشرفت عليهم العرب المتنصرة ، فلما راهم المسلمون صاح بعضهم على بعض يا معاشر المسلمين قد اقبلت عليكم العرب المتنصرة لقتالكم فما انتم قائلون ؟

والحملة فصاح عليهم ونرجو من الله تعالى الظهور عليهم والمعونة وعلى غيرهم وهموا بالحملة فصاح عليهم خالد بن الوليد (رض) وقال اصبروا رحمكم الله ولا تعجلوا حتى اكيدهم بمكيدة يهلكون بها وقال لابي عبيدة (رض) أيها الاميران القوم قد استعانوا علينا بالعرب المتنصرة وهم اضعاف عددنا وان نحن نقائلهم بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا وضعفا وأريد أن أبعث لهم رسولا من بني عمهم يكلمهم في شأن ردهم عنا فان فعلوا كان ذلك كسرا لهم وللمشركين ووهنا عظيما ، وان أبوا ألا الحرب والقتال خرج منا نفر يسيريردونهم على أعقابهم بعزة الله عز وجل ، قال فتعجب أبو عبيدة (رض) وقال يا أبا سليمان أفعل ما تريد .

فعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن سعد وعبادة بن الصامت الخزرجي وجابر بن عبدالله وابي ايوب بن خالد بن يزيد رضوا الله عليهم اجمعين ، فلما وقفوا بين يديه . قال لهم يا انصار الله تعالى ورسوله هؤلاء العرب المتنصرة يريدون قتالكم وهم غسان ولخم وجذام وهم بنو عمكم في النسب فاخرجوا إليهم وخاطبوهم واجتهدوا في ردهم عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا اخذهم السيف منا ومنكم وكنا لقتالهم كفؤا .

(فال الواقدي) فخرج أصحاب رسول الله (ص) الى العرب المتنصرة فوجدوا جبلة بن الايهم قد نزل بازاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم ، فلما قربوا من بني غسان نادي جابر ابن عبدالله وقال يا معاشر العرب من لخم وغسان وجذام اننا بنو عمكم ونريد الذنو اليكم . قال فأذن لهم جبلة بالدنو اليه فدخلوا عليه . فاذا هو في مضرب من الديباج ، وقد فرش بالحرير الاصفر وهو جالس وحوله ملوكه وملوك جفنة فحيوه بتحية ملوك العرب فرفع جبلة اقدارهم وادنى مزارهم وقال يا بني العم انتم من الرحم ومن الترابة واني خرجت اليكم من جهة هذا الجيش الذي يرهقكم فخرج الي رجل منكم فأفرط عال في المقال فما الذي اتى بكم الى ، فكان أول من كلمه جابر بن عبدالله ، وقال: يا ابن العم ذلاتو اخذنا فيما تكلم به صاحبنا فان ديننا لا يقوم الا بالحق والنصيحة وان النصيحة لك منا واجبة لانك ذو قرابة ورحم ، وقد أتينا اليك ندعوك الى دين الاسلام وتكون من أهل ملتنا ، ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا فأن ديننا شريف ونبينا ظريف فقال: وما أحب ذلك ولا غيره انني ضنين بديني وأنتم يا معاشر الاوس والخزرج رضيتم لانفسكم امرا ونحن رضينا لانفسنا امرا لكم دينكم ولنا ديننا . فقال له الانصاري: ان كنت لا تحب ان تفارق دينك الذي انت عليه فاعتزل عن قتالنا لتنظر لمن تكون الماقبة والفلبة فان كانت لنا واردت الدخول في ديننا قبلناك وكنت منا وأخانا ، وإن أقمت على دينك قنعنا منك بالجزية وأقررناك على بلدك وعلى مواطن كثيرة لآبائك وأجدادك .

فقال جبلة اخشى ان تركت حربكم وقتالكم وكانت الدائرة للقوم لا آمن ان

يتقووا على بلدي ، لان الروم لا ترضى مني الا أن أكون مقاتلا لكم وقد رأسوني على جميع العرب وأنا لو دخلت دينكم كنت دنينًا ولا أتبع ، فقال الانصاري فأن أبيت ما عرضناه عليك فأن ظفرنا بك قتلناك فاعتزل عنا وعن سيوفنا فأنها تفلق الهام وتبري العظام فتكون الوقعة بغيرك أحب الينا من الوقعة بك وبمن معك قال وكانت الانصار يريدون بهذا الكلام تخويفه وترغيبه كي ينصر ف عنهم وجبلة يأبى ذلك . فقال وحق المسيح والصليب لا بد أن أقاتل عن الروم ولو كان لجميع الأهل والقرابة . فقال له نيس بن سعد يا جبلة أبيت الا أن يحتوي الشيطان على قلبك فيهوى بك في النار فتكون من الهالكين ، وأنما أتينا لندعوك الى دين الاسلام لان رحمك متصلة برحمنا فأن أبيت فستعاين منا حربا شديدا يشيب فيه الطفل الصفير ، ثم وثب قيس بن سعد وقال لقومه انهضوا على بركة الله تعالى وعونه وحسن طاعته فبعدا له وسحقا فقام جبلة فاستعد للقتال بعدته قال فركب الانصار خيولهم ورجعوا إلى الامير أبي عبيدة وخالد بن الوليد (رض) أبعده الله تعالى ، فوعيش عاش فيه رسول الله (ص) سيد المرسلين بن طبنظ ن منا جبلة ما ينظ .

ثم قال خالد بن الوليد (رض) : اعلموا معاشر المسلمين أن القوم في ستين ألف فارس من العرب المتنصرة وهم حزب الشيطان ونحن ثلاثون الف فارس من حزب الرحمن ونريد أن نلقي هذا الجمع الكبير فأن قاتلنا جبلة بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا ، ولكن ينتدب منا أبطال ورجال إلى قتال هؤلاء العرب المتنصرة ، فقال أبو سفيان صخر بن حرب لله درك يا أبا سليمان ، فلقد أصبت الرأي فاصنع ما تريد وخذ من الجيش ما أحببت . فقال أني قد رأيت من الرأي أن نندب من جيشنا ثلاثين فارسا فيلقى كل واحد ألفي فارس من العرب المتنصرة .

(قال الواقدي) فلم يبق احد من المسلمين الاعجب من مقالة خالد بن الوليد (رض) وظنوا انه يمزح بمقالته ، وكان اول من خاطبه في ذلك أبو سفيان صخر بن حرب ، وقال يا ابن الوليد هذا كلام منك جد او هزل . فقال خالد بن الوليد (رض) لا وعيش عاش فيه رسول الله (ص) ما قلت الا جدا . فقال أبو سفيان فتكون مخالفا لامر الله تعالى ظالما لنفسك وما اظن أن لك في هذه المقالة مساعدا ولو قاتل الرجل منا مائتين كان ذلك اسهل من قولك يقاتل الرجل منا الفين وان الله عز وجل رحيم بعياده فرض علينا أن الرجل منا يقاتل الرجلين والمائة والمائتين والالف الالفين وانك تقول ثلاثون رجلا منا تلقى الستين الف فارس فما يجيبك أحد الى ذلك وان أجابك رجل لما قلته فائه ظالم لنفسه معين على قتله . فقال خالد بن الوليد (رض) : يا أبا سفيان كنت شجاعا في الجاهلية فلا تكن جبانا في الاسلام وانظر لمن انتخب من رجال المسلمين ، وأبطال الموحدين فانك اذا رأيتهم علمت انهم رجال قد وهبوا أنفسهم لله عز وجل

وما يريدون بقتالهم غير الله تعالى ، ومن علم الله عز وجل ذلك من ضميره كان حقا على الله أن ينصره ولو سلك مفظمات النيران . فقال أبو سفيان يا أبا سليمان الامر كما ذكرت وما أردت بقولي الا شفقة على المسلمين فاذا قد صح عزمك على ذلك فاجعل القوم ستين رجلا ليقاتل الرجل منهم الف فارس من العرب المتنصرة .

فقال الامير أبو عبيدة (رض): نعم ما أشار به أبو سفيان يا أبا سليمان . فقال خالد بن الوليد (رض) والله يا أيها الامنير ما أردت بفعلي هذا الا مكيدة لعدونا لانهم أذا رجعوا إلى أصحابهم منهزمين بقوة الله عز وجل ويقولون لهم من لقيكم فيقولون لقينا ثلاثون رجلا يداخلهم الرعب منا ويعلم ماهان أن جيشنا كفء له . فقال أبو عبيدة (رض) أن الامر كما ذكرت إلا أنه أذا كان ستون رجلا منا يكونون عصبة ومعينا بعضهم بعضا . فقال خالد بن الوليد (رض) أنا أنتدب من المسلمين رجالا أعرف صبرهم وقرارهم واقدامهم في الحرب وأعرض عليهم هذه المقالة فأن أحبوا لقاء الله ورغبوا في ثواب الله عز وجل فأنهم يستجيبون إلى ذلك وأن أحبوا الحياة الدنيا والبقاء فيها ولم يكن فيهم من تطيب نفسه للموت فما بخالد الا أن يبذل مهجته لله عز وجل والله الموت فما بخالد الا أن يبذل مهجته لله عز وجل

(قال أبو عبدالله) حدثنا عمرو بن سالم عن جده برعي بن عدي قال كنت بين يدي خالد بن الوليد (رض) فدعا بستين رجلا من اصحاب رسول الله (ص) فاول ما دعا خالد ابن الوليد . قال أين عمرو التميمي أين شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) أين خالد ابن سعيد بن العاص ، أين يزيد بن أبي سفيان الاموي ، أين صفوان بن أمية الجمحي ، أين سهل أبن عمرو العامري ، أين ضرار بن الازور الكندي ، أين رافع بن عميرة الطائي ، أين زيد الخيل أبيض الركابين ، أين حديفة بن اليمان ، أين قيس بن سعد ، أين كعب بن مالك الانصاري ، أين سويد بن عمرو الفنوي ، أين عبداة بن الصامت ، أين جابر بن عبدالله ، أين أبو أبوب الانصاري ، أين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) أجمعين ، أين عبدالله أبن عمرو بن الخطاب عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) أجمعين ، أين عبدلله أين عمرو بن الخطاب نصر ، أين ناصر بن الحرث ، أين عبدالله بن ظفر ، أين أبو لبابة بن المنذر ، أين عوف ، أين عابس بن قيس ، أين عبدالله الانصاري ، أين دافع بن عجرة ، أين عبيد بن عبدالله ، أين معبد بن أين معبد بن أين معبد أين المنابرون يوم أحد ، وقد ذكرهم الله عبدالله ، أين معبد أن أسيد الساعدي ، أين المحرث المازي ، أين حمزة بن عمر الاسلمى ، أين يريد بن عامر .

(قال الواقدي) وقد سمى خاند بن الوليد (رض) الرجال اللين دعاهم لقتال جبلة بن الايهم ، الا اني اختصرت في ذكرهم وقدمت ذكر الانصار (رض) لان خالد بن الوليد (رض) انتخب أكثر الرجال من الانصار ، فلما كثر النداء فيهم قالت الانصار

ان خالدا اليوم يقدم ذكر الانصار ويؤخر المهاجرين من ولد المفيرة بن قصي ، ويوشك انه يختبرهم أو يقدمهم للمهالك ، ويشفق على ولد المفيرة .

(قال الواقدي) فلما سمع خالد بن الوليد (رض) ذلك من قولهم ، اقبل يخطو بجواده حتى توسط جميع الانصار ، وقال لهم والله يا اولاد عامر ما دعوتكم الالما ارتضيته منكم وحسن يقيني بكم وبايمانكم فأنتم ممن رسخ الايمان في قلبه ، فقالوا الك صادق في قولك يا أبا سليمان ، ثم صافحه القوم .

(قال الواقدي) فلما انتخب خالد بن الوليد من فرسان المسلمين ستين رجلا كل واحد منهم يلقى جيشا بنفسه . قال لهم خالد بن الوليد (رض) يا أنصار الله ما تقولون في الحملة معي على هذا الجيش الذي قد إتى يريد حربكم وقتالكم ، فإن كان لكم صبر وأيدكم الله بنصره مع صبركم وهزمتم هؤلاء العرب المتنصرة ، فاعلموا أنكم لجيش الروم غالبون ، فاذا هزمتم هؤلاء العرب وقع الرعب في قلوبهم فينقلبون خاسرين . فقالوا يا أبا سليمان افعل بنا ما تريد والق ما تشاء فوالله لنقاتلن أعداءنا قتال من ينصر دين الله ونتوكل على الله تعالى وقوته ونبذل في طلب الآخرة مهجنا . فجزاهم خالد بن الوليد (رض) خيرا ، وكذلك الامير أبو عبيدة (رض) ، وقال لهم : تأهبوا رحمكم الله وخذوا اسلحتكم وعدتكم وليكن قتالكم بالسيف ولا يأخذ أحد منكم رمحا فان الرمح خوان ربما زاغ عن الطعن ولا تأخذوا السهام فانها منايا منها المخطىء ومنها المصيب ، والسيف والحجف عليهما تدور دوائر الحرب واركبوا خيولكم السبق النواجي ولا يركب الرجل منكم الا جواده الذي يصبر به ، وتواعدوا أن الملتقى عند قبر المصطفى (ص) . قال فقدموا على اهاليهم وودعوهم . فأما ضرار بن الازور فانه عمد الى خيمته ليستعد بما يربد ، ويسلم على اخته خولة (رض) بنت الازور فلما لبس لامة حربه قالت له اخته خولة: يا اخي مالي أراك تودعني وداع من أيقن بالفراق اخبرني ماذا عزمت عليه ؟ فأخبرها ضرار بما قد عزم عليه وأنه يريد أن يلقى العدو مع عالد بن الوليد (رض) فبكت خولة وقالت يا أخي أفعل ما تريد أن تفعل وألق عدوك وانت موقن بالله تبارك وتعالى ، فانه لكم ناصر وان عدوك لا يقرب اليك أجلا بعيدا ولا سعد عنك أجلا قريبا فان حدث عليك حدث أو لحقك من عدوك نائبة فوالله العظيم شانه لا هدات خولة على الارض او تأخذ بنارك فبكى ضرار بن الازور لبكائها وأعد آلة الحرب وكذلك الستون من اصحاب رسول الله (ص) ولم يناموا طول ليلتهم ، حتى ودعوا اولادهم واهاليهم وباتوا في بكاء وتضرع وهم يسالون الله تعالى النصر على الاعداء الى أن أصبح الصباح فصلى بهم الامير أبو عبيدة (رض) صلاة الفجر ، فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع الى الخرج خالد بن الوليد (رض) وحرض أصحابه على الخروج وهو ينشد ويقول:

هبوا جميع اخوتي ارواحا نحبو العدو نبتفي الكفاحا

نرجو بداك الفوز والنجاحا اذا بدلنا دونه أرواحا ويرزق الله لنا صلاحا في نصرنا الفدو والرواحا

(قال الواقدي) وانشد بيتا آخر لم ادر ما هو وخرج امام المسلمين واصحابه يقدمون اليه واحدا بعد واحد حتى اجتمع اليه الستون رجلا الذين انتخبهم وكان آخر من أقبل عليه الزبير بن العوام (رض) ومعه زوجته اسماء بنت أبي بكر الصديق (رض) وهي سائرة الى جانب أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) وهي تدعو لهم بالسلامة والنصر وتقول لاخيها يا أخي لا تفارق ابن عمة رسول الله (ص) ووقت الحملة اصنع كما يصنع ولا تأخدكم في الله لومة لائم ، قال وودع المسلمون الستين اصحابهم ، وساروا بأجمعهم وخالد بن الوليد (رض) في أوساطهم كانه اسد قد احتوشته الاسود ولم يزالوا حتى وقفوا بازاء العرب المتنصرة .

(قال الواقدي) ونظرت العرب المتنصرة الى اصحاب رسول الله (ص) وقد اقبلوا نحوهم وهم نفر يسير فظنوا انهم رسل يطلبون الصلح والمواعدة فصاح جبلة بالعرب المتنصرة وحرضهم ليرهب المسلمين ونادى يا آل غسان اسرعوا الى نصرة الصليب وقاتلوا من كفر به فبادروا بالاجابة واخلوا الاهبة للحرب ورفعوا الصليب واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزرد والبيض كانها شغل نار ووقفوا يبصرون ما يصنع اصحاب رسول الله (ص) الى ان قاربوا صلبان العرب المتنصرة ونادى خالد بن الوليد ررض) يا عبدة الصلبان ويا اعداء الرحمن هلموا الى الحرب والطعان ، فلما سمع جبلة كلام خالد (رض) علم انهم ما خرجوا رسلا ، وانما خرجوا للقتال فخرج جبلة من بين اصحابه وقد اشتمل بلامة حربه وهو يقول:

انا لمن عبدوا الصليب ومن به نسطو على من عابنا بفعالنا ولقد علونا بالسيح وامه والحرب تعلم انها ميراثنا انا خرجنا والصليب امامنا حتى تبددكم سيوف رجالنا

ثم قال جبلة من الصائح بنا والمستنهض لنا في قتالنا ؟ فقال خالد بن الوليد (رض) انا فاخرج الى حومة الحرب . فقال جبلة نحن قد رتبنا امورنا لحربكم وقتالكم وانتم تتربصون عن قتالنا فوحق المسيح لا اجبناكم الى الصلح ابدا فارجعوا الى قومكم واخبروهم اننا ما نريد الا القتال قال فأظهر خالد التعجب من قوله وقال له يا جبلة اتظن اننا خرجنا رسلا اليك ؟ . فقال جبلة اجل . فقال خالد بن الوليد (رض) لا تظن ذلك ابدا فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلتم اننا شرذمة فان الله ينصرنا عليكم . فقال جبلة يا فتى قد غررت بنفسك وبقومك اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولخم وجدام . فقال خالد بن الوليد (رض) لا تظن ذلك واننا قليلون فقتالكم رجل منا لالف منكم وتخلف منا رجال اشهى اليهم الحرب من العطشان الى

الماء البارد ، فقال جبلة يا اخا بني مخزوم لقد كنت افضلك في عقلك واروم بك مرام الابطال حتى سمعت منك هذا الكلام انك انت والستين رجلا ترومون قتالنا ونحن سادات غسان وابطال الزمان ها انا احمل بهذه الستين الف فارس فلا يبقى منكم احد ، ثم صاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة .

فلما سمعوا كلام سيدهم حملت الستون الف فارس في وجه خالد بن الوليد والستين رجلا فتبت لهم أصحاب رسول الله (ص) واشتبك الحرب بينهم فما كنت تسمع الا زئير الرجال وزمجرة الابطال ووقع السيف على البيض الصقال حتى ما ظن احد من المسلمين ولا من المشركين أن خالدا ومن معه ينجو منهم أحد فبكي المسلمون وأخذهم القلق على اخوانهم وجعل بعضهم يقول لقد غرر خالد بن الوليد بأصحاب رسول الله (ص) وأهلكهم والروم تقول أن جبلة أهلك هؤلاء القوم فهلاك العرب حاصل بأيدينا لا محالة ولم يزل القوم في الحرب والقتال حتى قامت الشمس في كبد السماء قال عبادة بن الصامت فلله در خالد بن الوليد (رض) والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) والفضل بن العباس وضرار بن الازور وعبدالله بن عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم اجمعين ، لقد رايت هؤلاء السنة قد قرنوا مناكبهم في الحرب وقام بعضهم بجنب بعض وهم لا يفترقون وزادت الحرب اشتعالا وخرقت الاسنة صدور الليوث حتى بلفت الى خزائن القلوب لانقطاع الآجال ولم يزالوا في القتال الشديد الذي ما عليه من مزيد . قال عبادة بن الصامت فحملت معهم وكنت في جملتهم ، وقلت يصيبني ما يصيبهم ونادى خالد بن الوليد وقال يا اصحاب رسول الله (ص) ههنا المحشر وقد اعطى خالد القلب مناه ، فلما حمى بينهم القتال حمل خالد بن الوليد وهاشم والمرقال وتكاثرت عليهم الرجال فلله در الزبير ابن العوام والفضل بن العباس وهم ينادون افرجوا يا معاشر الكلاب وتباعدوا عن الاصحاب نحن الفرسان هذا الزبير بن العوام ، وأنا الفضل بن العباس أنا أبن عم رسول الله (ص) قال عبادة بن الصامت (رض) فوحق رسول الله (ص) لقد أحصيت للفضل بن العباس عشرين حملة بحملها عن خالد بن الوليد حتى ازال عنه الرجال والابطال وحملوا على المشركين حملة عظيمة ولم يزالوا في القتال يومهم الى أن جنحت الشمس الى الفروب ، والمسلمون قد جهدهم القلق على اخوانهم . أما الامير أبو عبيدة (رض) فأنه صاح بالمسلمين وقال يا اصحاب رسول الله (ص) هلك خالد بن الوليد ومن معه لا محالة وذهبت فرسان المسلمين فاحملوا بارك الله فيكم لننظر ما كان من أمر اخواننا فكل أجاب الى قوله واشارته الا أبا سفيان صخر بن حرب (رض) فانه قال للامير أبى عبيدة (رض) لا تفعل ايها الامير فانه لا بد للقوم أن يتخلصوا ونرى ما يكون من أمرهم قال فلم للتفت أبو عبيدة (رض) الى كلامه وهم أن يحمل وقد أخذه القلق فبينما هو كذلك واذا جيش العرب المتنصرة منهزمون وأصوات الصحابة (رض) قد ارتفعت

بالتهليل والتكبير كل ينادي اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، والعرب المتنصرة منهزمة على اعقابهم كأنما صاح بهم صائح من السماء فبدد شملهم. وأقبل خالد بن الوليد من وسط المعمعة يلتهب بما لحقه من التعب ، وكذا أصحابه الذين كانوا معه .

قال وان خالد بن الوليد افتقد اصحابه الستين رجلا فلم يجد منهم الاعشرين فجعل يلطم على وجهه وهو يقول اهلكت المسلمين يا ابن الوليد فما عذرك غدا عند الرحمن وعند الامير عمر بن الخطاب (رض) ؟ فبينما هو متحير في ذلك اذ أقبل عليه الامير أبو عبيدة (رض) وفرسان لمسلمين وأبطال الموحدين فنظر أبو عبيدة (رض) الى خالد بن الوليد وما يصنع بنفسه ، وقد اشتفل عن متابعة المشركين . فقال أبو عبيدة يا أبا سليمان الحمد لله على نصر المسلمين ودمار المشركين . فقال خالد بن ألوليد: اعلم أيها الامير أن الله قد هزم الجيش ، ولكن أعقبتك الفرحة ترحة . فقال أبو عبيدة (رض) ، وكيف ذلك ؟ فقال خالد أيها الامير فقدت أربعين رجلا من اصحاب رسول الله (ص) فيهم الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله (ص) وفيهم الفضل بن العباس وجعل خالد بن الوليد (رض) يسمى فرسان المسلمين واحدا بعد واحد حتى سمى أربعين رجلا فاسترجع أبو عبيدة (رض) ، وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال لخالد لا بد لعجيك يهلك المسلمون . فقال سلامة بن الاحوص السلمي أيها الامير دونك والمعركة فاطلب فيها أصحاب رسول الله (ص) فان رأيتموهم والا فالقوم أسرى أو قد تبعوا المشركين فأمر أبو عبيدة فأتوا بهوادي النيران ، وكان الظلام قد اعتكر فافتقدوا المعركة بين القتلى فاذا قتل من العرب المتنصرة خمسة آلاف فارس وسيدان من ساداتهم وهما رفاعة بن مطعم الفساني والآخر شداد بن الاوس ووجدوا من قتل المسلمين عشرة رجال منهم اتنان من الانصار احدهما عامر الاوسى والآخر سلمة الخزرجي ، فقال أبو عبيدة (رض) يوشك أن بعض الصحابة قد تبع المشركين فقال أبو عبيدة (رض) اللهم ائتنا بالفرج القريب ولا تفجعنا بابن عمة نبيك الزبير بن العوام ولا بابن عمه الفضل ابن العباس ثم قال ابو عبيدة معاشر المسلمين من يقفو لنا أثر القوم ويتعرف خبر الصحابة وأجره على الله عز وجل ؟ فكان أول من أجابه خالد بن الوليد (رض) . فقال له الامير أبو عبيدة لا تفعل ما أبا سليمان لانك تعبت من شدة الحرب . فقال خالد والله لا يمضى في طلبهم غيرى ثم غير جواده بفرس من خيول المسلمين وهو فرس حازم بن جبير بن عدى من بني النجار فركبه خالد ابن الوليد (رض) وطلب آثار القوم وتبعه جماعة من المسلمين فما سار خالد بعيدا حتى سمع خالد التهليل والتكبير فأجابهم بمثله فأقبل القوم وفي اوائلهم الزبير بن العوام والفضل ابن العباس وهاشم والمرقال ، فلما نظر خالد اليهم فرح فرحا شديدا ورحب بهم وسلم عليهم وقال خالد بن الوليد (رض) للفضل بن العباس يا ابن عم فقال يا أبا سليمان هزم الله المشركين وردهم على ادبارهم خائبين فتبعنا آثارهم وان رجالا منا أسروا فرجونا خلاصهم فلم نرهم ولا شك أنهم قتلوا . فقال خالد (رض) ان القوم في الاسر لا محالة فقال الزبير بن العوام : من اين علمت ذلك يا أبا سليمان أفقال خالد (رض) أنا لم نجد في المعركة غير عشرة رجال ونحن عشرون وانتم خمسة وعشرون وقد أسر خمسة رجال لا محالة وكان الاسرى رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبي سفيان فعظم ذلك على المسلمين ورجعوا الى أبي عبيدة (رض) ، فلما نظر الى الفضل بن العباس والى الزبير بن العوام والمربوس سرجه شكرا لله تعالى . فقال خالد بن الوليد (رض) معاشر المسلمين ، لقد قربوس سرجه شكرا لله تعالى . فقال خالد بن الوليد (رض) معاشر المسلمين ، لقد بذلت مهجتي أن أقتل في سبيل الله تعالى فلم أرزق الشهادة فمن قتل من المسلمين كان أجله قد حضر ومن أسر كان خلاصه على يدي أن شاء الله تعالى قال وباتت الفرسان في فرح وسرور وبات الروم في نوح عظيم حين كسرت حامية عسكرهم .

(قال الواقدي) حدثني من أثق به أن الامير أبا عبيدة (رض) لما نظر إلى عساكر الروم معولة على قتاله كتب الى عمر بن الخطاب (رض) كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أبي عبيدة عامر بن الجراح عامله ، سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد (ص) . وأعلم يا أمير المؤمنين أن كلب الروم هرقل قد استفز علينا كل من يحمل الصليب ، وقد سار القوم الينا كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك بالقرب من أرض الرماة والخولان والعدو في ثمانمائة الف مقاتل غير التبع وفي مقدمتهم ستون الفا من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجدام ، فأول من لقينا جبلة بن الايهم في ستين الف فارس وأخرجنا اليه ستين رجلًا ، فهزم الله تعالى المشركين على أيديهم _ وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم - وقتل من اصحابنا عشرة رجال ، وهم راعلة وجعفر بن المسيب ونوفل بن ورقة وقيس بن عامر وسلمة بن سلامة الخزرجي ، وأسر منهم خمسة رجال ، وهم دانع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبي سفيان ونحن على نية الحرب والقتال فلا تففل عن المسلمين وأمدنا برجال من الموحدين ، ونحن نسال الله تعالى ان ينصرنا وينصر الاسلام وأهله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته . وطوى الكتاب وسلمه الى عبدالله بن قرط الازدي وأمره أن يتوجه الى مدينة يثرب . قال عبدالله بن قرط فركبت من اليرموك يوم الجمعة في الساعة العاشرة بعد العصر ، وقد مضى من شهر ذي الحجة اثنا عشر يوماً والقمر زائد النور فوصلت يوم الجمعة في الساعة الخامسة والمسجد مملوء بالناس فانخت ناقتي على باب جبريل عليه السلام واتيت الروضة وسلمت على رسول

الله (ص) وعلى أبي بكر الصديق (رض) وصليت فيها ركعتين ونشرت الكتاب الي عمر بن الخطاب (رض) . قال فضجت المسلمون عند رؤيته وتطاولت الى عمر بن الخطاب (رض) وقبلت يديه وسلمت عليه ، فلما فتح عمر الكتاب انتقع لونه وتزعزع كونه ، وقال : أنا لله وأنا اليه راجعون . فقال عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والعباس وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من الصحابة: يا امير المؤمنين اطلعنا على ما في هذا الكتاب من امر اخواننا المسلمين ، فقام عمر (رض) ورقى المنبر خطيبا وقرأ الكتاب على الناس ، فلما سمعوا ما فيه ضجوا بالبكاء شوقا الى اخوانهم وشفقة عليهم وكان أكثر الناس بكاء عبد الرحمن بن عوف (رض) ، وقال يا أمير المؤمنين أبعث بنا اليهم ولو قدمت انت الى الشيام لشيدت بك ظهور المسلمين فوالله ما املك الانفسى ومالى وما أبخل بهما على المسلمين . قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام عبد الرحمن بن عوف ونظر الى اشفاق المسلمين وجزعهم على اخوانهم اقبل على عبدالله . وقال يا بن قرط من المقدم على عساكر الروم فقلت خمسة بطارقة احدهم ابن اخت الملك هرقل وهو قورين والديرجان وقناطير وجرجير وصلبانهم تحت صليب ماهان الارمنى وهو الملك على الجميع وجبلة بن الايهم الفساني مقدم على ستين الف فارس من المعرب المتنصرة فاسترجع عمر وقال: لا حول ولا قوة الا بالله العلى العطيم ، ثم قرأ عمر : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

ثم قال ما تشیرون به علی رحمكم الله تعالى . فقال له على بن اابى طالب (رض) أبشروا رحمكم الله تعالى فان هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى يختبر بها عباده المؤمنين لينظر، أفعالهم وصبرهم فمن صبر واحتسب كان عند الله من الصابرين واعلموا أن هذه الوقعة هي التي ذكرها لي رسول الله (ص) التي يبقى ذكرها الى الابد هذه الدائرة المهلكة ، فقال العباس: على من هي يا ابن اخي ، فقال: يا عماه على من كفر بالله واتخذ معه ولدا فثقوا بنصر الله عز وجل ؛ تم قال لعمر يا امير المؤمنين اكتب الى عاملك أبي عبيدة كتابا وأعلمه فيه أن نصر الله خير له من غوثنا ونجدتنا فيوشك أنه في امر عظيم فقام عمر ورقى المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وذكر فضل الجهاد ثم نزل وصلى بالمسلمين ، فلما فرغ من صلاته كتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى امين الامة أبي عبيدة بن الجراح ومن معه من المهاجرين والانصار سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد (ص) أما بعد فأن نصر الله خير لكم من معونتنا ، واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل وانما يهزم الجمع القليل وانما يهزم بما انزل الله من النصر وان الله عز وجل يقول ــ ولن تفني عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين لل وربما ينصر الله العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة وما النصر الا من عند الله ، وقد فال تعالى ــ فمنهم من قضى

نحبه ومنهم من ينتظر _ الآية ، يا طوبي للشهداء ويا طوبي لمن يتكل على الله . فالق العدو بمن معك من المسلمين ولا تيأس بمن صرع من المسلمين ، فقد رأيت من صرع يين بدى رسول الله (ص) وما عجزوا عن عدوهم في مواطن كثيرة حتى قتلوا في سبيل الله ، ولم يهابوا لقاء الموت في جنب الله تعالى بل جاهدوا في سبيل الله حق جهاده _ وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وتبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله نواب الدنيا وحسن نواب الآخرة والله يحب المحسنين _ ، فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقراه على المسلمين وامرهم أن يقاتلوا العدو في سبيل الله عز وجل واقرا عليهم ـ يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ثم طوى الكتاب وسلمه الى عبدالله بن قرط ، وقال له : يا ابن قرط اذا اشرفت على المسلمين وقد استوت الصفوف فسر بين صفوف الموحدين وقف على اصحاب الرايات منهم وخبرهم أنك رسولي اليهم وقل لهم ان عمر بن الخطاب يسلم عليكم ويقول لكم : يا أهل الايمان اصدقوهم الحرب عند اللقاء وشدوا عليهم شد الليوث واضربوا هاماتهم بالسيوف وليكونوا عليكم اهون من الذباب فانكم المنصورون عليهم أن شاء الله تعالى ، تم أقرأ عليهم - الا ان حزب الله هم الفالبون - . قال عبدالله بن قرط قلت له يا أمير المؤمنين ادع الله تعالى لى بالسلامة والسرعة في السير .

فقال عمر بن الخطاب (رض): اللهم احمه وسلمه واطو له البعيد انك على كل شيء قدير . قال عبدالله بن قرط وخرجت من المسجد من باب الحبشة ، فقلت في نفسى لقد اخطأت في الراي اذ لم اسلم على قبر رسول الله (ص) فما ادري اراه بعد اليوم أم لا ، قال عبدالله فقصدت حجرة رسول الله (ص) وعائشة (رض) جالسة عند قبره ، وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه والعباس جالسان عند القبر والحسين في حجر على والحسن في حجر العباس (رض) وهم يتلون سورة الانعام وعلي (رض) يتلو سورة هود ، فسلمت على رسول الله (ص) فقال علي (رض) يا ابن قرط عولت على المسير الى الشام فقلت نعم يا ابن عم رسول الله (ص) وما اظن أن أصل اليهم الا والجيش قد التقى والحرب دائرة واذا أشرفت عليهم لا يرون معي مدادا ولا نجدة خثىيت عليهم أن يهنوا ويجزعوا وكنت أحب أن أصل اليهم قبل التقائهم بعدوهم حتى اعظهم وأصبرهم . فقال على (رض) فما منعك أن تسأل عمر بن الخطاب أن يدعو لك ، اما علمت يا ابن قرط أن دعاءه لا يرد ولا يحجب وأن رسول الله (ص) قال فيه « لو كان نبي ثان بعدي لكان عمر بن الخطاب » اليس هو الذي يوافق حكمه حكم الكتاب حتى قال المصطفى (ص) « لو نزل من السماء الى الارض عذاب ما نجا منه الا عمر بن الخطاب » ، أما علمت أن الله تعالى أنزل فيه آيات بينات ، أما هو. الزاهد التقى ، أما هو العابد ، أما هو المشبه بنوح النبي فأن كأن هو قد دعا لك فقد قرن دعاؤه

بالاجابة . فقال عبدالله بن قرط ما ذكرت شيئًا الا وأنا عارف به من فضل عمر بن الخطاب (رض) ولكني اردت الزيادة من دعائك ودعاء العباس عم رسول الله (ص) ولا سيما عند قبر الرسول المعظم المكرم ، قال فرفع العباس (دض) عند يديه وعلى (دض) كذلك وقالا: اللهم أنا نتوسل بهذا النبي المصطَّفي والرسول المجتبي الذي توسل به آدم فأجبت دعوته ، وغفرت خطبئته الآسهلت على عبدالله طريقه وطويت له البعيد وأيدت اصحاب نبيك بالنصر انك سميع الدعاء ، ثم قال سريا عبدالله بن قرط فالله تعالى اكرم من أن يرد دعاء عمر وعباس وعلي والحسين والدواج رسول الله (ص) وقد توسلوا اليه بأكرم الخلق عليه . قال عبدالله بن قرط فخرجت من الحجرة وانا فرح مستشر واستويت على كور المطية وركبت الفلاة وأنا فرح بدعاء على والعباس وعمر (رض) اجمعين . قال عبدالله خرجت من المدينة بعد العصر من يومي ذلك الذي دخلت فيه المدينة وأنا أرقب الطريق ، فلما اختلط الظلام وأسبل الليل سجفه ارخيت زمام المطية فحسبت أنها تطير بي ولم أزل سائرا تلاثة أيام . فلما كانت صلاة العصر من اليوم الثالث اشرفت على اليرموك وسمعت ضجيج أذان المسلمين . قال عبدالله فقصدت خيمة الامير ابي عبيدة (رض) وانخت ناقتي وسلمت عليه وكان لى منذ فارقته عشرة ايام فأخبرته بدعاء عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب والعباس والحسين والحسين (رض) . فقال أبو عبيدة صدقت يا أبن قرط وأنهم لكرام على الله عز وجل وان دعاءهم لا يرد ، ثم قرأ الكتاب على المسلمين فطابت قلوبهم بذلك ، وقالوا أنها الامير ما منا ألا من يطلب الشبهادة فالله تعالى يبلغنا أياها .

(قال الواقدي) حدثني عمرو بن العلاء ، قال حدثنا ماجد عن الثقات ، قال لم سار عبدالله ابن قرط من المدينة يوم الجمعة ، فلما كان يوم السبب وقد صلينا الصبح خلف عمر بن الخطاب ونحن نقرا من القرآن ما تيسر ، اذ سمعنا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبنا فخرجنا مبادرين واذا نحن بقوم من اليمن من صدوان وارض سبأ وحضرموت واجتمعوا للجهاد ، وهم ستة آلاف يقدمهم جابر بن خول الربعي ، فترجلت ساداتهم وسلموا على امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) فأمرهم بالنزول ، فلما أقبل الظلام جاء الف فارس من مكة والطائف ووادي نخلة وثقيف يقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على عمر ونزلوا بازاء اهل اليمن ، فلما كان يوم الاحد حمل عمر ضعيفهم وزودهم وعفد راية حمراء على قناة تامة وسلمها الى سعيد بن عامر . قال سعيد بن عامر فهممت بالمسير ، فقال عمر على رسلك يا ابن عامر حتى أوصيك ، ثم أقبل عمر بن الخطاب يمشي راجلا ومعه عثمان بن عفان والعباس وعلي بن ابي طالب وعبد الرحمن بن عوف ، فلما قربوا من الجيش وقف عمر والناس حوله ، وقال لسعيد بن عامر : يا سعيد اني وليتك على هذا الجيش ولست بخير رجل منهم وقال لسعيد بن عامر : يا سعيد اني وليتك على هذا الجيش ولست بخير رجل منهم ولا ان نتقي الله فاذا سرت فارفق بهم ما استطعت ، ولا تشتم اعراضهم ولا تحتقر الا أن نتقي الله فاذا سرت فارفق بهم ما استطعت ، ولا تشتم اعراضهم ولا تحتقر ولا تشتم اعراضهم ولا تحتقر ولا تشتم اعراضهم ولا تحتقر ولا تشتم اعراضهم ولا تحتقر

صفيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع سواك ولا تسلك بهم المفاوز واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتي عليك وغلى من معك من المسلمين ، فقال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : اسمع وصية امامك أمير المؤمنين الذي ختم الله تعالى به الاربعين وسميت به الامة مؤمنين وهو الذي قال فيه رسول الله (ص) « أن تطيعوه تهتدوا وترشدوا » فسر يا سعيد وأذا وصلت إلى أبي عبيدة والتقى بكم الجيش الذي لا تلقون مثله ، وصعب عليكم امره فاكتبوا الى امير المؤمنين عمر حتى يوجهني اليكم حتى اقلب ارض الشام على من فيها من المشركين ان شاء الله تعالى . قال فسار بن عامر وهو نقول:

نسير بجيش من رجال اعزة

على كل عجماج من الخيل يصبر الى شبل جراح وصحب نبينا لننصره والله للدين ينصر على كل كفاد لعين معاند تراه على الصلبان بالله يكفر

قال وسار يجد السير . قا لسعيد بن عامر وكنت عارفا ببلاد الشام وطرقه وكنت اسير اليه في السنة مرة أو مرتبن عسفا من غير جادة طريق أسير على الكواكب ، فلما سرت من المدينة وأنا بين يدى المسلمين سلكت بهم على طريق بصرى فضللت عن الطريق وعدلت عن الجادة وأنا محترز من العدو وخائف على المسلمين فجعلت أحيد عن العمارات وأسلك الفلاة توفيقا من الله واكراما ولطفا بعباده المؤمنين ، فلما ضللت اشكل على الطريق كأني ما سلكته يوما قط فوقفت حائرا حتى تلاحق بي المسلمون فلم اعلمهم بأمرى ولا أني ضللت عن الطريق ، وأنا أقول : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، فسرت يومين وليلتين وأنا أتيه بالناس والمسلمون يسألونني عن ذلك ، وأنا أقول لهم أنى على طريق ، فلما كان في اليوم العاشر من مسيرنا من المدينة لاح لى جبل عظيم فنظرت اليه وحققته فلم أعرفه ، فقلت غررت والله بالمسلمين ، وأنا أقول في نفسى أترى هذا جبل بعلبك وقد سهل علينا الطريق ، وكان الجبل قد لاح لنا من بعيد من اول النهار وما ادركناه الا والليل قد اقبل ، فلما صرنا بقربه اعترضنا واد عظيم فيه شحرة عظيمة كبرة قال فلما تأملت الشبجرة عرفتها ، وقلت لاصحابي أبشروا فقد وصلنا الى بلاد الشام وفتح المسلمين ودخلنا الوادي واذا به وعر ليس فيه جادة ولا طريق فلحق المسلمين من هوله تعب عظيم . قال سعيد بن عامر وكان أكثر المسلمين رجالة ، وانما كان يحمل بعضهم بعضا ويتعقبون على ظهور الخيل والابل.

فلما نظرت المسلمون الى وحشبة ذلك الوادي ووعورة مسلكه قالوا يا سعيد انا نظن انك قد اخطات الطريق وسلكت بنا غير طريقنا فارحنا في هذا الوادى قليلا فقد اضر بنا المسير قال فأجبتهم الى ذلك ، وكان في الوادي عين ماء غزيرة فنزل المسلمون عليها فشربوا وسقوا خيلهم وابلهم ورعت الخيل والجمال ورق الشجر ونام اكثر الناس وبعضهم يصلى على محمد ، قال سعيد بن عامر وكنت جلست في آخر الناس أحرسهم ، وأنا أتلو القرآن العظيم ، وأدعو الله لنا بالسلامة أذ غلبتني عنمت فرأيت في منامي كأني في جنة خضراء كثيرة الاشجار والثمار وكأني آكل من ثمرها وأشرب من أنهارها وأجني من ثمرها وأناول أصحابي وهم يأكلون ، وأنا فرح مسرور . فبينما أنا كذلك أذ خرج من بين تلك الشجر أسد عظيم فزار في وجهي وهم أن يفترسني ، وأنا من ذلك فزع مرعوب أذ خرج على الاسد أسدان عظيمان فصرعاه في موضعه فسمعت له خوارا عظيما فانتبهت من نومي وحلاوة ذلك الثمر في فمي الاسود تتمثل بين يدي . قال سعيد بن عامر ففسرتها أنها غنيمة يأخذها المسلمون ويمنعنا منها مانع ونظفر به . فقلت في نفسي الجنة هي الشهادة . قال سعيد بن عامر ولم أزل جالسا أتلو القرآن ، وأنا قلق أذ سمعت هاتفا يهتف بي عن يمين الوادي ،

يا عصبة الهادي الى الرشاد ما فيه من جن ولا معادي لطف الذي يرفق بالاولاد سيصنع الله بكم رشاد

لا تفزعوا من وعر هذا الوادي ستعلمون معشر العباد ويطرح الرحمة في الاكباد وتفنموا المال مع الاولاد

قال سعيد بن عامر ، فلما سمعت شعر الهاتف وما يشير به من الفنيمة سجدت لله تعالى شكرًا واستيقظ المسلمون لصوت الهاتف . قال سعيد بن عامر وكنت قد حفظت من الهاتف بيتا وحفظ سماح ثلاثة أبيات ، وانشدني اياها وفرح المسلمون بما سمعوا من الهاتف وطابت قلوبهم بالفنيمة واقام المسلمون في الوادي حتى اصبح الصباح وصلى بهم سعيد بن عامر صلاة الفجر ، فلما طلعت الشمس خرج المسلمون من الوادي وحققت تلك الارض والجبل ، واذا به جبل الرقيم ، فلما رايته عرفته فرفعت صوتي بالتكبير ، وقلت الله أكبر وكبرت السلمون لتكبيري ، وقالوا ما الذي رأيت يا ابن عامر ؟ فقلت وصلنا الى بلاد الشمام ، وهذا جبل الرقيم . قال سعيد وأكثر من معى طماعو العرب ، قالوا يا سعيد وما الرقيم ؟ اما تعرفه فحدثتهم بحديث الرقيم ، قال سعيد فعجبوا من ذلك ، ثم أقبلت بهم الى الغار فصلوا فيه ، ثم سرنا حتى أشرفنا على بلاد عمان . قال سعيد بن عامر فعدلت الى قرية هناك يقال لها الجنان فنظرت الى دهاقين الله وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد ، فلما رآهم المسلمون حملوا عليهم من غير اذن لهم وأخذوا بعضهم اسارى فرجع القوم الى القرية ، وكان فيها حصن منيع فتحصنوا فيها منا ، قال سعيد بن عامر فقربت من الحصن وصحت بهم ، وقلت يا ويلكم ما بالكم كنتم خارجين من قريتكم فرجعتم فأشرف على واحد منهم ، وقال لي يا معاشر العرب اعلموا اننا كنا خارجين من المدينة ففزعنا منكم وذلك أن صاحب عمان بعث ألينا وأمرنا بالمسير الى عمان لنكون من تحت كنفه في عمان ، والآن يا معاشر العرب هل لكم أن نكون في ذمامكم وأمانكم . قال سعيد نعم فوقع الصلح بيننا على عشرة آلاف دينار وكتبت لهم كتاب الصلح ، فلما هممت بالمسير . قالوا يا معاشر العرب قد صالحناكم ونحن خائفون من قومنا واعلموا ان نقيطاس صاحب عمان لا بد أن نلقى منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به لكان خيرا لنا ولكم ، فقلت : فكيف نظفر به أفقالوا أن الملك ماهان مقدم العساكر قد بعث بذلك اليه ، وأن أنتم ظفرتم بصاحب عمان ملكتم غنيمة جسيمة ، فقال سعيد بن عامر (رض) وفي كم يكون جيش عمان ، فقالوا في خمسة آلاف فارس ، ولكن قد وقع عامر (رض) وفي كم يكون جيش عمان ، فقالوا في خمسة آلاف فارس ، ولكن قد وقع خو فكم في قلوبهم فلن يفلحوا أذا أبدا ، فقال سعيد بن عامر يا معاشر المسلمين ما تويد فان تقولون في لقاء هذا البطريق صاحب عمان واخذ غنيمته ، فقالوا أفعل ما تريد فان قتله الله على أيدينا كان ذلك صلاحا للمسلمين ووهنا على المشركين . فقال سعيد بن عامر لاهل القرية على أي طريق يأتي القوم ، فقالوا على هذا الطريق .

قال فداونا على طريق عمورية فسرنا الى واد عظيم وكمنا فيه يوما وليلة فلم ياتنا أحد ، فلما أصبح الصباح قال سعيد يا معاشر المسلمين أن الذي وجهنا اليه عمر بن الخطاب من نجدة ابي عبيدة والمسلمين افضل من مقامنا هنا فاخرجوا رحمكم الله . فانا اذا أشرفنا على المسلمين في سبعة آلاف فارس كان ذلك وهنا على المشركين وذلة للكافرين ، فقال المسلمون يا ابن عامر ان قلوبنا توقن بالفنيمة فلا تحرمنا ذلك قال فبينما هم في المحاورة اذا أشرف عليهم جماعة من القسوس والرهبان وعليهم ثياب الشعر وفي ايديهم الصلبان ، وقد حلقوا اوساط رؤوسهم فابتدر المسلمون اليهم وأخلوهم وأوقفوهم بين يدي سعيد بن عامر ، فقال لهم من انتم وكان فيهم قس كبير فكلم سعيدا ، وقال نحن رهبان هذه الاديرة والصوامع ونريد أن نصل الى قسطنطين ولد الملك هرقل حتى ندعو للعساكر بالنصر قال سعيد فادعوا وما دعاء الكافرين الافي ضلال فما وراءكم من الاخبار ، قالوا وراءنا صاحب عمان في خمسة الاف فارس من فرسان النصرانية وعباد الصليب ، فقال سعيد اللهم اجعلهم غنيمة لنا . ثم قال سعيد للقسيس الذي خاطبه اسمع ايها الشيخ ان نبينا امرنا ان لا نتعرض لراهب حبس نفسه في صومعة ولولا أنكم تنذرون العدو لخلينا سبيلكم ، ثم أمر المسلمين أن يوثقوهم كتافا فأوثقوهم بزنانيرهم التي في أوساطهم ، فبينما نحن كذلك اذ اشرف علينا حيش عمان والرجالة امامهم يعزلون لهم الحجر من الدروب ، فلما أشرفوا علم المسلمين حمل عليهم المسلمون من غير أهبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة عن آخرهم فأخبر صاحب عمان بذلك ، فلما نظر الى صنع المسلمين أمر اصحابه بالحملة فحملوا عليهم حملة عظيمة واقتتلوا قتالا شديدا ، قال سعيد بن عامر ونظرت الى المسلمين وهم يقتلون الروم قتلا ذريعا ويضجون بالتهليل والتكبير ، فلما نظر البطريق صاحب عمان ما صنع المسلمون بأصحابه ولى منهزما طالب عمان وتبعه قومه وتبعهم المسلمون وبعضهم مال الى الفنيمة والبطريق نقبطاس صاحب عمان في الهرب ، وكان قد سبق فوقف حتى تلاحق به المنهزمون من قومه ، قال فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم خيل من ورائهم تسرع بركابها ، وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وهم زهاء من الف فارس يقدمهم فارسان كأنهما أسدان أحدهما الزبير بن العوام والآخر الفضل بن العباس فحملوا على الروم فقتلوهم قتلا ذريعا وحمل الزبير بن العوام على نقيطاس بطريق عمان وهو واقف تحت الصليب فطعنه الزبير فقاله عن جواده وعجل الله بروحه الى النار واقبل الفضل بن العباس يجندل الفرسان وينكس الإبطال ، قال وأشرف سعيد بن عامر على الموضع فراى الحرب قائمة فظن انه وقع بينهم الخلف ، فلما قربوا منهم سمعوا التهليل والتكبير ، فقالوا هذه دعوة الحق لمن قالها فاقتحم سعيد ابن عامر المعركة فسمع والتخير بن العباس ، وهو ينتمي باسمه ، ويقول أنا ابن عم رسول الله (ص) .

قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم احد ، فقلت له لله درك يا ابن العباس ومن معك من اصحاب رسول الله (ص) ، فقال معي الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله (ص) ، قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم احد الا بين اسير وقتيل وغنم السلمون غنيمة عظيمة وسلم بعضهم على بعض واقبل الزبير على سعيد بن عامر ، وقال يا ابن عامر ما الذي حبسك عن المسير جهتنا ، وقد جاءنا سالم بن نو فل العدوي واخبرنا بمسيرك الينا ، وقد ساءت بك ظنوننا فارسلنا ابو عبيدة لنفير على عمان والحمد لله على سلامة المسلمين ودمار المشركين ، ثم امر الزبير برؤوس القتلى فسلخت وحملتها العرب على اسنة الرماح فكانت الرؤوس اربعة آلاف راس والاسرى الف اسير . قال واطلق سعيد بن عامر الرهبان وسار المسلمون حتى اشرفوا على ابي عبيدة (رض) ، ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير واجابهم جيش المسلمين بمثل ذلك فانزعجت قلوب الروم للالك وخدث سعيد بن عامر ابا عبيدة بالنصر وغنيمتهم من الروم الاسنة فبهتوا لذلك وحدث سعيد بن عامر ابا عبيدة بالنصر وغنيمتهم من الروم فسيجد شكرا لله عز وجل وامر بالالف اسير فضربت اعناقهم والروم ينظرون اليهم . فسيجد شكرا لله عز وجل وامر بالالف اسير فضربت اعناقهم والروم ينظرون اليهم .

(قال الواقدي) لما اسر الخمسة من اصحاب رسول الله (ص) اغتم لفقدهم اصحاب رسول الله (ص) وكان اكثرهم غما ابو عبيدة بن الجراح واقبل على البكاء والتضرع يدعو لمن اسر بالخلاص ، واما الخمسة فانهم مثلو بين يدي ماهان لعنه الله تعالى وغضب عليه ، فلما نظر اليهم استحقر شأنهم ، وقال لجبلة بن الايهم من هؤلاء ؟ قال أيها الملك هؤلاء قوم من جيش المسلمين ، وقد كانوا ستين رجلا فقتلت اكثرهم واسرت هؤلاء وما بقي في عسكرهم من تخاف غائلته الارجل واحد وهو الذي يثبتهم ويرمي بهم كل المرامي ، وهو الذي فتح اركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق ، وهو الذي كسر عساكر اجنادين وتبع توما وهربيس وقتلهم في مرج الديباج واسر ابنة الذي كسر عساكر اجنادين وتبع توما وهربيس وقتلهم في مرج الديباج واسر ابنة

الملك هرقل وهو خالد بن الوليد . قال فلما سمع ماهان ذلك قال لا بد لي ان احتال على هذا الرجل حتى احصله عندي واقتله مع هؤلاء الخمسة الاسرى ، ثم دعا ماهان برجل من الروم اسمه جرجة وكان حكيما فاضلا عند الروم فصيحا بلسان العرب . فقال يا جرجة اريد ان تمضي الى هؤلاء العرب وتقول لهم يبعثوا لنا رسولا وليكن هذا الرسول الرجل المسمى بخالد قال فركب جرجة وسار نحو عساكر المسلمين فالتقى بخالد بن الوليد . فقال له ما الذي تريد ؟ فقال ان الملك ماهان قد بعثني اليكم حتى تبعثوا رجلا منكم فلعل الله أن يحقن دماءنا ودماءكم فقال خالد بن الوليد (رض) ان اكون الرسول اليه وأوقف رسول الروم بين يديه ويدي أبي عبيدة (رض) وأخبره انه يريد المسير الى ماهان . فقال أبو عبيدة أمض يا أبا سليمان سلمك الله تعالى فلعل الله تعالى ان يهديهم أو يدعونا للصلح وأداء الجزية ، فتحقن الدماء على يدك فحقن دم رجل وأحد أحب الى الله تعالى من أهل الشرك جميعا . فقال خالد بن الوليد (رض):

ثم وثب خالد بن الوليد (رض) الى خيمته ولبس خفين حجازيين وتعمم بعمامة سوداء وشد وسطه بمنطقة من الاديم وتقلد سيفه الذي استلبه من مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وامر عبده عمان ان يأخذ قبته الحمراء وكانت من الاديم الطائفي وفيها شمعات من الذهب الاحمر وحليتها من الفضة البيضاء وكان خالد قد اشتراها من امراة ميسرة بن مسروق العبسي بثلثمائة دينار فحملها على بفّل وركب خالد جواده ، فلما هم بالمسير قال له أبو عبيدة يا أبا سليمان خد معك رجالا من المسلمين يكونون لك عونا . فقال خالد أيها الامير أحب ذلك ولكن لا أكراه في المدين ، وليس لي عليهم طاعة فامر من شئت ، فلما سمع المسلمون كلام خالد بن الوليد (رض) . قال معاذ بن جبل يا أبا سليمان انك من أهل الفضل ولو أمرتنا بأمر امتثلناه لانك سائر في طاعة الله تعالى ورسوله .

(قال الواقدي) فاستركب معه مائة فارس من المهاجرين والانصار منهم المرقال بن عتبة بن ابي وقاص وشرحبيل بن حسنة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وميسرة بن مسروق العبسي وقيس بن هبيرة المرادي وسهل بن عمرو العامري وجرير بن عبدالله البجلي والقعقاع بن عمرو التميمي وجابر بن عبدالله الانصاري وعبادة بن الصامت الخزرجي والاسود بن سويد المازني وذو الكلاع الحميري والمقداد بن الاسود الكندي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي (رض) اجمعين ، ولم يزل خالد ينتخب مثل هؤلاء السادات (رض) حتى كمل منهم مائة فارس كل فارس منهم يرد جيشا وحده فاخذوا زينتهم واشتملوا بلباس الحرب وتوشحوا بالابراد وتعمموا بالعمائم وتمنطقوا بالخناجر وتقلدوا بالسيوف وركبوا الخيل العتاق ، وسار خالد بن الوليد (رض) وعن يمينه معاذ بن جبل وعن شماله المقداد بن الاسود الكندي والمائة فارس محدقون

به . قال معاذ بن جبل (رض) وسرنا ونحن نعلن بالتهليل والتكبير . قال نصر بن سالم المازني فنظرت الى أبي عبيدة (رض) حين ساد خالد بمن معه يقرأ آية من القرآن ودموعه جارية على خده . فقلت أيها الامير ما يبكيك ؟ فقال يا بن سالم هؤلاء والله أنصار الدين فان أصيب رجل منهم في امارة أبي عبيدة فما يكون عدري عند رب العالمين وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) .

(قال الواقدي) فلما أشرف خالد بن الوليد (رض) ومن معه على عساكر الروم نظر المسلمون الى عساكر الروم وهم خمسة فراسخ في العرض ، وعن نوفل بن دحية أن خالد بن الوليد لما ترجل عن جواده وترجل المائة جعلوا يتبخترون في مسيرهم ويجرون حمائل سيوفهم ويخترقون صغوف الحجاب والبطارقة ولا يهابون أحدا الى أن وصلوا الى النمارق والفراش والديباج ولاح لهم ماهان وهو جالس على سريره ، فلما نظر اصحاب رسول الله (ص) الى منا ظهر من زينته وملكه عظموا الله تعالى وكبروه وطرحت لهم الكراسي فلم يجلسوا عليها ، بل ذفع كل واحد منهم ما تحته وجلسوا على الارض ، فلما نظر ماهان الى فعلهم تبسم وقال يا معاشر العرب لم تأبون كرامتنا ولم أزلتم ما تحتكم من الكراسي وجلستم على الارض ولم تستعملوا الادب معنا ودستم على فراشنا ؟ . قال فقال خالد بن الوليد أن الادب مع الله تعالى افضل من الادب معكم وبساط الله أطهر من فرشكم لان نبينا محمدا (ص) قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ثم قرأ قوله تعالى ـ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة آخرى _ .

(قال حدثني) عاصم بن رواح الزبيدي قال حدثنا بن عبدالله الشيباني قال حدثنا طرفة بن شيبة الخولاني عن عمه جرير وكان محالفا لخالد بن الوليد (رض) قال لم يكن بين خالد وماهان ترجمان يبلغ عنهما ، بل كانا يتحدثان كلاهما . فقال خالد يا ماهان اني اكره أن ابداك بالكلام فتكلم أنت بما تريد فاني لست أبالي بما تتكلم ولكل كلام جواب فان شئت فتكلم وان شئت بداتك ، قال ماهان : أنا أبدؤكم الحمد لله الذي جعل سيدنا الروح المسيح كلمته وملكنا أفضل الملوك وامتنا خير الامم ، قال فعظم ذلك على خالد بن الوليد وقطع خالد كلامه فقال الترجمان لا تقطع كلام الملك يا أخا العرب واستعمل حسن الادب فأبي خالد أن يسكت ، بل قال خالد : الحمد لله الذي جعلنا تؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل أميرنا الذي وليناه أمورنا كبعضنا لو زعم أنه يملك علينا لعزلناه فلسنا نرى أن له فضلا علينا الا أن يكون أتقى لله عز وجل منا وقد جعل الله أمتنا تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتقر بالذنب وتستففر وجه ماهان وسكت قليلا .

ثم قال: الحمد لله الذي ابلانا واحسن البلاء الينا وعافانا من الفقر ونصرنا على الامم واعزنا ومنعنا من الضيم ولسنا فيما خولنا الله فيه من نعيم الدنيا بطرين ولا باغين على الناس وقد كان يا معاشر العرب طائفة منكم يفشوننا ويلتمسون نائلنا

ورفدنا وجوائزنا ونحن نحسن اليهم ونكرمهم ونكرم ضعيفهم ونعظم قدرهم ونتفضل عليهم ونفى لهم بالوعد وكنا نظن أن العرب كلها تعرف لنا ذلك من جميع القبائل وتشكرنا عليه لما اسدينا من عطايانا الجميلة لهم ، فما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والرجل وظننا انكم تطلبون منا طلب اخوانكم فاذا انتم على خلاف رأي أولئك ، جئتم تقتلون الرجال وتسبون النساء وتفنمون الاموال وتهدمون الاطلال وتطلبون أن تخرجونا من أرضنا وتفلبونا على بلادنا ، وقد طلب منا ذلك من كان قبلكم ممن هو أكثر منكم عددا واكثر أموالا وسلاحا وظهرا فرددناهم خائفين وجلين خائبين بين قتيل وجريح وطريد وطريح فأول ما فعلنا ذلك بملك فارس فرده الله على عقبيه بالخيبة والذل وكذلك فعلنا بملك الترك وملك الجرامقة وغيرهم وأنتم لم يكن في أمة من الامم أصفر. منكم مكانا ولا احقر شأنا لانكم أهل الشعر والوبر والبؤس والشقاء وأنكم مع ذلك تظلمون في بلادكم وبلادنا وحوالينا أمة كثيرة العدد وشوكتنا شديدة وعصبتنا عظيمة ، وانما قبلتم علينا لانكم خرجتم من جدوبة الارض وقحط المطر فانجليتم الى بلادنا وأفسدتم كل الفساد وركبتم مراكب ليست كعراكبكم ولبستم ثيابا ليست كثيابكم وتمتعتم ببنات الروم البيض الاوانس فجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما ليس كطعامكم وملئت ايديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر ، ولقد لقيناكم الآن ومعكم اموالنا وما غنمتموه من قومنا واهل ديننا وقد تركناه لكم لا نطالبكم به ولا ننازعكم فيه ولا نعتب عليكم فيما تقدم من فعالكم والآن فاخرجوا من بلادنا فان أبيتم الانصراف عنا عزمنا عليكم عزمة فنترككم كأمس الدابر ، وان جنحتم للصلح نأمر لكل واحد من عسكركم بمائة دينار وثوب ولاميركم أبي عبيدة بألف دينار ولخليفتكم عمر بن الخطاب بعشرة آلاف دينار وعلى انكم تحلفون لنا أن لا تعودوا الى حربنا .

(قال الواقدي) وماهان يرغب تارة ويرهب اخرى وخالد مطرق لا يتكلم حتى فرغ ماهان من كلامه . فقال خالد: ان الملك قد تكلم فأحسن وسمعنا كلامه ونتكلم ويسمع كلامنا ، ثم قال خالد بن الوليد (رض) : الحمد لله الذي لا اله الا هو ، فلما سمع ماهان ذلك مد يده الى السماء وقال نعم ما قلت يا عربي . فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عهده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى (ص) . فقال ماهان ما ادري امحمد رسول الله ام لا ولعله كما تقول وتزعم وتذكر . فقال خالد (رض) : حسب الرجل دينه ، ثم قال افضل الساعات وخيرها الساعات التي يطلع فيها الله رب العالمين فالتفت ماهان الى قومه ، وقال بلسانه انه رجل عاقل يتكلم بالحكمة . فقال خالد ما الذي قلت لقومك فأخبره بمقالته . فقال خالد ان كنت أوتيت العقل فالله تعالى المحمود على ذلك ، وقد سمعنا نبينا محمدا (ص) يقول « لما خلق الله تعالى وعزتي المقل وصوره وقدره قال أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فادبر . فقال الله تعالى وعزتي وجلالى ما خلقت خلقا أحب الى منك بك تنال طاعتي وتدخل جنتي » . فقال ماهان :

اذا كنت بهذا العقل والفهم فلم جئت بهؤلاء معك ،قال خالد بن الوليد (رض) جئت بهم لاشاورهم . قال ماهان وانت مع جودة عقلك وحسن رايك وبصيرتك تحتاج الى مشورة غيرك ، قال خالد: نعم بهذا أمر الله عز وجل نبينا محمدا (ص) . فقال الله تعالى في كتابه العزيز ـ وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ـ وقال (ص) « ما ضاع امرؤ عرف قدره ، ولا ضاع مسلم استشار » فأنا وان كنت ذا راى وعقل كما تزعم وكما بلفك ، فاني لا أستفني عن رأي ذي رأي ومشورة اصحابي . قال ماهان : وهل في عسكركم من له رأي مثل رأيك وحزم مثل حزمك . قال نعم : ان في عسكرنا أكثر من ألف فارس لا يستفني عن رأيهم ولا عن مشورتهم فقال له ماهان : ما كنا نظن ذلك فيكم ، وانما كان يبلغنا عنكم انكم طماعون جهال لا عقول لكم يغير بعضكم على بعض وينهب بعضكم أموال بعض . فقال له خالد (رض) : ذلك كان شأن اكثرنا حتى بعث الله عز وجل فينا نبينا محمدا (ص) فهدانا لرشدنا وعرفنا سبيلنا ، وفهمنا الخم من الشر ، والهدى من الضلال . فقال ماهان : يا خالد انك قد اعجبتني بما اراه من رأيك وبصيرتك ، وقد أحببت أن أؤاخيك فتكون أخي وخليلي . فقال خالد بن الوليد (رض): وافرحاه ان تمم الله مقالتك ، فتكون اذا سعيدا ولا نفترق . فقال ماهان وكيف ذلك ؟ . قال خالد تقول: اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الذي بشر به عيسى ابن مريم: فاذا فعلت ذلك كنت اخى وكنت اخاك وتكون خليلي واكون خليلك ولا نفترق الا لامر يحدث . فقال ماهان : أما ما دعوتني اليه من الترك لديني والدخول في دينكم فمالي الى ذلك من سبيل . فقال خالد بن الوليد : وكذلك أيضاً لا سبيل الى مؤاخاتي لك وانت مقيم على دينك دين الضلال . قال ماهان : اريد ان القى الحشمة بيني وبينك واكلمك كلام الاخ لاخيه : فأجبني عن كلامي الذي دعوتك اليه حتى أسمع ما تقول .

قال خالد : اما بعد فانك تعلم أن الذي ذكرته مما فيه قومك من الفنى والعز ومنع الحريم والظهور على الاعداء والتمكن في البلاد ، فنحن عارفون به ، وكل ما ذكرته من انعامكم على جيرانكم من العرب فقد عرفناه ، ولكن أنما فعلتم ذلك أبقاء لنعمتكم ونظرا منكم لانفسكم وذراريكم وزيادة لكم في مالكم وعزا لكم فتستكثرون جموعكم وتلقون الشوكة على من ارادكم ، وأما ما ذكرته من فقرنا ورعينا الابل والشاة فما منا من لم يرع وأكثرنا رعاة ، ومن رعى مناكان له الفضل على من لم يرع ، وأما قولك باننا أهل فقر وفاقة وبؤس وشقاء ، فنحن لا ننكر ذلك ، وأنما ذلك من أجل أنا معاشر العرب أنزلنا الله تعالى منزلا ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع الا قليل وكنا أهل أعرب أنزلنا الله تعالى منزلا ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع الا قليل وكنا أهل جاهلية جهلاء لا يملك الرجل منا الا فرسه وسيفه وأباعره وشياهه ويأكل قوينا ضعيفنا ، ولا يأمن بعضنا بعضا الا في الاربع الاشهر الحرم نعبد دون الله الاصنام والاوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ونحن عليها مكبون ولها حاملون ، فبينما نحن

كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقى منا كان كافرا بربه قاطعا لرحمه حتى بعث الله لنا نبيا نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا نبيا ، واماما تقيا أظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعالى به النبيين ، وأمرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيئًا ولا نتخذ من دونه وليا ، ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا لا شريك له ولا ضد ولا ندله ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا للقربان ، ولا نسبجد الالله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد (ص) وعلى آله وصحبه أنزل الله عليه كلامه الذي هدانا به مولانا فاستحمنا له واطعنا أمره ، فكان مما أمرنا به أن نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا ممن كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعالى عن ذلك لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان أخانا وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبي الاسلام كانت عليه الجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا أداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن أبي الاسلام وأن يؤدي الجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه ، وهو خير الحاكمين ، ونحن ندعوكم الى هذه الخصال الثلاث ليس غيرها أما أن تقولوا: نشبهد أن لا الله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أو الجزية في كل عام على كل محتلم من الرجال وليس على من لمم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع في صومعته ، قال ماهان فهل بعد قول: لا الله الا الله غير هذا ، فقال خالد نعم أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتحجوا البيت الحرام وتجاهدوا من كفر بالله تعالى وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتوالوا في الله تعالى وتعادوا في الله ، فإن أبيتم ذلك فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله أرضه من يشاء والعاقبة للمتقين . قال ماهان فافعل ما تشاء فاننا لا نرجع عن ديننا ولا نؤدى الجزية ، وأما ما ذكرت من أن الارض لله يورتها من يشاء من عباده فلقد صدقت فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم فقاتلناهم عليها حتى ملكناها منهم والحرب بيننا وبينكم فابرزوا على اسم الله تعالى، فقال خالد بن الوليد (رض) ما أنتم بأشهى منا الى الحرب وكأني بجيوشكم ، وقد انهزمت والنصر يقدمنا وتساق أنت والحبل في عنقك ذليلا حقيرا وتقدم بين يدى عمر بن الخطاب فيضرب عنقك . قال فلما سمع ماهان كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا . قال فلما نظرت البطارقة والحجاب والهرقلية والقياصرة الى غضب ماهان هموا بقتل خالد الا أنهم صبروا ينظرون أمره ، فقال ماهان لخالد وقد استشاظ غضما: وحق المسيح لاحضرن أصحابك الخمسة الاسارى وأضربن أعناقهم وأنت تنظر اليهم ، فقال له خالد اسمع ما أقول لك يا ماهان أنت أقل وأذل وأحقر من ذلك وأعلم أن هؤلاء الله في يدك هم منا ونحن منهم ، فوحق الدعوة المستجابة وحق بيعة ابي بكر الصديق (رض) وخلافة عمر بن الخطاب لئن قتلتهم لاقتلنك بسيفي هذا ويقتل كل رجل منا من قومك بعددهم وزيادة . ثم وثب خالد (رض) من موضعه وانتضى سيفه

من غمده وفعل أصحاب رسول الله (ص) كفعله ، وهو يقول: لا اله الا الله محمد رسول الله وجردوا سيوفهم وهاجوا كالجمال أو كالسباع الضواري واستقتلوا وأيقنوا بالشهادة في ذلك المكان .

(قال الشيخ أبو عبدالله محمد الواقدي) مؤلف هذا الكتاب والله الذي لا الله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت في أخبار هذه الفتوح الا الصدق وما نقلت احاديثها الا عن ثقات وعن قاعدة الحق لاثبت فضائل اصحاب رسول الله (ص) وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن السنة والفرض أذ لولاهم بمشيئة الله لم تكن البلاد للمسلمين وما انتثر علم هذا الدين ، فله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده ونصروا دينه ، وثبتوا للقاء الاعداء وبذلوا جهدهم ونصروا الدين حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتقهقر ، لا جرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من تضى نحبه ومنهم من ينتظر ف .

(قال الواقدي) حدثني مسلم بن عبد الحميد عن جده رافع بن مازن . قال كنت مع خالد يوم سرنا الى ماهان وكنا في سرادقة ، فلما جذبنا السيوف وهممنا بالقوم وما في اعيننا من جيوش الروم شيء ، وقد ايقنا بالحشر من ذلك الموضع .

(قال الواقدي) فلما رأى ماهان الحقيقة منا ومن خالد وتبين الموت في شفاد سيوفنا نادي ماهان مهلا يا خالد لا تكن بهذه العجلة تهلك وأنا أعلم أنك ما قلت ذلك القول الا أنك رسول والرسول يحمل ولا يقتل ، وأنا أنما تكلمت بما تكلمت لاختبركم وانظر ما عندكم والآن فما أواخذك فارجع الى عسكرك واعزم على القتال حتى يعطي الله تعالى النصر لمن يشاء ، فلما سمع ذلك أغمد سيفه ، وقال يا ماهان ما تصنع في هؤلاء الاسرى ؟ فقال ماهان : اطلقهم كرامة لك واخلى سبيلهم فيكونون عونا لك وأن تعجزونا في الحرب غدا ففرح خالد بذلك وامر ماهان بتخلية اصحاب رسول الله (ص) . قال فأطلقوا من وثاقهم وهم خالد بالمسيم ، فقال ماهان يا خالد اني كنت أحب أن يصلح الامر بيني وبينكم واني اسالك حاجة ، فقال خالد سل ما تريده ، فقال أن قبتك هذه الحمراء قد أعجبتني واني أريد أن تهبها لي وانظر في عسكري ما أعجبك من شيء فأهبه لك . فقال خالد: والله لقد فرحتني اذ طلبت ما أملكه وهي موهوبة لك ، وأما ما عرضت على من عسكرك فلا حاجة لى فيه ، فقال ماهان لله درك أنت تكرمت وأجملت ، فقال خالد (رض) وأنت أيضا قد تكرمت علينا بما صنعت من اطلاق اصحابي من الاسر ثم انثني خارجا من عند ماهان واصحابه من حوله ، وقدم له جواده فركيه وركب أصحابه اصحاب رسول الله (ص) وأمر ماهان اصحابه وحجابه أن . يسيروا معهم حتى يبلغوهم . قال ففعل القوم ذلك ووصل خالد وأصحابه الى الامير ابي عبيدة (رض) اجمعين وسلموا عليه و فرح المسلمون بخلاص اصحاب رسول الله (ص) وحدث خالد ابا عبيدة بكل ما جرى لهم . ثم قال خالد وحق المنبر والروضة ما كان ماهان ليطلق لنا اصحابنا الا فزعا من سيوفنا .

فقال أبو عبيدة حين سمع ما مر لخالد ولماهان من الخطاب والجدال هذا رجل حكيم الا أن الشيطان غلب على عقله فعلام افترقتم ؟ قال على أننا نلتقي معهم ويعطي الله النصر لمن يشاء ، فلما سمع أبو عبيدة (رض) ذلك جمع عظماء المسلمين وقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وذكر النبي (ص) واخبرهم أن العدو يصبحهم بالقتال في غداة غد وأمرهم بالاهبة ، وأقبل فرسان المسلمين يحرض بعضهم بعضا وأقبل خالد على أصحابه وهم عسكر الزحف ، وقال لهم اعلموا أن هؤلاء الكفرة الذين نصركم الله عليهم في المواطن الكثيرة قد حشدوا لكم جموع بلادهم ، وأني دخلت الى عسكرهم ونظرت اليهم فكأنهم النمل ولكنهم أصحاب عدة بلا قلوب ولا لهم من ينصرهم عليكم وهذه الوقعة بيننا وبينهم ، وقد أيقنا أن القتال في غداة غد وأنتم أهل البأس والشدة فما عندكم رحمكم الله تعالى ، قال فتكلم أصحاب خالد وقالوا أيها الامير والضرب حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين ففرح خالد بقولهم ، وقال لهم وفقكم الله تعالى وارشدكم .

(قال الواقدي) فلم يبق احد منهم تلك الليلة الا وقد اخذ عدته واهبته واستعد بآلة الحرب والقتا لوباتوا فرحين بالجهاد والثواب وخائفين من العقاب ، فلما اصبح القوم ولاج الفجر اذن المؤذنون في عسكر المسلمين حتى ارتفعت لهم جلبة عظيمة بالتوحيد واسبفوا الوضوء لصلاتهم خلف ابي عبيدة ، فلما صلوا ركبوا خيولهم الى قتا لعدوهم وعبوا صفوفهم للقتال وكانوا ثلاثة صفوف متلاصقة اول الصف لا يرى آخره ، واقبل خالد بن الوليد على ابي عبيدة (رض) ، وقال ايها الامير من تجعل في الميسرة . قال كنانة بن مبارك الكناني أو قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي والله أعلم أيهما كان فولاه الميسرة وأمره أن يكون مكانه في الميسرة ففعل وضم الى كنانة قيسا .

(قال الواقدي) حدثني فضالة بن عامر . قال حدثني موسى بن عوف عن جده يوسف بن معن . قال كان هذا الفلام كنانة عارفا بالحرب صاحب شجاعة وغارة ، وقد ذكر إنه كان من شجاعته وشدة فراسته انه كان يخرج من حي قومه بني كنانة وحده ويسير حتى يأتي احياء العرب المعادين له ، فاذا أشرف عليهم صرخ بهم وانتمى باسمه فتثور الرجال على أعناق الخيل ، فلا يزال يقاتلهم ويقاتلونه ، فان ظفر بهم كان مراده وان رأى منهم غلبة وعظم عليه أمرهم نزل عن جواده وسعى بين أيديهم فلا يلحقون منه الا الفبار .

(قال الراوي) لما ولاه ابو عبيدة وقف حيث امره ، والتفت ابو عبيدة الى خالد ، وقال با ابا سليمان قد وليتك على الخيل والرجل فول امر الرجالة من شئت ، فقال

خالد ابن إلوليد (رض) سأولي أمرهم رجالا لا يؤتي المسلمون من قبلهم • ثم نادى بهاشم بن عتبة ابن أبي وقاص ، وقال له ولاك الامير على الرجالة ، فقال أبو عبيدة (رض) انزل يا هاشم وكن معهم رحمك الله وأنا أوافقك •

(قال الواقدي) ورتب ابو عبيدة صفوف المسلمين وعباهم وقال ابن الوليد (رض) ابعث الآن الى اصحاب الرايات وقل لهم يسمعوا مني وغدعا ابو عبيدة (رض) بالضحاك بن قيس ، وقال له يا بن قيس اسرع الى اصحاب الرايات وقل لهم ان الامير أبا عبيدة يامركم أن تسمعوا لخالد وتطبعوا أمره ففعل الضحاك ذلك ، وجعل يدور على اصحاب الرايات حتى انتهى الى معاذ بن جبل وقال له مثل ذلك . قال معاذ بن جبل : سمعا وطاعة ، ثم اقبل معاذ على الناس ، وقال : أما انكم قد أمرتم بطاعة رجل ميمون الغرة مبارك الطلعة ، فان أمركم بأمر فلا تخالفوه فيما يأمركم به ، فما يريد غير صلاح المسلمين والاجر من رب العالمين . قال فقلت لماذ بن جبل انك لتقول في خالد قولا عظيما ، فقال ما أقول الا ما قد عرفته فالله دره ، وقال الضحاك : فرجعت الى خالد وأخبرته بما تكلم به معاذ بن جبل وبما أثنى به عليه فأثنى عليه ، وقال هو أخي في الله تعالى ، ولقد سبقت له ولاصحابه سوابق لا يفعلها خالد بن أوليد فمن يناله . قال الضحاك : فرجعت الى معاذ بن جبل وأخبرته بما قال خالد وبما أثنى به عليه وما ذكره من أمره وبما أورده من على شأنه ، فقال معاذ والله المسلمين .

 الى تعبيتهم فكان عسكر المسلمين صفوفا. كالبنيان المرصوص ، وكأن الطير تظلهم والصفوف متلاصقة والرماح مشرعة مشتبكة . قال فلما راى الروم ذلك داخلهم الفزع والجزع والقى الله الرعب في قلوبهم ، ثم ان ماهان عبى عسكره فجمل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام في مقدمة الصفوف ، وجعل عليهم جبلة وقدم امامهم صليبا من الفضة وزنه خمسة ارطال وهو مطلي بالذهب ، وفي اربعة اركانه اربع جواهر تضيء كأنها الكواكب .

(قال الواقدي) حدثني سنان بن أوس الربعي . قال حدثني عدى بن الحرث الهمداني ، وكان ممن حضر الفتوح من أولها الى آخرها . قال وكانت الصفوف التي صفها ماهان ثلاثين صفا كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله ، وقد اظهر ماهان بين الصفوف القسوس والرهبان وهم يتلون الانجيل ويترنمون واكثر من الرايات والاعلام والصلبان ، فلما تكاملت صفوفهم واذا ببطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهب ولامة حرب مليحة وفي عنقه صليب من اللهب مرصع بالجوهر. وتحته فرس أشهب ، وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير الملك ، فلما برز جعل يرطن بكلام الروم بصوت كالرعد فعلم المسلمون انه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج اليه فصاح خالد ، وقال يا أصحاب رسول الله هذا العلج الاغلف يدعوكم لقتاله وأنتم تتأخرون، فأن لم تخرجوا اليه والا خرج خالد، وهم بالخروج واذا بفارس قد خرج من المسلمين على برزون أشهب عظيم الخلقة يشبه برزون المشرك وعلى المسلم لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق فلم يكن في رجال خالد من يعرف الفارس الذي خرج ، فقال خالد لهمام مولاه : أخرج الى هذا الفارس وانظر من هو من المسلمين ومن أ يالعرب هو ومن قومه ؟ فمضى همام يهتف به وقد هم أن يقرب من البطريق فصاح به من انت يا ذا الرجل ؟ من المسلمين رحمك الله ، فقال أنا روماس صاحب بصرى فلما أخبر خالد به . قال اللهم بارك فيه وزد في نيته ، فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه ، فقال الرومي وقد عرفه يا روماس كيف تركت دينك وصبات الى هؤلاء القوم ، فقال روماس هذا الدين الذي دخلت فيه دين جليل شريف ، فمن تبعهُ كان سعيدا ومن خالفه فقد ضل .

ثم حمل روماس على العلج وحمل العلج على روماس وتقاتلا ساعة حتى عجب الجمعان منهما ، فوجد العلج من روماس غفلة فضربه ضربة أسال دمه . قال فأحس روماس بالضربة وقد وصلت اليه فانثنى راجعا نحو المسلمين فأتبعه العلج طالبا له لا يقصر عن طلبه ، وكاد أن يدركه فصاح به فرسان المسلمين من الميسرة والميمنة فقوي قلب روماس وداخل العلج الجزع والخوف من صياحهم والهلع وقصر عن طلبه ، ودخل روماس عسكر المسلمين والدم على وجهه فائر فأخذه جماعة من المسلمين فسلموا جراحه وشكروه على فعله ووعدوه بالففران من الله تعالى وهنئوه بالسلامة .

قال ولما رجع روماس منهزما أعجب العلج بنفسه واظهر عناده واغلظ في كلامه وطلب البراز فهم أن يخرج اليه ميسرة بن مسروق العبسى ، فقال له خالد با ميسرة ان وقوفك في مكانك أحب الى من خروجك الى هذا العلج وانت شيخ كبير وهذا عاج عظيم الخلُّق ، والشَّاب شجَّاع ولا احب أن تخرج اليه ، فانه لا يكاد الشيخ الكبير يقاوم الشاب الحدث ، ولا سيما أن شعرة من مسلم أحب الى الله تعالى من جميع أهل الشرك فرجع ميسرة الى مكانه وهم أن يخرج اليه عامر بن الطفيل ، وقال أيها الامير انك قد عظمت قدر هذأ الرومي الدميم وأدخلت في قلوب المسلمين منه الرعب فقال خالد أن الفرسان تعرف أكفاءها في الحرب وما يخفى على ما هو فيه من الشجاعة والشدة وأنت لا تقاومه لانه ما برز بين أصحابه وبين شجاعته الا وهو فارس في قومه فقف في مكانك فوقف عامر بن الطفيل في مكانه ولم يخالف ، قال والعلج يدعو الى البراز والحرب فأقبل الى خالد الحرث بن عبدالله الازدى ، فلما وقف بين يديه قال أيها الامير أخرج اليه قال خالد لعمري ان لك جسارة وقوة وشدة وما علمتك الا شهما ، فإن شئت أن تخرج فأخرج على أسم الله وأعزم فأخذ الازدي أهبته وهم أن يخرج . فقال خالد (رض) على رسلك يا عبدالله حتى اسالك فقال اسأل قال خالد هل بارزت احدا قبله قال لا قال فارجع يا ابن اخي ولا تخرج فانك غير مجرب الحروب وهذا فارس قد جرب الحرب وجربته وعرف مصادرها ، وما احب ان يخرج اليه الا رجل مثله بصير بالحروب وجعل خالد يقول ذلك وينظر الى قيس بن هبيرة فقال: يا ابا سليمان اني اظنك تعرض بي واياي تعني أنا أبرز اليه ..

قال خالد: ابرز على اسم الله تعالى فانك كفء والله تعالى يعينك عليه وخرج قيس بن هبيرة واجرى جواده حتى لين عريكته وكسر حدته تم سرحه نحو البطريق وهو يقول بسم الله وعلى بركة رسول الله (ص) وقرب من البطريق فلما نظر العلج الى فعاله علم أنه فارس شديد من فرسان المسلمين فعدل نحوه وقصد اليه وتحاملا قال فبادره قيس بن هبيرة وضربه على هامته فتلقاها العلج في خجفته فقد سيف ابن هبيرة الحجفة ووصل الى البيضة فاشتبك فيها وهم أن يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج قيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت للضربة والتقيا بعد الضربتين فطرح وضرب العلج تيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت الضربة والتقيا بعد رجوعه من قتال العلج نفسه عليه يريد أسره وهو جبار من الجبابرة ، وكان قيس بعد رجوعه من قتال أهل الردة قد عود نفسه الصيام والقيام وهو نحيف الجسم ، فلما نظر قيس الى العلج وقد ظهر عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظر اليه شزرا ويضمه له مكرا الى أن سيفه قد خرج من يده فثنى عنان فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود الى القتال وقد ايس من نفسه ، فلما عطف راجعا صاح العلج في أثره وسعى ويعود الى القتال وقد ايس من نفسه ، فلما عطف راجعا صاح العلج في أثره وسعى في طلبه فقصر قيس بن هبيرة في سيره وقال في نفسه أنت مرادك الشهادة وتهرب من هذا العلج فرجع الى العلج فصاح به خالد يا قيس سألتك بالله ورسوله الا رجعت هذا العلج فرجع الى العلج فصاح به خالد يا قيس سألتك بالله ورسوله الا رجعت

وتركت حدتها علي فقال قيس يا خالد لقد اقسمت علي بعظيمين ولكن ان رجعت اليك اتزيد في أجلى ؟ قال لا قال فلن أخنار الفرار وأكون من أصحاب النار ، بل أصبر وأفوز بالففران من الله تعالى نم أنه عطف على قرنه وليس في يده سيف بل استل خنجرا كان معه على وسطه ، قال ونظر خالد الى قيس بن هبيرة وليس في يده سيف . فقال من يأخذ هذا السيف ويد فعه الى قيس ابتفاء ثواب الله نعالى قال عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق (رض) أنا يا أبا سليمان .

فقال خالد انت والله لها يا ابن الصديق ، ثم أخذ عبد الرحمن سيفه ولحق قيس بن هبيرة يريد أن يناوله السيف ، فلما نظرت الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس ظنوا انه يريد ان يعاون قيسا على صاحبهم فخرج عليه بطريق آخر واقبل الى صاحبه ووقف بازائه ، قال فدفع عبد الرحمن السيف الى أبن هبيرة ووقف مقه وجعل البطريق الآخر يتكلم بكلام لا يفهمه عبد الرحمن . فقال عبد الرحمن يا ويلك ما الذي تقول فما نعرف كلامك فخرج اليه ترجمان وقال له يا معشر العرب الستم ذكرتم أنكم اصحاب نصفة وحق قال عبد الرحمن بلي وقال الترجمان فما رأينا من نصفتكم شيئًا يخرج فارسان الى فارس . قال عبد الرحمن انما خرجت لاعطى صاحبى هذا السيف وارجع ولو خرج الينا منكم مائة لواحد ما كبر علينا ولا عظم لدينا وها انتم ثلاثة وانا واحد وانا لكم كفء ، قال فأخبر الترجمان صاحبه بذلك فجعل ينظر اليه شزرا ، فقال عبد الرحمن يا قيس قد تعبث فقف وتفرج على وانظر ما يكون منى ومنهم ثم حمل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) على الذي كان يخاطبه فطعنه في نحره فأخرج السنان يلمع من ظهره فوقع مجندلا ونظر العلجان الى صاحبهما مجندلا فحملا على عبد الرحمن وقصداه فأراد قيس بن هبيرة أن يعاونه عليهما . فقال له عبد الرحمن سألتك برسول الله (ص) وبحق أبي بكر الا تركت عبد الرحمن يصطلي بهما فان قتلت فأنت شريكي في الثواب وأقرىء عائشة مني السلام وقل لها أخوك قد لحق ببعلك وأبيك ، فتأخر قيس عنه وقد عجب من فعاله فحمل عبد الرحمن على احد الملجين وهو الاول فطعنه برمحه فاستبك السنان في درعه فرمي عبد الرحمن الرمح من يده وانتضى سيفه وقام في الركاب وضرب العلج بسيفه ضربة طرحه بها نصفين ونظر العلج الثالث الى عبد الرحمن وجراءته فبقى حائرا متعجبا من حاله ونظر الى انبطريق وهو متحير باهت فبانت له فيه غفلة . فقال ما يوقفك يا قيس وحمل على البطريق وضربه ضربة هشم بها هامته فسقط الى الارض صريعا ، فلما نظرت الروم الى اصحابهم قال بعضهم لبعض ما هؤلاء العرب الا شياطين .

(قال الواقدي) وأخبر ماهان بفعالهم . فقال لقومه أن الملك كان أخبر بهؤلاء القوم وحق المسيح لقد أعلم أن لكم أمرا فان لم تحملوا عليهم بكثرتكم والا فما تقوم لكم قائمة ، قال فأتاه بطريق من البطارقة وسارر ماهان في أذنه طويلا ثم أنزاح عنه ،

وقد اصفر وحه ماهان وسكت كأنه أخرس فاستخبروا ماهان عما حدته البطريق فلم يخبرهم قال فحدث من رأى ذلك أنه سأل جبلة بن الايهم . فقال لما أخبر ماهان بخبر الثلاثة وفيهم البطريق الاول قال ماهان انهم منصورون عليكم . فقال له البطريق في أذنه: أيها الملك الحق ما قلت أعلم أنى رأيت البارحة في منامي كأن رجالا نزلوا من السماء الى الارض وهم على دواب بلق وشهب وعليهم كامل السلاح وأحدقوا بهؤلاء العرب ونحن قيام بازائهم لا يخرج احد من عسكرنا الا قتلوه حتى أتوا على اكثرنا واظن أنهم هؤلاء الذين نراهم في اليقظة لان واحدا منهم قتل ثلاثة منا وما هم الا منصورون علينا من السماء قال فكسر بهذا قلب ماهان فلم يرد جوابا فاجتمع القوم يسألونه عما قاله البطريق فلم يخبرهم ، فلما اكثروا عليه السؤال تكلم فيهم كالخطيب ، وقال يا أهل هذا الدين أنكم أن لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل لم يزل لدينكم ناصرا ومظهرا وان لله الحجة عليكم اذ بعث فيكم رسولا وأنزل عليه كتابا ولم يتبع رسولكم الدنيا وامركم أن لا تتبعوها وفي كتابه لا تظلموا فانه لا يحب الظلم ولا الظالمين ، فلما اتبعتم الدنيا وظلمتم وخالفتم نصر أعداؤكم عليكم فما عذركم عند خالقكم وقد تركتم أمر نبيكم وما أنزل عليكم في كتاب ربكم ، وهؤلاء العرب بازائكم يريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم ونسائكم وانتم على المعاصي والذنوب ولا تخافون من علام الفيوب فان نزع الله سلطانكم من ايديكم وأظهر عدوكم عليكم فذلك بحق منه وعدل لانكم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر .

(قال الواقدي) وكان ماهان لما سمع كلام البطريق الذي رآه في المنام امره ان يكتمه ، واما قيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فأخذا سلاحهم واسلابهم ورجعا الى المسلمين فذفعا السلب الى ابي عبيدة فقال هو لكما ، ومن قتل فارسا فله سلبه فكذا عهد الينا عمر بن الخطاب فأخذا السلب ووقف قيس في موضعه الذي أقامه خالد فيه ورجع عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق الى ميدان الحرب فجال بين الصفين ، وكان قد ركب اشهب البطريق الذي قتله فرآه لا ينبعث تحته كما عهد من خيل العرب فرجع وغيره من تحته بفرس غيره وحمل على ميمنة الروم فشوش صفوفهم وقتل منهم فارسين ورجع فحمل على القلب تم انثنى على الميسرة فرشق بالسهام فرجع حتى وقف في صدر الجيش وجعل يفزع الروم باسمه ويدغو الى البراز فخرج اليه علج من علوج الروم فما جال غير ساعة حتى قتله فخرج اليه آخر فقتله . فقال خالد : اللهم ارعه بعينك واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلى اليوم الحرب بنفسه ، ثم ان خالدا صاح به يا عبد الرحمن بحق شيبة ابيك وبيعته الا رجعت الى مكانك فرجع حين أقسم عليه قال حزام بن غنم قلت لرجل ممن شهد اليرموك اكانت مكانك فرجع حين أقسم عليه قال حزام بن غنم قلت لرجل ممن شهد اليرموك اكانت النساء معكم مشاهدات القتال ؟ قال نعم احداهن أسماء بنت ابي بكر زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت الازور ونسيبة بنت كعب وام ابان زوجة عكرمة بن ابي جهل وعزة العوام وخولة بنت الازور ونسيبة بنت كعب وام ابان زوجة عكرمة بن ابي جهل وعزة العوام وخولة بنت الازور ونسيبة بنت كعب وام ابان زوجة عكرمة بن ابي جهل وعزة

بنت عامر بن عاصم الضمري مع زوجها مسلمة بن عوف الضمري ورملة بنت طليحة الزبيري ورعلة وأمامة وزينب وهند ويعمر ولبنى وأمثالهن (رض) عنهن فلقد كن يقاتلن قتالا يرضين به الله ورسوله .

نساء السلمين في المعركة

(قال الواقدي) حدثني عبد الملك بن عبد الحميد وكان قد شهد وقعة اليرموك وقال أولها شرر نار وآخرها ضرام الحرب ، وأن كل يوم يأتي من القتال أصعب من اليوم الآخر ، قال عمرو بن جرير فشهدنا في اليوم الاول حربا يسيرا وذلك أن ماهان أمر عشرة من الصفوف أن تحمل على المسلمين بعد أن قتل عبد الرحمن من قتل وحمل المسلمون عليهم فالتقت الرجال بالرجال فنظر أبو عبيدة وكان واقفا الى ماهان ولم يحمل على المسلمين فعلم أن الامر يصعب فقال: لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وجعل يتلون قوله تعالى - الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم أبمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ــ ، قال ولم يزل الحرب بين الفريقين من قيام الشمس في قبة السماء الى ان همت بالفروب ولم ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهم ، فحينتُذ افترق الجمعان وهم ما يعرفون الا بالشعار وخرج كل قوم من العرب يهتفون بشعارهم وينادون بأنسابهم ورجعت كل فئة الى مكانها واستقبل المسلمين نساؤهم فصارت تجعل المراة مرطها تمسح به عن وجه زوجها وتقول له أبشر بالجنة يا ولى الله وبات المسلمون في خير وسرور واوقدوا النيران وذلك أن القتل في أول يوم لم يتبين في الفريقين ، بل قتل من الروم يسير ومن المسلمين عشرة رجلان من حضرموت أحدهما يقال له مازن والثاني يقال له صارم وثلاثة من عسفان رافع ومجلى وعلى وواحد من الانصار وهو عبدالله بن الاخرم وثلاثة من بجيلة وواحد من مراد وهو سويد ابن أخي قيس بن هبيرة فحزن عليه قيس لما فقده فعلم أنه في القتلي فخرج قيس وخرج معه رجال من قومه حتى أتوا موضع المعركة وفتشوا عليه فلم يروه فلما هم بالرجوع نظر الى نار قد اقبلت من جهة الروم يطلبون مكان الوقعة وهم يطلبون بطريقا كان معظما عندهم . فقال قيس لجماعته اخمدوا ناركم فوالله لآخذن بثار ابن أخي من هؤلاء القوم قال فأخمدوا نارهم ورقدوا بين القتلى وتاهبوا للقتال واذا بالروم قد أتوا وهم نحو مائة وهم في زينة عظيمة وآلة وعدة وكان مع قيس سبعة من قومه فقالوا له: إن القوم مائة ونحن سبعة وقد تولانا التعب . فقال قيس ارجعوا انتم واني والله أطلب الموت لا أريد غيره وأجاهد في الله حق جهاده فعجبوا من قوله ووقفوا معه وتفة الكرام وأقبلت الاعلاج بريدون المعركة ويدورون بين القتلى وقد وقفوا بالعلج وهو لذي برز أولا وقتله ابن ابي بكر الصديق، فلما احتملوه وولوا يريدون عسكرهم صاح فيهم قيس من ورائهم وتابعه اصحابه بالصياح فلهلوا ورموا البطريق ووضع المسلمون السيف فيهم وجعلوا يقتلونهم قتلا

ذريما وكان قيس اذا ضرب فيهم يقول هذا عن ابن اخي قال فقتل منهم ستة رجلا وقتل اصحابه اكثر القوم وانفلت الباقون ، فلما فرغ قيس من القوم عاد يه ابن اخيه نحو عسكر الروم فسمع انينا فأقبل نحوه ، فاذا هو ابن اخيه سويد بهرام المرادي ، فلما عرفه بكى ، فقال ما ابكاك يا ابن اخي ؟ فقال يا عماه اني تراقوم فرجع الي واحد منهم وطعنني في صدري واني لاعالج منها امرا عظيما ، وه الحور العين في حدائي ينتظرون خروج روحي ، قال فبكى قيس وقال : يا ابن اخي اجل كتاب ولعل ان يكون في اجلك طول فقال هيهات والله يا عم افتقدر ان تحد الى عسكر المسلمين فأموت هناك قال اجل ، قال ثم احتملته على ظهري واقبلت الى عسكر المسلمين وقصدت به الى رخله وسجيته وسمع ابو عبيدة بمجيء قر فأتى اليه وراى الفلام يجود بنفسه فجلس عند راسه وبكى وبكت المسلمون فقال ابو عبيدة كيف تجدك يا ابن اخي فقال بخير والله وغفران وجزى الله محمدا عنا ولقد صدقنا في قوله وهذه الحور تنادي وتشخص فمات قال فما برحنا حتى واد وعلم ان ذلك علامة النصر قال وبات الناس في ليلتهم يقراون القرآن ويصلون ويسأ المعونة والنصر .

قال واما ماهان فانه لما رجع الى عسكره اجتمع اليه البطارقة والره والقسنوس فقدموا له طعاما ومدوا له سنماطا فلم يأكل منه شيئًا مما وقع في نفسته الرؤيا التي رآها البطريق وكان ماهان يود لو ترك الامر وصالح على اداء الجزية ولـ كان مغلوبا على أمره وأقبلت الملوك والقسوس والبطارقة والرهبان على ماهان وقا ما بال الملك امتنع من الطعام ؟ فان كان ذلك من غمه على من مات وعلى ما جرى ع من الحرب فان الحرب سجال فيوم لك ويوم عليك ، واعلم أيها الملك أن القوم ظافرون وما نملكهم الا أن نحمل عليهم فلا يبقى منهم أحد ، قال ماهان ما أظنكم منصورين الا من تغير أديانكم والجور في سلطائكم فبهذا نصرت العرب عليكم ، فا اليه رجل وقال أيها الملك عثمت المدهر وأنا رجل من أهل دينكم وكان لي مائة رأ من الفنم وكان فيها ولدى يرعاها فضرب عظيم من عظماء اصحابك الفسطاط ا جانبها ثم انه عدا عليها فأخد منها حاجته وأخد بقيتها أصحابه فجاءته زوج تشكو اليه انتهاب غنمي ، فلما رآها أمر بها فأدخلت اليه فطال مكثها عنده فلما رأ ولدها ذلك دنا من الفسطاط فاذا هو يجامع أمه فصاح الفلام فأمر البطريق بقا الفلام فقتل فأتيت اريد خلاص ولدي وزوجتي فأمر بي فضربت بالسيف فتلقيه الضربة بيدي فقطعها ، ثم أنه أخرج يده فاذا هي مقطوعة ، قال ففضب ماهان عند ذا غضبا شديدا وقال للمعاهد أتعرف هذا البطريق الذي فعل بك ذلك قال نعم هو ه واوماً بيده الى بطريق من البطارقة فنظر اليه ماهان مغضبا قال ففضب البطري

وغضب البطارقة لفضبه ومالوا على المعاهد فضربوه بأسيافهم حتى قطعوه وماهان ينظر اليهم فزاد غضبه وقال خدلتم وهلكتم وحق المسيح يا ويلكم ترجون النصر وانتم تفعلون هذا الفعال اما تخافون القصاص غدا وان الله ينتقم منكم وينزع منكم صالح ما اعطاكم ويعطيه غيركم ممن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، فوالله أنتم الآن عندي كالكلاب وسوف ترون عاقبة هذا كله والي اي مصير مصيركم يكون ، قال ثم انه قام وتركهم ، فلما انصرف القوم رلم يبق عنده الا بطريق واحد قال له أيها الملك والله ان القو ملكما تقول وما اظن الا اننا مفلوبون ، واعلم اني رايت في منامي كأن رجالا نزلوا من السماء على خيل شهب فأحدقوا بهؤلاء العرب وعليهم كامل السلاح ونحن وقوف ما زائهم فنظرت اليهم ولا يخرج منا أحد الا قتلوه حتى اتوا على اكثرنا وذكر له كما قال ذاك الاول فأقبل ماهان يفكر طول ليلته فيما يصنع في امر المسلمين ، فلما اصبح فلموا ان لهم امرا .

(قال أبو عبيدة) دعوهم ولا تبقوا عليهم فان الباغي مخذول ، قال واجتمعت البطارقة والملوك الاربعة الا ماهان ، وهم قناطر وجرجير والديرجان وقورين وهم اصحاب الجيش يستأذنونه في الحرب فقال ماهان : وكيف لى ان اقاتل بقوم يظلمون ان كنتم أحراراً فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم ، فقالوا الآن أحببنا الحرب فوحق المسيح لا نفارقهم حتى ننفيهم من الشيام الى بلادهم او يقتلونا او نقتلهم فثق بقولنا وانهض بنا اليهم ، فاذا عزمت على القتال فدع كل واحد منا يقاتل يوما حتى تعرف منا من هو أفرس وأشد ويضجر المسلمون من المطاولة ونجمع عيالنا وأطفالنا وأموالنا ، فان كانت على العرب رددنا كل شيء الى مكانه ، وان كانت للعرب علينا الحقوا ببلادهم وقومهم ويكون الامر بيننا وبينهم في يوم واحد أو يومين ، فقال له ماهان لعنه الله هذا هو الرأى أمهلوا الى أن اكتب الى الملك بمثل ذلك ثم أنه كتب الى هرقل: أما بعد فأسأل الله لك أيها الملك ولجيشك النصر ولاهل سلطانك العز والنصر وأنك بعثتنى فيما لا يحصى من العدد وأنى قدمت على هؤلاء العرب فنزلت بساحتهم وأطمعتهم فلم يطمعوا وسألتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم جعلا على أن ينصر فوأ فلم يفعلوا وقد فزع جند الملك منهم فزعا شديدا واني خشيت أن يكون الفشيل قد عمهم والرعب قد دخل في قلوبهم وذلك لكثرة الظلم فيهم وقد جمعت ذوي الراي من أصحابي وذوي النصيحة للملك وقد أجمع رأينا على النهوض اليهم جميعا في يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا فان أظهر الله عدونا علينا فارض بقضاء الله ، واعلم أن الدنيا زائلة عنك فلا تأسف على ما فات منها ولا تغتبط منها بشيء في يدك والحق بمعاقلك وبدار ملكك بالقسطنطينية وأحسن الى رعيتك يحسن الله اليك وارحم ترحم وتواضع لله ير فعك الله فانه لا يحب المتكبرين ولقد عملت حيلة في احضار اميرهم خالد ومنيته ورغبته فما اجاب ورايته على الحق مقيما فاردت أن افتك به وامكر فخفت عاقبة المكر والفدر وما نصر هؤلاء الا بالعدل واتباع الحق بينهم والسلام، ثم طوى الكتاب وبعث به مع اصحابه من العلوج.

(قال الواقدي) وبقي ماهان سبعة ايام اخر بعد الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوه ، وبعث ابو عبيدة برجل من عيونه ينظر ما الذي اخر الروم عن القتال ففاب الرجل يوما وليلة ثم عاد واخبر ابا عبيدة ان ماهان قد كاتب الملك وهو منتظر الجواب فقال خالد ابن الوليد ما تأخر ماهان عن قتالنا الا وقد وقع الفزع في قلبه فازحف بنا اليهم . فقال ابو عبيدة (رض): لا تعجل فان العجلة من الشيطان .

(قال الواقدي) وكان أبو عبيدة رجلا لين العربكة بحب الرفق ، فلما كان في اليوم الثامن نظر مآهان الى تلهف اصحابه على الحرب والقتال فعزم أن يلقى بهم المسلمون وقد فرح بنشاطهم فدعا برجل من المتنصرة من لخم وقال له اذهب فادخل هؤلاء العرب وتجسس لى أخبارهم وانظر ما عندهم ، قال فمضى اللخمى حتى دخل عسكر اصحاب رسول الله (ص) فأقام فيهم يوما وليلة يطوف في عسكرهم وليس احد من المسلمين ينكره وهم آمنون وليس لهم همة الا اصلاح شانهم والصلاة والقرآن والتسبيح ، وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا أحد يتعدى على أحد ، وقصد الموضع الذي فيه أبو عبيدة (رض) فنظر اليه كأنه أضعف ضعيف في العرب ساعة يجلس على الارض وساعة ينام عليها ، فاذا كان وقت الصلاة قام وأسبغ الوضوء وأذن المؤذنون وصلى بالناس ونظر المتنصر الى المسلمين وهم يصنعون كصنعه . فقال المتنصر ان هذه طاعة حسنة ويوشك أنهم ينصرون ، قال فرجع الى ماهان وحدثه بما رأى من القوم وما عاينه ، وقال أيها الملك أني جئتك من قوم يصومون النهار ويقومون الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، رهبان في الليل ليوث بالنهار ولو سرق واحد منهم ولو كان كبيرهم قطعوه ، ولو زنا رجموه لا يفلب هواهم على الحق ، بل الحق عندهم غالب ، وأميرهم كأضعف من فيهم الا أنه مطاع عندهم ، أن قام قاموا وأن قعد قعدوا ، مناهم القتال ، وشهوتهم النزال ومرادهم أن يموتوا شهداء في قتالكم وما تأخروا عن قتالكم الا ليكون البغى منكم اذا بدأتموهم . فقال ماهان هؤلاء القوم منصورون غير أني قد وجدت حيلة أعملها عليهم . فقال المتنصر ما الحيلة أنها الملك ؟

فقال ماهان: الست زعمت أنهم لا يبدأون بالقتال حتى نقاتلهم فنكون نحن الباغين. قال: نعم. قال: فانا لا نطلب الحرب بل نطول بيننا وبينهم وندهمهم على حين غفلة دون عدة منهم ولا أخد حدرهم فعسى أن نظفر بهم. قال ثم أن ماهان جمع الملوك وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف ، وكان أول صليب عقد لقناطر وكان نظيره في الرتبة وأمره أن يكون في الميمنة . ثم عقد صليبا للديرجان وضم اليه الارمن والنجد والنوبة والروسية

والصقالبة . ثم عقد لابن أخت ألملك صليبًا على الافرنج والهرقلية والقياصرة واليرقل والدوقس ، وعقد لجبلة بن الايهم عقدا وضم اليه المتنصرة من لخم وجدام وغسان وضبة وامره أن يكون على المقدمة ،وقال أنتم عرب وأعداؤنا عرب والحديد لا يقظعه الا الحديد ، ثم فرق الاعلام في أجناد عسكره . فما انفجر الفجر وبان الصباح وأضاء بنوره ولاح حتى فرغ من تعبية جيوشه وترتيب طلائعه وامر بمضرب له فضرب على كثيب عال على جانب البرموك يشرف منه على العسكرين ، واوقف عن بمينه الف فارس عتاة حماة الروم شاكين السلاح وعن يساره كذلك وهم الملكية واصحاب السرير وامرهم باليقظة . وقال: أي كرب يكون على العرب أعظم من هذه فانكم على تعبية وهم على غير اهبة ، فاذا طلعت الشمس ورايتم المسلمين على غير تعبية ، فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان ، فما هم في عسكرنا الا كالشامة البيضاء في جلد الثور الإسود . هكذا سمعت اياد بن غالب الحميري يذكر وكان من المعمرين . قال حدثني جواد ابن اسيد السكاسكي عن أبيه أسد بن علقمة ، فلما أنشق الفجر أذن المؤذن وتقدم ابو عبيدة وصلى بالنَّاس وهو لا يعلم بمكيدة ماهان فقرأ في أول ركعة _ والفجر وليال عشر _ حتى قرا _ ان ربك لبالمرصاد _ اذ هتف بهم هاتف وهم في الصلاة وهو يقول: ظفرتم بالقوم ورب العزة وما يفني عنهم كيدهم شيئًا وما أجرى الله هذه .الآية على لسان أميركم الا بشارة لكم . فلما سمع المسلمون كلام الهاتف عجبوا مما سمعوا ، ثم قرأ في الركعة الثانية ـ والشمس وضحاها ، الى قوله: فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها _ واذا بالهاتف يقول: تم الفأل وصح الزجر وهذه علامة النصر . فلما فرغ أبو عبيدة من صلاته . قال يا معاشر المسلمين : هل سمعتم الهاتف ؟ قالوا نعم سمعنا قائلا يقول كذا وكذا ، فقال ابو عبيدة والله هذا هاتف النصر وبلوغ الامل فابشروا بنصر الله ومعونته فوالله لينصرنكم الله وليرسلن عليهم سوط عذاب كما انزل على القرون الاول ، ثم قال أبو عبيدة : معاشر القوم أني رأيت الليلة في منامي رؤيا تدل على النصر على الاعداء والمونة من الملا الاعلى ، فقالوا اصلح الله شأن الامير فما الذي رأيت ؟

قال: رايت كأني واقف بازاء اعدائنا من الروم اذ حف بنا رجال وعليهم ثياب بيض لم أر كهيئتها حسنا ، لبياضها اشراق ونور يفشى الابصار وعلى رؤوسهم عمائم خضر وبأيديهم رايات صفر وهم على خيول شهب ، فلما اجتمعوا حولي قالوا تقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم غالبون ، فأن الله ناصركم ، ثم دعوا برجال منكم وسفوهم بكاس كان معهم فيه شراب ، وكأني انظر عسكرنا وقد دخل في عسكر الروم فلما راونا ولوا بين ايدينا منهزمين ، فقال رجل من المسلمين : اصلحك الله ايها الامير وأنا رايت الليلة رؤيا ، فقال ابو عبيدة خيرا تكون أن شاء الله تعالى ما الذي رايت يرحمك الله ؟ فقال رايت كأنا خرجنا نحو عدونا فصاففناهم للحرب ، وقد انقضت عليهم من السماء

طيور بيض لها اجنحة خضر ومخاليب كمخاليب النسور ، فجعلت تنقض عليهم كانقضاض العقبان ، فاذا جاءت للرجل ضربته ضربة فيقع قطعا . قال ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض : ابشروا فقد امنكم الله وأيدكم بالنصر وامدكم بملائكته تفاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر . قال فسر أبو عبيدة بذلك ، وقال هذه رؤيا حسنة ، وهي حق تأويلها النصر واني ارجو من الله تعالى النصر وعاقبة المتقين ، فقال رجل من المسلمين : أيها الامير ما وقوفنا عن هؤلاء الكلاب الاعلاج وما انتظارك للحرب وعدو الله. يريد كيدنا بمطاولته وما تأخر عنا الا لبلية يريد أن يوقعنا بها . قال أبو عبيدة ان الامر اقرب مما تظنون . قال سعيد بن رفاعة الحميري فبينما نحن كذلك اذ سمعنا الاصوات قد علت والزعقات قد ارتفعت من كل جانب يهتفون بالقتال وان الروم قد زحف الينا فظن أبو عبيدة أن المسلمين قد كبسوا في وجه السحر فقام ليرى وكان على حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد وعمرو بن نفيل العدوي (رض) ، اذ اقبل سميد وهو ينادي : النفير النفير حتى وقف امام أبي عبيدة ومعه رجل من المتنصرة ، فقال: أيها الامير ماهان كاد المسلمين بتخلفه عن الحرب ، وها هو قد عبى عساكره وصف جيوشه وزحف علينا زحف من يريد الكبسة بنا ، ونحن على غير اهبة ولا عدة ، وهذا الرجل قد اقبل الينا راغبا في الاسلام محذرا لنا من بأسه ويزعم 1ن ماهان قد قدم الينا حماة البطارقة ، وقد اتفق رايهم على أن يقاتلنا كل ملك من ملوكهم بمن معه وهذا اصعب القتال . ونظر المسلمون الى رايات الروم تقرب منهم والصلبان تدنو . فقال أبو عبيدة : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ثم قال أين أبو سليمان خالد بن الوليد ؟ فأجابه بالتلبية ، فقال له انت لي يا أبا سليمان فابرز في أبطال المسلمين وصد عن الحريم الى أن تأخذ الرجال صفو فها وتستعد بآلات حربها ، فقال حيا وكرامة ...

فنادى خالد: إين الزبير بن العوام ، إين عبد الرحمن بن ابي بكر ، إين الفضل بن العباس ، أين يزيد بن ابي سفيان ، أين ربيعة بن عامر ، إين ميسرة بن مسروق العبسي ، أين ميسرة بن قيس ، إين عبدالله بن انيس الجهني ، أين صخر بن حرب الاموي ، أين عمارة الدوسي ، أين عبدالله بن سلام ، أين غانم الفنوي ، أين المقداد بن الاسود الكندي ، أين أبو ذر الففاري ، أين عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، أين عمار بن باسر العبسي ، أين ضرار بن الازور ، أين عامر بن الطفيل ، أين أبان بن عثمان بن عفان ، وجعل خالد يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله (ص) وكل رجل منهم يلقى جيشا فاجتمعوا الى خالد بأجمعهم واشتغلوا بالحرب واشتفل أبو عبيدة من بترتيب الصفوف وتعبية العساكر فاقبل أبو سفيان الى أبي عبيدة ، وقال له أيها الامير مر نساءنا أن يعلون على هذا التل . قال نعم الرأي ما رأيت فأمرهن بذلك ففعلن وعلون على التل وحصن أنفسهن وأولادهن ومعهن الاطفال والاولاد ، فقال لهن أبو

عبيدة خلن بأيديكن اعمدة البيوت والخيام واجعلن الحجارة بين ايديكن وحرضن المؤمنين على القتال ، فان كان الامر لنا والظفر فكن على ما انتن عليه وان رايتن احدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن واحصبنه بحجارتكن وارفعن اليه اولادكن وقلن له قاتل عن اهلك وعن دين الاسلام ، فقال النساء ابها الامر أيشر بما سرك .

(قال الواقدي) فلما حصن أبو عبيدة النساء على التل أقبل يعبي جيشه وقد والعدة وقسم الخيالة ثلاثة فرق فجعلها في الثلاثة صفوف ، واستعمل عليهم ثلاثة من ابتدر الناس القتال بعدما عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم أصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين صفراء وفيها أبيض وأخضر وأسود وسائر القبائل أيضا راياتهم مختلفة ، وجعل المهاجرين والانصار في القلب وأظهر المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره ثلاثة صفوف فصف فيه النبلة من أهل اليمن ، وصف فيه اصحاب الخيل

المسلمين ، أحدهم غياث بن حرملة العامري : والثاني مسلمة بن سيف اليربوعي ، والثالث القعقاع بن عمرو التميمي ووقف المسلمون تحت راياتهم ووقف أبو عبيدة تحت رايته التي عقدها له أبو بكر الصديق (رض) يوم مسيره الى الشام ، وهي رأية رسول الله (ص) الصفراء التي سار بها يوم خيبر ، قال ومع خالد راية العقاب وكانت سوداء وجعل على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح الايمن يزيد بن أبي سفيان وعلى الايسر قيس بن هبيرة ، فلما ترتبت الصفوف سار أبو عبيدة بين الصفوف وجعل يحرض المؤمنين على القتال ويقول ـ أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ـ والزموا الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ، ومقمعة للعدو فلا تزايلوا صفو فكم ولا تبقضوا نيتكم ولا تخطوا خطوة الا وأنتم تذكرون الله ولا تبداوهم بالقتال حتى يبداوكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله ولا تحدثوا حدثا حتى آمركم ، ثم رجع الى مقامه من القلب فوقف فيه ثم خرج من بعده معاذ بن جبل فطاف على الناس محرضا لهم يقول: يا أهل الدين ويا انصار الهدى والحق اعلموا رحمكم الله تعالى أن رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمني بفير عمل مرضى ، ولا تدخل الجنة الا بالاعمال الصالحة مع رحمة الله ، ولا يؤتي الله الرحمة والمففرة الواسعة الا الصابرين والصادقين ، ألم تسمعوا قوله جل من قائل _ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الدين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خونهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ـ واستحيوا من الله أن يراكم في فرار من عدوكم وأنتم في قبضته ليس لكم ملجأ من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك الى أن رجع ألى مقامه ، ثم خرج سهل بن عمرو فمشى بين الصفوف وهو شاكى السلاح وراكب فرسه متقلد سيفه وهو يقول مثله ، ثم رجع وخرج من بعده أبو سفيان فطاف بين الصفوف وهو شاكي السلاح راكب فرسه

متقلد سيغه معتقل رمحه وهو يقول: معاشر العرب الكرام السادة العظام قد اصبحتم في ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والاوطان ، ووالله لا ينجيكم منهم الا الطعن الصائب في أعينهم والضرب المتدارك في هاماتهم ؛ وبذلك تبلفون اربكم وتنالون الفوز من ربكم . واعلموا أن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الفم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وامصارهم واستعبدتم ابناءهم ونساءهم ، وان وليتم فليس بين ايديكم الا مفاوز لا تنقطع الا بالزاد الكثير والماء الفزير ولا ترجعوا الى دور ولا الى قصور فامنعوا بسيوفكم وجاهدوا في الله حق جهاده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، قال ثم خرج من بين الصفوف وأقبل على النساء وهن على التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار وغيرهن من نساء المسلمين ومعهن أولادهن . فقال لهن أن رسول الله (ص) والجنة أمامكم والشبيطان والنار وراءكم وأقبل حتى وقف مكانه ولم تفن مكيدة ماهان شيئا ورجعت الروم الى ورائها حين نظروا خالدا زحف اليهم في خمسمائة فارس ، فخافوا للالك ورجعوا حتى اصطفت الصفوف وعبى المسلمون كتائبهم . فقال ماهان ما يوقفكم عن قتالهم فازحفوا اليهم ، فزحف الروم الى المسلمين فنظر خالد الى جيش عرمرم . قال وكان ماهان قد أنفذ ثلاثين الفا من عظمائهم فحفروا لهم في الميمنة حفائر ونزلوا فيها وشدوا ارجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة في سلسلة التماسا لحفظ عسكرهم وحلفوا بعيسني بن مريم والصليب والقسيسين والرهبان والكنائس الاربع أن لا يفروا حتى يقتلوا عن آخرهم ، فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من جيش الزحف هذا يوشك ان يكون أرما عظيما ، ثم قال اللهم ايد المسلمين بالنصر ، ثم اقبل على ابي عبيدة وقال أيها الامير أن القوم قد اقترنوا في السلاسل وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك أن يكون على الناس يوما مناليها . فقال لهم أن العدو عدده كثير وما ينجيكم الا الصبر ، ثم قال لخالد فما الذي ترى من الراى يا ابا سليمان .

(قال الواقدي) وكان ماهان قدم من الروم من عرفت شجاعته وعلمت براعته واشتهر بالثبات في بلادهم وهم مائة الف . فلما نظر خالد اليهم شهد لهم بالقروسية وانهم من اهل الشدة وقال لابي عبيدة: ان الراي عندي ان توقف في مكاننا الذي انت فيه سعيد بن زيد وتقف انت من وراء الناس في مائتين وفي تلثمائة من اصحاب رسول الله (ص) . فاذا علم الناس انك من ورائهم استحيوا من الله ثم منك ان يفروا . قال فقبل ابو عبيدة مشورته ودعا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة فاوقفه ابو عبيدة مكانه ، ثم انتخب ابو عبيدة مائتي فارس من اليمن وفيهم رجال من المهاجرين والانصار ووقف بهم من وراء الجيش بحذاء سعيد بن زيد .

(قال حدثني) ورقة بن مهلهل التنوخي وكان صاحب راية أبي عبيدة يوم

اليرموك. قال وكان أول من فتح باب الحرب يوم اليرموك في جيش السلاسل غلام من الازدحدتا كيسا. فقال لابي عبيدة أيها الامير أني أردت أن أشفى قلبي وأجاهد عدوي وعدو الاسلام وأبدل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي أرزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك وأن كان لك حاجة الى رسول الله (ص) فأخبرني بها . قال فبكى أبو عبيدة وقال أقرىء رسول الله (ص) وأخبره أنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا . قال ثم دفع الفلام الازدي جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من الروم قام من الرجال على فرس أشهب ، فلما رآه الفلام قصد نحوه وقد احتسب نفسه في سبيل الله تعالى فلما قرب منه قال :

لا بد من طعن وضرب صائب بكل لدن وحسام قاضب عسى أنال الفوز بالمواهب في جنة الفردوس والمراتب

قال وبعد شعره حمل كل منهما على صاحبه وابتدا الفلام الازدي الرومي بطعنة فجندله صريعا وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك لرجل من قومه وعاد الى البراز فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم فخرج اليه خامس فقتل الازدى ففضبت الازد عند ذلك ودنت من صفوف المشركين فعندها أقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين . فقال ابو عبيدة ان أعداء الله قد زحفوا عليكم فنكلوهم واعلموا أن الله معكم وثبتوا نفوسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله ، ثم رمق الى السماء بطرفه وقال: اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيئًا وأن هؤلاء أعداؤك يكفرون بك وبآياتك ويتخذون لك ولدا: اللهم زلزل أقدامهم وأرجف قلوبهم وأنزل علينا السكينة والزمنا كلمة التقوى وآمنا عدابك يا من لا تخلف الميعاد: اللهم انصرنا عليهم يا من قال في كتابه العزيز ــ واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ـ قال فبينما هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت الروم على ميمنة المسلمين وكان فيها الازد ومذحج وحضرموت وخولان فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتنوا قتالا شديدا وتبتوا ثباتا حسنا وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا صبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فأزالوا المسلمين عن الميمنة ، فابتدر منهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهو المقدم على زبيد والامير عليهم وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته في الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مر له من العمر مائة وعشرون سنة الا أن همته الشبجاعة ، فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح في قومه : يا آل زبيد يا آل زبيد تفرون من الاعداء وتفزعون من شرب كاس الردى اترضون لانفسكم بالعار والمذلة فما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج: اما علمتم أن الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين ، فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا لقضائه امدهم بنصره وايدهم بصبره فأين تهربون من الجنة ارضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار . قال فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن

معد بكرب رجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الابل على أولادها فاجتمعوا حوله زهاء من خمسمائة فارس وراجل وشدوا على القوم شدة واحدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة فأزالوا الروم عن أماكنهم وحملت دوس مع أبي هريرة وهز رابته وهو يحرض قومه على القتال ويقول: أبها الناس سارعوا الى معانقة الحور العين في جوار رب العالمين ، وما من موطن أحب الى الله من هذا الموطن : الا وان الصابرين قد فضلهم الله على غيرهم الذين لم يشبهدوا مشهدهم ، فلما سمعت دوس كلامه طافوا به وحملوا على إلروم حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين ، فعادت الخيل تنكص باذنابها راجعة على أعقابها منكشفة كانكشاف الفنم بين أيدى الاسد ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على اعقابها فنادت النساء يا بنات العرب دونكن والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب . قالت سعيدة بنت عاصم الخولاني كنت في جملة النساء يومئذ على التل ، فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عفيرة بنت غفار وكانت من المترجلات البازلات ونادت: يا نساء العرب دونكن والرجال واحملن أولادكن على ايديكن واستقبلنهم بالتحريض فأقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة ، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادى قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته ، وجعل النساء يقلن لازواجهن لسبتم لنا ببعولة أن لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج . قال العباس بن سهل الساعدي كانت خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية وكعوب ابنة مالك بن عاصم وسلمي ابنة هاشم ونعم ابنة فياض وهند ابنة عتبة بن ربيعة ولبني ابنة جرير الحميرية متحزمات وهن أمام النساء والمزاهر معهن ، وخولة تقول هذه الإبيات :

> يا هاربا عن نسوة ثقات لها جمال ولها نبات تسلموهن الى الهنات تملك نواصينا مع البنات أعلاج سوق فسق عتاة ينلن منا أعظم الشتات

قال ورجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال ، فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عندما سمعوا تحريض النساء وخرجت هند ابنة عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهي تقول الشعر الذي قالته يوم احد وهو هذا:

> قيدي مع المرافق فسراق غسير واثق

نحن بنات طارق نمشي على النمارق مشى القطا الموافق ومسن أبسى نفارق أن تفلسوآ نماليق أو تدبروا نفارق هل من كريم عاشق يحمى عن العواتق

قال ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فراتهم منهزمين فصاحت بهم الى اين تنهزمون اين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى زوجها ابي سفيان

منهزما فضربت وجه حصائه بعمودها ، وقالت له الى أين يا ابن, صخر ارجع الى القتال وابدل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله (ص) . قال الزبير بن العوام ، فلما سمعت كلام هند لابي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله (ص) . قال فعطف أبو، سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ونظرت الى النساء ، وقد حملن معهم وقد رأيتهن يسابقن الرجال وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ولقد رأيت منهن امرأة ، وقد أقبلت الى علج عظيم ، وهو على فرسه فتعلقت به وما زالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته ، وهي تقول هذا بيان نصر الله المسلمين ، قال الزبير بن العوام وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضا الله ورسوله ، وقاتلت الازد مع أبي هريرة وفشا فيهم القتل وأصيب منهم خلق كثير لانهم تلقوا الصدمة الاولى بانفسهم واستشبهد منهم ما لم يستشمهد من غيرهم . قال سعيد بن زيد كان القتال في الميمنة شديدا وكان المسلمون ينهزمون تارة ويعودون مرة وساعة نصبر وساعة نتأخر . قال ونظر خالد بن الوليد الى الميمنة ، وقد وصلت الى القلب فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم فمالوا وكانوا زهاء ستة آلاف فكبر وحمل على الروم فنكي بهم نكاية عظيمة حتى كشف أعداء الله عن الميمنة والقلب الى أن ردت الى مواضعها ووقف خالد أمامهم يطارذ من كان قريبا للمسلمين ، قال فانكسر الروم امام خالد ونظر خالد الى فرسانه فرآهم متبددين فنادى يا أهل الاسلام والايمان ويا حملة القرآن ويا أصحاب محمد (ص) قد تبينت في الروم الكسرة العظيمة ولم يبق عند العوم من الجلد والقتال الا ما رأيتم وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم الكسرة وشدوا عليهم الكرة رحمكم الله ، فوالذي نفس خالد بيده اني لارجو أن يمنحكم الله اكتافهم فنادى المسلمون من كل جانب احمل حتى نحمل معك . قال فانتضى خالد سيفه وحمل وحملت اصحابه معه . قال عبد الرحمن بن الحميدي الجمحي كنت ممن حمل مع خالد فوالله لقد انكشفت الروم بين أيدينا وولت كما تولى الفنم بين يدى الاسد وتبعهم المسلمون وكانت الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا قبيحا ، وأما المسلسلة فما برحوا من مواضعهم وكانوا يرمون بالسهام وهم حماة القوم .

الشعيان

قال عبد الرحمن وكان خالد امامنا في حملته ونحن من ورائه ، وكان شعارنا يا محمد يا منصور امتك امتك فلم يزل خالد في حملته ونحن من ورائه حتى وصل الى الديرجان وكان قائما في موضعه الذي اقامه فيه ماهان معه صليب من الجوهر ومعه اصحابه ينتظرون حملته فيحملون معه ، فلما وصلت خيل خالد الى موضعه . قال له البطارقة أيها الملك أما آن لك أن تحمل نحمل معك أو تولي فقد خالطتنا خيل العرب . فقال لاصحابه اعلموا أن يوم السوء لا أحبه ولا أحب أن أراه ولا أحضره ، وقد أحضرني الملك إلى هذا الموقف وإنا كارهه ولكن لفوا وجهي ورأسي في هذا الثوب

كشيعاع الشيمس وتحته فرس من نسل خيول عاد ، فلما خرج جبلة الى عامر بن الطفيل قال له من أي الناس أنت قال أنا من دوس . قال جبلة أنك من القرابة فابق على نفسك وارجع الى قومك ودع عنك الطمع ، فقال له عامر قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتي فأنت من أي العرب . قال أنا من غسان وأنا سيدها جميعها أنا جبلة بن الإيهم الفساني ، وانما خرجت اليك حين نظرت اليك ، وقد قتلت هذا البطريق الشيديد وهو نظير ماهان وجرجير في الشبجاعة فعلمت انك كفؤ فخرجت لاقتلك واحظى عند ماهان وهرقل بقتلك ، فقال عامر بن الطفيل اما ما ذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم فالله أشد منعة ، وهو مهلك الجبابرة ، وأما قولك أنك تحظى بقتلي عند مخلوق مثلك فاني أريد أن أحظى بجهادي عند رب العالمين بقتلك وحمل عامر على جبلة بن الايهم والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة وخرجت ضربة حبلة ممكنة فقطعت من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا فجال جبلة على مصرعه ووقف يعجب ينفسه وبما صنع وطلب البراز فخرج إليه ولد المقتول ، وهو جندب بن عامر بن الطفيل وكانت معه راية ابيه فأقبل الى أبي عبيدة ، وقال أيها الامير أن أبي قد قتل وأريد أن آخذ بثاره أو أقتل فادفع رايتك لن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية ودفعها لرجل من دوس فحملها وخرج جندب الى قتال جبلة بن الايهم ، وهو ينشد ويقول :

سأبلال مهجتي ابدا لاني اربد العفو من رب كريسم وأضرب في العدا جهدي بسيفي واقتل كل جبار لئيسم فان الخلد في الجنات حق تساح لكل مقدام سليم

قال ودنا من جبلة ، وقال له اثبت يا قاتل أبي لاقتلك به ، فقال جبلة ومن أنت من المقتول قال ولده . قال جبلة ما الذي حملكم على قتل نفوسكم وأولادكم وقتل النفوس محرم ؟ . قال جندب أن قتل النفس في سبيل الله محمود عند الله وننال به الدرجة العالية ، فقال له جبلة اني لا أديد قتلك ، فقال جندب وكيف أرجع وأنا المفجوع بأبي والله لا ترجعت أو آخذ بثار أبي أو الحق به ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقد شخصت نحوهما الابصار ، ونظر جبلة الى الفلام وما أبدى من شجاعته فعلم أنه شديد الباس صعب المرأس فأخذ منه حذره وغسان ترمق صاحبها فرأت الفلام جندبا وقد ظهر على صاحبهم وقارنه في الحرب ، فصاح بعضهم على بعض وقالوا أن هذا الفلام الذي برز الى سيدكم غلام نجيب وأن تركتموه ظهر عليه فانجدوه ولا تدعوه فتأهب غسان للحملة ليستنقذوه ونظر المسلمون الى جندب وما قد ظهر منه ومن شجاعته وشدته ففرحوا بذلك ونظر الامير أبو عبيدة الى ذلك وما فعل . فبكى وقال هكذا يكون من يبذل مهجته في سبيل الله اللهم تقبل له فعله .

(قال جابر بن عبدالله) شهدت قتال اليرموك فما رايت غلاما كان انجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتله جبلة وبعد ذلك حمل على جبلة وضربه ضربة اوهته بها وضربه جبلة فقتله وعجل الله بروحه الى الجنه وتحقق منام ابيه عامر بن الطفيل ، وجال جبلة على مصرعه وطلب البراز فصاح به قومه ارجع الينا فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو معجب بنفسه حتى وقف تحت صليبه . قال وبعث اليه ماهان يشكره وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده جندب . قال فعندها صاحت دوس الجنة الجنة خلوا بثار سيدكم عامر وساعدتها الازد وكانوا احلافهم وحملوا على غسان ولخم وجلام وتناشدوا الاشعار فصاح ابو عبيدة بالمسلمين ، وقال أيها الناس سارعوا الى مففرة من ربكم وجنة الآية ومعانقة الحور العين في جنات النعيم فما من موطن احب الى الله من هذا الموطن الا وان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم ، هذا ولما سمعت الازد ذلك حملت مع دوس وكان شعارهم ومئد الجنة الجنة الجنة .

(قال الواقدي) حدثني موسى بن محمد عن عطاء بن مراد ، قال سألت رجالا عدة ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك فأخبرت ان شعار ابي عبيدة امت امت وشعار عبس يا لعبس وشعار اليمن من اخلاط الناس يا انصار الله وشعار خالد ومن معه يا حزب الله وشعار حمير الفتح وشبعار دارم والسكاسك الصبر الصبر وشعار بني مراد يا نصر الله انزل ، فهذه كانت شعار المسلمين يوم اليرموك . قال فلما حملت دوس تبعها الازد وقصدت العرب المتنصرة وطلبت صليبهم وفرقتهم تفريقا صعبا حتى وصلوا الى الصليب فطلب رجل منهم حامل العلم الذي لفسان فارداه عن فرسه ووقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الازد ودوس رجال الا انهم كانوا مثل الشامة البيضاء في جلد البعير الاسود . ثم كرت غسان تريد اخذ صليبهم فاقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتلوا خلقا كثيرا .

(قال الواقدي) حدثني هشام بن عمارة عن أبي الجريري عن نافع عن جبير بن الحويرث عن عبدالله بن عدي . قال شهدت اليرموك فكان المسلمون خمصة وعشرين الفا : فغضب الحويرث وقال كذب من حدثك بهذا الحديث . فان المسلمين كانوا يوم اليرموك احدا واربعين الفا وقد اديت اليك ما سمعته ممن أثق به من الرواة .

(قال الواقدي) وهذا اثبت الأقاويل لان المسلمين كانوا يوم اجنادين اثنين وثلاثين الفا وجاءت الامداد بعد ذلك .

(قال الواقدي) حدثني ابن ابي نمرة عن عبد الحميد بن سهل عن جده قال : لما حملت الازد يوم اليرموك ودوس ودوخت المشركين دوخة عظيمة وحمل المشركون حملة هائلة انكشف المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض بن غنم الاشعري فولى منهزما واللواء بيده فصاح به الناس انما ثبات القوم واهل الحرببالويتهم، فابتدر لاخذه عمره بن الماص وخالد بن الوليد كلاهما يتسابق اليه فأخذه عمرو ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على ايدي المسلمين ، وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما

حتى لا أرى الحرب قال فلفوا وجهه ورأسه في ثوب ديباج والناس يقتتلون حتى انهزمت الروم بين أيدي المسلمين ووصلوا الى الديرجان وهو ملفوف الرأس فحمل عليه ضرار بن الازور فقتله .

(قال الواقدي) وكان احسن صنع الله تعالى بالمسلمين أن جرجير وقناطر اختلفا وتنازعا وكان جرجير في الميمنة مع الارمن وقناطر في الميسرة تحته ، فقال جرجير لقناطر احمل على العرب فما هذا وقت الوقوف ، فقال قناطر تأمرني أن احمل وكيف لا تجمل أنت . فقال جرجير لقناطر وكيف لا آمرك ، وأنا أمير عليك فقال قناطر كذبت أنت أمير وأنا أمير عليك وفوقك وأنت مأمور لي بالطاعة فاختلفا وغضب جرجير من قول قناطر نحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت حملته على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان وهم يومئذ فيما بين الميسرة والقلب فكشف الروم المسلمين حتى زالت عن مصافهم ولم يبق منهم الا اصحاب الرايات فقاتلوا من يليهم قتالا شديدا وركب الروم أكتاف المسلمين المنهزمين الى أن دخلوا معهم الى معسكرهم فاستقبلهم تنهزمون يا أهل الاسلام عن الأمهات والاخوات والبنين والبنات أتريدون أن تسلمونا تنهزمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا — وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر — للاعلاج ؟ . قال منهال الدوسي فلقد كانت التساء اشد علينا غلظة من الروم فرجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا — وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر — وعطفوا على الروم عطفة عظيمة . قال وكان قتامة بن أيشم الكناني أمام المسلمين يضرب وعطفوا على المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر تبلاثة رماح ، وهو يقول :

سأحمل في الروم الكلاب النوابح واضربهم ضربا بحد الصفائح وأرضي رسول الله خير مؤمل نبي الهدى للدين اشرف ناصح

(قال الواقدي) ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل كلما كسر رمحا او سيفا يقول من يعيرني سيفا او رمحا في سبيل الله واجره على الله ، ثم نادى يا معاشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر ، فإن الصبر في الدنيا عز ومكرمة وفي الآخرة رحمة وفضيلة _ فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون _ . قال فاجابه قومه ونشطوا للقتال . قال قتامة بن أيشم الكناني فما رأيت مثل حملة قناطر وقومه ولقد اختلطوا بنا واختلطنا بهم . قال ورجع خالد من دهمته ومعه الفان من أصحابه ، وقد وضعوا السيوف في الروم وقتلوهم قتلا ذريعا والقتل لا يبين فيهم لكثرتهم ، وأقبل وضعوا السيوف من كرته فرأى الناس يقولون جزى الله قتامة بن الايشم خيرا عن خالد على الناس من كرته فرأى الناس يقولون جزى الله قتامة بن الايشم خيرا عن الاسلام فشكره وجزاه خيرا . قال واقبلت ذرعة ابنة الحرث منحدرة عن البل وهي تقول ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه ، وقالت يا ابن الوليد انت من العرب الكرام ، وانما الرجال بامرائها ، فان ثبتوا ثبتت الرجال معهم وان انهزموا انهزمت الرجال معهم ، فقال لها خالد ما كنت من المنهزمين وما كنا الا نقاتل في الاعلاج . فقالت قبح

الله وجه عبد نظر الى أميره ثابتا وهو منهزم عنه .

(قال الواقدي) ونظر ماهان لعنه الله الى الميمنة من عسكره وقد عركت عراك الاديم فبعث اليهم يحرضهم على القتال . فعندها خرج علج من الروم وعليه درع سابغ السلاح كأنه قطعة جبل وهو على شهباء عظيمة الخلقة فبرز بين الصفين وجال على شهبائه وسأل القتال فخرج اليه غلام من الازد فما جال معه جولة حتى قتله العلج ثم دعا بالبراز فهم أن يخرج اليه معاذ بن جبل ، فقال أبو عبيدة يا معاذ سألتك بحق رسول الله (ص) الا ما ثبت مكانك ولزمت رايتك ولزومك الراية احب الى من برادك الى هذا العلج فوقف معاذ بالراية ونادى يامعاشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه في سبيل الله فهذا فرسى وسلاحي فجاءه ولده عبد الرحمن فقال أنا يا أبت وكان غلاما لم يحتلم . قال فلبس السلاح وركب الجواد ، وقال يا أبت أنا خارج الى هذا العلج ، فان صبرت فالمنة لله على وان قتلت فالسلام عليك وان كان لك الى رسول الله (ص) حاجة فاوصنى بها . فقال له معاذ: يا بني أقرئه منى السلام وقل له جزاك الله عن امتك خيرا ، ثم قال يا بني اخرج وفقك الله لما يحب ويرضى ، فخرج عبد الرحمن بن معاذ الى العلج كانه شعلة نار وحمل على العلج وضربه بالسيف فمال عنه العلج ومال اليه وضربه على راسه فقطع العمامة وشبجه شبجة فاضحة اسالت دمه ، فلما رأى العلج ذلك الدم ظن انه قتل فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن جواده ، فلما نظر عبد الرحمن إلى العلج وقد تأخر عنه انثنى راجعا الى المسلمين ، فقال له معاذ ما بك يا بني . قال قتلني العلج قال له ما الذي تريد من الدنيا يا بني ثم أنه شد جرحه . قال فعندها صال العلج وحمل فردته الآزد . قال أبوّ عبيده فمن له منكم فخرج إليه عامر بن الطفيل الدوسي وكان من اصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد راى يوم اليمامة في منامه في قتال مسيلمة الكذاب كأن امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخل فيه ونظر اليه ابنه فأسرع ليدخل مكانه ، ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم يدر احد ما تاويله ، فقال ابن الطفيل اما أنا فأعرف تأويلها قالوا وما تأويلها يا ابن الطَّفيل قال: تأويله اني اقتل لان المرأة التي ادخلتني فرجها هي الارض وابني سيصيبه جراح ويوشك أن يلتقي بي . قال فقاتل يوم اليمامة وابلى بلاء حسنا وسلم ولم يلحقه اذى ، فلما كان يوم اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الى قتال العلج وهو كانه شعلة حريق او صاعقة وطعن البطريق ، وكانت قناته قد شهدت معه المشاهد فاندقت بين يديه وانتضى سيفه وهزه وضرب به العلج على عاتقه فخالط امعاءه فتنكس العلج صريعا عن جواده واسرع عامر بن الطفيل فرمى به الى المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى راجعا نحو الروم وحمل على الميمنة وعلى الميسرة وعلى القلب.

ثم قصد المتنصرة فقتل منهم فارسا ودعا للبراز وخرج الله جبلة بن الايهم وعليه درع من الديباج المثقل بالذهب وتحتها درع من دروع التبابعة وعليه بيضة تلمع

(18) _ 7.9 _

شديدا انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالاطفال اليهم فيرجعون الى القتال ولم يزل القتال قائما الى أن اقبل الليل بسواده ورجعت الروم الى مواضعها والقبتل فيهم كثير وفي المسلمين قليل الا إن الجراح فيهم فاشية من النشاب ، فلما دخل الليل بسواده رجعت كل فرقة الى اماكنها وباتوا تحت السلاح ، قال وأما المسلمون فما كانت همتهم الا الصلاة وبعد ذلك شدوا الجراح ، وصلى أبو عبيدة (رض) وقال: أيها الناس أذا عظم البلاء فانتظروا الفرج فانه ياتي من عند الله فاضرموا نيرانكم وتحارسوا واظهروا التهليل والتكبير ، وفام أبو عبيدة يمشي في الناس هو وخالد بن الوليد يتفقدان الجرحي ويقولان: أيها الناس ان عدوكم يألم كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وباتا طول ليلهم كله وهما طائفان على المسلمين الى أن أصبح الصباح ، قال وانحازت الروم الى جانب اليرموك مع ماهان الارمني فجمع بطارقته ووبخهم وزجرهم . وقال لهم قد علمت أن هذا يكون منكم ، وقد رايت فشلكم وخوفكم وجزعكم من هؤلاء العرب الضعاف قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا نبارزهم فان فينا فرسانا وشجعانا لم يقاتلوا اصلا وغدا نصدقهم الحرب فتكون لنا العاقبة . قال فسكت عن توبيخهم وأمرهم أن يتاهبوا لذلك وبات الفريقان يتحارسون ، وقد رعبت الروم من كثرة القتل فيهم ، وأما المسلمون فأنهم أقوى فلوبا لشدة دينهم ويقينهم .

قال فلما أصبح الصباح صلى بهم أبو عبيدة صلاة الخوف وأذا بالصلبان قد بدت وبرايات القوم قد طلعت في عدد الشوك والشجر كأنهم لم يلاقوا قتالا قط فوقفوا في مصافهم ونصب ماهان سريره على الكثيب الذي كان عليه بالامس وهو يشرف منه على العساكر فامرهم أن يعبوا مصافهم ، فلما نظر أمير المؤمنين الى سرعة الروم صاح كل امير برجاله وحرضهم على القتال فانقلبوا من الصلاة الى خيولهم ولبسوا السلاح وركبوا خيولهم ورجع كل أمير الى مكانه وهو يعظ اصحابه ويوصيهم ويعدهم من الله بالنصر ، وسار أبو عبيدة بين الصفوف وهو يصف لهم فضل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين الصابرين وخلف على الذراري والنساء والاموال والاود عمرو بن سعيد أبن عبدالله الانصاري وجعل من الرماة خمسمائة في الميسرة وخمسمائة في القلب وطاف ابو عبيدة عليهم ، وقال لهم معاشر الرماة الزموا مراكزكم فان رايتم القوم زحفوا الينا فارشقوهم بالنبال واذكروهم عند رميكم ولا تتركوها مفرقة ولتخرج سهامكم كانها من كبد قوس واحدة ، فان هم زحفوا البكم فاثبتوا مكانكم حتى يأتيكم امري ففعلوا ما أمرهم به الامير ، وتقدم أبو سفيان الى ولده يزيد والراية في يده وحوله اصحابه وقد عزم على الحملة والجهاد . فقال يا بني ان احسنت احسن الله اليك عليك بتقوى الله والصبر فاتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع نبيه (ص) ، واياك والجزع فما قضاه ربنا قد أمضاه فاصبر مع أصحابك صبر أولى العزم ، وأياك تم أياك أن يرآك الله منهزما فتبوء بغضب من الله . قال يزيد: سأصبر جهدي وطاقتي والله اساله ان يكون معينا لى وناصرا .

ثم صاح يزيد برجاله وهز الراية وندبهم الى القتال وحمل على من يليه من الروم فقاتلوا قتالا عظيما ولم يزالوا حتى انكوا العدو نكاية عظيمة وابلوا بلاء حسنا ، وكان قتالهم من جانب القلب ولم يزالوا كذلك حتى برز اليهم بطريق من البطارقة وبيده رمح عظيم وعليه صليب من الذهب وحوله زهاء من عشرة آلاف فارس من الروم فحملوا على الميمنة وكان فيهم عمرو بن العاص ومن معه فرجعوا على اعقابهم منهزمين حتى دخلت الروم في أوائل عسكر المسلمين مما يلي عمرا ومن معه وهم بتراجعون على الرجال فيكرون تارة ويرجعون تارة حتى تكاثرت عليهم الروم فكشفوهم حبى الصقوهم بالتل الذي عليه النساء واحاطوا بالتل فصاحت امراة اين انصار الدين ابن حماة المسدين ، وكان الزبير ابن العوام جالسا عند زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق يداوي عينه وكان ارمد ، فلما سمع صوت المراة وهي تنادي ابن انصار الدين ؟ قال يا اسماء ما لهذه المراة تصيح أين الصار الدين . فقالت له عفرة أبنة عثمان : يا أبن عمة رسول الله (ص) انهزمت ميمنة المسلمين حتى الجأهم الروم الينا وأحاط بنا الاعلاج ، وهذه نساء الانصار مستصرخة بانصار الدين . فقال الزبير والله إني أنا من انصار الدين ولا يراني الله جالسا في مثل هذا الوقت . قال ثم طرح الخرقة عن عينه واستوى جالسا على متن جواده فاخذ قناته وتسمى باسمه وقال في حملته: أنا الزبير بن العوام ، أنا أبن عمة رسول الله (ص) ، وجعل يطعن فيهم طعنا متداركا حتى ردهم على اعقابهم وخيلهم تنكص باذنابها . قال ليث بن جابر: فلله در الزبير بن العوام لقد رد الروم بنفسه وحده اذ حمل عليهم وما كان معه من العرب احد حتى ردهم الى عسكرهم وتراجعت خيل عمرو ورجاله وهو ينادي الرجعة الرجعة الحزم الحزم يا أهل الاسلام الصبر الصبر فتراجعوا بعد ادبارهم .

(قال الواقدي) وحمل جرجير الارمني في ثلاثين الفا من الارمن على شرحبيل ابن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) فانكشف اصحاب شرحبيل بن حسنة ولم يثبت غيره لقتال الروم في عصبة من قومه دون الخمسمائة فجعل شرحبيل يحمل على الارمن وهو يقول: يا اهل الاسلام لا فرار من الموت الصبر الصبر ، قال فتراجع اصحابه اليه وحملوا على الارمن فردوهم على اعقابهم وجعلوا يضربون فيهم حتى اصابوا من الارمن ما لم يصبه الارمن منهم ، فرجع شرحبيل الى مكانه ودار به اصحابه فجعل يعنفهم بالقتال ويقول لهم ما الذي اصابكم حتى انهزمتم امام هؤلاء الكفرة وانتم الحماة البررة واهل القرآن وعباد الرحمن اما سمعتم قوله عز وجل — ومن يولهم يومئذ دبره الا متحر فا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير — وقال الله تعالى — ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم وبئس المصير — وقال الله تعالى — ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم

الجنة ـ وانتم تهربون . فقالوا يا صاحب رسول الله (ص) زلة من الشيطان مثل يوم أحد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل معك فجزاهم خيرا ووقف مكانه وكان موقفه مما يلى سعيد بن زيد وقد لزموا مواقفهم لم يتحركوا التماسا للحفيظة ، ونظر قيس بن هبيرة الى خيل شرحبيل وقد تراجعت فحمل بمن معه ونادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم يا نصر الله انزل يا منصور امت امت وكان هذا شعارهم يوم بدر واحد ، وحمل خالد بن الوليد بمن معه ذات اليمين ، وحمل قيس من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا ولله در الزبير بن العوام وهاشم بن المرقال وخالد بن الوليد: لقد حملوا حملة عظيمة حتى قربوا من سرادقات ماهان وتواقعت الروم على سرادقات ماهان وخيامه ، فلما نظر ماهان الى ذلك نزل عن سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فتراجعوا يطلبون القتال وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهو ينادى: لا اله الا الله يا منصور أمت أمت فأقبلوا يقتلون في الروم قتلا ذريعا ، فبينما المسلمون في حملتهم اذ سمعوا قائلًا يقول: يا نصر الله انزل يا نصر الله اقرب أيها الناس الثبات الثبات . قال عامر بن أسلم فتأملنا الصارخ فاذا هو أبو سفيان وتحت رايته أبنه يزيد . قال وشدت الامراء باجمعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن في ألروم أثبت من أصحاب السلاسل فانهم ثبتوا في اماكنهم يمنعون من أتاهم ، وأما الرماة وهم مائة الف رام فكانوا اذا رشقوا سهامهم نحو العرب يسترون الشمس ، فلولا النصر والمعونة من ألله لكان المسلمون هلكوا وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك اكثرهم وبرز علج من اعلاج الروم كأنه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى راسه بيضة مذهبة وعليها صليب من ذهب مرصع بالجوهر وهو راكب على شهباء وعليه زرد من حديد وبيده رمح فجال وأشهر نفسه وسأل البراز ، فنظر المسلمون الى عظم خلقته وهول جثته فجعلوا ينظرون اليه . فقال أبو عبيدة لا يهولنكم ما ترون من خلقته فكم رايتم من هو عظيم خلقة ولا قلب له فمن له منكم يخرج اليه واستعينوا بالله عليه ؟ .

قال فخرج اليه عبد من عبيد العرب وبيده سيفه وحجفته وهو زاجل ، فلما اراد ان يدنو من العلج صاح به مولاه ذو الكلاع الحميري ، فلما رجع خرج اليه ذو الكلاع وجال عليه وكان ذو الكلاع من اهل الشدة والباس فتواقعا وكل منهما رامح فتطاعنا طعنا شديدا أشد من الجمر ، ثم انهما تجاذبا سيوفهما والتقيا فضرب ذو الكلاع العلج ضربة وضرب العلج ضربة ، وكان سيف العلج قاطعا وساعده قويا فقطع سيفه درقة ذي الكلاع وسيفه ودرعه وما تحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضدة الايسر فجرحته جرحا بليفا وثقلت يده ، فلما نظر ذو الكلاع الى ما لحقه من العلج عطف بجواده يريد المسلمين ونظر العلج الى ذي الكلاع سابقا فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين فاتى قومه والدم يفور من جرحه ، فاجتمع فرسان قومه فقال لهم يا فرسان

حمير أناكم أن تتكلوا في قتالكم على السلاح ومنعته ولكن أتكلوا في قتالكم على الله عز وجل . قالوا وكيف ذلك أيها السيد ؟قال لاني رددت عبدي عن القتال شفقة عليه اذ ليس معه لامة حرب وقلت أنى أفرس منه وأجود عدة ولامة فصنع بي هذا الاغلف ما ترون والله ما لحقني قبلها في حرب مثلها قط فشدوا جرحه ووقف مكانه ، ثم انه صاح بقومه یا رجال حمیر ان کان سیدکم قد رجع کلالا فما منکم من یاخذ بثاره فانتدب فارس من فرسنان حمير وعليه صبائع اليمن من الابراد والحبر كأنه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمصما وجال جولة عظيمة وطعنه طعنة أثبتها في صدره فأرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار ، فهم الحميري أن ينزل عن جواده ويأخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم ليكشفوه عنه فردهم الحميري صاغرين ، ثم رجع اليه وأخذ سلبه واقبل به على أبي عبيدة فأعطاه أياه فدفع السلب الى قومه ورجع ألى مقامه في القتال فخرج اليه آخر فقتله وآخر فقتله فخرج اليه علج رابع فقتل الحميري ونزل ليأخذ سلب الحميرى فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها في لبته فجندله صريعا وعجل الله بورحه الى النار ، قال فانقلبت الروم على وجوهها وهابوا جميع المسلمين ، وكان ذلك البطريق الذي قتل بالنبلة من عظمائهم ويقال انه كان صاحب نآبلس فصاح بهم ماهان وسكنهم عن اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان واسمه مريوس وعليه. لامة الملوك وعليه ديباحة وفي وسطه منطقة مرصعة بالجوهر فجال بين الصفين وشهر نفسه وقال أنا ملك اللان فلا يبرز لي الا أميركم ، فخرج اليه شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) وبيده لواؤه وعليه درع من حديد وهو ممنطق بمنطقة من الاديم وهو على جواده . فقال أبو عبيدة من هذا الذي خرج قالوا له شرحبيل بن حسنة فبعث اليه ابو عبيدة يقول له: ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية، فلما سمع ذلك سلم الراية لرجل من قومه وقال له قف بها موضعي ، فان قدر على فسلم الراية الى الامير ابي عبيدة يدفعها لمن يريد ، وان رجعت اخذتها فأخذها الرجل وخرج شرحبيل كاتب وحي رسول الله (ص) نحو ملك اللان وهو يقول :

ساحمل في اللثام بني الاعادي بكل مثقف لدن حداد فيا بؤسا لقيصر يوم ناتي وجمع الروم شرد في البلاد

قال فسمع البطريق شعر شرحبيل فلم يفهمه وكان يفهم قليلا بالعربية .
فقال له: يا عربي ما الذي تقول . قال اقول كلاما تقوله العرب عند الحرب
تشجع به نفوسها وتثق بوعد الله الذي وعد به نبينا . فقال ملك اللان وما الذي
وعدكم به نبيكم ؟ . فقال شرحبيل وعدنا الله أن يفتح لنا الارض في الطول والعرض
ونملك الشام ونكون من الظافرين بنصر الله لنا . قال ملك اللان: أن الله لا ينصر من
يبغي وأنتم تبغون علينا وتطلبون ما ليس لكم بحق . فقال شرحبيل نحن قوم أمرنا الله
اننفعل ذلك والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وأني أراك تعرف

كلام العرب فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب ودخلت في دبن الاسلام كنت من أهل الجنة وسعدت . فقال ملك املان ما اترك دين المسيح ابدا فان دينه حق ؟ فقال شرحبيل لا تقل انه اله معبود ولا تقل صلب وقتل ، فإن الله سبحانه وتعالى أحياه في الارض ما شاء ثم رفعه الى السماء ثم قال ملك اللان لن ارجع عن قولي ، ثم استخرج صليبا من عنقه فرفعه ووضعه على عينه وأقبل يستنصر به ففضب شرحبيل من فعاله . فقال له يا ويلك تبا لك ولمن معك ولمن يقول بقولك ، ثم حمل عليه واخذا في القتال وجالا جولانا عظيما فرمقتهما الابصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ، ونظر شرحبيل الى شدة الكافر ففر بين يديه كأنه منهزم فتبعه عدو الله ، فلما علم شرحبيل انه قد قاربه ثنى عنان جواده فطعنه بقنائه يريد أن يجعلها في نحره فزاغ المشرك عن الطعنة ونجا منها سالما ، ثم قال معاشر العرب انتم لا تدعون الخديعة والمكّر . فقال شرحبيل ويلك اما علمت أن الحرب خدعة والمكر راسها . فقال العلج فما الذي نفعك من حيلتك ؟ . قال فتضاربا حتى انقطع السيفان في ايديهما فاعتنقا معانقة شديدة وكان المشرك أعظم جثة وأشد منعة ، وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام فضغط عليه المشرك ضغطة أوجعه بها وهم أن يقتله في سرجه والفريقان ينظران اليهما . قال ضرار بن الازور فداخلني والله الفيظ . فقلت في نفسي ويحك يا ضرار يقتل هذا العلج كاتب وحي رسول الله (ص) وانت تنظر اليه فما يمنعك من نصرته .

(قال الواقدي) فخرج ضرار نحوهما يسعى على قدميه كالظبية الخمصاء حئى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان في يده خنجر فضرب به العلج من ورائه فأطلع الخنجر من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضفطة . قال فلما سقط العلج عن ظهر جواده نزل اليه شرحبيل وسلب، ما كان عليه من لابمة حربه ، وركب ضرار جواده وانثنى راجعا هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنأ المسلمون شرحبيل وشكروا ضرارا على فعله . قال ثم ان شرحبيل اخذ سلب العلج فنازعه ضرار فيه . فقال السلب لي وأنا قتلته ، وقال شرحبيل انا آخذ السلب فأتيا أبا عبيدة فخاف أبو عبيدة أن يحكم بينهما فلا يرضون بحكمه ، فكتب الى عمر بن الخطاب (رض) يقول يا أمير المؤمنين أن رجلا خرج الى البراز وقاتل علجا من الأعلاج وبلغ معه الجهد جهيد ، فخرج آخر من المسلمين فأعان الرجل وقتل العلج : قال ولم يسم أبو عبيدة الرجلين فلمن السلب منهما ؟ ، فجاء الجواب من عمر بن الخطاب أن السلب للقائل فأخذ السلب أبو عبيدة من شرحبيل وأعطاه ضرارا . فقال ـ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(قال الواقدي) ولما قتل ضرار ملك اللان غضبت الروم ، فخرج فارس شجاع وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام (رض) فقتله واخذ سلبه وخرج اليه ثان وثالث ورابع فقتلهم واخذ اسلابهم . فقال خالد لابي عبيدة : ان الزبير قد تجرد

للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه من التعب فصاح عليه ابو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير الى مقامه . قال وخرج من الروم بطريق فخرج اليه خالد بن الوليد وكان ملك الروسية فقتله خالد وكان زوج بنت ملك اللان فقوم سلبه وتاجه ومنطقته وصليبه ودرعه بخمسة عشر الفا . قال فاخبر ماهان بذلك ففضب وقال سيدان منا قتلا في يوم واحد واني اظن أن المسيح لا ينصرنا ثم أمر الرماة أن يرموا عن يد واحدة فرموا سهامهم وأطلقوا نحو المسلمين دفعة واحدة مائة الف سهم ، فكان النشباب يقع في عساكر المسلمين كسقوط البرد من السماء فكثرت الجراح في الناس، واعور من المسلمين سبعمائة عين فسمى ذلك اليوم يوم التعوير ، وكان ممن أصيب بعينه المفيرة ابن شعبة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل التميمي وابو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد وكان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل . فيقول له ما الذي اصاب عينك ؟ فيقول الآخر لا تقل مصيبة بل هي محنة من الله . قال وعظم وقع السهام في عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الا من يصيح واعينا وابصراه واحدقتاه وعظم اضطراب المسلمين من ذلك . قال فجذبت العُرب اعنة خيولها راجعة . قال ونظر ماهان اللعين الى اضطراب جيش المسلمين فحرض الرماة والروم وصاح برجاله وزحفت المسلسلة نحو المسلمين فهالهم ذلك وحمل جرجير وقناطر وقورين ، وقال ماهان اثبتوا على الحملة وارموا العرب بالنشباب فزادت الرماة في رميها وزحفت المسلسلة بحديدها والبوارق تلمع من أكف الرجال كمقاييس النيران والحرب قائمة على ساق ، وأخد المسلمون على انفسهم اشفاقا مما نزل بهم ووصل اليهم من قلع الاحداق ، قال عبادة بن عامر فنظرت الى جيش الشرك وهو نحونا سائر وفرسان المسلمين متأخرة وخيولهم ناكصة . فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم : اللهم انزل علينا نصرك الذي نصرتنا به في المواطن كلها ، ثم صحت في رجال حمير تهربون من الجنة الى النار ما هذا الفرار أما تخافون العار؟ : أما أنتم بين يدى الجبار: أما هو عالم الاسرار فررتم من الكفار . قال فما أجابني والله أحد كأنهم صم لا يسمعون ؟ قال فقلت كان قبيلتك خرست عن الجواب فجعلت أهتف بقبائل العرب فكل قد شفل بنفسه عن اجابتي فجعلت اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من الله . وذلك أن المسلمين قد انقلبوا راجعين نحو تل النساء ولم يثبت غير أصحاب الرايات . قال عبدالله بن قرط الاسدى شهدت القتال كله فلم أر قتالا أشد من يوم التعوير ورجعت الخيل على أذنابها وقاتلت الامراء بأنفسها والرايات بأيديهم حتى كان أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمسبب بن نجية الفزاري وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق والفضل بن العباس يقاتلون قتالا شديدا . قال عبدالله بن قرط: فقلت في نفسي وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدتنا النسباء اللاتي شهدن مع رسول الله (ص) المشاهد يداوين الجرحي ويسقين الماء ويبرزن الى القتال ولم أر امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدى رسول

الله (ص) ولا في اليمامة مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيما ، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب (رض) ، وكان قد انضم النساء المهاجرات لفيرهن وقامت الحرب على ساق وتنادى النساء بأنسابهن وأمهاتهن والقابهن ، وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال ، وجعل النساء بعضهن يقاتل المشركين وبعضهن يقاتل المسلمين حتى رجعوا الى قتال المشركين وبعضهن يستقى الماء وبعضهن يشد الجرام. قال فبينما هن يقاتلن وقد هجمت الرجال اذ انهزمت نساء لخم وجدام وخولان ، فخرجت خولة بنت الازور وأم حكيم أبنة حكيم بنت الحرث وسلمي بنت اؤى ، وجعلن يضربن في وجوههن ورؤوسهن بالعمد ويقلن أخرجن من بيننا فانتن توهن جمعنا . قال فرجعت نساء لخم وجذام يقاتلن قتال الموت ، وقاتلت أم حكيم بنت الحرث أمام الخيل بالسيف وما نسمع يومئد صوت واحدة من النساء غير صوت واعظة تعظ ، وأما أم حكيم فانها جعلت تنادى يا معاشر العرب احصدوا الفلف بالسيوف ، وأما أسماء بنت أبي بكر فأنها قرنت عنانها بعنان زوجها الزبير أبن العوام فما كان يضرب الا ضربت مثله . قال فتراجع المسلمون الى القتال حين راوا النساء يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن يليه أن لم نقاتل نحن هؤلاء . . والا فنحن أحق بالخدور من النسباء ، فلله در نسباء قريش بوم اليرموك .

(قال الواقدي) حدثني عبد الرحمن بن الفضل عن بزيد بن أبي سفيان عن مكحول قال كانت وقعة البرموك في رجب سنة خمس عشرة من الهجرة ، قال أبو عامر وحملت خولة بنت الازور على علج من الاعلاج كان قد حمَلُ علينا فاستقبلته وجعلت تشالشه بالسيف فضربها العلج بسيفه على قصتها فأسال دمها وسقطت الى الارض فصاحت عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت فجع والله ضرار في اخته فاخذت رأسها على ركبتها والدم قد صبغ شعرها كالشقائق فقالت لها كيف تجدك قالت أنا بخير ان شاء الله تعالى ولكني هالكة لا محالة فهل لك على باخي ضرار . فقالت عفيرة يا ابنة الازور ما رأيته ؟ فقالت خولة : اللهم اجعلني فداء لاخي ولا تفجع به الاسلام قالت عفيرة فجهدت أن تقوم معى فلم تقم فحملناها الى أن أتينا بها موضعها ، فلما كان المليل رايتها وهي تدور تسقى الرجال وكان ليس بها الم قط ونظر اليها اخوها والضربة في راسها . فقال لها ما بك ؟ فقالت ضربني علج قتلته عفيرة . فقال لها يا اختاه ابشرى بالجنة فقد أخدت لك بثأر الضربة مرارا وقتلت منهم أعدادا قال ولم يزل الحرب من اول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل ضرامها وأبو عبيدة يقاتل برايته والامراء يفعلون كفعله الى أن فصل بينهما الظلام ، وقد قتل من الروم يوم التعوير اربعون الفا أو يزيدون ، ونقل عن خالد أنه انقطع في يده ذلك اليوم تسعة أسياف ولقد أخبرنا عن خالد بن الوليد ممن حضر قتال اليرموك وشاهده قال كان يعد قتال خالد بمائة رجل من شجعان الرجال ، قال حازم بن معن وبرز من المشركين في قلب الوقعة اصحاب الديباج والحرير والتجافيف على الخيول الشهب والبلق كأنها من الجبال الراسيات ، فلما برزوا غاصوا في القلب وكروا كرة واحدة ورفعوا في وسطهم صليبا من الجوهر وحملت ميمنتهم على ميسرتنا وميسرتهم على ميمنتنا ، وقد شردوا الى النساء والنساء يضربن وجوههم فجعلن يصحن بهم الله الله لا تفموا الاسلام بهزيمتكم واتقوا ربكم . قال كان بين يدي ابي عبيدة رجل من محرز اسمه نجم بن مفرح وكان من خطباء العصر وافصح العرب لسانا واجرئها جنانا وكان رفيع الصوت حسنه جدا فقصده العرب والفصحاء يسمعون ما ينطق به من نظمه ونثره .

(وال الواقدي) حدثني عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عوف عن موسى بن عمران اليشكري قال رأيت نصر بن مازن وهو بجامع النيل يحدث عن وقعة اليرموك . قال مارد الناس عن الهزيمة بعد قضاء الله الى نصرة الاسلام الا غلام رجل من بني محارب يقال له نجم بن مفرح وكان لا يتكلم الا بالسجع يؤلفه بحسن نظمه ولقد حفظنا منه يوم اليرموك ما نحن نذكره عنه ، ولقد بلفني أن البلفاء الفصحاء المتأخرين مثل الاصمعي وأبي عبيدة اللفوي ينسجان على منواله في حسن كلامه فكان من جملة ما وعظ به السلمين يوم اليرموك وقت هزيمتهم أيها الناس هذا يوم له ما بعده وقد عاينتم قربه من بعده ولن تنال الجنة الا بالصبر على الكاره وتالله لا ينالها من هو للجهاد كاره وينشد :

ولله في عرض السموات جنة ونكنها محفوفة بالمكاره

واعلى الدرجات درجة الشهادة فأرضوا عالم الفيب والشهادة وهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد النفاق في استواقه واخفى نفاقه في نفاقه وانتم اصحاب نبي العصر فأيستم من الثبات والنصر بشروا روح المصطفى بثباتكم وقوموا العزم بصفاء نياتكم واياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا عذاب النار وغضب الجبار ، فوالذي قدر الإقدار ، وادار الفلك الدوار ، وكل شيء عنده بمقدار لقد تزينت لكم الحور العين بايديهن أباريق وكاس من معين ، فمن طلب دار البقا هان عليه ما يلقى ، فحققوا حملتكم تنالوا بفيتكم واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة واغتنموا الصبر يكتب لكم الاجر ، بشروا المؤمنين بحسن عملكم واياكم أن تضلوا عن سبيلكم لا توافقوا الكفار في جهنم واعدلوا عن طريق قولهم ووافقوا من سلف من اسلافكم في الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الشي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن المنابي المها دلك فأولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق المفردون ، واجتهدوا فقد فاز المجتهدون سيالها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون سلمون سيالها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون سلمون سيروا فقد سبق المفردن الا وأنتم مسلمون سلمون سيروا فقد قائر بها اللها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون سيروا فقد فاز

قال وحمل خالد بن الوليد بعصابة حمراء وهو يفزع الروم باسمه ويقول: أنا خالد ابن الوليد فبرز اليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج فأقبل يدعو خالدا ويهمهم وخالد في القتال لا يشعر به ولا يدري ما يقول فعندما سمعه يرطن عطف عليه فاقتتلا قتالا شديدا فبينما هما في اشد القتال اذ كبا بخالد الجواد فوقع الفرس على بديه وهوى خالد على ام راسه ، فقال الناس: لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

(قال الواقدي) وخالد يقول : حي حي فعلا البطريق على ظهر خالد في عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه فصاح قلنسوتي رحمكم الله فأخذها رجل من قومه من بنى مخزوم وناوله اياها فأخذها خالد ولبسها فقيل له فيما بعد : يا أبا سليمان انت في مثل هذا الحال من القتال وانت تقول قلنسوتي . فقال خالد ان رسول الله (ص) لما حلق رأسه في حجة الوداع أخذت من شعره شعرات . فقال لي ما تصنع بهؤلاء يا خالد ؟ فقلت أتبرك بها يا رسول الله واستعين بها على القتال قتال أعدائي فقال لي النبي (ص) لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها في مقدمة قلنسوتي فلم الق جمعا قط الا انهزموا ببركة رسول الله (ص) ، قال ثم شدها بعصابة حمراء وحمل على النسطور وضربه على عاتقه اخرج السيف من علائقه وانسر من بقي من ملوكهم وكرهوا البراز بعد ذلك فكان يدعوهم آلى البراز فلا يخرج اليه احد ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى كل فاشفق عليه الحرث بن هشام المخرومي فقال لابي عبيدة: أيها الامير لقد قضى خالد ما يجب عليه وادى السيف حقه فلم لا أمرته أن يريح نفسه قال فمشى أبو عبيدة اليه وجعل يعزم عليه أن لا يتقدم ويسأله أن يربح نفسه . فقال خالد أيها الامير: أما والله لاطلبن الشبهادة بكل وجه فان اخطأتني فالله يعلم نيتي وحمل فلم يرجع عن حملته حتى جلاها ، وذلك أن كل المسلمين استعفوه في حملته واقبلوا على القتال من بعد هزيمتهم والنساء امام الرجال ولم يزل الحرب بين الفريقين حتى انقلبت الروم على أعقابها وقد قتل منهم الوف عديدة, ، وأما أصحاب السلاسل فانحطم اكثرهم ووطئتهم الخيل بحوافرها ولم يزل القتال بينهم حتى مالت الشمس بفروبها وانفصل الجمعان وقد جرت الدماء بينهم وفرشت الارض بالقتلى والجراح فاشية في الجمعين لكن في الروم اكثر ورجع كل قوم الى اصلاح شأنهم ومداواة جرحاهم ، واما النساء فأصلحن الطعام وسددن الجروح وداوين السقام ، ولم يقل ابو عبيدة لاحد من المسلمين من يكون الليلة على حرس المسلمين لما عندهم من التعب بل انه تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة من المسلمين ، قال فبينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه وهما يدوران بدورانه فكلما قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله فقرب أبو عبيدة منهما فاذا هما الزبير بن العوام وزوجته اسماء بنت أبي بكر الصديق فسلم عليهما وقال يا ابن عمة رسول الله (ص) ما الذي اخرجكما ؟ . قال الزبير نحرس المسلمين ، وذلك ان أسماء قالت لي يا ابن عمة رسول الله (ص) ان المسلمين مشتفلون بأنفسهم في هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب في الجهاد طول يومهم فهل لك ان تساعدني على حرس المسلمين ؟ فأجبتها الى ذلك فشكرهما ابو عبيدة وعزم عليهما ان يرجعا فلم يفعلا ولم يزالا كذلك الى الصباح.

(قال الواقدى) حدتنى أبو عبيدة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن ابن جبيران أبا الجعيد كان رئيسا من رؤساء أهل حمص ، فلما اجتمعت الروم على المسلمين في اليرموك دخلوا على حمص ونزلوا في بلدة تسمى الزراعة ، وكان أبو الجعيد هذا قد حِعلها مسكنه لطيب هوائها ومائها وانتقل من حمص اليها فنزل عسكر الروم على الزراعة عنده وكان فيها عرس لابي الجعيد وزوجته تزُّف عليه في تلك الليلة . قال فتكلف أبو الجعيد بضيافة الروم واكرمهم وأطعمهم وسقاهم الخمر ، فلما فرغوا من أمورهم قال هات أمرأتك الينا فأبي ذلك وسيهم فأبوا الا اخذ العروس ، فلما شنع عليهم بذلك عمدوا الى العروس واخذوها كرها منه وعبثوا بها بقية ليلتهم فبكي أبو الجعيد من حزنه ودعا عليهم فقتلوا اولاده ، وكان له ولد من زوجة غيرها قال فأقبلت ام الفتى فأخذت رأس ولدها في خمارها وأقبلت به الى مقدم ذلك الجيش ورمت الراس اليه وشكت حالها ، وقالت له انظر ما صنع اصحابك بولدي فخذ بحقى فلم يعبأ بكلامها . فقالت له أم الفتي والله لتنصرن العرب عليكم ورجعت وهي تدعو عليه فما كان الا يسير حتى هلكوا في أيدى المسلمين ، قال فلما كان يوم البرموك بعدما قتل النسطور اتى أبو الجعيد الى عساكر المسلمين ، وقال لخالد اعلم أن هذا الجيش النازل بازائكم جيش عظيم ولو سلموا انفسهم اليكم للقتل لما فرغتم من قتلهم الافي المدة الطويلة قان كدتهم لكم في هذه الليلة مكيدة تظفرون بها عليهم ماذا تعطوني قالوا: نعطيك كذا وكذا ولا تؤدى جزية أنت وولدك وأهل بيتك ونكتب لك بذلك عهدا الى آخر عقىك . '

(قال الواقدي) فلما استوثق منهم لنفسه مضى الى الروم وهم لا يعلمون واتى واد عظيم مملوء ماء فأنول الروم الى جانبه ، وقال لهم ان هذا المنول به العرب وأنا سأكيد لكم العرب بمكيدة يهلكون بها . قال وجعل الناقوصة فيما بين الروم والعرب ولم يعلم احد من الروم ما عمقها . قال فلما كان يوم التعوير وعلم أبو الجعيد ان النصر للعرب وأن العرب هم المنصورون ، جاء أبو الجغيد الى أبو عبيدة فوجده يطوف تلك الليلة هو وجماعة من المسلمين المهاجرين . فقال لهم : ما قعودكم ؟ قالوا: وما نصنع ؟ قال اذا كان ليلة غد فأكثروا من النيران . ثم رجع الى الروم لينصب عليهم حيلة . فلما كانت الليلة الثانية أوقد المسلمون أكثر من عشرة آلاف بار ، فلما اشتعلت النيران أقبل اليهم أبو الجعيد ، فقالوا قد اشعلنا النيران كما أردت فما بعد ذلك ؟ قال اربد منكم خمسمائة رجل من أبطالكم حتى أشير عليهم بما يصنعون .

(قال الواقدي) فاختار من المسلمين خمسمائة رجل من جملتهم ضرار بن الازور

وعياض ورافع وعبدالله بن ياسر وعبدالله بن اوس وعبدالله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر وغانم بن عبدالله ومثل هؤلاء السادات ، فلما اجتمعوا سار بهم ابو الجعيد مغم على غير المخاضة وقصد بهم عسكر الروم ، فلما كادوا يخالطونهم اخذ أبو الجعيد منهم رجالا ودلهم على المخاضة ولم يكن يعلم بها احد سواه ممن سكن اليرموك وقال لهم ناوشوهم الحرب ، نم انهزموا ودعوني واياهم . ففعلوا ذلك وصاحوا فينهم وحملوا ثم انهزموا قدامهم نحو المخاضة ، فعند ذلك صاح أبو الجعيد برفيع صوته يا معاشر الروم دونكم ومن انهزم فهؤلاء المسلمون ، قد أو قدوا نيرانهم وعولوا على الحرب . قال فأقبلت الروم على حال عجلة يظنون أن ذلك حق ، فبعضهم ركب جواده عريانا وبعضهم راجل وساروا في طلب المنهزمين وأبو الجعيد يعدو بين ايديهم الى أن اوقفهم على الناقوصة وقال لهم : هذه المخاضة دونكم واياهم فاقبلوا يتساقطون في الماء كتساقط الجراد حتى هلك في الماء ما لا يعد ولا يحصى عددا ولا يدركه جنان فسمتها العرب الناقوصة لنقص الروم .

(قال الواقدي) هذا مأ جرى للروم، ولا يعلم الاول بما جرى للآخر حتى اصبحوا ، فنظروا المسلمين في اماكنهم فعلموا انهم قد دهموا في الليل وقل عددهم وتبدد شنملهم فقال بعضهم لبعض من كان الصائح في ليلتنا . قال الرجل الذي عبثتم بزوجته وقتلتم ولده وقد أخذ بثاره منكم . قال فلما أصبح ماهان وعلم الحقيقة وعلم ما نزل بأصحابه علم أنه هالك لا محالة وأن العرب ظافرون عليه ، فبعث الى قورين ، فقال ما ترى أن أصنع وقد ظهرت العرب علينا وأن حملوا علينا حملة لم ينفلت منا أحد ، فهل لك أن تسألهم أن يأخروا القتال حتى نفعل الحيلة في خلاص أنفسنا ؟ قال قورين أفعل ذلك . قال فدعا ماهان برجل من لخم وبعثه الى المسلمين يقول لهم : اعلموا أن الحرب سجال والدنيا زوال وقد مكرتم بنا فلا تبفوا فالبغى له مصرع وأخروا الحرب عنا يومنا هذا ، فاذا كان غد يكون الانفصال بيننا وبينكم . قال فأقبل اللخمي الى أبي عبيدة وبلفه الرسالة فهم أبو عبيدة أن يجيبهم الى ذلك فمنعه خالد من ذلك وقال له لا نفعل أيها الامير فما عند القوم خير بعد ذلك . فقال أبو عبيدة أرجع ألى صاحبك وقل له لا نؤخر عنك القتال وانا على عجل من امرنا فرجع الرسول الى ماهان فأعلمه بجواب أبي عبيدة فعظم عليه وكبر لديه وكفر وتجبر وقال: لقد كنت اتربص بنفسي عن العرب ارجو بذلك الصلح فوحق الصليب لا يبرز لهم غيري ثم صرح بالروم وأصحاب سرير الملك ، ومن كان يتكل عليه في الشدائد وأمرهم أن يأخذوا الاهبة فاستعدوا وخرج ماهان في مقدمة الجيش والصليب أمامه واذا بالمسلمين اخذوا مصافهم للقتال، وذلك أن أبا عبيدة صلى بالمسلمين صلاة الفجر وأمرهم بالسرعة للقتال واخدوا مواضعهم للحرب ففعلوا وقد ايقنوا أنهم منصورون على عدوهم ، وصف ابو عبيدة اصحاب الرايات ووقف هو وخالد في الخيل المعروفة بخيل الزحف وطلعت

الشبعتس ويخرج جرجير هو وبعض ملوك الروم ردعا بالبراز وقال لا يبرز لي الا أمير إلعرب فسمعه أبو عبيدة فسلم الراية الى خالد ، وقال أنت للراية يا أبا سليمان فأن عدت من قتاله فالراية لي وان هو قتلني فامسك رايتك حتى يرى عمر رايه . فقال خالد أنا لقتاله دونك فقال أبو عبيدة لا هو طلبني ولا بد لى من الخروج اليه وأنت شريكي في الاجر ، فخرج أبو عبيدة وما أحد من المسلمين الا وهو كاره لذلك فأقبلوا يسالونه فلج في الخروج فتركوه ورأيه ، فلما قرب أبو عبيدة من جرجير وعاينه قال له أنت أمير هذا الجيش ، فقال أبو عبيدة أنا ذلك وقد أجبتك الى ما طلبت من أمر البراز فدونك وعرض الميدان ، فأما هزمتكم أو قتلتك وأقتل ماهان بعدك . فقال جرجير امة الصليب تفليكم وحمل جرجير على ابي عبيدة وحمل ابو عبيدة على جرجير وطال بينهما القتال وبقى خالد ينظر الى أبي عبيدة ويدعو له بالسلامة والنصر وجميع المسلمين يدعون له . قال وفر جرجير أمام أبي عبيدة وأخذ في عرض الجيش وطلب في فراره جيش المشركين في الميمنة وتبعه أبو عبيدة على أثره فعندها عطف عليه جرجير وخرج كأنه البرق والتقيا بضربتين فكان ابو عبيدة اسبق فوقعت الضربة على عاتق جرجير فخرجت من علائقه فكبر عند ذلك ابو عبيدة وكبر المسلمون ووقف أبو عبيدة على مصرع جرجير وجعل يتعجب من عظم جثته ولم يأخذ من سلبه شيئا فناداه به خالد لله درك أيها الامير ارجع الى رايتك فقد قضيت ما يجب عليك فلم يرجع أبو عبيدة فأقسم عليه المسلمون أن يرجع فرجع وأخذ الراية من يد خالد ونظر ماهان الى جرجير فعظم ذلك عليه وكبر لديه لانه كان ركنا من اركانهم فهم بالهزيمة ، ثم قال في نفسه ماذا يكون عذري عند هرقل ولا بدأن أبرز إلى الحرب ، فإن قتلت فقد استرحت سن العار وان سلمت كان لى عند الملك عدر احسن من أن أولى الادبار ، ثم أنه أعلم رجاله أنه يريد البارزة بنفسه وأخذ عدته ولبس زينته وخرج كأنه جبل ذهب يلمع ثم جمع اليه البطارقة والقسوس والرهبان ، وقال لهم أن الملك هرقل كان أعلم منكم بهذا الامر وانه اراد الصلح فخالفتموه فها أنا أبرز اليهم بنفسي فتقدم اليه بطريق من بطارقة السرير وكان فيه نسك ودين وكان يعظم الكنائس والرهبان ويتبع ما فرض عليه في الانجيل وكان يقرب من جرجير في النسب ، فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لابرزن الى المسلمين وآخذ بالثار ، فاما أن الحق به وأما أن أقتل قاتله . . .

ثم قال لماهان: قد تعين على الجهاد وانا اؤدي فرض المسيح ولا بد لى من المبارزة ، قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه جرجيس وكان عليه درع وعلى المدرع ثوب حديد متقلد بسيفه ومعه قنطارية وعوذته القسوس وبخروه ببخور الكنائس واقبل اليه راهب عمورية واعطاه صليبا كان في عنقه وقال هذا الصليب من ايام المسيح يتوارثه الرهبان ويتمسحون به فهو ينصرك فأخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس انه عربي من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن الازور كأنه شعلة فصيح حتى ظن الناس انه عربي من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن الازور كأنه شعلة

نار ، فلما قاربه ونظر اليه والى عظم جثته بدم على خروجه بالعدة التي أثقلته ، فقال في نفسه وما عسى يفني هذا اللباس اذا حضر الاجل ثم رجع موليا فظن الناس أنه ولى فزعا فقال قائل منهم ان ضرارا قد انهزم من العلج وما ضبط عنه قط انه انهزم وهو لا يكلم احدا حتى صار الى خيمته ونزع نيابه وبقى بالسراويل وأخد قوسه وتقلد بسيفه وجحفته وعاد الى الميدان كأنه الظبية الخمصاء فوجد مالكا النخعى قد سبقه الى البطريق وكان مالك من الخطاط اذا ركب الجواد تسحب رجلاه على الارض فنظر ضرار فاذا بمالك بنادى العلج تقدم يا عدو الله يا عابد الصليب الى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب فلم يجبه العلج لما داخله من الخوف منه قال فجال عليه وهم أن يطعنه فلم يجد للطعنة مكانا لما عليه من الحديد فقصد جواده وطعنه في خاصرته فأطلع السنان يلمع من الجانب الآخر فنفر الجواد من حرارة الطعنة وهم مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر لانه قد،اشتبك في ضلوع الجواد وهو على ظهره لم يقدر أن يتحرك ، لانه مزرر في ظهر الجواد بزنانير الى سرجه فنظر المسلمون الى ضرار وقد أسرع اليه منل الظبية حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين واخذ سلبه فأتاه مالك وقال ما هذا يا ضرار تشاركني في صيدي فقال ما أنا بشريك ، وأنما أنا صاحب السلب وهو لي . فقال مالك أنا قتلت جواده ؟ فقال ضرار رب ساع لقاعد آكل غير حامل فتبسم مالك ، وقال خذ صيدك هناك الله به قال ضرار انما أنا مازح في كلامي خذه اليك فوالله ما آخذ منه شيئا وهو لك وانت احق به مني ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه وما كاد أن يمشى به وهو يتصبب عرقا قال زهير بن عابد ولقد رأيته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس حتى طرحه في رحل مالك . فقال أبو عبيدة بأبى وامى والله قوم وهبوا انفسهم الله وما يريدون الدنيا قال فلما قتل البطريق قص جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم اسمعوا يا اصحاب الملك وبلفوه عنى انى ما تركت جهدى في نصرة هذا الدين وحاميت عن الملك وقاتلت عن نعمته وما اقدر أن أغالب رب السماء ، لأنه قد نصر العرب علينا وملكهم بلدنا والآن مالي وجه ارجع به الى الملك حتى اخرج الى الحرب وابرز الى مقام الطعن والضرب وعزمت أن اسلم الصليب الى أحدكم وابرز الى قتال المسلمين ، فان قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لي ، وان رزنت النصر وانرت في المسلمين اثرا ورجعت سالما علم الملك انى لم اقصر عن نصرته فقالوا إيها الملك لا تخرج الى الحرب حتى نخرج نحن الى القتال قبلك فاذا قتلنا فافعل بعدنا ما شئت ، قال فحلف ماهان بالكنائس الاربع لا يبرز أحد قبله ، قال فلما حلف امسكوا عنه وعن مراجعته تم انه دعا بابن له فد فع اليه الصليب وقال قف مكانى وقدم لماهان عدة فأفرغت عليه

(قال الواقدي) وبلفنا ان عدته التي خرج بها الى الحرب تقومت بستين ألف دينار لان جميعها كان مرصعا بالجوهر ، فلما عزم على الخروج تقدم له راهب من

الرهبان ، فقال أيها الملك ما أرى لك الى البراز سبيلا ولا أحمه لك ، قال ولم ذلك ؟ قال لاني رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز . فقال ماهان لست افعل والقتل احب الى من العار ، قال فبخروه وودعوه وخرج ماهان الى القتال وهو كأنه جبل ذهب يبرق واقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخوف باسمه فكان اول من عرفه خالد بن الوليد فقال: هذا ماهان هذا صاحب القوم قد خرج ، ووالله ما عندهم شيء من الخير قال وماهان يرعب باسمه فخرج اليه غلام من الاوس وقال والله انا مشتاق الى الجنة وحمل ماهان وبيده عمود من ذهب كان تحت فخذه فضرب به الفلام نقتله وعجل الله بروحه الى الجنة . قال أبو هريرة (رض) فنظرت الى الفلام عندما سقط وهو يشير باصبعه نحو السماء ولم يهله ما لحقه فعلمت أن ذلك لفرحه بما عابن من الحور العين قال فجال ماهان على مصرعه وقوي قلبه ودعا الى البراز فسارع المسلمون اليه فكل يقول: اللهم اجعل قتله على يدى ، وكان أول من برز مالك النخعى الإشتر (دض) وساواه في الميدان فابتدر مالك ماهان بالكلام وقال له أيها العلج الاغلف لا تفتر بمن قتلته ، وانما اشتاق صاحبنا الى لقاء ربه وما منا الا من هو مشتاق الى الجنة ، فإن أردت مجاورتنا في جنات النعيم فانطق بكلمة الشبهادة أو أداء الجزية والا فانت هالك لا محالة . فقال له ماهان: انت صاحبي خالد بن الوليد ؟ قال: لا انا مالك النجعي صاحب رسول الله (ص) فقال ماهان لا بد لي من الحرب ثم حمل على مالك وكان من أهل الشنجاعة فاجتهدا في القتال فأخرج ماهان عموده وضرب به مالكا على البيضة التي على راسه ففاصت في جبهة مالك فشترت عينيه فمن ذلك اليوم سمى بالاشتر قال فلما رأى مالك ما نزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع ثم فكر فيما عزم عليه فدبر نفسه ، وعلم أن الله ناصره قال والدم فائر من جبهته وعدو الله يظن انه قتل مالكا وهو ينظره متى يقع عن ظهر فرسه واذا بمالك قد حمل واخذته اصوات المسلمين يا مالك استعن بالله يعينك على قرينك قال مالك فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله (ص) وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفي فيه قطعا غير موهن فعلمت أن الاجل حصين ، فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل في عسكره .

(قال الواقدي) ولما ولى ماهان بين يدي مالك الاشتر منهزما صاح خالد بالمسلمين يا أهل النصر والباس احملوا على القرم ما داموا في دهشتهم ثم حمل خالد ومن معه من جيشه وحمل كل الامراء بمن معهم وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير فصبرت لهم الروم بعض الصبر ، حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشف الروم منهزمين بين ايديهم وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون كيف شاءوا فقتلوا منهم زهاء منمائة الف واسروا مثلها وغرق في الناقوسة منهم مثلها وأمم لا تحصى وتفرق منهم في الجبال والاودية وخيول المسلمين من ورائهم يقتلون ويأسرون ويأتون من الجبال بالاسارى ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون الى ان راق الليل . فقال أبو عبيدة الالاسارى ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون الى ان داق الليل . فقال أبو عبيدة

(10) - 170 -

اتركهم الى الصباح فتراجعت المسلمون وقد امتلات ايديهم من الفنائم والسرادقات وآنية الذهب والفضة والزلازل والنمارق والطنافس.

(قال الواقدي) ووكل ابو عبيدة رجالا من المسلمين بجمع الفنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى الصبحوا ، فاذا ليس للروم خبر ووقع اكثرهم في الناقوصة في الليل .

(قال عامر بن ياسر) حدثني نوفل بن عدي عن جابر بن نصر عن حامد بن مجيد، قال أراد أبو عبيدة أن يحصى عدد المشركين فلم بقدر أن يحصى ذلك فأمر بقطع القصب من الوادي وجعل على كل قتيل قصبة ، ثم عدوا القصب فأذا القتلى مأئة الف وخمسة آلاف والاسارى أربعون الفا غير من غرق في الناقوصة وقتل من السلمين أربعة آلاف ووجد أبو عبيدة رؤوسا في اليرموك فلم يعلم أهم من العرب أم من الروم . قال نم أنه صلى على قتلى المسلمين وسار في طلبهم الى الجبال والاودية وأذا هم براع قد استقبلهم فسألوه هل مر بك أحد من الروم . قال نعم مر بي بطريق ومعه زهاء من أربعين ألفا .

(قال الواقدي) وكان ذلك ماهان لعنه الله فاتبعهم خالد بن الوليد وجعل يقفو اثرهم ومعه عسكر الزحف فأدركهم على دمشق ، ولما اشرف عليهم كبر وكبر المسلمون وحملوا ووضعوا فيهم السيف فقتل مقتلة عظيمة ، وكان ماهان قد ترجل عن جواده ، وقيل انه ترجل ينكر نفسه ويسلم من القتل فأتاه رجل من المسلمين فحامى عن نفسه فقتله الرجل ، وكان قاتله النعمان ابن جهلة الازدري وعاصم بن خوال اليربوعي وقد اختلفوا في أيهما قتل ماهان .

(قال الواقدي) وخرج اهل دمشق الى لقاء خالد وقالوا له نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم . قال خالد انتم على عهدكم ومضى في طلب الروم يقتلهم حيث وجوهم حنى انتهى الى ثنية العقاب واقام تحتها يوما ، ثم مضى الى حمص ونزل بها وبلغ ذلك أبا عبيدة فسار حتى لحق به فيمن معه قال والامراء في طلب الروم من كل جهة من الشام ثم اجتمعوا وعادوا الى دمشق وجمع ابو عبيدة الفنائم واخرج هنها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب (رض) كتاب البشارة والفتح: بستم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على نبيه المصطفى ورسوله المجتبي (ص) ، من أبي عبيدة عامر بن الجراح: أما بعد فأنا احمد الله الذي لا اله الا هو واشكره على ما أولانا من النعم وخصنا به من كرمه ببركات نبي الرحمة وشفيع الامة (ص) ، واعلم يا أمير المؤمنين أني نزلت اليرموك ونزل ماهان مقدم جيوش الروم بالقرب منا ولم ير المسلمون اكثر جمعا منه فأقصى الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه وكرمه وفضله فقتلنا منهم زهاء من مائة الف وخمسة آلاف واسرنا منهم اربعين الفا واستشمهد من المسلمين اربعة من مائة الله بالشمادة ووجدت في المعركة رؤوسا مقطوعة لم اعرفها فصليت عليها الاف ختم الله لهم بالشمادة ووجدت في المعركة رؤوسا مقطوعة لم اعرفها فصليت عليها

ودفنتها وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم بن خوال ، وقد كان قبل وقعة الانفصال نصب عليهم رجل منهم يقال له أبو الجعيد من اهل حمص حيلة فالقاهم في موضع يقال له الناقوصة ففرق منهم ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، وأما من قتل من المشركين في الاودية والجبال من المنهزمين وغيرهم واخذت عدتهم فتسعون ألفا وقد ملكنا أموالهم وخيولهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك هذا الكتاب بعد الفتح ونزلنا في دمشق والسلام, عليه ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين ، وطو ىالكتاب وختمه ودعا بحديفة بن اليمان ودفع الكتاب اليه وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال لهم سيروا بكتاب الفتح والبشرى الى أمير المؤمنين وبشروه بذلك واجركم على الله ، فأخذ حديفة الكتاب وسار هو والعشرة من وقتهم وساعتهم يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من المدينة .

(قال الواقدي) قال عبدالله بن عوف المالكي عن ابيه قال : لما هزم الله الروم في اليرموك وكان من امرهم ما كان رأى عمر بن الخطاب ليلة هزيمة الروم رسول الله (ص) حالسا في الروضة ومعه أبو بكر الصديق (رض) ، وكان عمر يسلم عليهما ويقول: يا رسول الله أن قلبي مشفول على المسلمين وما يصنع الله بهم ، وقد بلغني أن الروم في الف الف وسنتين الفا . فقال يا عمر أبشر فقد فتح الله على المسلمين وقد الهزم عدوهم وقتل كذا وكذا ، ثم تلا رسول الله (ص) ـ تَلكُ الدار الآخرة نجملها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا - الآية . قال فلما كان من الفد صلى عمر بالناس صلاة الفجر وأعلم الناس بما رأى في منامه . قال فاستبشر المسلمون وفرحوا وعلموا أن الشيطان لا يتمثل بالنبي (ص) وأرخوا تلك الليلة فكانت كما ذكره النبي (ص) فسجد عمر لله شكرا ووصله الكتاب فقراه عمر على الناس فارتفعت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير . ثم قال يا حديفة فهل قسم أبو عبيدة الفنائم ؟ فقال يا أمير المؤمنين هو منتظر كتابك وأمرك . فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبدا الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشيام سيلام عليك . أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد (ص) وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين من نصرتهم وانهزام عدوهم ، فاذا وصل اليك كتابي هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل أهل السبق واعط كل ذي حق حقه واحفظ المسلمين واكلاهم واشكرهم على صبرهم وفعالهم ، وأقم بموضعك حتى يأتيك أمري ، والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته ، وطوى الكتاب وسلمه لحديفة ابن اليمان فأخذه حذيفة وسارحتى وردعلى أبى عبيدة فوجده على دمشيق ، فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله الكتاب ، فلما قرأه على المسلمين قسم الفنائم فأنساب الفارس أربعة وعشرون ألف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانيةُ الاف وكذلك من الفضة وأعطى الفرس الهجين سهما والفرس العتيق سهمين وألحق

القادمين على الخيل بالعراب ، فلما فعل أبو عبيدة ذلك . قال أصحاب الحمر ألحقنا بالعراب . فقال أبو عبيدة أني قسمت عليكم بما قسم النبي (ص) الفنيمة بين أصحابه فلم يقبلوا قوله فكتب الى عمر بذلك يعلمه باختلاف الناس في الخيل والهجين والعراب فكتب اليه عمر يقول: أما بعد فقد عملت بسنة رسول الله (ص) ولم تتعد حكمه ، فأعط الفرس العربي سهمين والهجين سهما ، وأعلم أن رسول الله (ص) عرب العربين وهجن الهجين يوم خيبر فجعل للهجين سهما وللعربي سهمين ، فلما ورد الكناب على أبي عبيدة وقرأه على المسلمين . قال ما أراد أبو عبيدة أن يحقر رجلا منكم ، ولكن تبعت سنة رسول الله (ص) .

(قال الواقدي) فلما قسم ابو عبيدة الفنائم على المسلمين . قال له خالد بن الوليد: ان رجلا من المسلمين تشفع بي اليك أن تلحق فرسه الهجين بفرسه العتيق العربي وتعطيه سهمين فأبى ابو عبيدة ، وقال والله ان سف التراب احب الي من ذلك . وروى عثمان أن ابن الزبير . قال شهدت جدي الزبير بن العوام يوم اليرموك ومعه فرسان يتعقب عليهما للقتال يركب هذا يوما وهذا يوما ، فلما كان وقت قسم الفنائم اعطاه ابو عبيدة ثلاثة أسهم له سهم ولفرسه سهمان . فقال الزبير أما تصنع بي كما ضنع بي رسول الله (ص) يوم خيبر كان معي فرسان فأسهمني رسول الله (ص) يوم خيبر خمسة اسهم لفرسي أربعة وأعطاني سهما ، وقال المقداد ابن عمرو كنت أنا وأنت يوم بدر ومعنا فرسان لا غيرهما فاعطى رسول الله (ص) سهمين سهمين للفرسين ، قال أبو عبيدة أنك لصادق يا مقداد أنا أتبع فعل رسول الله (ص) وأعطى الزبير وأقبل جابر بن عبدالله الانصاري فشهد عند أبي عبيدة أن رسول الله (ص) أعطى الزبير يوم خيبر خمسة أسهم ، فلما فعل ذلك أتى رجال من رجال العرب لكل واحد منهم أربعة خيبر خمسة أسهم ، فلما فعل ذلك أتى رجال من رجال العرب لكل واحد منهم أربعة أفراس وخمسة أفراس فقالوا الحقنا بالزبير قال فاستأذن عمر في ذلك . فقال صدق الزبير أن رسول الله (ص) أعطاه يوم خيبر خمسة أسهم فلا تعط غيره مثله .

وروى عروة عن أبي الزبير . قال لقي الزبير غلاما كان قد وقع بيده يوم غنيمة عمان فهرب منه ، فلما كان يوم اليرموك قبل قسم الفنائم عرفه فقبض عليه وأخذ بيده فقال له الموكل على حفظ الفنيمة لست أدعك فبينما هما في المحاورة اذ أقبل أبو عبيدة ، فقال ما بالكما ؟ فقال الزبير أيها الامير هذا غلامي وصل الى من غنيمة عمان وهرب مني وقد رأيته الآن فلا بدلي منه فقال أبو عبيدة صدق أبن عمة رسول الله (ص) هو له وأنا سلمته له من غنيمة عمان فسلمه اليه فأخذه الزبير ، قال زيد المرادي هربت منا جارية الى العدو وظفرنا بها يوم اليرموك في قسم الفنائم فكلمنا أبا عبيدة فيها فكتب الى عمر فرد اليه الجواب ، أن كانت جارية حربية ففيها السهام والا فلا سبيل اليها وأن كانت لم تجر فيها السهام فردوها فكأن القوم لا يرضون بهذا من أبي عبيدة . فقال أبو عبيدة والله الذي لا اله الا هو هذا كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عبيدة . فقال أبو عبيدة والله الذي لا اله الا هو هذا كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

يحكم بما امرتكم فقبل قوله ودفع الجارية الى القسم .

(قال الواقدي) حدنني لوي بن عبد ربه عن سالم مولى حديفة بن اليمان عن القاسط بن سلمة بن عدي بن عاصم عمن حدته عن فتوح الشام . قال لما هزم الله الروم باليرموك على يد أصحاب رسول الله (ص) وبلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيشه وقد قتل ماهان وجرجير وعيرهما ، قال علم ان الامر يصل الى هنا ثم اقام ينتظر ما يجرى من المسلمين .

ذكر فتح مدينة بيت المقدس

(قال الواقدي) وأما ما كان من المسلمين فانهم اقاموا على دمشيق شهرا فجمع ابو عبيدة أمراء المسلمين وقال لهم أشيروا على بما أصنع وأين أتوجه ؟ فاتفق رأي المسلمين اما الى قيسارية واما الى بيت المقدس . فقال فما الذي ترون منهما ؟ . فقالوا انت الرجل الامين وما تسير الى موضع الا ونحن معك . فقال معاذ بن جبل اكتب اى أمير المؤمنين سمر بن الخطاب فحيث آمرك فسر واستعن بالله . فقال أصبت الراي يا معاذ فكتب الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب يعلمه انه قد عزم على قيسارية أو الى بيت المقدس وانه منتظر ما يأمره به والسلام ، وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى وامره بالمسير فسار حتى وصل المدينة فارسل الكتاب لعمر (رض) فقرآه على المسلمين واستشارهم في الامر . فقال على (رض) : يا أمير المؤمنين مر صاحبك أن يصير الى بيت المقدس فيحدقوا بها ويقاتلوا أهلها فهو خير الرأي وأكبره ، واذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه الى قيسارية فانها تفتح بعد أن شاء الله تعالى كذا أخبرني رسول الله (ص) . قال صدقت يا أبا الحسن فكتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام أبي عبيدة . أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه ، وقد ورد على كتابك وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجه اليها ، وقد أشار أبن عم رسول الله (ص) بالسير ألى بيت المقدس فأن الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك والسلام عليك ، ثم طوى الكتاب ودفعه الى عرفجة وامره ان يعجل بالمسير فسار حتى قدم على أبي عبيدة فوجده على الجابية ، فدفع الكتاب اليه فقرا على المسلمين ففرحوا بمسيرهم الى بيت المقدس ، فعندها دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد وعقد له راية وضم اليه خمسة الاف فارس من خيل الزحف وسرحه الى بيت المقدس ، ثم دعا بيزيد بن أبي سفيان وعقد له راية على خمسة آلاف وأمره أن يلحق بخالد الى بيت المقدس ، وقال له يا ابن أبي سفيان ما علمتك الا ناصحا ، فاذا أشر فت على بلد ابلياء فارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير واسألوا الله بجاه نبيه ومن سكنها من الانبياء والصالحين أن يسهل فتحها على أيدى المسلمين ، فأخذ يزيد الراية وسار يريد بيت المقدس فسار ثم دعا شرحبيل بن حسنة كاتب وحي النبي (ص) وعقد له راية وضم اليه خمسة آلاف

فارس من أهل اليمن وقال له سر بمن معك حتى تعدم بيت المفدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط بعسكر من تقدم قبلك ، ثم دعا باارقال بن هاسم بن عتبة بن ابي وقاص وضم اليه خمسة آلاف فارس مع جمع من المسلمين وسرحه على أثر شرحبيل ابن حسنة وقال له انزل على حصنها وأنت منعزل عن اصحابك ، تم عقد راية خامسة فسلمها للمسيب ابن نجية الفزاري وأمره أن يلحق بأصحابه وضم اليه خمسة آلاف فارس, من النخع وغيرهم من القبائل ، وعقد راية سادسة وسلمها الى قيس بن هبيرة المرادي وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءه ، تم عفد راية سابعة وسلمها الى عروه بن مهلهل بن يزيد الخيل وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم ، فكان جمله من سرحه ابو عبيدة الى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألفا وسارت السبعة أمراء في سبعة أيام في كل يوم أمير ، وذلك كله برهب به أعداء الله فبقي كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه .

فكان اول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد ، فلما اشرف عليهم كبر وكبر اصحابه ، فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج اصواتهم انزعجوا وتزعزعت قلوبهم وصعدوا على أسوار بلدهم ، فلما نظروا الى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه مما يلي باب اريحاء ، وأقبل في اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان ، وفي اليوم الثالث شرحبيل بن حسنة ، وأقبل في اليوم الرابع المرقال ، وأقبل في اليوم الخامس المسيب بن نجية ، وأقبل في اليوم السادس قيس بن هبرة فنزل ٤ وأقبل في اليوم السابع عروة بن مهلهل بن زيد الخيل فنزل مما يلي طريق الرملة . قال عبدالله بن عامر بن ربيعة الفطفاني ما نزل احد من المسلمين على بيت -المقدس الا وكبر وصلى ما قدره الله عليه ودعا بالنصر والظفر على الاعداء ، ويقال ان خالدا كان هو وأبو عبيدة . قال فلما مضى العسكر قام أبو عبيدة وخالد وبقية المسلمين والذراري والسواد والفنم وما أفاء الله على المسلمين من المواشي والاموال فلم سرحوا من مكانهم . قال وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم حرب ولا بنظرون رسولا يأتى اليهم ولا يكلمهم احد من أهلها الا أنهم قد حصنوا أسوارهم بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخرة ، قال المسيب بن نحية الفزارى ما نزلنا ببالدمن بلاد الشام فراينا اكثر زينة ولا احسن عدة من بيت المقدس ، وما نزلنا بقوم الا وتضعضعوا لنا وداخلهم الهلع واخذتهم الهيبة الا أهل بيت المقدس نزلنا بازائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا منهم أحد ولا ينطقون غير أن حارسهم شديد وعدتهم كاملة ، فلما كان في اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل بن حسنة : إيها الامير كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون أو بكم فلا ينطقون أو عمى فلا يبصرون ازحفوا بنا اليهم ، فلما كان في اليوم الخامس وقد صلى المسلمون صلاة الفجر كان أول من ركب من المسلمين من الامراء لسؤال أهل بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان فشمهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد أخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون فوقف بازاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون .

فقال لترجمانه قل لهم أمير العرب يقول لكم ماذا تقولون في اجابة الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة الاخلاص وهي كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يففر لكم ربنًا ما سلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماءكم ، وان أبيتم ولم تجيبونا فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو أعظم منكم عدة واشد منكم ، وان ابيتم هاتين الحالتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار . قال فتقدم الترجمان اليهم وقال لهم من المخاطب عنكم فكلمه قس من القساوسة عليه مدارع الشمور وقال أنا المخاطب عنهم ماذا تريد ؟ . فقال الترجمان: أن هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى احدى هده الخصال الثلاث: اما الدخول في الاسلام ، او اداء الجزية ، واما السيف . قال فبلغ القس من وراءه ما قال الترجمان . قال فضجوا بكلمة كفرهم وقالوا لا نرجع عن دي العن والقبول وأن قتلنا أهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك ليزيد . قال فمشمى الى الامراء واخبرهم بجواب القوم . قال لهم ما انتظاركم بهم . فقالوا ان الامير أبا عبيدة ما أمرنا بالقتال، ولا بحرب القوم بل بالنزول عليهم ولكن نكتب الى امين الامة فان أمرنا بالزحف زحفنا ، فكتب يزيد بن أبي سفيان الى أبي عبيدة يعلمه بما كان من جواب القوم فما الذي تأمر ؟ فكتب اليهم ابو عبيدة يأمر بالزحف وانه واصل في أثر الكتاب ، فلما وقف المسلمون على كتاب ابي عبيدة فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح .

(قال الواقدي) ولقد بلغني ان المسلمين باتوا تلك الليله كأنهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس ، وكل أمير يريد أن يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر الى آثار الانبياء ، قال فلما اضاء الفجر أذن وصلت الناس صلاة الفجر قال فقرا يزيد لاصحابه _ يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا _ الآية فيقال ان الامراء أجرى الله على السنتهم في تلك الصلاة أن قراوا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد ، فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير يا خيل الله اركبي . قال فأول من برز للقتال حمير ورجال اليمن وبرز المسلمون يا خيل الله اركبي ، قال فأول من برز للقتال حمير ورجال اليمن وبرز المسلمون فنشطهم ورشقوا المسلمين بالنشاب فكانت كالجراد ، فجعل المسلمون يتلقونها بدر قهم فلم تزل الحرب بينهم من الفد الى الفروب يقاتلون قتالا شديدا ولم يظهروا فزعا ولا رعباً ولم يطمعوهم في بلدهم ، فلما غربت الشمس رجع الناس وصلى المسلمون ما فرض الله عليهم وأخذوا في اصلاح شانهم وعشائهم ، فلما فرغوا من ذلك أوقوم يقراون ، فرقوم نائمون مما لحقهم من التعب والقتل ، فلما كان الغد بادر وقوم يتضرعون ، وقوم نائمون مما لحقهم من التعب والقتل ، فلما كان الغد بادر وقوم يتضرعون ، وقوم نائمون مما لحقهم من التعب والقتل ، فلما كان الغد بادر

- 171 -

المسلمون اليهم وذكروا الله كثيرا واثنو عليه وصلوا على رسول الله (ص) ، وتقدمت رماة النبل واقبلوا يرمون ويذكرون الله وهم يضجون الى الله بالدعاء .

(قال ااواقدى) ولم يزل المسلمون على القتال عدة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح وانه ليس على قلوبهم من هم ولا جزع ، فلما كان اليوم الحادي عشر أشرفت عليهم راية أبي عبيدة يحملها غلامه سالم ومن ورائها فرسان المسلمين وأبطال الموحدين وقد احدقوا بأبي عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبي بكر عن يساره وجاءت النسوان والاموال وضج الناس ضجة واحدة بالتهليل والتكبير فأجابتهم القبائل ووقع الرعب في قلوب أهل بيت المقدس فانقلب كبارهم وعظماؤهم وبطارقتهم الى البيعة العظمى عندهم وهي الفمامة ، فلما وقفوا بين يدى جائليقهم وكانوا يعظمونه وببجلونه ، فلما سمعوا تلك الضجة دخلوا عليه ووقفوا بين يديه وخضعوا له وقالوا يا أبانا قد قدم أمير القوم الينا ومعه بقية المسلمين وهذه الضجة بسببه ، فلما سمع بتركهم وجائليقهم تفير لونه وتفير وجهه وقال هي هي . قالوا ما ذلك أيها البترك والاب الكبير . قال وحق الانجيل أن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام . قالوا وكيف ذلك ؟ قال لانا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين ان الذي يفتح الارض في الطول والعرض هو الرجل الاسمر الاحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد ، فان كان قد قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة لكم بنزاله ولا بد لي أن أشرف عليه وأنظر اليه والي صورته ، فان كان اياه عمدت الى مصالحته واجبته الى ما يريد ، وان كان غيره فلا نسلم اليه قط لان مدينتنا لا تفتح الاعلى يد من ذكرته لكم والسلام ، ثم انه وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على راسه و فتحوا الانجيل بين يديه ودارت البطارقة من حوله وصعد على الصور من الجهة التي فيها أبو عبيدة فنظر ألى المسلمين وهم يسلمون عليه ويعظمونه ، ثم يرجعون الى القتال كانهم الاسد الضارية فناداهم رجل ممن كان يمشى بين يدى البترك . فقال: يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نستخبركم ونسالكم . قال فأمسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربي فصيح : اعلموا أن صفة الرجل الذي يفتح بلدنا هذا وجميع الارض عندنا ، أن كان هو أميركم فلا نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم يكن اياه فلا نسلم اليكم أبدا .

(قال الواقدي) فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفر منهم الى أبي عبيدة وحدثه بما سمعوه . "ال فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حناهم ، فنظر البترك اليه وقال ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم ، فلما سمعوا قوله رفعوا أصواتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البترك الى القمامة ولم يخاطب أبا عبيدة بكلمة واحدة ، بل أمر قومه بالحرب والقتال وعاد أبو عبيدة الى أصحابه ، فقال خالد ما كان منك أيها الامير ؟ فقال لا علم لى غير أني خرجت

اليهم كما رأيت واشرف علي شيطان من شياطينهم الدي يضلهم ، فما هو غير ان نظر لي وتأملني حتى ضجوا ضجة واحده وولى عني ولم يكلمني . فقال خالد يوشك ان يكون لهم في ذلك تأويل ورأي فنقف عليه ونعلم نبآه ، تم قال شدوا عليهم الحرب والقتال فشد عليهم المسلمون .

(قال الواقدي) وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في أيام الشمتاء والبرد وظنت الروم أن المسلمين لا يقدرون عليهم في ذلك الوقت . قال وزحف المسلمون اليهم وبرزت النبالة من أهل اليمن ، وصمم أصحاب القسى ورشقوهم بالنبل وكانوا غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم به حتى راوا النبل ينكسهم على رؤوسهم من وراء ظهورهم وهم لا يشعرون . قال مهلهل لله در عرب اليمن فلقد رأيتهم يرمون بالنبل الروم فيتهافتون من سورهم كالفنم ، فلما راوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وستروا السور بالحجف والجلود وبما يرد النبل . قال ونظرت الروم الى ضرار بن الازور وقد أقبل نحو الباب الاعظم وعليه بطريق كبير وعلى رأسه صليب من الجوهر وحوله غلمان وعليهم الطوارق وبأيديهم القسى الموترة والعمد وهو يحرض القوم على القتال . قال عوف بن مهلهل الى ضرار وقد قصد نحوه وهو يختفي ويستتر الى أن ترب من البرج الذي عليه البطريق ثم اطلق اليه نبلة ، قال عوف فنظرت الى النبلة مع علو هذا الجدار وقد خرجت من قوس ضرار والبرج عال رفيع . فقلت وما تكون هذه النبلة مع علو هذا الجدار وما الذي تصنع في هذا العلج وعليه هذه اللامة اللامعة فاقسم بالله لقد وقعت هذه النبلة في فيه فتردى الى أسفل برجة فسمعت للقوم نسجة عظيمة ورجولة هائلة فعلمت أنه قتل ، قال ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيب المقدس أربعة أشهر كاملة ، وما من يوم الا ويقاتلهم قتالا شديدا والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر . فلما نظر أهل بيت المقدس الى شندة الحصار وما فزل بهم من المسلمين قصدوا القمامة ووقفوا بين يدي بتركهم وستجدوا بين يديه وعظموه وقالوا له: ما أيانًا قد دار علينًا حصار هؤلاء العرب ورجونًا أن يأتينًا مدد من قبل الملك ، ولا شك انه اشتفل عنا بنفسه من أجل هزيمة جيشه وأنهم أشهى منا للقتال وأنهم من يوم نزلوا علينا لم نخاطبهم بكلمة واحدة ولم نجبهم احتقارا منا لهم ، والآن قد عظم علينا الامر وانا نريد منك أن تشرف على هؤلاء العرب وتنظر ما اللي يريدون منا ، فان كان امرهم قريبا أجبنا الى ما بريدون ويطلبون أوان كان صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما أن نقتل عن آخرنا واما أن بهزمهم عنا فاجابهم البترك الى ذلك واشتمل بلباسه وصعد معهم على السور وحمل الصليب بين يديه واجتمع القسوس والرهبان حوله وبأيديهم الاناجيل مفتحة والمباخر حتى أشرف على المكان الذي فيه أبو عبيدة فنادى منهم رجل بلسان فصيح العربية: يا معاشر العرب أن عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فاخبروا أبا عبيدة بمقالهم .

ققال والله اني لاجيبه حيث دعاني ، تم قام ابو عبيدة وجماعة من الامراء والصحابة ومعه ترجمان ، فلما وقف بازائه قال لهم الترجمان : ما الذي تريدون منا في هذه البلدة المقدسة ؟ ومن قصدها يوشك ان الله يغضب عليه ويهلكه فأخبره الترجمان بذلك . فقال قل لهم نعم انها شريفة ومنها اسرى بنبينا الى السماء ودنا من ربه - كقاب قوسين أو أدنى - وانها معدن الانبياء وقبورهم فيها ونحن احق منكم بها ولا نزال عليها أو يملكنا الله أياها كما ملكنا غيرها . قال البترك فما الذي تريدون منا ؟ فال أبو عبيدة خصلة من ثلاث : أولها أن تقولوا لا أله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، فأن أجبتم الى هذه الكلمة كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا . قال البترك عبده ونفي قائلوها الا أن نبيكم محمدا ما نقول أنه رسول . قال أبو عبيدة كذبت يا عدو الله انك لم توحد قط وقد أخبرنا الله في كتابه أنكم تقولون المسيح أبن كذبت يا عدو الله الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . قال البترك هذه خصلة لا نجيبكم اليها فما الخصلة الثانية . فقال أبو عبيدة تصالحوننا عن بلدكم أو خصلة لا نجيبكم اليها غما الخصلة الثانية . فقال أبو عبيدة تصالحوننا عن بلدكم أو تؤدون الجزية الينا عن يد وانتم صاغرون كما أداها غيركم من أهل الشام .

قال البترك هذه الخصلة اعظم علينا من الاولى وما كنا بالذي يدخل تحت الذل والصفار ابدأ . فقال أبو عبيدة ما نزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ، وتستعبن أولادكم ونساءكم ونقتل منكم من خالف كلمة التوحيد وعكف على كلمة الكفر. . فقال البترك : فانا لا نسلم مدينتنا أو نهلك عن آخرنا ، وكيف نسلمها وقد استعددنا بآلة الحرب والمتصار ، وفيها العدة الحسنة والرجال الشداد ، ولسنا كمن لاقيتم من أهل المدن الذين اذعنوا لكم بالجزية فانهم قوم غضب عليهم المسيح فأدخلهم تحت طاعتكم ونحن في بلد من اذا ممأل المسيح ودعاه أجاب دعوته ، فقال أبو عبيدة كذبت والله يا عدو الله - ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ... فقال أنا أقسم بالمسيح أنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة ما فتحتمُّوها أبدا وانما تفتح لرجل صفته ونعته في كتبنا ولسنا نجد صفته ونعته معك أبدا ، فقال ابو عبيدة وما صفة من يفتح مدينتكم ؟ . قال البترك لا نخبركم بصفته لكن نجد في كتبنا وما قراناه من علمنا أنه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه في الله اومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم ، قال فلما سمع ابو عبيدة ذلك من كلام البترك تبسم ضاحكا ، وقال فتحنا البلد ورب الكعبة . ثم أقبل عليه ، وقال له أذا رأيت الرجل تعرفه ؟ . قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندي وعدد سنينه وأيامه . قال أبو عبيدة : هو والله خليفتنا وصاحب نبينا . فقال البترك: أن كان الامر كما ذكرت ، فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأت فاذا رايناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غير هم ولا نكد واعطينا الجزية . فقال أبو عبيدة : فاني أبعث اليه بأن يقوم علينا افتحبونا القتال أم نكف عنكم ؟ . فقال البترك: معاشر العرب الا تدعون بفيكم . . انخبركم باننا قد صدقناكم في الكلام طلبا لحقن الدماء وانتم تأبون الا القتال . قال أبو عبيدة نعم ، لان ذلك أشمى الينا من الحياة نرجو به العفو والففران من ربنا . قال فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وانصرف البترك .

(قال الواقدي) فجمع أبو عبيدة الامراء والمسلمين اليه وأخبرهم بما قال البترك فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير، وقالوا افعل أنها الأمير واكتب الي أمير المؤمنين بلالك فلعله يسير الينا ويفتح هذا البلد علينا ، فقال شرحبيل بن حسنة اصبر حتى نقول لهم أن الخليفة معنا ويتقدم خالد اليهم . فاذا نظروا اليه فتحوا الباب وكفينا التعب وكان خالد أشبه الناس بعمر بن الخطاب (رض) ، فلما أصبح الصباح . قال له الترجمان قد جاء الخليفة وكان قد آل أبو عبيدة لخالد فركبوا حميما ، وقالوا قد جاء الرجل الذي تطلبونه فعرفوا البترك فأقبل الى ان وقف على السور ، وقال له قل له يتقدم بحيث نراه عيانا فتقدم خالد قتبينه ، وقال وحق المسيح كانه هو ولكن باقى العلامات ما هي فيه فبحق دينك من أنت ، فقال أنا من بعض أصحابه ، فقال البترك : يا فتيان العرب كم يكون هذا الخداع فيكم وحق المسيح لئن لم نر الرجل الموصوف ما نفتح لذم ولا يرجع احد منا يكلمكم ولو اقمتم علينا عشرين سنة ثم ولى ولم يتكلم ، فقال المسلمون عند ذلك اكتبوا الى أمير المؤمنين وعرفوه بدلك فعسى ان يأتى ويتشرف بهذه البقعة فكتب ابو عبيدة كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله لبي عبيدة عامر بن الجراح . اما بعد السلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد (ص) واعلم يا أمير المؤمنين أنا منازلون لاهل مدينة أيلياء نقاتلهم أربعة أشهر كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا ولقد لقى المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والامطار الا أنهم صابرون على ذلك ويرجون الله ربهم ، فلما كان اليوم الذي كتبت اليك الكتاب فيه اشرف علينا بتركهم الذي يعظمونه ، وقال أنهم يجدون في كتبهم أنه لا يفتح بلدهم الا صاحب نبينا واسمه عمر وانه يعرف صفته ونعته وهو عندهم في كتبهم وقد سألنا حقن الدماء فسر الينا بنفسك وانجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا على يديك . ثم أنه طوى الكتاب وختمه ، وقال يا معاشر المسلمين من ينطلق بكتابي هذا واجره على الله فأسرع بالاجابة ميسرة بن مسروق العبسي ، وقال : أنا أكون الرسول وأرجع مع عمر بن الخطاب (رض) ان شاء الله تعالى .

قال أبو عبيدة فخذ الكتاب بارك الله فيك فأخذه ميسرة واستوى على ناقة له كوماء ولم يزل سائرا الى أن دخل المدينة فدخلها ليلا ، وقال والله لا نزلت عند أحد من الناس فأناخ ناقته على باب المسجد وعقلها ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله (ص) وعلى قبر أبي بكر الصديق (رض) ، ثم أتى مكانا في المسجد فنام وكان له ليال

عدة لم ينم فأخذته عيناه فما استيقظ الاعلى أذان عمر وكان يفلس في الاذان ، فلما أذن دخل المسجد وهو يقول الصلاة رحمكم الله . قال ميسرة فقمت وتوضأت وصليت خلف عمر صلاة الفجر ، فلما انحرف عن محرابه قمت اليه وسلمت عليه ، فلما نظر الي صافحني واستبشر ، وقال ميسرة ورب الكعبة . ثم قال ما وراءك يا ابن مسروق . قلت الخير والسلامة يا أمير المؤمنين نم ناولته الكتاب فقراه على المسلمين فاسبشروا به ، فقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب به أبو عبيدة ؟ فكان أول من تكلم عثمان بن عفان (رض) ، فقال يا أمير المؤمنين أن الله قد أذل الروم وأخرجهم من التسام ونصر المسلمين عليهم وقد حاصر أصحابنا مدينا ايلياء وضيقوا عليهم وهم في كل يوم يزدادون ذلا وضعفا ورعبا فان أنت أقمت ولم تسر اليهم راوا أنك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستحقر فلا يلبثون الا اليسير حتى ينزلوا على الصفار ويعطون الجزية ، فلما سمع عمر ذلك من مقال عثمان جزاه خيرا ، وقال هل عند احد منكم راي غير هذا ؟ . فقال على بن أبي طالب (رض) نعم عندى غير هذا الرأى ، وأنا أبديه لك رحمك الله ، فقال عمر وما هو يا أبا الحسين ؟ . قال أن القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذلك فتح للمسلمين ، وقد أصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام واني ارى انك ان سرت اليهم فتح الله هذه المدينة على يديك وكان في مسيرك الاجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد وصعود جبل حتى تقدم اليهم . فاذا انت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح ولسبت آمن ان ييأسوا منك ومن الصلح ويمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل فلا يتخلفون عنه ، والصواب أن تسير اليهم أن شاء الله تعالى . قال ففرح عمر بن الخطاب بمشورة على (رض) وقال : لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وأحسن على المشورة للمسلمين فجزاءما الله خيرا ولست آخذ الا بمشورة على فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الفرة ، ثم أن عمر (رض) أمر الناس بأخذ الاهبة للمسير معه والاستعداد فأسرع المسلمون الى ذلك واستعدوا وتاهبوا وامر عمر أن يكونوا خارج المدينة ، ففعلوا ذلك واتى عمر المسجد فصلى فيه أربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله (ص) فسلم عليم وعلى أبي بكر (رض) واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وأهلها يشيعونه ويودعونه .

(قال الواقدي) وخرج عمر من المدينة وهو على بعير له احمر وعليه غرارتان في احداهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج ومعه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك وعادوا الى المدينة منهم الزبير وعبادة بن الصامت وسار عمر نحو بيت المقدس فكان اذ نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلي الصبح فاذا انفتل من الصلاة اقبل على المسلمين وقال: الحمد لله الذي اعزنا بالاسلام واكرمنا بالايمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة

وجمعنا بعد الشبتات على كلمة التقوى والف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا في بلاده وجعلنا أخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السبابفة والمنن الظاهرة . فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين . ثم يأخذ الجفنة فيملؤها سويقا ويصف التمر. حولها ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئًا مريئًا فيأكل ويأكل المسلمون معه ، ثم يرحل فلم يزل كذلك في مسيره . قال عمرو بن مالك العبسي كنت مع عمر بن الخطاب حين سار الى الشام فمر على ماء لجدام وعليه طائفة منهم نزول والماء يدعى ذات المنار فنزل بالمسلمين عليه ، فبينما هو كذلك واصحاب رسول الله (ص) حوله اذ اقبل اليه قوم من جدام ، فقالوا يا امير المؤمنين ان عندنا رجلا له امراتان وهما اختان لاب وام . قال ففضب عمر وقال على به فأتى بالرجل اليه ، فقال له عمر ما هاتان المراتان ؟ . قال الرجل زوجتاى قال فهل بينهما قرابة ؟ . قال نعم هما أختان قال عمر فما دينك الست مسلما ؟ قلل بلى قال عمر وما عملت أن هذا حرام عليك والله يقول في كتابه _ وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف _ فقال الرجل ما علمت وما هما على حرام ففضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك ولتخلين سبيل احداهما والا ضربت عنقك . قال الرجل: افتحكم على قال أي والله الذي لا اله الا هو ، فقال الرجل أن هذا دين ما أصبنا فيه خيرا ولقد كنت غنيا عن أن أدخل فيه ، قال عمر ادن منى فدنا منه فخفق رأسه بالدرة خفقتين ، وقال له اتتشاءم بالاسلام يا عدو الله وعدو نفسه ، وهو الدين الذي ارتضاه الله لملائكته ورسله وخيرته من خلقه خل يا ويلك سبيل احداهما والا جلدتك جلدة المفثري ٤ فقال الرجل كيف أصنع بهما واني أحبهما ، ولكن أقرع بينهما فمن خرجت القرعة عليها كنت لها وهي لي ، وان كنت لهما جميعا محبا فامر عمر فاقترع فوقعت القرعة على احداهما فأمسكها واطلق سبيل الثانية ، ثم اقبل عليه عمر ، وقال له اسمع يا ذا الرجل وع ما أقول لك أنه من دخل في ديننا ثم رجع عنه قتلناه فاياك أن تفارق الاسلام واياك يبلغني انك قد أصبت أخت امراتك التي فارقتها فانك أن فعلت ذلك رجمتك .

(قال الواقدي) وسار عمر حتى مر على حي من بني مرة . فاذا بقوم منهم قد اقاموا في الشمس يعذبون فقال لهم عمر : ما بال هؤلاء يعذبون ؟ فقيل : عليهم خراج فهم يعذبون قال فما يقولون . قال يقولون ما نجد ما نؤدي ، فقال عمر دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فاني سمعت رسول الله (ص) يقول « لا تعذبوا الناس في المدنيا يعذبكم الله يوم القيامة » فخلى سبيلهم . ثم سار حتى اذا كان بواد القرى أخبروه أن شيخا على الماء وله صديق يوده ، فقال له صديقه هل لك أن تجعل لي في زوجتك نصيبا وأكفيك رعي ابلك والقيام عليها ولي فيها يوم وليلة ولك فيها يوم وليلة ؟ قال له الشيخ : قد فعلت ذلك ورضي . فلما أخبر عمر بذلك أمر بهما فأحضرا . فقال ويلكما ما دينكما ؟ قالا الاسلام . قال عمر فما الذي بلغني عنكما ؟ قالا وما هو ؟ فأخبرهما ما دينكما ؟ قالا الاسلام . قال عمر فما الذي بلغني عنكما ؟ قالا وما هو ؟ فأخبرهما

عمر بما سمعه من العرب ، فقال الشبيخ قد كان ذلك يا أمير المؤمنين . فقال عمر: أما علمتما أن ذلك حرام في دين الاسلام ؟ قالا لا والله ما علمنا ذلك . فقال عمر للشيئم وما دعاك أن صنعت هذا القبيع ؟ قال أنا شيخ كبير ولم يكن لي أحد أثق به ولا أتكل عليه فقلت يا هذا اتكفيني الرعي والسقي وتعينني على دوابي وأنا أجعل لك نصسا في امراتي والآن علمت أنه حرام فلا افعله فقال لي عمر خذ بيد امراتك فلا سبيل لي عليها ، ثم قال للشباب اياك أن تقرب منها فانه أن بلفني ذلك ضربت عنقك ثم ارتحلُّ عمر يريد بيت المقدس حتى دنا من اول الشمام وأشرف عليه . قال أسلم ابن برقان مولى عمر ، فلما أشر فنا على الشمام وأشرف عليه المسلمون نظرنا الى طائفة من خيل المسلمين . فقال عمر للزبير اسرع وانظر ما هذه الخيل فأسرع الزبير اليها ، فلما قربُ منها واذا هي خيل من اليمن قد بعث بها أبو عبيدة يأخذون له خبر عمر (رض) ، قال الزبير فسلموا على وقالوا يا فتى من أين أقبل ؟ فقلت من مدينة رسول الله (ص) قالوا كيف خلفت أهلها ؟ قلت بخير ، قالوا فما فعل عمر هل قدم علينا أم لا ؟ قال الزبير من انتم قالوا نحن من عرب اليمن قد وجهنا أبو عبيدة لنأخذ له خبر عمر ، قال فرجع الزبير الى عمر وحدثه قال: اصبت يا أبا عبدالله ، فأقبل علينا جمع آخر فسلموا علينا وسألونا عن عمر . فقال لهم ها أنا عمر فما تريدون ؟ قالوا يا أمير المؤمنين قد ذرفت العيون وطالت الاعناق بطول قدومك فلعل الله أن يفتح بيت المقدس على يدك .

(قال الواقدي) ثم رجعوا على اعقابهم حتى اشرفوا على عسكر المسلمين وابي عبيدة ونادوا باصواتهم ابشروا يا مسلمون بقدوم عمر قال فارتج الناس وهموا أن يركبوا لاستقباله بأجمعهم . فقال لهم أبو عبيدة عزيمة على كل رجل أن لا يخرج من مركزه ثم سار أبو عبيدة في أناس من المهاجرين والانصار حتى أشرف بمن معه على عمر قال ونظر عمر الى أبي عبيدة وهو لابس سلاحه متنكب قوسه وهو راكب على قلوصه مفطى بعباءة قطوانية وخطام قلوصه من شعر ، فلما نظر أبو عبيدة الى عمر (رض) أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجل كلاهما ومد أبو عبيدة يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض وأقبل المسلمون بسلمونعلى عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يسيران أمام الناس وهما يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا ببيت المقدس ، فلما نزل صلى عمر (رض) بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة حسنة فقال في خطبته: الحمد لله الحميد المجيد ، القوي الشديد ، الفعال لما يريد ، ثم قال أن الله تعالى قد أكرمنا بالاسلام وهذانا بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأزاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة والف بين قلوبنا من بعد البفضاء فاحمدوه على هذه النعمة تستوجبوا منه المزيد فقد قال الله تعالى _ لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ، ثم قرا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ـ قال فلما تلا عمر ذلك قام قس من النصاري كان حاضرا بين يديه . فقال ان الله لا

يضل احدا ، فلما كررها قال عمر انظروا ان عاد الى قوله فاضربوا عنقه فعرف القس ما قال عمر فامسك ومضى عمر في خطبته . فقال :

اما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله عز وجل الذي يبقى ويفني كل شيء سواه ٠ الذي بطاعته ينفع أولياءه ، وبمعصيته يفني أعداءه ، أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم وانفسكم لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكورا افهموا ما توعظون به فإن الكيس من الحرز دينه ، وإن السبعيد من اتعظ بفيره إلا أن شر الامور مبتلجاتها وعليكم بالسنة سنة نبيكم (ص) فالزموها فان الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة والزموا القرآن فان فيه الشفاء والثواب ، أيها الناس أنه قام فينا رسول الله (ص) كقيامي فيكم وقال الزموا اصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لم يستشهد ويحلف من لم يحلف فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، وتعوذوا من الشيطان ولا يخلون احد منكم بامراة فانهن من حبائل الشبيطان ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ، والصلاة الصلاة ، فلما فرغ من خطيته جلس فجعل أبو عبيدة يحدثه بما لقى من الروم وعمر باهت ، فتارة يبكي وتارة يهدا فلم يزل كذلك الى أن حضرت صلاة الظهر . فقال الناس يا أمم المؤمنين اسأل بلالا أن يؤذن لنا ، وكان بلال مقيما ببلد ، فلما بلغه أن عمر قد وصل ساد مع ابي عبيدة حتى لاسلم على عمر فعظم قدره ، فلما حضرت صلاة الظهر وسأل المسلمون عمر أن يسال بلالا . فقال له يا بلال أن أصحاب رسول الله (ص) يسألون أن تؤذن لهم وتذكرهم أوقات نبيهم (ص) فقال بلال نعم فلما قال الله أكبر خشعت جلودهم واقشمرت أبدانهم ، قال فلما قال: أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شبديدا حتى كادت قلوبهم أن تتصدع عند ذكر الله ورسوله ، فلما فرغ بلال من اذانه وجلس قال بلال يا امير المؤمنين ان امراء المسلمين واجناد الشيام يأكلون لحوم الطيور والخبز النقى وما لا يلحق ضعفاء الناس وما لا تناله أيديهم وأن الكل يفني وما له الى التراب ومصيرنا اليه . فقال له يزيد بن أبي سفيان : أن سعر بلادنا هذه رخيص وانا لنصيب ما قاله بلال ههنا مثل ما كنا نقوت به انفسنا مدة من الزمان في الحجاز . فقال عمران الامر كما ذكرت فكلوا هنيئا مريئا ولست أبرح من مكانى حتى تجمعوا الى من في المنازل وأن تكتبوا الى فقراء المسلمين ممن في المدن والقرى فأفرض لكل أهل بيت ما يجزيهم من البر والشعير والعسل والزيت وما يحتاجون اليه ولا بد لهم منه ثم قال عمر : هذا لكم من أمرائكم غير ما يأتيكم منى من بيت مال المسلمين ، فان قطعت عنكم أمراؤكم فأمروني حتى أعزلهم عنكم ثم أمرهم بالرحيل ، فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم.

(قال الواقدي) بلغني ممن اثق به انها كانت مرقعة من صوف . فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا بيضا ، قال ففعل

قال الزبير احسب انها كانت من ثباب مصر تساوي خمسه عشر درهما وطرح على عاتقه منديلا من كتان ليس جديدا ولا بالخلق دفعه اليه أبو عبيدة وقدم اليه برذون اشهب من براذين الروم ، فلما صار عمر على ظهره جعل البرذون يهملج به ، فلما نظر عمر الى البرذون وفعاله نزل عنه مسرعا وقال اقيلوا عثرتي اقال الله عثرتكم يوم القيامة ، ففد كاد أميركم أن بهلك بما دخل من العجب والكبر واني سمعت رسول الله (ص) يقول « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر » ولقد كاد أن يهلكني ثوبكم الابيض وبرذونكم المهملج ، ثم أن عمر (رض) نزع ما كان عليه ثم عاد الى لبس م قعته .

(قال الواقدي) كنا يوم نقرا فتوح الشام ومتوح بيت المقدس عند قبر ابي حنيفة ؛ وكان الفتوح يقرا على عبادة بن عوف الدينوري وكان من اهل الفضل ، وكان يسجع كلامه . قلما وصل الى ما ذكرناه من لبس عمر لمرقعته . قال قد سمح خاطرى بما انا قائله .

(قال الواقدي) قلت قل ولا تخف الصدق فتهوى في النار ، وان الصدق اماة والكذب خيانة . قال لما لبس عمر مرقعته وجعل ينميز في شمائل فقره ، والكائنات تتعجب من زهده وصبره عندما تزينت له الدنيا بملابسها وتراءت له في حلل امنيته . بواسطة حدثان مشيئتها ، وقد جعلت اشباح شهواتها على قمة راس مراتها واقبلت وافلة في حلة مراودته ، مطلقة عند الطمع في طلب زوال مجاهدته ، معرضة بملابس جمالها على سوق معارضته في سناء قبلة مراة تبهرجها في عين مشاهدته ، واقفة على قدم الاستدراج الى ترك خدمته ، جاعلة ودادها ذريعة الى وصلته ، وعمر قد امسك عرا طاعته بيد عصمته ، فلما نصبت له حبائل بلاها ، ولم تره وقع في اشراك هواها ، اسمعت في معناها ، قد شففها حبا أنا لنراها ، وقالت يا عمر قد وليت أرضي فلا بد من القيام بفرضي ، فالولاية لا تقوم الا بالملابس الهنية والمآكل الشبهية ، والظلم في الرعية ، القيام بفرضي ، فالولاية لا تقوم الا بالملابس الهنية والمآكل الشبهية ، والظلم في الرعية ، فقال عمر : اذهبي فلست من رجالك ولا ممن يقع في حبالك ولا في أوحالك . اما علمت فقال عمر : اذهبي فلست من رجالك ولا ممن يقع في حبالك ولا في وجهها صارم اجتهاده دعوة سيد الامم ، حتى افتح بلاد الروم والعجم ، نم اظهر في وجهها صارم اجتهاده من معنى قوله ـ وجاهدوا في الله جهاده _ .

(قال الواقدي) فاستحسنت هذا الكلام والحقت ما قاله في هذا الموضع بقول رسول الله (ص) « أن من البيان لسحرا » قال وأن عمر سار يريد العقبة ليصعد منها الى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين وعليهم ثياب الديباج مما أخذوه من اليرموك فأمر عمر أن يحثوا التراب في وجوههم ، وأن تمزق عليهم ، ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت المقدس ، فلما نظر اليها قال الله أكبر : اللهم افتح لنا فتحا يسيرا . واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ، ثم سار واستقبلته العشائر والقبائل وأصحاب

العقود وسار عمر حتى نزل بالموضع الذي كان فيه أبو عبيدة وضربت له خيمة من شعر وجلس فيها هناك على التراب ، ثم قام يسلي أربع ركعات .

(قال الواقدي) وعلت للمسلمين ضجة عظيمة وصياح مزعج بالتهليل والتكبير ، فسمع اهل بيت المقدس الضجة والجلبة ، فقال لهم البترك يا ويلكم ما شأن العرب قد ارتفعت لهم جلبة من غير شيء فاشرفوا عليهم وانظروا ما شأنهم .

(قال الواقدي) فاشرف عليهم رجل ممن يعرف العربية ، فقال: يا معاشر العرب اخبرونا ما قصتكم ؟ قالوا أن أمير المؤمنين عمر قد قدم علينا من مدينة نبينا ، وهذه الضجة من فرح المسلمين به . قال فرجع واعلم البترك فأطرق الى الارض ولم يتكلم ، فلما كان ألفد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر . قال لابي عبيدة يا عامر تقدم الى القوم واعلمهم أنى قد أتيت . قال فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال يا أهل هذه الملدة أن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون فيما قلتم . قال فأعلموا البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وترجل الرهبان والقسوس والاساقفة معه ، وقد حمل بين يديه صليب لا يخرجونه الا في عيدهم وسار معه البطاليق الوالي عليهم وهو يقول: للبترك يا أبانا أن كنت تعرفه معرفة حقيقية والا فلا تغتج له ودعنا وهؤلاء العرب فاما أن نبيدهم ، وأما أن يبيدونا ، قال البترك أنا أفعل ذلك ، ثم صعدا على الصور ووقف البطاليق الى جانبه والصليب امامهم وأشرف على أبي عبيدة وقال ما تشاء أيها الشيخ الباهي ، قال أبو عبيدة : هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد اتى فاخرجوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة واداء الجزية . فقال البترك يا ذا الرجل ان كان صاحبك الذي ليس عليه أمير قد أتى قدعه يدن منا قانا نعرقه بنعته وصفته وافردوه من بينكم وليقف بازائنا حتى نراه ، فإن كان صاحبنا اللي نعته في الانجيل نزلنا اليه وعقدنا معه الامان وأقررنا له بالجزية ، وأن كان غير الذي نجد نعته في الانجيل وصفته فما لكم عندنا غير القتال ، قال فرجع أبو عبيدة الى عمر وأخبره بما قاله البترك فهم عمر بالقيام . فقال له اصحابه يا أمير المؤمنين تخرج اليهم منفردا ، وليس عليك الة حرب غير هذه المرقعة وانا نخشى عليك منهم غدرا أو مكرا فينالون منك . فقال عمر _ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى ألله فليتوكل المؤمنون _ ثم امر بيميره فقدم اليه فاستوى في ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بها رأسه وليس معه غير أبي عبيدة (رض) وهو سائر بين يديه حتى قرب من السور ووقف بازاء السور والبترك والبطاليق عليه ، فتكلم ابو عبيدة وقال يا هؤلاء هذا امير المؤمنين قد أتى فمسبح البترك عينه ونظر اليه وزعق باعلى صوته هذا والله الذي نجد صفته ونعته في كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ، ثم انه قال لاهل بيت المقدس يا ويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة ، هذا والله صاحب محمد بن عبدالله .

(NY) — YE' —

(قال الواقدي) فلما سمعت الروم كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت انفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الىعمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق واللمة ويقرون له بالجزية ، فلما نظر اليهم عمر على تلك الخالة تواضع لله وخر ساجدا على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم الذمة والعهد اذ سألتمونا واقررتم بالجزية . قال فرجع القوم الى بلدهم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى عسكره فيات فيه ليلة ، فلما كان الفد قام فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا من جهة الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو واصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بفدرهم وكان أبو الجعيد الذى احتال على الروم باليرموك ببيت المقدس هو واهله وماله فقالوا ما ترى في غدر هؤلاء العرب اذا هم اشتفلوا بصلاتهم وليس معهم آلة حرب ولا ما يحترزون به من الضرب والقتل ؟ . فقال لهم أبو الجعيد يا قوم لا تفعلوا ولا تفدروا بهم فأن فعلتم ذلك أخبرتهم يما تريدون أن تفعلوا بهم فقالوا وما الذي نصنع ؟ فقال أبو الجعيد أظهروا للعرب ما لكم من الزينة ومتاع الدنيا فان متاع الدنيا وما فيها لا يصبر صاحبهما عنهما ، فان طلبوهما بفدر فشانكم وما تريدون ، قال فأقبل القوم على ما كانوا يقدرون عليه من المال والمتاع الحسن فأظهروه وصفوه في طريق المسلمين وشوارعهم ، فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك في دخولهم وخروجهم وهم يعجبون منهم ولم يمل أحد منهم اليه ولم يلمسه وهم يقولون الحمد لله الذي أورثنا ديار قوم مثل هذا ، ولو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء ، قال عوف بن سالم فوالله ما من المسلمين من جعل يده على شيء من متاعهم ولا لمسه . فقال لهم أبو الجعيد هؤلاء القوم الذين وصفهم الله في التوراة والانجيل وانهم لا يزالون على الحق ولا يقر بهم احد ما داموا على ما هم عليه .

(قال الواقدي) واقام عمر في بيت المقدس عشرة ايام . قال شهر بن حوشب سمعت كعب الاحبار يقول: ان عمر بن الخطاب لما صالح اهل بيت المقدس ودخلها اقام فيها عشرة ايام فأقبلت اليه وكنت في قرية من فلسطين ، وتقدمت اليه لاسلم عليه واسلم على يديه ،وذلك أن أبي كان اعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران وأنه كان لي محبا وعلي مشغقا ولم يكتم علي شيئا الا أعلمني اياه مما كان يعلم الناس ، فلما حضرته الوفاة ، دعاني اليه وقال لي يا بني انك تعلم أني ما ادخرت عنك شيئا مما كنت أعلمه لاني خشيت أن يخرج بعض هؤلاء الكاذبين وتتبعهم وقد جعلت هاتين المورقتين في هذه الكرة التي ترى فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما الى أن تسمع بخبر نبي يبعث في آخر الزمان اسمه محمد ، فأن يرد الله بك خيرا فأنت تتبعه ، ثم مات بعد وصيته أياي . قال كعب فدفنته ، فما كان شيء أحب الى بعد انقضاء العزاء من النظر في الورقتين وقراءة ما فيهما ففتحهما ، فأذا فيهما لا اله الا الله محمد رسول الله

خاتم النبيين لا نبى بعده ، مولده بمكة ، ودار هجرته طيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ، امته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال السنتهم رطبة بالتهليل والتكبير وهم منصورون على كل من عاداهم من أعدائهم أجمعين يفسلون وجوههم و يسترون أوساطهم أناجيلهم في صدورهم تراحمهم بينهم تراحم الانبياء بين الامم ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الامم . قال كعب الاحبار فلما قرأت ذلك قلت في نفسي وهل علمني أبي شيئًا أعظم من هذا ثم مكثت بعد وفاة والدى ما شاء الله آلم إن بُلغني ان النبي (ص) الموصوف قد ظهر بمكة وهو يظهر مرة بعد اخرى . فقلت هو والله لا محالة ولم أذل أبحث عن أمره حتى قبل أنه خرج ونزل بيثرب فجعلت اتر قب امره حتى غزا غزوات ونصر على اعدائه ، فتجهزت اريد المسير اليه فبلفني انه قد قبض (ص) وانقطع الوحي . فقلت في نفسي لعله ليس الذي كنت انتظره حتى رأيت في منامي كأن أبواب السماء قد فتحت والملائكة تنزل زمرة بعد زمرة وقائل يقول قد قبض رسول الله (ص) وانقطع الوحي عن أهل الارض فرجعت الى دار قومي وجاءنا الخبر انه تقدم امته خليفة اسمه أبو بكر فقلت أقدم عليه فلم ألبث حتى جاءتنا جنوده الى الشام ثم جاءتنا وفاته ، ثم قيل أنه استخلف عليهم رجل أسمه عمر . فقلت لا ادخل هذا الدين حتى احققه ولم ازل متوقفًا حتى قدم عمر بن الخطاب (رض) ببيت المقدس وصالح أهلها ونظرت الى وفائهم بعهدهم وما صنع الله بأعدائهم ، وقلت اتهم امة النبي الامي فحدثت نفسي بالدخول في هذا الدين ، فوالله اني كنت ذات ليلة على سطحي واذا أنا برجل من المسلمين يقول ـ يا أيها الذين أوتو الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقالما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ...

قال كعب فلما سمعت هذه الآية خفت والله أن لا أصبح حتى يحول وجهى فما كان شيء أحب إلي من الصباح أن يرد ، فلما أصبحت غدوت من منزلي وسألت عن عمر فقيل لي أنه ببيت المقدس فقصدت اليه وإذا به قد صلى بأصحابه صلاة الفجر عند الصخرة فأقبلت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام، وقال لي ; من أنت أ فقلت له أنا كعب الاحبار وأنني جثت أريد الاسلام والدخول فيه فأني وجدت صفة محمد (ص) وأمته في الكتب المنزلة ، وأن الله عز وجل أوجى الى موسى عليه السلام أني ما خلقت خلقا أكرم على من أمة محمد (ص) ولولاه ما خلقت جنة ولا نارا ولا سماء ولا أرضا ، وأمته خير الامي ودينه خير الاديان ، بعثته آخر الزمان ، أمته مرحومة ، وهو نبي الرحمة ، وهو النبي الامي التهامي القرشي الرحيم بالومنين ، الشديد على الكافرين ، مررحه مثل علانيته ، وقوله لا يخالف فعله ، القريب والبعيد عنده سواء ، أصحابه متراحمون متواصلون ، فقال عمر أحقا ما تقول يا كعب أ . قال أي والله والله يسمع ما أقول ويعلم ما تخفي الصدور ، فقال عمر : الحمد لله الذي أعزنا وأكرمنا وشر فنا

ورحمنا برحمته التي وسعت كل شيء وهدانا بمحمد (ص) فهل لك يا كعب في الدخول في ديننا ؟ ، فقال كعب يا أمير المؤمنين في كتابكم الذي انزل اليكم في امر دينكم ذكر ابراهيم . فقال عمر نعم وقرأ ـ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني أن الله أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ، قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون . . ثم قرا . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما - ثم قرأ - اففير دين الله يبغون وله اسلم - الآية . ثم قرأ - ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه - الآية ، ثم قرا - قل انني هداني ربي الي صراط مستقيم دينا قيما - الآية ، ثم قرا - وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل - الآية ، قال كعب فلما سمعت هذه الآيات . قلت يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا أله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، ففرح عمر باسلام كعب الاحباد . ثم قال هل لك أن تسير معى الى المدينة فنزور قبر النبي (ص) وتتمتع بزيارته ؟ . فقلت نعم يا امير المؤمنين انا افعل ذلك . قال وارتحل عمر بعد أن كتب لاهل بيت المقدس كتاباً: أي عهدا وأقرهم في بلدهم على الجزية وسار بمن معه من العساكر الى الجابية فاقام بها ودون الدواوين واخذ الخمس الذي لله مما أفاء الله على المسلمين ، ثم قسم الشيام قسيمين فأعطى أبا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وامره بالمسير الى حلب وان يقاتلوا اهلها الى ان يفتحها الله على يديه واعطى ارض فلسطين وارض القدس والساحل ليزيد بن ابي سفيان ، وجعل أبا عبيدة واليا عليه وامر يزيد أن يحارب أهل قيسارية الى أن يفتحها الله على يديه ، وكان قد اعطى اكثر الاجناد لابي عبيدة مع خالد وسير عمرو بن العاص الى مصر واستعمل على قضاء حمص عمرو بن سعيد الانصاري ثم سار عمر (رض) يريد مدينة الرسول (ص) وأخذ كعب الاحبار معه وكان أهل المدينة يظنون أن عمر يقيم بالشام لما يرون من كثرة خيرها وطيب فواكهها ورخص اسعارها ولما يخبرون عنها انها بلاد الانبياء وهي الارض المقداسة وفيها المحشر فبقى الناس يتطاولون نحوه ويخرجون في كل يوم ينظرونه حتى قدم عمر (رض) فارتجت المدينة يوم قدومه واستبشر اصحاب رسول الله (ص) برؤيته وسلموا ورحبوا به وهنئوه بما فتح الله على يديه ، فأول ما بدأ بالسجد سلم على قبر رسول الله (ص) وعلى أبي بكر الصديق (رض) ، ثم صلى ركعتين وعاد بكعب الاحبار . وقال حدث المسلمين بما رايت في الورقتين فازداد الناس ايمانا .

(قال أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي) حدثنا احمد بن الحسين بن العباس المعروف بأبي سفيان النحوي . قال حدثنا أبو جعفر بن احمد بن عبيد الناسخ . قال حدثني عبدالله بن أسلم الزهري وعبدالله بن يحيي الزرقي عمن حدثه ممن تقدم ذكرهم وأسماؤهم أول الكتاب وحديث القوم قريب بعضه من بعض والله يعيذنا من

الزيادة والنقصان ، لان الصدق أمانة والكذب خيانة والله الذي لا آله الا هو عالم الفيب والشهادة ما اعتمدت في خبر هذه الفتوح الاعلى الصدق وما حدثت حديثه الاعلى قاعدة الحق لاثبت فضل أصحاب رسول الله (ص) وجهادهم حتى ارغم بذلك أهل الرفض الخارجين على أهل السنة ، أذ لولاهم بمشيئة الله تعالى لم تكن البلاد للمسلمين وما انتشر علم هذا الدين فله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده لا جرم ، وقد قال فيهم الملك المقتدر ـ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ـ .

(قال الواقدي) وذلك انه لما بعث عمر بن الخطاب أبا عبيدة وجعله أمير الشام وأمره بالمسير الى حلب ونطاكية والمفرق وما يليهم من الحصون بعث عمرو بن العاص ألى مصر ويزيد بن أبي سفيان الى ساحل الشام فنازلوا قيسارية وهي آهلة بالخلق كثيرة الجند وكان عليها قسطنطين الى أن نزل يزيد وقسطنطين هذا أبن الملك هوقل وكان معه ثمانون ألفا من الروم والعرب المتنصرة والروسية ، فلما نظر قسطنطين الى نزول يزيد بن أبي سفيان عليه بعث الى أبيه يستنجده فبعث اليه هرقل بصاحب مرعش وعشرين ألفا من أبطال الروسية وأنفذ له المراكب بالزاد والعلوفة ، فلما نظر يزيد الى ذلك وأن لا قدرة له على ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول: بهسم الله الرحمن الرحيم ، من يزيد بن ابي سفيان المامل على بعض الشام الى عمر بن الخطاب ادض) اني نازلت أهل قيسارية وهي مدينة آهلة بالخلق كثيرة الجند وليس اليها سبيل وان قسطنطين قد استنجد بابيه وقد انجده بصاحب مرعش وعشرين ألفا والمراكب ترد عليه كل يوم بالعلوفة والزاد واريد النجدة والسلام . وبعث الكتاب مع عمرو بن سالم بن حميد النخعى فلمًا ورد المدينة وسلم الكتاب الى عمر بن الخطاب . قال عمر من أين هذا الكتاب قال من عاملك يزيد بن أبي سفيان فقرأه ، فلما أتى على آخره تفكر في أمر يزيد وما وقع له حتى دخل عليه على بن أبي طالب كره الله وجهه فأراه كتاب يزيد من قيسارية الشام يطلب منه نجدة . فقال على لا تغتم على المسلمين فأن الله يفتحها على يديك رغما فأنجد يزيد وأنفذ اليه الكتاب.

ذكر فثح مدينة حلب وقلاعها

(قال الواقدي) كان، مع أبي عبيدة عشرون ألفا ومع يزيد وعمرو بن العاص عشرة آلاف .

(قال الواقدي) فلما وصل كتاب عمر الى ابي عبيدة أنفذ الى يزيد ثلاثة آلاف فارس مع حرب بن عدي وبقي أبو عبيدة في سبعة عشر الفا واكثرهم من اليمن ، وكان أبو عبيدة قد صالح أهل قنسرين والعواصم على خمسة عشر الف مثقال من الذهب ومثلها من فضة وألف ثوب من أصناف الديباج وخمسمائة وسق من التين والزيت ، فلما تم الصلح وجاءوا بما ضمنوه من مدينتهم كتب لهم كتابا وشرط فيه الشروط ودخل أبو عبيدة وخالد في رجال من المؤمنين وسادات المسلمين فحطوا بها مسجدا ،

فبلغ ذلك أهل حلب من الصلح لقنسرين ومسير العرب فاضطربوا اضطرابا شديدا وكان عليهم رئيسان أخوان لاب وأم وكانا يسكنان في القلعة ولم تكن القلعة محيطة بالمدينة بل كانت المدينة منفردة بداتها وكان البطريقان يقال لاحدهما يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما ملك البلد وأعماله وضياعه ورساتيقه الي حدود الضروب والي حدود الفرات وقد ملك حلب سنين لا ينازعه فيها منازع ، وكان هرقل طاغية الروم يهابه ويوقره ولا يحاربه كل ذلك لبقاء ملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد انتزع من رومية الى أقصى البلاد لئلا يجيش عليه أحد جيشا ولا ينازعه في ملكه لكثرة شره وتدبيره وشدة بني عمه ، فلما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها ومكن في البلاد ، فلما هلك آل الامر بعده لولده بوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعاً للاموال مقداماً للحروب لا يصطلي له بنار ولا يدفع شره وكان أخوه يوحنا دينا قد نزع يده من الرياسة وترهب وكان أعلم الناس في أهل زمانه وانه لما بلفهم الخبر أن أبا عبيدة قد قصد اليهم قال لاخيه يوقنا على ماذا عولت ؟ قال على قتال العرب ولا أدعهم يقربون من أرضنا وبلادنا حتى يرى العرب أنى لست كمن لقوا من بطارقة الشام ولا من غيرها وكان يوحنا قد درس الانجيل وقرأ المزامير ، وليس له همة الاعمارة الكنائس والاديرة وتشييد المواضع وكثرة الشمامسة والقسيوس والرهبان والقيام بأمورهم ، فلما بلغ هذين الاخوين فتح العواصم عنوة وقنسرين صلحا وان العرب نازلون عليها وان خيلهم تضرب الى الفرات والعواصم والبقاع فأقبل يوحنا على أخيه الاكبر يوقنا . وقال : يا أخي أريد أن أختلي بك الليلة وأشاورك وأطلعك على سري ورأيي وأشرف على سرك ورأيك . قال نعم ، فلما اجتمعا في الليل في دار. كانت لابيهما في القلعة وجلسا للمشبورة أقبل يوقنا على أخيه يوحنا وقال يا أخَّى الا ترى ما نزل بنا من العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وما حل باهل الشام منهم من القتل والنهب وأخذ الاموال وأنهم لا ينزلون مدينة من مدن الشام الا فتحوها وملكوا أهلها فما ترى أن تصنع في أمر هؤلاء فكاني بهم وقد أشرفوا علينا .

(قال الواقدي) فقال يوحنا يا أخي اذ قد استشرتني في أمرك فاني أنصحك ولا أغشك اذا قبلت النصيحة وان كنت أصفر هنك سنا فاني أعلم هنك بصيرة ، فوحق المسيح والقربان لئن قبلت مشورتي ليعلون أمرك ويسلم لك مالك ونفسك . فقال يوقنا يا أخي ما علمتك الا ناصحا فما عندك من الرأي ؟ . فقال الرأي عندي أن ترسل رسولا الى العرب وتبلل لهم ما شاءوا وتسالهم الصلح وتتفق معهم على معلوم يدفع لهم في كل عام ما دامت الفلبة لهم ، فلما سمع يوقنا ذلك من كلام أخيه يوحنا أقبل عليه وقد استوثق منه الفضب وقال قبحك المسيح ما أعجز رأيك ما ولدتك أمك الا راهبا أو قسيسا ولم أقلدك لا ملكا ولا محاربا ولا مقاتلا ، والرهبان ليس لهم قلوب لاكلهم العدس والريت والبقل ولا يأكلون اللحم ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال

بصيرة ولا بملاقاة الرجال خبرة ، واما أنا فملك أبن ملك وليس بيني وبينهم الا الحرب ولا ترى الملوك العجز ويلك كيف نسلم ملكنا العرب ونعطيهم القياد من انفسنا من غير حرب ولا قتال . قال فلما سمع يوحنا ذلك من اخيه تبسم من كلامه وتعجب كل العجب وقال يا أخي ، وحق المسيح أن أجلك قد اقترب لانك صاحب بفي تحب سفك الدماء وقتل النفس وما أظن جموعك أكثر من جموع الملك هرقل التي جمعها باليرموك مع ماهان ويوم أجنادين ، وهؤلاء القوم قد أيدهم الله علينا فاتق الله ولا تسبع في قتل نفسك . فلما سمع يوقنا كلام أخيه داخله الغضب وقال له قد أكثرت وأطلت في مدحك العرب واني لسنت كمن لاقوه من هذه الجموع التي ذكرتها ولا أقاس بهم ومع ذلك اعلم أن كل من ذكرت من أهل المدن وغيرها أسلم بلده عنوة تو صلحا قبل أن يقال بلا عدر في القتال ويبلل المجهود عن نفسه ، وانما جمعت الاموال من قبل الى الآن لادفع بها الاذي عن نفسي واني مجمع على قتال العرب ومجارجتهم ، قان اظفرني الصليب بهم واعانني المسيح عليهم طلبت العرب الى ان ادخل خلفهم الحجاز واسود على سائر الملوك وارجع الى الشام ملكا فلا يقدر هرقل أن ينازعني ، وأن هزمتني العرب طلعت الى قلعتي هذه ولزمتها فاني قد عبيت فيها من الزاد والاطعمة ما يكفيني طول دهري واكون فيها عزيزا الى أن أموت ولا القي يدي الى ألعرب ولا أبدل أموالي من غير طلب فلا تعارضني في شيء من أمر العرب ولا تدعني الى الصلح والا بطشت بك قبلهم ء

(قال الواقدي) واحتوى الشيطان على قلب يوقنا وقد سولت له نفسه العمل ، فلما سمع يوحنا من اخيه يوقنا هذا المقال قال له كلامك على حرام ابدا حتى ترجع الى رايي وبعود الى قولي ثم قام عنه مغضبا ، فلما كان من الغد جمع يوقنا اليه جميع من النجا اليه من العسكر من الارمن والمتنصرة وغيرهم وعرضهم على نفسه ، فمن اراد سلاحا اعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون العرب عليهم ويقول انما هم قليل ونحن اكثر منهم، لان جموعهم قد تفرقت منها جماعة على قيسارية ومنهم من توجه الى مصر.

(قال الواقدي) وعزم على قتال أبي عبيدة قبل أن يصل اليه والى بلده ، ثم عمد ألى بطريق من بطارقته يقال له كراكس وضم اليه ألف فارس ووكله بحفظ بلده وسار يوقنا بمن معه يريد أن يلقي جيش أبي عبيدة والمسلمين هو وقومه في أثني عشر الف مدرع غير من كان معه بفير درع ونشرت أمامه الاعلام والصلبان وكان فيها صليب من الذهب والجوهر ومن حوله ألف غلام عليهم ثياب الديباج المنسوج بالذهب ، قال أبن ثعلبة الكندي فأقام أبو عبيدة على مدينة قنسرين بعد أن فتحها بالصلح وبعد أن أناه يزيد بكتاب عمر بن الخطاب (رض) يأمره أن يبعث ألى يزيد بن أبي سفيان طائفة من جيشه فبعث له بثلاثة آلاف فارس لابسين السلاح الكامل وعول أبو عبيدة على المسير الى حلب فدعا برجل من بني ضمرة وكان بطلا مجربا بشدة الباس وكان أذا

ثبت على وجه الارض للقتال لا يهاب الجحافل قلت او كثرت فضم اليه الف فارس وسيره على مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل جيشا لا تطيقه واختبر امر هذا العلج واعرف خبره وأنا راحل من ورائك فسار كعب بن ضمرة يريد حلب وكان يوقنا قدم أمامه عيونا يأتونه بالاخبار فأتته جواسيسه يخبرونه ان خيول العرب قد أتت تربد بلده وقتاله . فقال لهم في كم أتت العرب ؟ قالوا في الف فارس وهم على ستة أميال من بلدك نزول . قال فكمن يوقنا كمينا ثم ساد اليهم بجيوشه وبطارقته ، فلما اشرف عليهم وهم نزول على نهر يسقون خيلهم ويتوضئون فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم يوقناً بجيوشه وبطارقته والصليب امامه ، فنادى المسلمون بعضهم بعضا واستووا على متون خيولهم ، وورد كعب بن ضمرة على فرسه وسبق في اول الخيل واشر ف على جيش يوقنا فحزره انه في خمسة آلاف فارس وكان يوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف مع الكمين ، فلما نظر كعب الى يوقنا وجيشه انقلب الى أصحابه وقال يا انصار دين الله آني نظرت عسكر عدوكم وحزرته فهو في خمسة الاف وهم لكم مغنم ويقاتل الواحد منكم خمسة . قالوا بلي والله ، وأقبل أصحابه يشبجع بعضهم بعضا فقربت الفئة من الفئة وصاح يوقنا باصحابه ورجاله وغلمانه وعبيده وبطارقته وامرهم بالحملة على المسلمين فحملوا بأجمعهم حملة صعبة وحمل عليهم المسلمون والتقى الجمعان واشتبك الحرب وقاتل الجمعان قتال الموت وقد أيقن المسلمون بالظفر والغنيمة فطلع عليهم الكمين من ورائهم وأكبوا عليهم جميعا .

قال مسعود بن عون العجي: شهدت الخيل التي بعثها أبو عبيدة طلائع مع كعب بن ضمرة وكنت فيها يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين ونحن في القتال ونحن لا نظن أن لهم كمينا يطلع من ورائنا واذا بأصوات حوافر الخيل اكبت علينا وأيقنا بالهلكة بعدما كنا موقنين بالفلبة وصرنا في وسط عسكر الكفار فلم يكن لنا بد من القتال فافترقت المسلمون ثلاث فرق فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت قتال الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة قصدت قتال يوقنا ومن معه . قال مسعود بن عون فله در كندة يومئذ لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ووهبوا انفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل في مقام واحد وعمل أهل الكمين عملا عظيما وكعب بن ضمرة قلق على المسلمين فجاهد عنهم وهو يجول بالراية وينادي يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل معاشر المسلمين اثبتوا أنما هي ساعة ويأتي النصر وانتم الاعلون ، فاجتمع المسلمون عليه والجراح فيهم فاشية وقتى من المسلمين مائة وسبمون زجلا من الاعيان : منهم عباد بن عاصم النخفي وزفر بن أم راضي وحازم أبن شهاب القري وسهل بن أشيم ورفاعة بن محصن وغانم بن برد ، وسهيل بن مغلج وكان ممن شهد وسهل بن أشيم ورفاعة بن محصن وغانم بن برد ، وسهيل بن مغلج وكان ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدي رسول الله (ص) وشهد قتال اليمامة مع خالد بن الوليد.

مقدمه (رض) ولم نجد واحدة في ظهره وكان الاعيان اربعين رجلا ، لان الرجل منا ما قتل حتى قتل عددا من المشركين ، فلما نظروا الى ثبات المسلمين مع قلتهم وما هالهم مهن قتل منهم هم المشركون ان ينهزموا فثبتهم يوقنا وقال ويلكم ما العرب الا مثل الدئاب ان صدمت ولت وان تركت طمعت ، ولما نظر كعب بن ضمرة الى من قتل تحت رايته اغتم للالك غما شديدا فنزل عن فرسه ولبس درعا من فوق درعه وشد وسطه بمنطقة ومسح وجه فرسه ومنخره وقبله بين عينيه وكان قد شهد معه المواطن وجاهد معه بين يدي رسول الله (ص) وكان قد سماه الهطال . فقال يا هطال هذا يومك المحمود عاقبته فاثبت للقتال في طاعة الله ، ولما استوى على متنه وقف امام المسلمين وجعل ينظر الى القتلى وهو متفكر في امره والراية بيده وهو ينتظر من ابي عبيدة جيشا يقبل عليه او طليعة تنجده فلم ير للالك اثرا .

وذلك أن أبا عبيدة ما قطعه من المسير اليه الا قدوم أهل حلب عليه ، وذلك أنه لما سار يوقنا إلى حرب المسلمين اجتمع مشايخ أهل حلب والروسية بعضهم إلى بعض وقالوا يا قوم تعلمون أن هؤلاء العرب قد أطاعهم أهل دين النصرانية والصليب ودخلوا في دينهم ومنهم من رجع الى دينهم ومنهم من قاتلهم . فأما الذي قاتلهم فخسر فهل لكم أن تسيروا الى أمير المؤمنين ونسأله الصلح ونصالح عن مدينتنا وندفع اليه ما أحب من أموالنا ، فأن ظفر المسلمون بالبطريق يوقنا نكن نحن آمنين غير وجلين منهم ونقر عينا من بأسهم ، وان صالح يوقنا القوم نكن نحن قد سبقناه الى الصلح ، وان غلب ورجع سالًا لم نبلغه ولم نعلمه ، واستوى رايهم على ذلك فخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا طريقا غير طريق يوقنا حتى اشرفوا على عسكر المسلمين فنادوا الفوث الفوث وكان العرب قد علمت أن الفوث بالرومية هو الامان ، وقال لهم الامير فمن سمعتموه يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل لئلا يطالبكم الله يوم القيامة وعمر بريء منه فكان العرب يعرفونها ، فلما سمع المسلمون منهم ذلك أسرعوا اليهم وأوقفوهم بين يدى ابى عبيدة . فقال خالد: يوشك ان هؤلاء يطلبون الصلح والامان لانفسهم وهم اهل حلب . قال ابو عبيدة ارجو ذلك ان شاء الله تعالى ، وان صالحوني صالحتهم وهو لا يعلم ما اصابه من الحرب الشديد والقتل العتيد وكان قدومهم عليه ليلا والنيران تضرم بين يديه وكان في العسكر رجال قيام في صلاتهم يتلون القرآن فجعل بعضهم يقول لبعض بهذه الغمال ينصرون علينًا ، فلما سمع الترجمان مقالهم الحبر أبا عبيدة بما قد تناجوا بينهم . فقال أبو عبيدة أنا قوم قد سبقت لنا العناية من ربنا وأنا رجال لا نريد من الله ورسوله بدلا ولن نجزع من قتال الاعداء فأخبرهم الترجمان بدلك ، ثم قال لهم من انتم ؟ قالوا نحن سكان حلب من تجارها وسوقتها ورؤسائها وقد جئنا نطلب منكم الصلح . فقال ابو عبيدة فكيف نصالحكم وقد بلفنا أن بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته وجعل فيها ما يقوته سنين واتخذ الجند وأكثر من ذلك

وما لكم عندنا صلح . فقالوا أيها الامير ان صاحبنا قد خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم . قال أبو عبيدة: ومتى خرج ؟ قالوا خرج سحر ونحن من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه وانا ترجو أنه هالك لا محالة لانه ركب البغى ولم يرض بالصلح وقد اطاع هواه فقد وقع في شرك الردى ، فلما سمع أبو عبيدة بخروج البطريق خاف على طليعته منه . فقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هلك والله كعب ومن معه أنا لله وأنا اليه راجعون ، ثم أطرق الى الارض ففالوا لبعض متمايخ أهل حلب كلم لنا الامير في الصلح قال فكلمه . فقال أبو عبيدة بضجر لا صلح لكم عندنا ، قال فخاف التبيوخ على أنفسهم وقالوا أنا قد اجتمع عندنا من القرى والرسانيق خلق كثير ، فأن صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على عمارتها وعشنا في ظلكم أيام عدلكم ، وأن أنتم أبيتم ذلك فر الناس عنكم وطلبوا اقصى البلاد وشاع الخبر عنكم انكم لا تصالحون فلا يبقى حولكم أحد ، قال فأعلمه الترجمان بما قالوا فجعل ينظر اليهم وأذا قد برز من القوم وصاح رجل أحمر الوجه وكان من حكماء الروم فصيحا بلسان عربى . فقال أيها الامير اسمع ما القيه اليك من العلم الذي أنزل الله في الصحف على الانبياء . قال أبو عبيدة قل لنسمع فإن كان حقا علمناه ، وإن كان غير حق لا نسمعه ولا نعمل به وكان اسمه دحداح . فقال أيها الامير أن الله سبحانه وتعالى أنزل على أنبيائه يقول: أنا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها في قلوب المؤمنين وأني لا أرحم من لا يرحم من أحسن أحسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفا عفوت عنه ومن طلبني وجدني ومن أغاث ملهوفا أمنته يوم القيامة وبسطت له في رزقه وباركت له في عمره واكترث له أهله ونصرته على عدوه ومن شكر المحسن على احسانه فقد شكرني وأنا قد أتيناك ملهو فين خائفين فأقل عثراتنا وآمن روعاتنا واحسن الينا .

قال فبكى أبو عبيدة من قوله وقرا ــ أن ألله يحب المحسنين ــ ثم قال اللهم صل على محمد وعلى جميع الانبياء ، فبهذا والله أرسل نبينا أرسله ألله ألى جميع الخلق والحمد لله على هدايته لنا ، ثم أقبل على المسلمين وهم حوله وفيهم الرؤساء من المهاجرين والانصار وقال لهم : الحمد لله على هدايته ، ثم قال أن هؤلاء أهل متجر وسوقة وضياع وهم مستضعفون وقد رأينا أن نحسن اليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم ومتى كانت المدينة في أيدينا والسوقة معنا فأنهم يميروننا بالعلوفة ويعلموننا بما يعزم عليه عدونا ويكونون عونا لنا عليه . فقال رجل من المسلمين أصلح الله الامير أن مدينة القوم بالقرب من القلعة ولا نأمن أن القوم يدلون على عوراتنا ويخبرون بأحوالنا وما أنى القوم ليخدعونا ألا ترى الى بطريقهم وقد خرج يبغي قتالنا وحربنا فكيف يطلب هؤلاء الصلح منا لا ولا شك أنهم مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين . فقال أبو عبيدة أحسن ظنك بالله وثق بالله فأن الله ينصرنا ولا يسلط علينا عدونا ، فرحم أبو عبيدة أحسن ظنك بالله وثق بالله فأن الله ينصرنا ولا يسلط علينا عدونا ، فرحم الله من قال خيرا أو صمت وأذا أشرط عليهم النصيحة في صلحهم للمسلمين ، ثم

إقبل على القوم وقال اني اريد أن تبذلوا في صلحكم ما بذله أهل قنسرين . فقالوا أيها الامم أن قنسرين أقدم من مدينتنا وأكثر جمعا ومدينتنا خالية من السكان لجور صاحبنا لانه قد اخد اموالنا وغلاتنا واصعد الكل الى قلعته وما بقى عندنا الا الضعفاء ومن لا مال له وانا نسألك الترفق بنا والعدل فينا والاحسان الينا . فقال أبو عبيدة فما الذي تريدون أن تبذلوا في صلحكم ؟ قالوا نعطى نصف ما أعطى أهل قنسرين فقال أبو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على أننا اذا نزلنا بصاحبكم اعنتمونا بالميرة والعلوفة وتبيعون وتشترون في عسكرنا ولا تكتموا عنا خبرا تكونون تعلمونه من أعدائنا ولا تتركوا جاسوسا يتجسس علينا وان رجع اليكم بطريقكم منهزما تمنعوه أن يصل الى القلمة . فقالوا أيها الامير أما قولك هذا أن نمنع البطريق أن لا يصعد ألى القلعة فما نجد الى ذلك من سبيل ولا نقول لك ما لا نفعله ، ما لنا به طاقة ولا بمن معه من أعوانه وحندوه . قال ابو عبيدة فلا تمنعوه من الصعود الى القلعة وعليكم عهد الله وميثاقه والايمان المؤكدة الفليظة أن لا تقولوا هذا القول وأن توفوا لنا كل شرط تم عليكم ، ثم حلفهم بالايمان التي يعرفونها فحلف القوم عن آخرهم وصالحوا عن رجالهم ودوابهم وابنائهم ونسائهم وعبيدهم وسائر أهاليهم وانتهوا على ذلك . فقال أبو عبيدة انكم قد حلفتم وقد قبلنا قولكم وايمانكم فان أصبنا أحدا قد أخلف أو علم من البطريق علما ولم يعلمنا به فقد وجب عليه القتل ، وأخذ ماله وولده حلال لنا لا يطلبنا الله بذمته ، ومتى نقضتم ما شرطنا عليكم فلا عهد لكم غندنا ولا ذمة لكم علينا ولنا عليكم الجزية في العام المقبل . قال سعيد بن عامر التنوفي فرضي أهل حلب بما شرطه عليهم أبو عبيدة واخذوا عهدهم وكتب اسماءهم وعزم القوم على الانصراف الى ديارهم ، وقال لهم أبو عبيدة على رسلكم حتى أبعث معكم من يسير معكم الى مأمنكم فقد وجب علينا حفظكم الى أن تعودوا سالمين الى بلدكم . فقال له الدحداح أيها الامير: اننا ترجع من الطريق الذي جننا منه وما نريد احدا يسير معنا ، فتركهم أبو عبيدة وبات بقية ليلته قلقا على كعب بن ضمرة ومن معه .

(قال الواقدي) ورجع القوم من ليلتهم الى حلب وانفجر الصبح ولم يصلوا ، فلما اشر فوا على حلب نظر اليهم بعض اعلاج البطريق وهم راجعون فأقبل اليهم وسالهم من ابن اقبلتم ؟ وما صنعتم فظنوا انه من اهل حلب فأخبروه بصلحهم مع أبي عبيدة فتركهم ومضى وان القوم استقبلهم اهل حلب فسالوهم فأخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك واقبل العلج حتى اشرف على عسكر يوقنا وهو نازل على اصحاب رسول الله (ص) وقد احاط بهم وهو يظن أنه قد ملكهم وهو يتوقع الصباح أذ أتى عليه العلج . فقال له أيها البطريق انك غافل عما نزل بك ودهمك . قال له وما ذاك يا ويلك ؟ قال له أن أهل بلدك قد صالحوا العرب وكانك بهم وقد ملكوا القلعة وأخذوا الاموال والنسوان ، فلما سمع يوقنا ما أخبر به العلج خشي على قلعته أن يملكوها في

غيبته فانعكس عليه ما كان يؤمل أن يفوز به من الظفر بأصحاب رسول الله (ص) . وكان قد قتل من المسلمين نيف عن المائتين ، وكعب قد اجهد نفسه في الحرب وايقنوا انهم هالكون لا محالة . قال كعب بن ضمرة : وكنت ذلك اليوم صاحب القوم وأنا أثبتهم في الحرب ، والى الحرب انهضهم بهمتى وادفع عنهم بمهجتى فاذا اجحفني القتال وركبني الحرب التجأت الى اصحابي وأنا مع ذلك أتوقع فرجا من الله تعالى وأترقب راية ابى عبيدة ان تطلع فبعد علينا ذلك ولم تزل الحرب بيننا يوما وليلة الى الصباح من اليوم الثاني ، فأقسم بالله أن كان أحدنا ليصلى ولا حصل له زاد يأكله ولا ماء يشربه وأنا بين الياس والرجاء أتر قب طريق قنسرين أن تطلع منه علينا راية الاسلام فما أرى لها اترا ، فرايت عند الصباح جيش العدو وقد اضطرب من جوانبه وقد علت لهم ضجة عظيمة من جميع جوانبه فقلت ما هذا الا مدد لحقهم من البلد أو من الملك فالتجات الى كلمة الشدائد ، وهي لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . قال كعب بن ضمرة ، فوعيش رسول الله (ص) ما قلت الكلمة حتى رأيت جيش العدو وقد انكشف عنا على عقبة فقلت الحمد لله حمد الشاكرين واني أظن أن صائحا صاح بهم من السماء فبددهم أو ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم أر لهم أثرا . قال كعب: فهممت أن أتبعهم فصاح المسلمون الى اين يا كعب أما كفاك ما نحن فيه انزل بنا الى الارض وارض بما نحن فيه من التعب والنصب ونؤدى فرضنا ونريح خيولنا فما رد الله هؤلاء القوم الا بمشيئته وقدرته . قال فنزل كعب وشربوا الماء واسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم واكلوا زادهم واستقبلوا الراحة .

(قال الواقدي) وابطا خبر كعب على ابي عبيدة ، فلما صلى الصبح انفتل من صلاته واقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالدا ، وقال يا ابا سليمان ان اخالت ابا عبيدة ما رقد الليلة غما ، وانه كان يجب علينا الشكر بما فتح الله علينا ، وان نفسي تحدثني بان الذين مع كعب ابن ضمرة قد قتلوا لما اخبرني هؤلاء الذين يسالون الصلح ان صاحبهم يوقنا قد سار اليهم ولم ار اثرا واظن انه صادف اصحابنا وقتلهم وافناهم عن آخرهم ، فقال خالد . والله اني ما نمت مثلك من الفم عليهم فما الذي عزمت ان تصنع ؟ قال الرحيل ، ثم أمر الناس بالرحيل وارتحلوا ، وساروا يريدون حلب ، وعلى المقدمة خالد بن الوليد ، وعلى الساقة ابو عبيدة ، فما كان غير بعيد حتى اشرف على المسلمين خالد بن الوليد وهم نيام ، وقد أقاموا لهم من الديدبان من يحرسهم ، فلما اشرف عليهم خالد والراية في يده رفعها فوق راسه ، فلما رآها الديدبان صاح النفير يا انصار الدين فثاروا عن مضاجعهم كانهم اسد ثائرة واستووا في متون خيولهم واستقبلوا صاحب الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض : هذه والله راية الاسلام والمسلمين ، فنزل خالد وسلم عليهم واتصلت بهم الساقة واقبل ابو عبيدة فلما نظر والمسلمين ، فنزل خالد وسلم عليهم واتصلت بهم الساقة واقبل ابو عبيدة فلما نظر وعب بن ضمرة حمد الله واثنى عليه ونظر الى موضع القتلى مطروحين وما كان من

المسلمين وراوهم ، فلما نظروا الى ذلك عاد فرحهم ترحا واسترجعوا وقالوا: لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أنا لله وأنا اليه راجعون ، وسأل كعبا : كيف قتل اصحابك هؤلاء ومن قتلهم ؟ فأخبره كعب بقتال يوقنا وأنه أشرف هو وقومه ، ومن كان معه على الهلاك حتى لم يبق فيهم حركة ونمنا ليلتنا هذه ، فلما أصبحنا وأذا هم قد صاحوا وانقلبوا راجعين عنا من غير قتال ، فقال أبو عبيدة فسبحان مسبب الاسباب ليت أبا عبيدة قتل أمامهم ولم يقتلوا تحت رايته ، ثم أمر بدفن المسلمين بعدما جمعهم زمرا زمرا وصلى عليهم ودفنوهم بأسلابهم ودمائهم ، ثم قال سمعت رسول الله (ص) يقول « يحشر الله الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يوم القيامة ودماؤهم على أجسادهم : اللون لون الدم ، والربح ربح المسك ، والنور يتلألأ عليهم ويدخلون الجنة » فلما واروهم في حفرهم قال لخالد: أن كان عدو الله يوقنا رجع الى القوم ، وعلم بصلحهم لنا فيلقون منه تعبا عظيما فالحق بهم فقد وجب علينا أن نذب عنهم لانهم تحت ذمتنا وارتحل أبو عبيدة يريد حلب فلما وصل اليها رأى البطريق وجنوده قد احدقوا بأهل البلد وهم يريدون قتلهم ويقال لهم يا ويلكم صالحتم العرب عن انفسكم وصرتم عونا لهم علينا ، قالوا قد فعلنا ذلك وانهم قوم منصورون فقال يا ويلكم أن المسيح لا يرضى بفعلكم فوحق المسيح لاقتلنكم عن آخركم أو تخرجون معى الى قتالهم وتنقضون ما بينكم وبينهم من العهد والميثاق فأخبروني بمن بدأ بهذا الامر حتى ابدا به قال فلم يطيعوه على ذلك ، فقال لعبيده ادخلوا عليهم والتونى بهم لاقتلنهم ، فقد اخبرني فلان أنه لقيهم وعرفني بهم فهجم العبيد عليهم وجملوا يقتلونهم على فرشهم وابواب منازلهم فسمع أخوه يوحنا الضجة في البلد وهم في القلعة فنظر الى اخيه وهو يقتل في الناس وقد قتل من أهل البلد ثلثمائة ، فصاح بهم وبأخيه على رسلك لا تفعل فإن المسيح يفضب عليك وقد نهانا أن نقتل عدونا فكيف بمن هو على ديننا؟ . فقال يوقنا لاخيه انهم صالحوا العرب عن البلد وصاروا لهم عونا علينا . فقال بوحنا: وحق المسيح لا أبقت عليك العرب أبدا وأن لهم من يقتص منك .

قال: ومن يقتص مني ؟ قال: المسيح يقتلك كما قتلتهم بغير ذنب ، فقال يوقنا: الت حملتهم على ذلك وانت اول من ابطش به ، ثم عمد الى أخيه وقبض عليه وجرد سيفه ليعلوه به ، فلما نظر يوحنا الى أخيه وقد جرد سيفه وعلم أنه هالك رفع رأسه الى السماء وقال: اللهم اشهد على أني مسلم وأني مخالف لدين هؤلاء القوم ، وأنا اشهد أن لا أله الا ألله وأشهد أن محمدا رسول الله ، ثم قال لاخيه أصنع ما أنت صانع فأن كنت قاتلي فأني صائر الى جنات النعيم ، فورد على يوقنا من اسلام أخيه مورد عظيم ومن أهل بلده ومن فزعه من المسلمين فحمله الغيظ على أن يرمي برأس أخيه عن جسده والتفت الى أهل البلد فوجدهم يستفيثون فلا يغاثون ويسألونه فلا يجيبهم ولا يكف عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت الجلبة ، وقد أخلوا عليهم البلد من سائر

جوانبها ، وقد ايس اهل حلب من نعوسهم ، واذا بالفرج وقد اتى ، والمعونة وند ادركتهم واشر فت عليهم رايات المسلمين وابطال الموحدين وهم ينادون بكلمة التوحيد ويقدمهم خالد بن الوليد ، فلما نظر خالد الى اهل حلب ولهم ضجيج بالصياح والبكاء قال لابي عبيدة أيها الامير هلك والله أهل صلحك وذمامك كما ذكرت فصاح بجواده وحملة الراية وزعق في القوم وقال افرجوا معاشر الاعلاج عن اهل صلحنا ثم أجاد فيهم الطعن وحمل المسلمون معه ، وبذلوا السيف في الاعلاج ، فلما نظر يوقنا الى ذلك انهزم الى القلعة ومعه بطارقته . قال محصن بن عترة : فرج الله عن أهل البلد بقتل الاعلاج يوم حلب في البلد فمن لجأ الى القلعة سلم ومن طلب الهرب قتلناه قال محصن فكان جملة من قتل يوقنا من أهل صلحنا ، ثلثمائة وقتلنا نحن من اصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون فكانت وقعة عجيبة ففرح المسلمون بها ، فلما قتل من قتل وفرج الله عن أهل حلب ما يجدون أخبروا أبا عبيدة كيف قتل يوقنا أخاه يوحنا وبالقصة جميعها أ،

(قال الواقدي) فلما سمع يوقنا سيوف المسلمين صعد القلمة هو ومن معه من جنده واستعد للحصار ونصب المجانيق ونشر السلاح على الاسوار وكثر آلة الحصار ، وأما أهل حلب فانهم أخرجوا لعساكر المسلمين أربعين أسيرا من البطارقة . فقال لهم أبو عبيدة لاي سبب أسرتم هؤلاء قالوا لانهم من أصحاب يوقنا هربوا المينا فلم نر أن نخفيهم منك لانهم ليسوا منا ولا معنا في الصلح قال فعرض عليهم الاسلام فاسلم منهم سبعة ، وأما الباقون فأبوا فضرب رقابهم وقال لهم لقد نصحتم في صلحكم وسترون منا ما يسركم وصار لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وهذا بطريقكم قد تحصن في هذه القلعة فهل تعرفون لها عورة تدلونا عليها حتى نقاتلهم منها فان فتحها الله علينا جعلناها لكم غنيمة مع ما غنمتم من قومكم حتى نكافئكم بفعلكم الجميل فقالوا الها الامير: والله ما نعرف لها عورة وان يوقنا قد شحن طرقاتها وقطع مسالكها ، ووعر فجاجها ، وهذا ما نعلمه ولولا أنه قتل يوحنا لكان أخذها سهلا لكم . فقال أبو عبيدة وما جرى له ؟ فأخبروه بخبره وحديثه مع أخيه وأنه أسلم بعدما رفع يديه الى السماء وما ندري ما قال غير أننا سمعنا طرف كلامه وهو يقول: اللهم أني أشهد أن لا أله الا أنت وأن عيسي-عبدك ورسولك ومحمدا عبدك ورسولك ختمت به الانبياء وجعلته سيد المرسلين ولا دين أعلى من دينه فاصنع ما أنت صانع ، فلما أسلم قتله . قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال في أي موضع قتله ? ثم وثب وأخذ خالدا معه وجماعة من المسلمين وانوا الى موضع قتله وهو رأس سوق الساعة فوجده ملقى على ظهره وكانه البدر ليلة تمامه مشيرا بأصبعه الى السماء وقد مات واصبعه قائمة فاخذه ابو عبيدة وكفنه وصلى عليه ودفنه في مقام ابراهيم ، فلما واروه اتى الى ابي عبيدة رجل من المسلمين ، فقال أصلح الله الامير انظر الى هؤلاء القوم فان كانوا من حزبنا نصحوا ودلونا على عورات قومهم . فقال لا والله ما يفعلون ذلك أبدا فعندها أقبل أبو عبيدة على المسلمين ، وقال اشيروا على رحمكم الله ، فقال له ذلك الرجل وكان اسمه يونس بن عمرو الغساني وكان رجلاً بصيراً بالشيام وجباله ومدنه وجميع ارضه وعارفا بطريق الشيام أصلح الله الأمير انظر الى ما أعرفه من البلد وما عندي من الرأي .

قال أبو عبيدة : تكلم يا أبن عمرو فأنت عندنا ناصح للمسلمين . فقال أن ألله قد فتح على يدك الشيام وسبهله وجبله وحزنه ووعره وقتل طاغية الكفر وحاميته ، وأما بقايا عساكرهم فهي من وراء الدروب وهي جبال وعرة ومضابق والقوم قد رعبت قلوبهم مما أباد الله منهم ، وليس لهم قلوب يقاتلون بها المسلمين فحاصر هذه القلعة وبث الخيل وشن الفارات في بقايا البلاد وشاطىء الفرات فما لهم زاد يقوم بهم فتبسم خالد من كلام الفسماني ، وقال هذا والله هو الرأي وأنا أشير عليكم بمشورة أخرى: أن نزحف نحو القلعة فلعل الله أن يفتحها في وقتنا هذا فاني أخشى أن طال بنا المقام أن تعطف علينا جيوش الروم من جهة أخرى فيحولوا بينها وبيننا . قال أبو عبيدة : يا أبا سليمان لقد أشرت فأحسنت وقلت فصدقت ، ثم أمر أبو عبيدة بالزحف الى القلعة فترجلت الفرسان عن خيولهم وتجردت من ثيابهم واختلط العبيد والسادات وافتخرت القبائل وانبثت العشائر وتجاوبوا بالاشعار وتداعوا بالانساب . قال مسروق بن مالك فوالله ما رايت في قتال حصون الشام يوبا كان أعظم من ذلك اليوم لاننا كنا نشبه دوران الحرب كدوران الرحى تهشم ما دارت عليه وقد برزنا اليهم في أول حربهم وتبادرت أبطال اليمن وسادات ربيعة ومضر يتلو بعضهم بعضا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا طريق عليها . فاذا دنوا منها أخذتهم الحجارة من كل جانب ورموهم بالمجانبق والفرازات ، وكنت أنا وأصحابي أقرب الناس الى الارض ففزعنا راجعين على اعقابنا يدفع بعضنا بعضا لا نظن أن ينجو منا أحد فوقعت الخدلة في المسلمين وقد شدخت منا الحجارة خلقا كثيرا ، فقتلت بعضنا وبعضنا رمته فكان من جملة من قتل يوم حصار قلعة حلب بالحجارة عامر بن الاصلع الربعي ، ومالك بن خزعل الربعي وحسان بن حنظلة ومروان بن عبدالله وسليمان بن فادغ العامري وعطاف بن سالم الكلابي وسراقة بن مسلم بن عوف العدوي ورجال من أهلُ اليمن من آل عامر ومن بني كلاب وغيرهم وسبعة من بني عبدالله . قال مرزوق بن مالك فلقد كنا نرى بعد ذلك بسنين خلقا كثيرة عرجا من يوم حصار قلعة حلب فعندها نصب أبو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادي بالمسلمين فاجتمعوا اليه . فقال أيها الناس انكم قاتلتم اليوم على غرة فادفنوا الشبهداء وشدوا كل من اصابه جرح فانتدب المسلمون الى ذلك وفرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم . فقال لهم يوقنا ان العرب لا تدنوا من القلعة بعد هذا اليوم ابدا ، وان حاصرونا فلاكيدنهم ولاهبطن الى عسكرهم .

(قال الواقدي) ولقد حدثني عبدالله بن سليمان الدينوري وكأن ممن نقل أخبار الشمام وفتوحه عن ثقات المسلمين . قال حدثني عمرو: أن يوقنا انتخب الفين من خيار

بطارقته وأبطاله ، وقال لهم : انزلوا مسرعين وليحذر بعضكم بعضا وميلوا على طرف عسكر المسلمين اذا خمدت نيرانهم واغتنموا غرتهم وامر عليهم وزيره، و فنزلوا ليلا من القلعة وجعلوا بدورون حول العسكر الى ان اتوا الى مكان ، وقد خمدت نيرانهم ، وكان القوم بادية من أهل اليمن مثل مراد وبني كلاب وعبيدهم . قال عبدالله بن صفوان البكى : كنا تلك الليلة غادين من عدونا آمنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا ، فلم نشمعر الا وجماعة الروم قد هجموا علينا وهم ينادون بلفتهم وقد اعلنوا التبهرج بزينتهم فلا نعلم ما يقولون ووضعوا السيف فينا فكان النجيب منا من استوى على جواده وطلب النجاة وهو لا يعلم من أين هي ولا كيف يتخلص ، وقد وقعت الجندلة في ابطال المسلمين وعساكرهم والقوم ينادون النفير النفير دهينا ورب الكعبة ، وهم يسرعون الى خيمة أبى عبيدة وينادون أيها الامير كبسنا يوقنا ، فعندها ركب الامير في بعض الرجال وجعل يدور حول العسكر فنظر صاحب الروم الى العرب وقد لحقته ، فصاح بأصحابه رقين كان أخد شيئًا فليتركه ويطلب نجاة نفسه . قال عبدالله بن صفوان : أخدوا مَن رجالنا نحو خمسين رجلا من أخلاط الناس وأكثرهم من ربيعة ومضر ومضوا يجمع بعضهم بعضا ويطلبون القلعة ، فلما نظر خالد الى ذلك حمل في اصحابه واقتطع من الروم زهاء من مائة رجل ووضع فيهم السيف فقتلهم عن آخرهم فلما وصل اصحاب يوقنا الى القلعة فتح لهم وأدخلهم ، فلما اضاء الفجر وطلعت الشمس دعا يوقنا بالمسلمين الخمسين رجلاً وهم موثقون بالحبال ، فقربهم الى موضع ينظرهم المسلمون ويسمعون أصواتهم وهم يقولون: لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوا عن آخرهم ، فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك أمر مناديا ينادي في عسكره عزيمة من الله ورسوله ومن الامير أبي عبيدة: على كل رجل لا يكل حرسه الى غيره ، ولكن كل رجل منكم حارس نفسه ، ولا يتكلم بعضكم مع بعض . قال فأخذ القوم حذرهم واعدوا حرسهم ، وأقبل يوقنا يدبر امره في مكيدة آخرى ليكيد بها المسلمين اذ علم انهم محاصرون ومع ذلك جواسيسه تأتيه بالاخبار في الليل والنهار وكان أعظم جواسيسه من متنصرة العرب لانهم كانوا الحسنون لسان الرومية .

قال فبينما يوقنا ذات يوم جالس في قلعته والبطارقة من حوله وقد اضر بهم الحصار واشد ما كان عليهم من أهل المدينة لانهم لا ينظرون الى رجل من اصحابه يعرفونه الا أخذوه وسلموه للمسلمين ، وإذا بجاسوس قد أقبل وهو من عيونه ، فقال له : أيها السيد أن أردت أن تكيد العرب فهذا وقتك ، فقال له يوقنا وكيف ذلك ؟ وما الذي عندك من الخبر ؟ قال أن العلافة منهم قد خرجوا الى وادي بطنان وقد صالحوا الها وعلوفة العرب وميرتهم منه ، وقد رأيت منهم جمالا وبغالا ومعهم طائفة منهم وعليهم القمصان الخلقة وبأيديهم الرماح المشبعة وهم يقصدون القرى في طلب الميرة وهم قليلون وليس هم في كثرة . فلما سمع يوقنا ذلك من جاسوسه ، اختار ألفا من

اصحابه وقال: لهم أصلحوا شأنكم فوحق المسيح لاضيقن على العرب مسالكهم ولاقطعن عليهم طرقاتهم . فلما أقبل الليل فتح لهم الباب ، وسار الجاسوس امامهم حتى استقاموا على الجادة وجعلوا يسيرون تحت جنح الليل فبينما هم كذلك ، اذ هم براع ومعه سرح من البقر يريد بها بلده ، وقد خرج بها من بلد آخر وهو يسير بها سيرا عنيفًا ٤ فلما نظروا اليه اسرعوا نحوه وقالوا احسست بأحد من العرب قد عبر عليك قال نعم والشمس عند الفروب قد اصفرت وهم نحو مائة رجل على خيول وهم مسرعون ومعهم جمال وبغال وهم يريدون الميرة من هذا الوادي من اللين هم في صلحهم ولسنا نخاف منهم ، فقال له القدم عليهم الآن قد القيت علينا من صلح أهل هذا الوادي ما لم يكن عندنا منه خبر فبحق المسيح اخبرنا بأي طريق ذهبت العرب . فقال من ههنا وأوماً بيده الى الشرق فصار البطريق بمن معه ولم يعرفوا أن صاحب البقر منهم حتى اذا قرب الصبح أشرفوا على خيل المسلمين وكان الامر عليها يقال له مناوش ، فلما نظر مناوش الى خيل الروم قد أقبلت أقبل على أصحابه وقال يا بنى العرب هذا بطريق من بطارقة الروم قد أقبل الينا فدونكم أياه والجهاد والصبر على الشدة تنالوا الجنة ثم حمل وحمل معه اصحابه فحملت عليهم الروم فثبت لهم المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وقتل مناوش بن الضحاك والفطريف بن ثابت ومنيع بن ثابت ومنيع بن عاصم وكهلان بن مرة فقتل من المسلمين ثلاثون رجلا كلهم من طيء وانهزم الباقون وملكت الروم ما كان مع المسلمين من الابل والبفال وعاد المسلمون منهزمين فعند ذلك أقبل البطريق على أصحابه ، وقال أرموا الاحمال عن هذه الدواب واعقروها وسوقوا بقية الدواب بما عليها فانها لنا ميرة واطلبوا الجبل واختفوا عن أعين العرب والا ففي هذه الساعة تطلع علينا خيول العرب كالرياح تهزمكم فأكمنوا حتى أذا جاء الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها ففعلوا ذلك وقتلوا الجمال وساقوا الدواب والتجؤا في الجبل الى قرية فأقاموا بقية يومهم يرقبون الليل ليرجعوا الى القلعة واقاموا لهم ديدبانا . قال عوف صباح الطائي كنت في الخيل لما قتل عمى مناوش ، ونحن في قلة وقد دهمتنا الخيل ، فلما نظرنا الى كثرة الروم وشدة بأسهم مع قلتنا اخذنا على انفسنا واتينا المسلمين فبادر الينا أبو عبيدة ، وقال لنا ما وراءكم قلنا: الحرب والطعان ، قتل منا مناوش وقتل معه خلق كثير من فرساننا واخذ ما كان معنا من الزاد والدواب .

فقال أبو عبيدة وما الذي دهاكم وقد حاصر الله الروم وما يجسر أحد أن يخرج منهم قالوا لا علم لنا غير أنا رأينا بطريقا عظيما قد أشرف علينا وهو في عدة حصنة وخيول كثيرة مستعدين للقتال لا نعلم عددهم ولا من أين أتى مددهم فهجموا علينا ونحن سائرون فأصيب أميرنا وقتل رجالنا وأخدوا ما كان معنا من الدواب والزاد فلما سمع أبو عبيدة ذلك دعا بخالد بن أوليد اليه وقال يا أبا سليمان أنت لها والمعد لمثلها وأنا

(1Y) — YOY —

واثق بالله ثم بك مع اني استخير الله فيجميع اموري ، سر على بركة الله تعالى وخد معك من المسلمين من اردت لعلك ان تقفو القوم وتعانى موضع اثر الوقعة دتتبع آثارهم عسى الله أن يوقعنا بهم واطلبهم أينما كانوا وحيث ساروا لعلك تأخذ بثار المسلمين ، واعلم أننا صالحنا أهل الوادى وأننا لا ننقض عهدنا ولا نحول عن قولنا ألا أن يكون القوم قد مكروا بنا فنجد الى قتالهم سبيلا فاتق الله فيهم ، سر يرحمك الله . قال فأسرع خالد الى خيمته ولبس السلاحه واستوى على متن جواده وهم بالمسير وحده . فقال له أبو عبيدة الى أين يا آبا سليمان ؟ قال له أسارع الى ما أمرتني به . فقال له خد من اردت معك من المسلمين ، فقال خالد أنا امضى وحدى وما اربد احدا فقال له ابو عبيدة كيف تمضى وحدك وعدوك في عدد كثير ؟ قال خالد لو كانوا في الف أو الفين القاهم بمعونة الله تعالى . فقال له أبو عبيدة انك كذلك ولكن خذ معك رجالا قال فأخذ ضرارا وامثاله وسار حتى أتى الى موضع الوقعة فرأى القتلى مطروحين ورأى حولهم اهل الوادى وهم يبكون خوفا من المسلمين على أنفسهم وذراريهم وأن العرب تطالبهم بهم ، فلما طلع عليهم خالد ومن معه كأنهم شعلة نار تصارخ القوم في وجهه والقوا انفسهم بين يديه ، فقال لهم خالد من هؤلاء القوم الذين قتلوا اصحابنا ؟ قالوا انا نحن بريئون من دماء اصحابكم ونحن في صلحكم فاستحلفهم خالد أنهم لا يعلمون من قتلهم فحلفوا له فقال لهم من الذي اوقع بأصحابي ؟ فقالوا بطريق بعثه يوقنا من القلمة ومعه الف فارس من أشد قومه وأن لهم في عسكركم عيونا يخبرونه بما أنتم فيه كل ساعة ، فقال لهم وفي اي طريق قصدوا . قالوا في هذا الطريق ، فقال خالد أو ما حلفتم ان ما عندكم علم بهم ، قالوا هذا الذي يخبرك من أهل حلب قد أتى يشترى طعاما ولولا انك اقبلت في هذه الساعة ما كنا عرفنا من قتلهم ، فقال له خالد أعلى هذا الطريق اخدوا . فقال له الرجل نعم ورايتهم يطلبون الجبل ، فقال خالد لاصحابه ان القوم علموا انهم لا بد لهم من خيل تطلبهم وتتبعهم وقد عدلوا عن طريقنا حتى اذا هجم عليهم الليل رجعوا الى قلعتهم فعولوا على المسير في طلبهم . ثم أنهم ارخوا الاعنة وخالد يقدمهم وقد اخذ معه رجالا من المعاهدين يقفون بهم أثر الطريق والقوم ، فلما حصلوا على الطريق . قال خالد لواحد من المعاهدين الهم طريق الى قلعتهم غير هذا ؟

قال: نعم ولكن كن ههنا فانك تفوز بهم ان شاء الله تغالى فنزل خالد ومن معه في القادي ، وهم يرقبون الطريق فما مضى من الليل الا قليل اذ سمع وقع حوافر الخيل والبطريق امامهم والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويحثهم على المسير ، فلما توسطوهم صاح خالد صيحة شديدة ووثب خالد كأنه الاسد وخرج عليهم هو واصحابه فما كان قصد خالد غير البطريق وظن انه يوقنا فضربه ضربة رماه نصفين وقد وضعوا السيف فيهم وجعلوا يطلبونهم وهم في الهرب فلم ينج منهم الا من أطال الله أجله وحازوا جميع ما معهم واتوا برأس البطريق الى أبي عبيدة على رأس رمح فوجدوه

متلهفا على قدومهم ، فلما أشرف خالد بمن معه من الاساري والاسلاب والدواب هللوا وكبروا . فأجابهم العسكر بالتهليل والتكبير ، قال وأتى خالد ومن معه بالراس والاسلاب والاسارى ، فكانوا أزيد من ثلثمائة اسير ورؤوس القتلى سبعمائة فعرضوا عليهم الاسلام فأبوا ، وقالوا نحن نعطيك الفداء . فقال خالد نضرب رقابهم قبال القلعة لنوهن بذلك عدو الله قال فضربت رقابهم قبال القلعة ، فقال خالد انا كنا نظن انا محاصرون القوم واذا نسن بخلاف ذلك وهم برقبون غفلتنا وينتظرون غرتنا ، وقد قتلوا جمالنا والدواب والصواب أن نجعل عليهم حرسا في كل طريق يمكننا ولا نمكنهم ان يخرجوا من قلعتهم ونضيق عليهم ما استطعنا . قال أبو عبيدة جزاك الله خيرا يا إبا سليمان ما أبصرك بالامور، ، فلما كان من الفد وصلى أبو عبيدة بالناس صلاة الفجر دما بعبد الرحمن بن أبي بكر وبضرار بن الازور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق ففرقهم حول القلعة ومعهم من اختاروا وامرهم ان بمسكوا الطريق والمسالك على يوقنا حتى لو طار طائر منها أو اليها اقتنصوه وأقام القوم على ذلك مدة ، فلما طال عليهم ذلك ضجر أبو عبيدة لطول مقامه فأمر الناس بالرحيل عنهم وعزم أن يتباعد عنهم "أي عن القلعة لعل أن يجد منهم غفلة فينتهزها . قال فيعد عن المدينة فنزل بقرية بقرب منها يقال لها النيرب وهو يريد حيلة بصل بها الى يوقنا . قال ويوقنا لا ينزل من القلمة ولا يفتح بابها ، ففكر أبو عبيدة غاية الفكرة ، وقال لخالد با أبا سليمان أن جواسيس عدو الله تكشف أخبارنا ويوصلها اليه وتخوفه فاني اقسم عليك يا أبا سليمان الا ما جلت في عسكرنا جولة واختبرت أمر الناس فلعلك تقع بأحد من جواسيسه . قال فركب خالد وأمر الناس أن يدوروا في عسكرهم وان يقبضوا على كل من انكروه . قال فبينما خالد في طوافه اذ نظر الى رجل من العرب المتنصرة وبين يديه عباءة يقلبها فجعل خالد يرقبه فاستراب الرجل منه فناداه ، وقال من أي الناس أنت يا أخا العرب ؟ . قال أنا رجل من اليمن . قال من أيها ؟ قال فاراد أن يقول وينتمي الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه أ فقال أنا من غسان ، فلما سمع خالد كلامه قبض عليه ، وقال له يا عدو الله أنت عين علينا لعدونا . قال ما إنا متنصر وأنا مسلم فأتى به الى أبي عبيدة ، وقال أيها الامير قد رابني أمر هذا لانني ما رايته قط الا يومي هذا وقد ذكر أنه من غسان ولا شك أنه من عباد الصليب . فقال ابو عبيدة اختبره ما أبا ساليمان قال وكيف اختبره ؟ قال اختبره بالقرآن والصلاة، فإن أجابك والا فهو كافر. فقال له خالد: فصل ركعتين وأجهز بالقراءة فيهما فلم يدر ما يقول . فقال له خالد انت يا عدو الله عين علينا . ثم استخبره عن شأنه فأخبره واقر أنه عين عليهم ، فقال له خالد أنت وحدك ؟ قال لا ولكنا ثلاثة أنا أحدهم والاثنان قد ذهبا الى القلعة ليخبرا يوقنا بخبركم ، وأنا قد تخلفت لانظر ما يكون من أمركم ، فقال أبو عبيدة أخبرني أيما أحب اليك: القتل أو الاسلام فليس بعدهما شيء . فقال الفساني إنا أشهد أن لا أله إلا ألله وأشهد أن محمداً رسول الله ، ثم رجع

أبو عبيدة الى حلب وما زالت القلعة محاصرة اربعة اشهر ، وقيل خمسة اشهر ، وأبطأ خبر أبي عبيدة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) فكتب الى أبي عبيده يقول: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله ابي عبيدة سلام عليك ، فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد (ص) ، واعلم يا أبا عبيدة أن بانقطاع كتابك وابطاء خبرك يكثر قلقي ويضني جسدي على اخواني المسلمين وما لي ليل ولا نهار الا وقلبي عندكم ومعكم . فاذا لم يأت منك خبر ولا رسول فان عقلي طائر وفكري حائر ، وكأنك لا تكتب الى الا بالفتح أو الفنيمة ، واعلم يا أبا عبيدة انني وان غائبا عنكم فان همتي عندكم واني داعي لكم ، وقلقي عليكم كَقَلَقُ الوالدة الشَّمُوتَة على ولدها ، فاذا قرأت كتابي هذا فكن للاسلام والمسلمين عضدا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعث الكتاب الى أبي عبيدة . فلما ورد عليه وقرأه عليهم . قال معاشر المسلمين: اذا كان أمير المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم في فعالكم فان ألله ينصركم على عدوكم . ثم كتب جواب الكتاب يقول: بسم الله الرحمن الرحيم: الى ابي عبدالله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، من عامله بالشيام أبي عبيدة : سلام عليك ، واني احمد الله تعالى وأصلى على نبيه ، وبعد يا أمير المؤمنين فأن الله تعالى له الحمد قد فتح على أيدينا قنسرين ، وقد شننا الفارة على العواصم وقد فتح الله علينا مدينة حلب صلحا ، وقد عصت علينا قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقها يوقنا ، وقد كادنا مرارا وذكر له ما جرى له مع أخيه يوحنا وأنه قتل منا رجالا ورزقهم الله الشهادة بملى يديه . ثم انه ذكر له من قتل والله تعالى من ورائه بالمرصاد ، وقد اردنا الحيلة عليه فلم نقدر واردت الرحيل عنه وعن محاصرته الى البلاد التي بين حلب وانطاكية ، وانا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ، وبعث الكتاب مع عبدالله بن قرط وجعدة بن جبير فسارا الى أن أخذا في طريق هيشت العتيقة وجدا في السير حتى قطعا إرض الجفار الى صكاصكة وهي حصن العرب قريبة من تيما ، فلما وصلا اليها عارضهما فارس وعليه درع سابغ وعلى رأسه بيضة تلمع ، وهو معتقل برمح كأنه قد برز الى عدوه او قاصد الى قتال ، فلما نظر اليهما قصدهما ، فقال عبدالله بن قرط لجعدة ابن جبير: يا ويلك اما ترى هذا الفارس ، وقد عارضنا في مثل هذا المكان على مثل هذه الحالة فقال له جعدة: وما عسبى أن نتخوف من فرسان العرب ورجالها ، وليس في هذا الموضع من رفع عمودا أو ضرب وتدا الا وأصبح معنا ودخل تحت طاعتنا وفي شريعتنا ، خلما قرب الفارس منا سلم علينا ، وقال من اين أقبلتما والى اين قاصدان ؟ فقالا له نحن رسولان من الامير أبي عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) فمن انت أيها الرجل ؟ قال أنا هلال بن بدر الطائي . فقالا له ما لنا نرى عليك آلة الحرب . قال أنى خرجت في طوائف من قومي وجماعة من أصحابي نريد الشام للجهاد ، لكتاب ورد علينا من عمر بن الخطاب . فلما رايتكما في بطن الوادي قصدتكما لانظر ما قصتكما ، ولى أصحاب من ورائى مقبلون .

ثم سلم عليهما وولى فركضا مطيهما وسارا واذا بالخيل قد أشرفت ، والابل قد أقبلت تتبع هلال بن بدر ارسالا يتبع بعضها بعضا الى أن لحقوه فأخبرهم بقصة صاحبي رسول الله (ص) ففرحوا بذلك وساروا يريدون الشام ، واما عبدالله بن قرط وجعدة بن جبير فانهما وصلا المدينة ودخلا المسجد وسلما على عمر بن الخطاب وعلى المسلمين ودفعا له الكتاب ، فلما قرأه استبشر ورفع كفيه الى السماء ، وقال اللهم اكف الناس شر كل ذي شر . ثم أمر مناديا في ألناس الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس قرأ عليهم كتاب أبي عبيدة ، فلما قرأه قدم عليه من حضرموت وأقاصي اليمن من همدان ومدان وسبا ومارب يسألونه أن ينفذهم الى الشام ، فقال لهم عمر في كم انتم بارك الله فيكم ؟ قالوا نحن زهاء من أربعمائة فارس وثلثمائة مطية مردفين ومعنا أناس يمشون لمي أقدامهم لا ركاب لهم ، فإن كان عند أمير المؤمنين ما يحملهم عليه حتى نصل الى عدونًا ، فقال لهم عمر وكم يبلغ الرجال الذين معكم ، قالوا أربعين ومائة رجل ، فقال لهم عرب أو موال ، قالوا عرب وموال اذن لهم ساداتهم في الجهاد والمسير الى الاعداء ، فعندها دعا عمر بعبدالله ابنه (رض) ، وقال امض الى مال الصدقات فأت القوم بسبعين راحلة ليعتقبوا عليها ويحملوا زادهم وميرتهم على ظهورها فأسرع عبدالله بن عمر واتي بسبعين بعيرا وسلمها اليهم ، وقال لهم جدوا رحمكم الله الى اخوانكم المسلمين واسرعوا الى حرب عدوكم ، ثم كتب الى ابي عبيدة . اما بعد فقد ورد على كتابك مع رسلك فسرنى ما سمعت من الفتح والنصر على اعدائكم ومن قتل من الشمهداء ، وأما ما ذكرته من انصرافك الى البلاد التي بين حلب وانطاكية وتترك القلعة ومن فیها فهذا رأی غیر صواب تترك رجلا قد دنوت من دیاره وملكت مدینته ، ثم ترحل فيبلغ الى جميع النواحي انك لم تقدر عليه ولم تصل اليه فيضعف ذكرك ويعلو ذكره ويطمع من يطمع ويجترىء عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع اليه الجواسيس وتكاتب ملوكها في امرك فاياك أن تبرح عن مجاهدته حتى يقتله الله أو سلم اليك أن شاء الله تعالى أو يحكم الله ، وهو خير الحاكمين وبث الخيل في السهل وألوعر والضيق والسعة ... وأكناف الجبال والاودية ... وشن الفارات في حدود المفازات ، ومن صالحكم منهم فاقبل صلحه ومن سالك فسالمه والله خليفتي عليك وعلى السلمين ، وقد انفذت كتابي اليك ومعه عصبة من حضرموت وغيرهم وأهل مشابخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى ورغب في الجهاد في سبيل الله وهم عرب وموال فرسان ورجال والمدد بأتيك متواترا ان شاء الله تعالى والسلام . وختم الكتاب وسلمه لعبدالله بن قرط وجعدة ، وجعل القوم يجدون في سيرهم ومع ذلك يسألون عبدالله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلاد ، وقتل الروم الى أن سألوهما عن مستقر العسكر ، فقال لهم عبدالله : ان جميع المسلمين وأميرهم محاصرون بقلعة حلب وفيها عظيم من عظماء الروم ومعه اعلاج من اصحابة ، وقد تحصنوا في رأس قلعته ، فقالوا له يا أبن قرط ما لهؤلاء لا يدخلون في جملة من صالح من اصحابهم ، فقال لهم يا معاشر

العرب انا لم نر بعد وقعة اليرموك رجالا اشجع من هذا فلقد قتل رجالا وجندل ابطالا وأنه ليفير على اطراف العسكر في وقت صلاتهم فيقتل رجالهم وينهب اموالهم ويرجع الى قلعته وربما أنه يستتر في سواد الليل في طلب العلافة فيقع بهم فيأمر بهم ويأخذ دوابهم وجميع زادهم وميرتهم ، ثم يعود الى قلعته ونحن لا نعلم به ، وأن المسلمين له محاصرون ومنه خائفون حذرون .

قال وكان فيمن سمع كلامه وفهمه مولى من موالي بني طريف من ملوك كندة ويقال له دامس ويكني بأبي الاهوال مشهور باسمه وكنيته وكان اسود كثير السواد بصاصا كأنه النخلة السحوق اذا ركب الفرس العالى من الخيل تخط رجلاه بالارض ، وان ركب البعير العالى تقارب ركبتاه رجلي البعير وكان فارسا شجاعا قويا قد شاع ذكره ونما أمره وعلا قدره في بلاد كندة واودية حضرموت وجبال مهرة وارض الشمر وقد أخاف البادية ونهب أموال الحاضرة ، وكان مع ذلك لا تدركه الخيل العتاة ، وكان اذا ادركته العرب في باديتها تعجبت من صولته وشجاعته وبراعته ، فلما سمع دامس أبو الهول بذكر يوقنا وما فعل بالمسلمين كاد أن يتمزق غيظا وحنقا ، وقال لعبدالله أبن قرط أبشر يا أخا العرب فوالله لاجتهدن في أن يخذله الله على يدى ، فلما سمع عبدالله كلامه جعل ينظر اليه شزرا ، وقال: يا ابن السوداء لقد حدثتك نفسك آمالاً لا تبلفها وأشياء لا تدركها يا ويلك الم تعلم أن فرسان المسلمين وأبطال الموحدين بأجمعهم له محاصرون ولاصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر احد له على شر وقد كاد ملوكا وقهرها . فلما سمع دامس كلام عبدالله بن قرط غضب ، وقال والله يا عبدالله لولا ما يلزمني لك من أخوة الاسلام لبدأت بك قبله فاحذر أن تزدري بالرجال وأن أحببت أن تعرفني فسل عني من حضر من أهلي وما قد تقدم من فعلى الذي من ذكره تطيش العقول وتضيق الصدور كم من عساكر قتلتها وجموع فرقتها ومحافل بددتها وغارات شننتها ولا يضام لي جار ولا يلحقني عار وبحمد الله أنا فارس كرار غير فرار . ثم تركه مغضبا وسار امام الناس وان قوما من العرب قالوا لعبدالله بن قرط يا اخا العرب ارفق بنفسك فانك وايم الله تخاطب رجلا يقرب اليه البعيد ويهون عليه الصعب الشديد وانه لجليد فريد لا تهوله الرجال ولا تفزعه الابطال أن كان في حرب كان في اولها لا يدركه من طلب ولا يفوته من هرب ، فقال عبدالله لقد كثر وصفكم واطنبتكم في ذكركم وارجو أن يجعل الله قيه خيراً و فرجاً للمسلمين ، قال ثم أخذ القوم في حِد السير حتى قدموا حلب الى أبي عبيدة ، وهو منازل أهل قلعة حلب ومحاصرها وقد أحاط المسلمون بالقلعة من كل جانت ، فلما أشرف القوم عليهم أخذوًا في زينتهم وجردوا سيوفهم وأشهروا سلاحهم ونشروا راياتهم وكبروا باجمعهم وصلوا على نبيهم . فأجابهم أهل العسكر بالتكبير من كل جانب واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم وسلموا عليه ونزل كل قوم عند بني عمهم وعشيرتهم ، ويوقنا ما زال في كل ليلة ينشبط اليهم برجاله ويناوشهم وذلك أنه كان لا يقاتلهم الا قليلًا ولا يظهر من القلعة نهارا أبدا وكان اكثر خروجه في وقت رخروج الناس ، فلما بات المسلمون القادمون في تلك الليلة ونظرت طيء وسنيس ونبهان وكندة وحضرموت الى شدة الحرس وعظم حرسهم وحدرهم أقبل دامس ابو الهول على اهله الذين نزل عليهم من طريف وكندة ، فقال لهم دامس والله ما انتم محاصرون لا محالة . فقالوا له وكيف ذلك . قال لان العدو في راس قلعة وانتم قدام العدو من الارض لقربكم ولا عسكر بازائكم تخافونه فما هذا الخوف ؟ . قالوا يا ابا الهول ان صاحب هذه القلعة علج ميشوم يرتقب غفلتنا ويفير على اطرافنا وياتينا من مامننا فبينما دامس يخاطب القوم واذا بالضجة قد وقعت في طرف عسكر المسلمين ولها جلبة عظيمة فوقف دامس منتضيا حسامه متنكبا حجفته وطلب الناحية التي سمع منها الصوت حتى بلغ اليها واذا بيوقنا في خمسمائة رجل ابطال انجاد وليوث شداد وقد وجد غرة من القوم ، فلما نظر دامس الى الروم وقع في وسطهم ، وحعل نقول:

انا أبو الهول واسمي دامس أكر في جمعهم مداعس ليث هزبر بطل ممارس مدمر كـل عدو ناكس

قال وجعل يضرب في اعراضهم بسيفه ومعه طائفة من بني طريف من شجعانهم و فرسانهم ، فلما نظر بوقنا ما نزل به تقهقر الى ورائه ، وقد قتل من رجاله مائتان ودامس يكر عليهم ويتبعهم الى راس درب القلعة وكندة من ورائه فناداهم أبو عبيدة: عزيمة مني عليكم أن لا يتبعهم منكم أحد في ظلمة هذا الليل ، فقال الناس يا أيا الهول ان الامير بعزم علينا وعليك بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله ، وتراجع القوم الى رحالهم ، وقد ابليت كندة بلاء حسنا والناس قد خرجوا فلما أصبح الناس احتمعوا للصلاة مع ابي عبيدة ، فلما قضيت الصلاة تفرقوا ولم يبق الا نفر يسير من امراء المسلمين فجعلوا يذكرون ليلتهم . فقال خالد اصلح الله الامير لقد رأيت كندة وقد أبليت بلاء حسنا ، وقد تقدمت رجالها وثبتت أبطالها ، وما زالت تضرب حتى ازالت عنا جامية الكفر والعدو ، فقال أبو عبيدة : صدقت والله يا أبا سليمان ، والله لقد اسميت الناس كندة بثباتها والله لقد سمعتهم يقولون: أحسن دامس وأجاد أبو الهول ، فقام الى أبي عبيدة رجل من رؤساء كندة يقال له سراقة بن مرذاس بن يكرب ، فقال اصلح الله الامير دامس هو أبو الهول ، وهو مولى طريف قدم مع هذا الوفد الذي ورد بالامس ، وهو رجل يفجر ويهول على الابطال ويفضح الشجعان ويدل الاقران ، لا يهوله جمع ولا يصعب عليه غارة ، فقال أبو عبيدة لخالد أما تسمع كلام سراقة في عبدهم دامس ، فقال خالد يوشك أن يكون صادقا في قوله ، ولقد سمعت بذكره وحديثه وشجاعته وبراعته ، ولقد اخبرني رجل يقال له النعمان بن عشيرة المهري أن دامسا هذا اغار وحده وهم على ساحل البحر في سبعين رجلا من أهل مهرة ، وكان دامس هذا يطلبهم لاجل ثار كان له عند القوم ، وكانوا يخافون منه ومن شره وباسه ،

فكانوا مع ذلك يفتدون بأموالهم ودوابهم ويهربون الى أطراف الجبال وسواحل البحر حذرا منه ، وكان مع ذلك يسال عن أخبارهم ويطلع على آثارهم ، فلما أصبح عند نزولهم على ساحل البحر استصرخ قومه للفزو فتتماغلوا ولم ينفر منهم أحد معه ، وكان خبيرا بالبلاد سهلها ورعرعها برها وبحرها ، فلما أيس من قومه دخل الى خبايته واحتمل رزمة على عاتفه فأتاه أناس من قومه وقالوا له: الى أين تريد وما هذا الذي معك ؟ ، فقال يا قوم أنا أريدُ الفارة على بني الشبعر وآخذ بالثار وأكشبف العار ، فقال له مشايخ الحي ما رأينا أعجب من أمرك وأنت تعلم أن بني الشعر سبعون ، فمن يريد ان يغير عليهم وحده وبأخذ منهم بالثأر ؟ وما سمعنا بهذا أبدا ، وأنا نرى أن تقصد جواد ، وكانت جواد هذه امة لبني حياس من الحضارمة ، وكانت بقرية من قرى حضرموت يقال لها اسفل ، وكان دامس هذا يهواها وكل ما يأخذه من الاموال والخيل والابل يدفعه اليها ولا يعظم عليه كثرته ، وكان لا يرضى لها بالقليل ولا يشبع لها بالكثير فظن القوم انه مضى اليها وقصد نحوها بحملته التي معه من رزمته ، فقال لهم وايم الله اني بطل فما تظنون ؟ وسوف تعلمون أن ما أفعله الحق واليقين . قال فرجع قومه وتركوه وسار الى أن أتى الى مرعى قومه فأخذ راحلته من ابلهم ورحلها وأخذ سيفه وحجفته ، وجعل الرزمة تحته وسار بقية يومه وليلته ، حتى اذ كان آخر الليل عطف بالراحلة الى بعض الاودية فأبركها وحل رحلها وعقلها ودورها ترعى معقولة ، ثم كمن بين حجرين ، وكان قريبا من القوم ويخاف أن يدوروا به ، فلما مضى عليه نهاره وأقبل ليله اتي الى راحلته وابركها ورحلها واستوى في كورها ، وسار حتى أشرف على نار القوم فعدل بناقته حتى اشرف على الحي ، وكان في ذلك الشرف شجر من الطلح فأبرك ناقته وزم شدقها، لئلا ترغو فيسمع القوم رغاءها . ثم عمد الى رزمته فحلها واستخرج منها الثياب واتى الى تلك الشبجرة ، فجعل على كل عود منها مثل عمامة الرجل ، ويأتي بالعود ينصبه ويسنده بالحجارة ويطرح عليه الازار ، ولم يزل حتى اقام اربعين عودا على هذه الصفة ، وجعل عليه حلة حمراء ارجوانية وهبط من ذلك الشرف الذي عليه الثياب وقصد الحي ودار حول بيوتهم وتفكر في امره ، وكيف يحتال وقد مضى اكثر الليل . ثم صبر الى أن طلع الفجر وسار نحو الساحل ، فلما قرب منهم صاح فيهم وقال: دنا أجلكم أنا أبو الهول ولقد أصبحتم بالويل وأخذتم من البر والبحر ، وجعل ينادي يا لثار طريف يا آل طريف يا آل كندة ، فلما وقع صوته في اسماعهم ذهلت رجالهم وتصارخت نساؤهم وفزع القوم بين يديه من البيوت هاربين والى الساحل نحو الجبل طالبين وهو من خلفهم ، فلما راوه وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلونه وطمعوا فيه لما راوه وحده ولم يروا أحدا من ورائه واخذوا في طلبه ، فجعل یکر علیهم ویرجع عنهم ویقتل رجلا بعد رجل ، فلما نظروا الی شدة باسه وعظم مراسه وهول صولته وشدة حملته ارادوا أن يسبقوه الى الشرف ليأتوا اليه من ورائه ، فلما علم أنهم قد قاربوا الاعواد التي عملها وعليها الثياب خاف أن ينظروا اليها ويعلموا ما فعله من المكر ، فسبقهم الى الشرف وسار امامهم وأقبل على الاعواد مخاطبا لها كانه يخاطب الرجال وهو يقول: يا أهل كندة يا أهل طريف أياكم والقوم ، قد أتتكم الرجال فلا تحملوا عليهم وأنا أفديكم بنفسي ، فأن رأيتم على الحيف فأحملوا على القوم ، فمد القوم ابصارهم اليه فوجددوا عنده الثياب على الاعواد في انشقاق الفجر فلم يشكو أنهم رجال فانقلبوا راجعين نحو البحر ، وجعل دامس ينادي الا يا قوم اقسمت عليكم أن لا تبرحوا من اماكنكم وأنا اكفيكم مؤنة القوم وحدي قرجعت بنو مهرة ناكصين على أعقابهم . هذا قد اردف زوجته ، وهذا أولاده وهذا أمته وهذا اخذ ما قدر عليه من أثاثه ورجع أبو الهول إلى الحي ، فلم يصادف فيه إلا العبيد والصبيان والمشايخ والعجائز فامر ألعبيد أن يوقروا الجمال فحملوها وكتفهم وساق الجميع قدامه وعاد وأخذ الثياب من على الاعواد ولحقهم وأتى بهم ديار قومه فعجبوا منه ومن فعاله ، فلما سمع أبو عبيدة ذلك من خالد أقبل على سراقة وقال له: أدع لي عبدكم حتى أنظر اليه وأسمع كلامه فاتى به سراقة ، فقال له أبو عبيدة أنت دآمس . قال نعم أصلح الله الامير ، فقال له بلغني عنك عجائب وأنت وايم الله أهلها ، لانك جزل من الرجال واعلم أنك وقومك تقاتلون في بلاد سهلة لا تأتون الجبال ولا القلاع ، ولقد اقتحمت البارحة اثر القوم اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحدر من هذآ البطريق يوقنا ، فقال له دامس أصلح الله الامير لقد غزوت مهرة وأخدت أموالها ، وأن جبالها منيعة شامخة رفيعة ذات وعر وحجر ، وما هذه بأمنع من تلك الجبال ، فقال أبو عبيدة أنا أراك نجيبا فهل حدثتك نفسك من أمر هذه القلعة بشيء ؟ ، فقال دامس أصلح الله الامير انى لما قدمت عليك في هذا الوقت كنت رايت في نومي رؤيا ، فقال أبو عبيدة وما الذي رأيت ؟ اراك الله الخير . قال رأيت كأني سائر في وطأة من الارض واني مجد أطلب قومي ، فبينما أنا في مسيري أذ أشرفت عليهم وهم حائرون لا يتقدمون ولا يتأخرون فناديتهم : يا قوم ما شانكم واي شيء عرض لكم في طريقكم ؟ فقال لي القوم ما ترى هذا الجبل كيف قد عرض لنا في آخر هذا الطريق وليس لنا فيه مسلك ولا مطلع ، فقلت على رسلكم الا ترون هذه الفجوة في هذا الجبل ؟ فقالوا هيهات ليس لنا فيه منفل ولا مطاع ، فقلت ولم ذلك . قالوا لان فيه ثعبانا عظيما لا يمر به احد الا وأهلكه ، وقد قتل رجالا وجندل أبطالا ، فقلت يا قوم الا تهجمون عليه بأجمعكم ؟ . قالوا لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من أنفاسه وليس لنا عليه من سبيل ، فقلت لهم فالتمسوا لكم طريقا من وراء ظهره . فقالوا لا نقدر على ذلك من عظم جئته فتركتهم والتمست لي طريقا فلم أجد الاطريقا صعبا حرجا فاقتحمته فمأ سلكته الا بعد المشبقة واليت الى الثعبان من ورائه فقتلته ، ثم اشرفت على قومي فاتبعوني ، فما وصلوا الا بعد جهد جهيد وهم آمنون من عدوهم ، ثم استيقظت فرحا مسرورا .

فقال أبو عبيدة خيرا رايت وخيرا يكون يا دامس . أما رؤياك هذه فانها للمسلمين

بشارة ، ولعدونا خسارة ، ثم قال له اجلس مكانك ، وأمر أبو عبيدة أن ينادى المسلمين فحضر رؤساء المسلمين واعيانهم ، فلما حضروا قال ابو عبيدة : الله أكبر فتع الله ونصر ، وحبانا بالظفر ، وخذل من كفر ، ثم قال : يا معاشر المشلمين اسمعوا رؤيا أخيكم دامس فانها عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن افتكر . قال فأقبلوا يسمعون له ، فعندها قام أبو عبيدة على قدميه وقال: الحمد لله وصلى الله على رسوله وسلم ، ثم قال يا معاشر الناس أن الله سبحانه وتعالى له الحمد قد وعدنا في كتابه على لسان نبيه محمد (ص) الغلبة على أعدائنا والظفر بمرادنا ، وما كان الله ليخلف وعده ، واني نذرت ان فتح الله هذه القلعة على يدي اصنع من البر ما استطعت ، والآن قد هجس في نفسي ووقع في قلبي أنا ظافرون بهذه القلعة ومن فيها أن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوة الأ بالله العلى العظيم ، لانه قد دلني على ذلك رؤيا هذا الفلام . ثم قبض بكفه على زند أبى الهول وقال له: رحمك الله حدث اخوانك بما رأيت في منامك فقام دامس قائما وقَّال ؛ اعلموا اني رايت في منامي كذا وكذا وجعل يقص على الناس رؤياه من اولها الى آخرها ، فلما فرغ منها أقبل المسلمون على أبي عبيدة وقالوا له أيها الامير قد سمعنا قوله وحفظنا شرحه ، فما تأويل رؤياه ؟ . قال أبو عبيدة : اعلموا رحمكم الله ، إما الجبل الذي رآه عاليا شامخا شديد الامتناع بين الشعاب والقلاع فذلك دين الاسلام بلا شك وسنة محمد (ص) ، وأما الثعبان الذي رآه وقدمنع الناس وقد هجم عليه بسيفه فأمر حسن هو أن يفرج الله على يديه على المسلمين ففرح الناس بتأويل أبي عبيدة . وقالوا أيها الامير فما آلذي تأمرنا به ، فقال آمركم بتقوى الله سرا وجهرا . ثم المكيدة على الاعداء طوعا وصبرا فارجعوا الى رحالكم حفظكم الله واصلحوا شانكم وآلة حربكم وما تحتاجون اليه فاني اقدمكم غداة غد الى اعاديكم الى ان يحدث لى راي غير هذا ، فأني لست ادع الاجتهاد في الراي والمشاورة لمن اثق به وبرايه من المسلمين ، فقالوا بأجمعهم وفق الله رايك أيها الامير وظفرك باعدائك انه سميع عليم ، فعال لما يريد ومضوا الى رحالهم ، فجعل هذا يحد سيفه ، وهذا يصلح آلة حربه وفرسه ، وهذا يتفقد درعه ، وهذا قوسه ونشابه ، وما زالوا كذلك بقية يومهم ، فلما أصبحوا دعا أبو عبيدة بدامس ، فقال له أيها الولد المبارك . ماذا ترى في أمر هذه القلعة وما عندك من الحيلة ، فقال دامس: اعلى أيها الامير انها قلعة منيعة شامخة حصينة تعجز الوافد وتمنع القاصد في أهلها محاصرة ولا تضيق صدورهم من قتال ، غير اني أفكر. في حيلة احتالها أو بلية اعملها وأرجو من الله أن يتم ذلك عليهم ، فيكون تبديدهم ، ونملك بمشيئة الله ديارهم ، ونقلع آثارهم ، فقال ابو عبيدة : يا دامس وما هي ؟ فقال اصلح الله الامير انت تعلم ما في اذاعة الاسرار من الشر والاضرار ، ومن كتم سرَّه كانت الخيرة فيما لديه ، ويقال أن دامسا هذا أول من ثكلم بهذه الكلمة فصارت مثلا ، فقال أبو عبيدة : فما الذي تشير اليه ، وما الذي تعتمد عليه ؟

قال تزحف بعسكرك وجملة من معك من اصحابك حتى تنزلوا بازاء القلعة ليظهر

لهم منك الحرص والهيبة ، واعلم أن في ذلك من الحيل ما أرجو من الله أن يتمها أن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، فأمر أبو عبيدة عسكره بالرحيل فارتحلُوا ونزلوا تحت القلمة وهللوا وكبروا وأظهروا سلاحهم وأرهبوا أعداء الله تعالى . نال فاشرف عليهم الروم ونظروا الى جمعهم فهابوهم والقى الله الرعب في قلوبهم حتى انهم اضطربوا في قلعتهم وماجوا وجعل كبراؤهم يستشيرون فيما بينهم . فقال قوم نقاتلهم ، وقال قوم بل نقعد في قلعتنا فانهم لا يقدرون علينا ، ثم اجتمع رأيهم على القتال من فوق القلعة وقعدوا على الابراج والبنيان وجعلوا يرمون المسلمين بالحجارة والسهام وقد أقاموا على ذلك ليلا ونهارا ودامس مع ذلك يعمل حيلة يصل بها اليهم بسوء . قال فلما كان بعد السبعة والاربعين يوما أقبل دامس على أبي عبيدة وقال له ابها الامير قد عجزت وأنا أعمل حيلا فما صدر من يدي في حقهم شيء وقد افتكرت في شيء وأرجو من الله أن يكون به الظفر والظهور على أعداء الله . فقال أبو عبيدة وما الذي دبرت ؟ قال تضيف الي من صناديد الرجال ثلاثين رجلا وتأمرهم بالطاعة وترك المخالفة والاعتراض على فيما آمرهم به وافعله واراه . فقال أبو عبيدة سأفعل ذلك ، ثم ضم اليه ثلاثين رجلًا من الشجعان حتى اذا اجتمعوا قال لهم أبو عبيدة معاشر المسلمين اني قد امرت دامسا عليكم وامرتكم بالطاعة والقبول لامره واعلموا رحمكم الله اني ما أمرته عليكم لكونه أجل منكم حسبا ونسبا ولا أعظم موكبا ولا أشد بأسا ولا اكثر مراسا فلا يقل أحدكم أنى قد أمرت عليكم عبدا احتقارا بكم ، وبالله أحلف مجتهدا لولا ما يلزمني من تدبير هذا الفسكر لكنت اول من ينطلق معه في جمعكم وأنا أرجو من الله أن يفتح على يديكم ، فأقبلوا عليه بجمعهم ، وقالوا أصلح الله الأمير ما نشك في اعظامك لنا ومعرفتك بسابقتنا ، ولقد كان كلامك الاول أثر في نفوسنا ، وها نحن لك وبين يديك ولو أمرت علينا علجا أغلف لم نخرج لك من أمر ولا رأي اذ علمنا أنك لا تريد الا نصحا للدين وحياطة ، فالسمع والطاعة لله ثم لك ثم لن وليته علينا من قبلك كائنا من الناس اجمعين . قال ففرح أبو عبيدة بما قالوه ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا ، وقال لهم : اعلموا رحمكم الله تعالى أن نفسي تحدثني أن الله تعالى يفتح هذه القلعة على يد هذا ألعبد المقبل لانه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسيروا معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون أن رسول الله (ص) قد ولى قوادا على سادات العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ، ثم أقبل على دامس . فقال له : يا دامس ما الذي تحب بعد هذا ؟ قال ترحل أنت بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالعسكر وتأمرهم بقلة الحركة وان يختفوا ما استطاعوا او يكون لك رجال تثق بشدتهم ونصحهم للمسلمين يتجسسون عن أخبارنا وآثارنا من غير أن يعلم بهم وبنا أحد ويكونون بقير سلاح سوى الخناجر ، فاذا عاينوا منا الظهور على أعدائنا والظفر بهم لحقوك وبشروك بدلك فتلحق بنا أن شاء الله تعالى وليكونوا متفرقين في موضع واحد ، قان ذلك أسلم لهم وأبلغ لما يريدون من أمورهم والله المستعان في جميع الامور

والاحوال .

فعلم أبو عبيدة أنه نصيح من الرجال صاحب راى وبصنيره ، تم أن دامسا أقبل على رفاقه الذين ولى عليهم وقال لهم يا فتيان العرب انهضوا بنا بارك الله فيكم حتى نكمن في بعض هذا الوادي ما دام الناس عازمين على الرحيل لئلا تشرف الروم فينظروا الى رحيلنا فلا يتفق لنا أن نطلب لنا مكمنا أذا أشر فوا من أعلى حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وحجفنه وخنجره لا غير ، ففعلوا ذلك ، فلما تكاملوا لبس دامس لامة حربه وجعل خنجره تحت انوابه واخذ جماعته وخرج بهم حتى اذا فارق المسكر جعلوا يخفون آثارهم وأشخاصهم وهو سائر بهم حتى اتى بهم كهفا في الجبل فأمرهم بالدخول اليه وجلس على بابه . قال واما ابو عبيدة فانه امر الناس بالرحيل بعد ما رتب الرجال كما وصاه أبو الهول فارتحل العسكر وأشرف عليهم أهل القلعة فرأوهم يرحلون ففرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما وصاروا يصيحون على المسلمين من اعلى القلعة وقالوا لبطريقهم ايها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج وراء العرب فلعل ان نقتل أحدا أو نأسره فنهاهم عن ذلك قال وداموا بقية يومهم الى المشاء . فقال دامس لاصحابه من فيكم ينهض الى تحت القلعة ويأتينا بخبر منها اذ يفدر على رجل يأسره فياتينا به فناخل منه خبرا فلم يجبه احد ، فقال أنا أعلم أن ما في هذه الجماعة الا من هو ضنين بنفسه كاره للموت وانا لكم الفداء فانظروا كيف تكمنون ، تم تركهم دامس ومضى ففاب عنهم ساعة واذا به قد اتى ومعه علج وقال لهم يا فتيان العرب دونكم هذا فاسألوه فسألوه فلم يفقهوا قوله . فقال على رسلكم ففاب غير بعيد واتى بثلاثة أخر أأم يكن فيهم من يفهم بلفة العرب . فقال دامس لعن الله هؤلاء ما أفظع لفتهم واكثر طمطمتهم ثم أوثقهم كتافا وغاب الى أن مضى من الليل نصفه ولم يأت فقلق عليه أصحابه قلتما شديدا واغتموا عليه وقال بعضهم لبعض أنا أقول أن دامسا قد فطن به فقتل أو أسر وماجوا في ذكره وهموا أن يرجعوا الى العسكر فبينما هم في ذلك أذ دخل اليهم دامس وهو يقود رجلا من الروم فتواثبوا اليه وقبلوه بين عينيه وسالوه عن ابطائه وقالوا له يا دامس لقد حدثتنا نفوسنا بالعظائم وصعب علينا ابطاؤك عنا . فقال اعلموا رحمكم الله تعالى: أني لما فارقتكم سرت الى قريب من سور القلعة وكمنت لهم وهم يمرون علي وهم يرطنون بلغتهم وأنا لا أتعرض للقوم كل ذلك ، وأنا أطلب من يتعرض للعربية ويتكلم بها فلم ار احدا حتى أيست وهممت بالرجوع خائبا اذ سمعت هدة شديدة قد وقعت من أعلى السور فأسرعت اليها لانظر اليها ما هي فاذا أنا بهذا الرجل وقد القى نفسه من القلعة الى اسفل السور فبادرت اليه واخذته واتيت به اليكم فانظروا ما هو ؟ فدنوا اليه وخاطبوه فلم يكلمهم الا بلفته واذا به قد انفتحت جبهته ، فقال لهم دامس اعلموا أن له شأنا وأي شأن ، وأني أظنه هاربا من القوم وليس فيكم من يفهم ما يقول ولكن على رسلكم فأنا آتيكم بمن يتكلم بلسانه وبالعربية ، ثم أسرع دامس من عندهم فلم يكن الا قليل واذا به قد عاد ومعه رجل قد نزلت عمامته في رقبته وهو يقوده حتى مثله عندنا . فقالوا له من المدينة انت ام من الفلعة ؟ . فقال له دامس ممن انت تكون امن الروم ام من العرب المتنصرة ؟ . قال ولكني مع العرب المتنصرة ؟ فقالوا يا هذا هل لك أن تطلعنا على عورات القلعة أو عورة من عوراتها ، ونحن نطلق سبيلك ولا يتعرض اليك أحد بسوء . فقال يا هؤلاء لست أعرف لهذه القلعة عورة ولا طريقا ولو عرفت لما وسعني في ديني ولا رأيت أن أدلكم عليها وحق المسيح . قال فانفاظ منه دامس وقال له أسأل هؤلاء الاسارى هل فيهم أحد من أهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا . قال فسألهم فلم يجد فيهم أحدا من أهل الربض بل كلهم من أهل القلعة وأنا أعرفهم .

فقال له دامس فاسأل هذا الرجل لم طرح نفسه من السور وما دعاه الى ذلك ؟ فسأله فقال له أنه يقول أن الملك يوقنا غضب على أهل الربض لاجل صلحهم لكم وبعث يتهددهم ، فلما انصر فت العرب نزل يوقنا فجمع رؤوسهم واصعدهم الى القلعة وأنا في حملتهم وطلب منا من الاموال ما لا طاقة لنا به ولا نقدر عليه ، فلما رايت ما قد نزل بنا هربت والقيت نفسى من القلعة أطلب الفرج وأنجو من العقوبة فلم أشعر الا وأنت قد قبضت علي وأنا من أهل الربض ، فأن كنتم من العرب فأنا في ذمتكم وأمانكم فلا تنكثوا ولا تفدروا وان كنتم من غيرهم ، فاطلبوا منى ما أردتم من الفداء فانى قد هربت من العقوبة . فقال له دامس قل له نحن من العرب ولا بأس عليك ولا خوف ولا ينالك منا سوء واراد دامس أن يرى الربض ما يفعل بأعدائه ، فأخرج الروم والمتنصرة وضرب رقابهم ولم يدع غير الربض ، ثم اطلقه واستمروا الى الليل وعمد دامس الى مزوده فاستخرج منه جلد ماعز والقاه على ظهره وأخرج كمكا يابسا وقال لاصحابه: بسم الله استعينوا بالله وتوكلوا عليه وأخفوا نفوسكم وقدموا الحزم في اموركم فاني معول على فتح هذه القلعة أن شاء الله تعالى . فقالوا سر على بركة الله تعالى فقاموا مسرعين ، وتقدم دامس وبعث رجلين من اصحابه يعلمان أبا عبيدة بشأنهم ويقولان له أبعث الخيل عند طلوع الفجر . قال فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه تحت الظلام ودامس على المقدمة يمشي على أربعة والجلد على ظهره وكلما أحس بشيء قرض في الكمك كأنه كلب يفرض عظما وهم من ورائه يقفون أتره وهم يستترون بين الاحجار فلا زالوا كذلك حتى لاصقوا السور وسمعوا اصوات الحرس وزعقات الرجال من اعلى القلعة والحرس شديد قلم يزل دامس دائرا بهم حول السور الى أن أتى الى مكان لم يجد به حسا واذا بحرسه قد ناموا وراء المكان ولم يروا في السور أقرب منه . فقال دامس لاصحابه أنتم ترون هذه القلعة وعلوها وتحصينها وليس فيها حيلة لشدة الحرس ويقظة القوم فما الذي ترون من الرأى أن نصنع بها وكيف الحيلة في الصعود اليها الى أن نحصل في وسطُّها ؟ . فقالوا يا دامس أن الامير أمرك علينا وأنت أدرى منا وأجر أجنانا ونحن لك بين يديك فمهما رأيت فيه الصلاح للمسلمين فلا نتأخر عنه

ووالله ان قتل نفوسنا وذهاب ارواحنا اسهل علينا من الرجوع بغير فائدة فمنك الامر ومنا السمع والطاعة فليس منا من يتأخر عنك ولا نموت الا تحت ظلال السيوف وفي طاعة الله ونصرة دين الاسلام ، فقال دامس شكر الله فضلكم ورزقكم النصر على اعدائكم ، فان كانت هذه نيتكم فالتصقو! بنا الى هذا المكان ، قال وكانوا ثمانية وعشرين رجلا واتنان كانوا ارسلوهم الى الامير يعلمانه بأن يأتي اليهم في الصبح .

فقال لهم دامس افيكم من يقدر على الصعود على هذه القلعة فقلنا له يا أبا الهول وكيف ننا أن نرقى اليها وعلى أي شيء نصل الى أعلاها بفير سلم فقال على رسلكم، ثم انه اختار منا سبعة رجال كالاسد الضواري لو كلفوا حمل ذلك البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم ، ثم جلس على قرافيصه وقال لاحد السبعة اجلس على منكبي وارم بحيلك الى الجدار واجلس كما أنا جالس ففعل الرجل ما أمر به وأمر آخر أن يفعل ويصعد على منكبي الآخر وان يرمى بقوته على الجدار قال ففعل ، ثم انه لم يزل يصعد واحد بعد واحد الى ان صعد الثامن بقوته على الجدار وهم متمسكون به ، فعند ذلك امر الاعلى أن يقوم قائما وأن يطرح حيله على الجدار فقام الاول وقام الثاني ثم قام الثالث ثم قام الرابع والخامس والسادس وكل واحد منهم قد طرح نفسه على الجدار ؛ ثم قام دامس آخرهم فاذا الاعلى قد وصل الى شرافة السور وتعلق بها فاستوى على السور ونظر إلى حارس ذلك المكان فوجده نائما وهو ثمل من الخمر فأخذ بيده ورجله ورماه ، فلما وصل الى الارض قطعوه وأخفوا جسده ووجد من أصحابه اثنين سكارى وهم رقود فذبحهم بخنجره ورمى بهم ، ثم أرخى عمامته لصاحبه ونشله اليه فاذا هو معه على السور وكان دامس قد اعطاه حبلا فبقوا ينشاؤن به بعضهم الى أن تكاملوا على السور واصعدوا من بقى معهم على الارض ، وكان آخر من صعد أبو الهول . فقال لهم مكانكم حتى أقفو الخبر وأكشف لكم الاثر ، ثم أنه أتى ألى دار البطريق وهو في وسط القلعة واذا عنده سادات البطارقة واكابرهم وهم جلوس وبين ايديهم بواطي الخمر ، ويوقنا جالس في وسطهم على بساط من الديباج منسوج من الذهب وعليه بدلة من اللؤلؤ ومعصب بعُصابة من الجوهر والقوم يشربون والمسك والبخور يفوح عندهم فعاد دامس الى اصحابه وقال: اعلموا أن أنقوم خلق كثير وأن هجمنا عليهم فلا نامن الفلبة من كثرتهم ولكن ندعهم فيما هم فيه ، فاذا كان وقت السحر هجمنا على يوقنا ومن معه من الملوك نقتلهم بسيوفنا فاذا ظفرنا بهم وذلهم الله لنا وعلى أيدينا فهو الذي نريد ، وأن كان غير ذلك فيكون الصباح قد قرب ، ولا شك أن الرجلين من أصحابنا قد اعلما خالد بن الوليد فيأتينا . فقالوا ما نخالف لك أمرا ونحن قد صرنا في قلمة هؤلاء الاعداء وليس ينجينا الا صدق جهادنا والعزم والشدة من قوتنا . فقال لهم مكانكم فلعل أن يفتح الباب. قال وكان للقلعة بابان وبينهما دهليز والبوابون داخلهما والرجال تنام عندهم بالنوبة ، فلما وصل دامس الى الباب وجده مفلقا واذا بالقوم رقود من السكر فعاجلهم بالذبح ، ثم فتح البابين وتركهما مردودين ورجع الى اصحابه وقد قرب الفجر فقال لهم ابشروا فاني قد فتحت البابيز وقتلت من كان وراءهما فدونكم والباب فاسبقوهم اليه وخذوه عليهم فقد بقي القوم حصيدا بأسياف المسلمين ان شاء الله تعالى . قال وارسل من يستعجل خالدا ويبشره بذلك ، ثم أرسل خمسة من اصحابه يمسكون إلباب وأخذ الباقين ومشى نحو دار يوقنا فصاحوا عليه ووقع الصياح في القلعة فرجعوا بأجمعهم الى الباب وأخذ كل واحد منهم مكانا يحميه فعندها جاءت الإبطال وصاحت الروم ويلاه كيف تمت علينا هذه الحيلة وصرخ يوقنا بأصحابه فاتوا من كل جانب ، فعندها كبر المسلمون ونادوا بلسان واحد الله أكبر فخيل للروم أن القلعة ملآنة منهم . قال ابن أوس وقاتلت الروم قتالا شديدا ، وأما المسلمون فكانوا كالاسد الضارية فما رأيت أقوى بأسا ولا أشد مراسا من دامس أبي الهول في ذلك اليوم فلقد عددنا في بدنه بعد ما انفصلنا ثلاثة وسبعين جرحا كلها في مقدم بدنه . قال فينما نحن في أشد القتال ونحن يحمي بعضنا بعضا وقد بقي منا ثلاثة وعشرون وقتل منا اربعة وهم أوس بن عامر الحزمي من بني حزم وأبو حامد بن سراقة الحميري والفارع بن مسيب التميمي وفزارة بن مراد العوفي .

(قال الواقدي) لقد حدثني نوفل بن سالم عن جده غويلم بن حازم وكان ممن صحب دامسا في قلعة حلب قال: لما قتل من قتل منا وقد قتل أيضا ملاعب بن مقدام بن عروة الحضرمي وكان ممن حضر مع رسول الله (ص) الحديبية وتبوك ومرارة بن ربيعة العامري وهلال بن امية وهو ابن اخي كعب الذي تخلف عن رسول الله (ص) في تبوك وانزل الله فيه ما انزل ، قال وبقينا عشرين رجلا وتكاثرت الروم علينا في أزيد من خمسنة آلاف وهم سد من حديد ، قال ونحن قد أيسنا من الحياة اذ دخل علينا خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف فوجدنا ونحن في اشد ما يكون من القتال ، فلما دخلوا علينا صاح فيهم خالد فجفلت الروم عنا . قال أوس فلما رأيناهم كذلك وانفرج عنا ما كنا فيه اشتدت قلوبنا فعندها كبرت السلمون ودخل ضرار وامثاله يضربون رقابهم ، فلما راى الروم ذلك وعلموا أنهم لا طاقة لهم بما وقع بهم القوا السلاح ونادوا الفوث الفوث وكفوا انفسهم عن القتال فكفت المسلمون ايديهم عنهم فبينما هم كذلك اذ أقبل أبو عبيدة ومعه عساكر الاسلام فأخبروه أن الروم يطلبون الامان وأن المسلمين قد رفعوا عنهم القتل الى أن تأتي وترى فيهم رايك ، فقال أبو عبيدة قد وفقوا وسددوا فأمر باحضار رجالهم ونسائهم وعرض عليهم الاسلام فكان أول من أسلم بطريقهم يوقنا وجماعة من ساداتهم . قال فرد عليهم اموالهم واهاليهم واستبقى منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والاسر واخذ عليهم العهود أن لا يكونوا الا مثل أهل الصلح والجزية وأخرجهم من القلعة . قال ثم أخرج المسلمون من الذهب والاواني ما لا يقع عليه عدد فأخرج منه الخمس وقسم الباقي على المسلمين واخذ الناس في حديث دامس وحيله

وعجائبه وعالجوا جراحته حتى برات قال واعطاه أبو عبيدة سهمين ثم أن أبا عبيدة طلب أمراء المسلمين وأكابرهم وشاورهم في أمره وقال أن الله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على ايدى المسلمين وما بقى لنا موضع نخافه ، فهل نقصد انطاكية ، وهي دار الملك وكرسي عزهم وفيها بقية ملوكهم مع هرقل فما ترون من الراي ؟ . قال فعندها قام البطريق يوقنا وتكلم بلسان عربي فصيح وقال: أيها الامير أن الله تبارك وتعالى قد أيدكم وأظفركم بعوكم ونصركم وما ذاك الا أن دينكم هو الدين القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو المشهور في الانجيال وهو لا محالة الذي بشر به المسيح ولا شك فيه ولا مراء وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وهو النبي الكريم اليتيم الذي يموت أبوه وامه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك أم لا أيها الامير ؟ فقال أبو عبيدة : نعم هو نبينا (ص) واني يا يوقنا قد حرت في امرك وانت بالامس تقاتلنا ومرادك ان تكسر عسكرنا وتقطع الطريق على علوفتنا واليوم تقول مثل هذا القول ، وقد بلفني انك لا تفهم بالعربية شبئًا فمن أين لك حفظها . فقال لا اله الا الله ومحمد وسول آلله والك تعجب أيها الامير من هذا الامر قال نعم قال له اعلم أيها الامير أني كنت البارحة مفكرا في أمركم وقد وصلتم الى قلعتنا ونصرتم علينا وانه لم يكن عندنا أمة أضعف منكم وتوسوست في ذلك ، فلما نمت رأيت شخصا ابهى من القمر وأطيب رائحة من المسك الاذفر ومعه جماعة فسألت عنه فقيل لي هذا محمد رسول الله فكأني أقول أن كان نبيا حقا فليسائل ربه أن يعلمني العربية وكان يشير الى وهو يقول يا يوقنا أنا محمد الذي بشر بي المسيح وأنا لا نبي بعدى وأن أردت فقل لا اله الا الله وأبي محمد رسول الله فأخدت يده فقبلتها وأسلمت على يديه واستيقظت وفمى من تلك الليلة كالمسك الاذفر وأنا أتكلم بالعربية ، ثم اني قمت الى منزل اخي يوحنا وفتحت خزانة كتب فوجدت في بعض الكتب صفة محمد (ص) وما يكون من أمره ووجدت كل الصفات صحيحة وأن أبفض الخلق اليه اليهود أكان ذلك أيها الامير أم لا .

فقال أبو عبيدة : نعم كانت اليهود تطلبنا أشد الطلب حتى نصرنا الله عليهم واخذنا حصونهم وقتلنا أبطالهم . قال يوقنا وجدت هذا في سيرته وجملة أخباره وان الله تعالى كان يوصيه بأصحابه وبالمسلمين وبالايتام والمساكين أكان ذلك أم لا ؟ قال أبو عبيدة نعم ، أما وصيته من الله على أصحابه . فقد قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - ، وقال في حق اليتيم والمسكين - فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر - ، فقال يوقنا كيف قال ووجدك ضالا فهدى فما معنى وصفه بالضلال وهو عند الله كريم ، فقال له معاذ بن جبل (رض) وجدناك ضالا في تيه صحبتنا فهديناك الى مشاهدتنا وأيضا سهل لك الوصول الى سبل المكاشفة ووفقك للوقوف في مقام المشاهدة ووجدك ضالا في بحار الطلب على مركب العطب فهداك الى سواحل في مقام المشاهدة ووجدك ضالا في بحار الطلب على مركب العطب فهداك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقائق الصدق لتكون بقلبك مائلا عن الاغيار أو تهيم في قيعان

الاختيار متمنيا ساعات الوصول والتلاق وليس لك منا خبر ولا معك منا أثر الحنا لك لوائح الرضا وكشفنا لك عن واضح القضا ، أما علمت يا يوقنا أنه لا شيء عند المؤمن اوفى من العلم ولا أربح من الحلم ولا حسب أوضح من الدين ولا قرين أزين من العقل ولا رفيق أشر من الجهل ولا شيء أعز من التقوى ولا شيء أوفى من ترك الهوى ولا عمل ا فضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخرى من الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غني أشقى من الجمع ولا حياة أحسن من الصحة ولا معيشة أهنا من العفة ولا عبادة أفضل من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت ، فلما سمع يوقنا هذا الكلام من معاذ تهلل وجهه ، وقال هكذا قرآته في كتب اخي يوحنا وهو مذكور في الانجيل والتوراة ثم خر ساجدا وقبل الارض شكرا ، وقال: الحمد لله الذي هداني الى هذا الدين ووالله لقد رسخ هذا الدين في قلبي وعلمت أنه الحق وسأقاتل في الله كما كنت أقاتل في طاعة الشيطان ووالله لانصرن هذا الدين حتى الحق بأخي يوحنا ، ثم انه بكي بكاء شديدا على ما فرط في امر أخيه . فقال له أبو عبيدة قال الله في حق أخوة يوسف - لا تثريب عليكم اليوم يففر الله لكم وهو ارحم الراحمين ـ ، وقال له أن خاك في عليين مع الحور العين ، واما انت فسناعة اسلمت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك فبكي لذلك وقال اشهد على المسلمين أني كلما جاهدت وقتلت من المشركين فثوابه في صحيفة أخي يوحنا ولا يد أن أقاتل في سبيل الله وأمحو ما سلف من الفعال . فقال أبو عبيدة : يا عبدالله دلنا ابن نسير ؟ فقال يوقنا اعلم ايها الامير ان حصن عزاز حصن منيع وهو قوى بالرجال والعدد والزاد وفيه ابن عم لى اسمه دراس بن جوفناس وهو ذو شدة وبأس وقوة ومراس جلد في الحرب قوى عند الطعن والضرب وان أنتم تركتموه ومضيتم الى نحو انطاكية اغار على حلب وقنسرين واذاقهم شرا . فقال أبو عبيدة يا عبدالله قد أنطق الله لسانك بالحق والصواب فما عندك من الحيلة ؟ .

فقال يوقنا عندي من الراي ان اركب جوادي وتضم الي مائة فارس من المسلمين ولنكن على زي الروم ولباسهم واتقدم بهم ، ثم يتقدم أمير من العرب ومعه الف فارس على خفاف الخيل وأنا في المقدمة بالمائة فارس على مقدار فرسخ كأننا هاربون منكم وأوائل الخيل الالف في طلبنا فاذا أشرفنا على عزاز نلقي الصوت ، فاذا نظر الينا صاحبها دراس لا بد أن ينزل الينا ويلقانا ، فاذا سألني أخبرته أني أسلمت زورا ثم هربت فخرجت العرب في طلبي فاذا سمع مني ذلك يصعد بنا الى حصنه وليكن مقدم الالف بالقرب منا في قرية هناك فاذا كان نصف الليل سرنا في وسط الحصن ونضع السيف في أعدائنا فاذا كان عند صلاة الفجر يأتينا أمير العرب بالالف الذي معه ، فلما سمع أبو عبيدة ذلك استنار وجهه واستشار خالدا ومعاذا في ذلك فقالا يا أمين الامة

راى سديد ان لم يغدر هذا الرجل ويرجع الى دينه ، فقال أبو عبيدة - أن دبك لبالمرصاد . . فقال يوقنا أنا والله رجعت عن ديني ألى دينكم بعدما كنت أعظم من تلك الصور والصلبان وما بقي في قلبي سوى محبة الرحمن ومحمد سيد ولد عدنان والجهاد عن افضل الاديان والله على ما اقول وكيل ، وحق الذي لا اله الا هو ، وحق محمد عبده ورسوله (ص) الذي رايته وعاينته في المنام ان كنتم تظنُّون في غير ذلك فلا تتركوني أفعل سيئًا مما ذكرته لكم . فقال ابو عبيده يا عبد الله ان انت نصحت للمسلمين ولم تفدر بهم كان الله لك معينا في كل ما تحاوله فاتبع الصدق تنج به فان ديننا مبنى على الصدق واتبع سنن اخوانك المؤمنين ، واعلم أن المؤمن الصادق قوته ما وجد ولياسه ما سسر ومسكنه ما وجد فلا بحزنك ما تركت من ملكك وحكمك وامارتك فان الدي تركته فان ا الوذي تطلبه باق لان نعمة الدنيا فانية والآخرة خير وابقى ، واعلم انك في يومك هذا عار من الشرك ، واعلم أن الذنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والمؤمن يتيقن أن القبر مضجعه ، والحلوة مجلسه ، والاعتبار فكره ، والقرآن حديثه ، والرب انيسه ، والذكر رفيفه ، والزهد قرينه ، والحزن شانه ، والحياء شعاره ، والجوع ادامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته ، والجنة داره ، واعلم يا يوقنا أن المسيح قال : عجبت لن ليله غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه ويان قصراً والقبر مسكنه ، وقد قال نبينا (ص) من اعطى اربعا اعطى اربعا وتفسير ذلك في كتاب الله تعالى: من اعطى اللكر ذكره الله عز وجل لان الله تعالى يقول ـ اذكروني اذكركم _ ومن اعطى الدعاء اعطى الاجابة لان الله تعالى يقول _ ادعوني استجب لكم _ ومن اعطى الشكر اعطى الزيادة لان الله تعالى يقول ـ لئن شكرتم لازيدنكم ـ ومن اعطى الاستففار اعطى المففرة لان الله تعالى يقول ـ استففروا ربكم أنه كان غفارا ـ . (قال الواقدى) حدثني عامر بن قبيصة اليشكري . قال حدثني يونس ابن عبد الاعلى قراءة عليه قال شهر بن حوشب عن جده عامر بن زيد قال كنت ممن شهد فتوح الشيام وكنت في فتوح قنسرين وحلب مع ابي عبيدة وكنت كثيرا ما اصحب الروم الذين دخلوا في ديننا فلم أر منهم أشد اجتهادا ولا أخلص اعتقادا ولا أعظم نية ولا أحسن في الجهاد حمية ولا أبلغ في قتال الروم من يوقنا ولقد نصح والله للمسلمين وجاهد في الكافرين وارضى رب العالمين ، ولقد فعل في الروم ما لم يقدر احد عليه من أبناء جنسه من بعد ما قاسى المسلمون منه على قلعة حلب وما تركهم ينامون ولا يقرون ليلا ولا نهارا وما قتل من المسلمين (رض) اجمعين .

ذكر فتع عنزاذ

(قال الواقدي) لما وعظ أبو عبيدة يوقنا وفرغ من وعظه ضم اليه مائة فارس والبسم زي الروم قال وكان كل عشرة من قبيلة قال وهم من طيء وفهر وخزاعة

وسنيس ونمير والحضارمة وحمير وباهلة وتميم ومراد وجعل على كل عشرة نقيبا ، فاما نقيب طيء فخزعل بن عاصم وعلى فهر فهر بن مزاحم وعلى خزاعة سالم بن عدي وعلى سنيس مسروق ابن سنان وعلى نمير اسد بن حازم وعلى الحضارمة ماجد بن عميرة وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع الحميري وعلى باهلة سيف بن قادح وعلى تميم سعد بن حسن وعلى مراد مالك بن فياض ، فلما كملوا قال لهم أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله أني مرسلكم مع هذا الرجل الذي وهب نفسه لله ورسوله وكل طائفة منكم عليها نقيب وقد وليته عليكم فاسمعوا له واطيعوا ما دام مرضاة الله عز وجل قال فلبسوا وركبوا وساروا معه ، فلما بعدوا بفرسخ أرسل وراءهم الف فارس وامر عليهم مالكا الاشتر النخعي وقال له سر في أثر القوم وانظر ما يكون من أمر هذا العبد الصالح . فاذا قربت من هذا الحصن فاكمن الى وقت السحر ثم تظاهر لاخوانك ، سر و فقك الله وارشدك ، فسار مالك يقدم قومه فساروا بقية يومهم ، فلما جن عليهم الليل كمنوا في قرية بالقرب من الحصن وهي خالية من السكان . وأما ما كان من يوقنا فانه اخذ على غير طريق وسار ظالبا عزاز .

(قال الواقدي) حدثني سليمان بن عبدالله اليشكري حدثني الشديد بن مازن عن جده خزعل بن عاصم قال كنت في خيل يوقنا لما وجهنا ابو عبيدة معه . قال لما شارفنا عزاز قال لنا يوقنا اعلموا يا فتيان العرب انا قد شارفنا هذا العدو فاياكم ان يتكلم احد منكم فان لفتكم لا تخفى على الروم وانا المترجم عنكم وكونوا على يقظة من أمركم . فاذا رايتموني وقد بطشت بصاحب الحصن فثوروا على اسم الله تعالى ، ثم ساروا وليس عنده خبر من تواتر القدر .

(قال الواقدي) حدثني سليمان بن عبدالله اليشكري . قال حدثني عبد الرحمن المازني وكان ممن يكتب فتوح الشام . قال حدثني الاكوع بن عباد المازني . قال كنت مع مالك الاشتر من جملة الالف حين سرنا في اثر يوقنا صاحب حلب حتى اذا كنا في تلك القرية ، ونحن ننتظر الصباح واذا نحن بجيش من ورائنا من غربي القرية فسار مالك الاشتر وقصد المحصن ففاب عنا غير بعيد وعاد ومعه رجل من العرب المتنصرة وقد اقبل به ، فلما صار بيننا قال يا فتيان اسمعوا ما يقول هذا الرجل فقلنا وما الذي يقوله ؟ قال اسالوه فانه يخبركم فسألناه وقلنا من أي الناس انت قال من غسان من بني عم جبلة بن الايهم . فقال له مالك ما اسمك ؟ قال اسمي طارق بن شيبان . فقال له يا طارق بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمرا تعرفه من اعدائنا قال والله لا اكتم أمرا اعرفه ولكن خلوا على انفسكم قبل قدوم عدوكم قال مالك ، وكيف ذلك قال لأنا البارحة ورد علينا جاسوس من عندكم وهو منا اسمه عصمة بن عرفجة ، وكان يسمع ما تناجيتم به من الحيلة التي ارادها يوقنا على صاحب عزاز ، فلما سمع الجاسوس منكم ذلك كتب رقعة وربطها تحت جناح طير كان معه واطلقه الى صاحب عزاز ، فلما منكم ذلك كتب رقعة وربطها تحت جناح طير كان معه واطلقه الى صاحب عزاز ، فلما

قراها ارسلني الى صاحب الراوندات لوقا بن شاس يستنجده عليكم فمضيت اليه بالرسالة وهو قادم في خمسمائة فارس وكانكم بهم وقد هجموا فخلوا حلركم .

(قال الواقدي) واما ما كان من امر يوقنا فانه سار حتى وصل الى الحصن فوجد صاحبه قد تجهز بنفسه ومعه اصحابه وهو خارج الحصن وكان اللمين يركب في تلاثة آلاف فارس من الروم والف من العرب المتنصرة غير من التجأ اليه من السواد، فلما قدم عليه يوقنا لم يوهمه في شيء من امره بل استقبله وترجل اليه واقبل كانه يقبل ركابه وكان في يده سكين امضى من القضاء فقطع به حزام فرس يوقنا وجذبه اليه واذا به قد وقع على ام راسه فاطبق الاربعة آلاف على اصحاب رسول الله (ص) ولم يمهلوهم حتى اخذوهم قبضا بالكف وشدوهم كتافا وبصق دراس في وجه يوقنا، وقال لقد غضب عليك المسيح والصليب اذ فارقت دينك ودخلت في دين اعدائك وحق المسيح لا بد لي ان ابعثك الى الملك الرحيم هرقل يصلبك على باب انطاكية بعدما اضرب رقاب هؤلاء العرب ثم انه اصعدهم الى الحصن .

(قال الواقدي) ومن خيرة الله للمسلمين أن الجاسوس لم يكتب لصاحب عزاز في مكاتبته بسير مالك الاشتر . قال وان مالكا الاشتر لما سمع كلام المتنصر ايقظ اصحابه وربط المتنصر عنده وأقاموا ينتظرون صاحب الراوندات ، فلما راق الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فلم يكلمهم مالك حتى توسطوا الكمين واطبقوا عليهم ، فكل اثنين ربطوا واحدا من الروغ وأخذوهم بالكف ولم ينفلت منهم احد ولبسوا ثيابهم ورفعوا رايتهم وصليبهم كما كانت ، ثم ان مالكا قال للمتنصر هل لك أن ترجع الى دين الله عز وجل ودين نبيه محمد (ص) فيمحو عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتبقى لنا من جملة الاخوان ؟ . فقال أن قلبي ولبي عندكم فلا جزى الله من الجأنا الى الدخول في هذا الدين خيرا وانا والله من الطائفة التي هي اول من اسلم على يد عمر بن الخطاب وقد سمعنا عن محمد (ص) أنه قال من بدل دينه فاقتلوه . فقال له مالك لقد صدقت في قولك ولكن انسخ هذا الحديث بقول لا اله الا الله ، فقد قال الله تعالى _ الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات _ الآية ، وقبل رسول الله (ص) توبة وحشي قاتل عمه حمزة فأنزل الله فيه الآيات ، فلما سمع الفساني ذلك فرح وقال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والآن والله يا مالك قد طاب قلبي وانجبر كسري أخذ الله بيدك وانقذك الله يوم القيامة . قال ففرح مالك باسلامه ، وقال له وفقك الله وثبت ايمانك ، تم قال له يا عبد الله اني اريد ان تمحو ما سلف منك بما تفعله . فقال وما تريد أيها الامير ؟ . قال تمضى الى صاحب عزاز وتبشره بقدوم صاحب الراوندات الى نصرته . فقال افعل ذلك ان شاء الله تعالى وان كنت في شك من أمري فأرسل معي من تثق به حتى يسمع ما أقول فأن الليل قد تنصف والحرس شديد وباب الحصن مقفول وأنا أخاطبهم من شفير الخندق ، قال فأرسل معه مالك ابن عم له يقال له راشد بن مقبس ووصاه أن يكون مستيقظا فسارا جميعا الى أن وصلا الى الحصن فوجدا الحرس شديدا والروم تضرب بوقاتها والصوت عال في وسط الحصن . فقال طارق لابن عم مالك ما هذا وحق أبي الاقتال وضرب

وحرب فأنصتا فاذا هو كما قال طارق.

(قال الواقدي) وكان السبب في ذلك أن ابن صاحب عزاز شاب شجاع يقال له لاوان كان أبوه دراس في وقت يرسله الى يوقنا بالهدايا والتحف لمابينهم من القرابة وكان بقيم عنده اشهرا في اعز مكان وانه حضر عنده في بعض المرات في عيد الصليب في البيعة التي هي اليوم الجامع ، وكان يدخل في كل وقت فرأى يوما ابنة يوقنا وهي بين جواريها وخدمها وحشمها فوقع بقلبه حبها فكتم امرها وعاد الى عزاز وشكا حاله الى أمه وما كان لابيه ولد غيره وهي تجد له محبة عظيمة فقالت له أنا أخاطب أباك في ذلك والزمه أن يرسل ليخطبها من أبيها ويزوجك بها ونبدل له من المال ما أراده وطلبه واشتفل قلب الشاب بحب الجارية ، وفي أثناء ذلك جاءت العرب الى بلادهم واشتغلت خواطرهم ، فلما وقع يو قنا في يد أبيه وكان من أمره ما كان وقبض عليه وعلى المائة من المسلمين وحبسهم جميعا في دار ولده لاوان ووصاه بحفظهم فقال لاوان في نفسه وحق ديني أن أبن عمنا يوقنا أعلم من أبي بالاديان ولولا أنه رأى الحق مع هؤلاء العرب ما تبعهم بعدما قاتلهم أشد القتال وأيضا أن جيوش الملك ما ساوتهم وأن ألله قد نصرهم على ضعفهم وانا قلبي متعلق بابنته واني ارى من الراي السديد أن أحل هؤلاء القوم من الوثاق وارجع الى دينهم بعد أن أثق من أبن عمى أن يزوجني أبنته فأنه على الحق وأنال ما أطلب بعدها وأتزوج أبنته ، فلما حدثته نفسه بذلك أقبل ألى يوقنا وجلس بين يديه وقال له يا عم اني عولت على أن أحل وثاقك أنت وأصحابك ، وقد اخترتك على أهلى وأبي وملكي وأنت تعلم أن فراق الأهل صعب وأخترت الإيمان على الكفر وقد علمت أن دين هؤلاء صحيح ، ولكن لي عليك شرط أن تزوجني ابنعك ومهرها عتقك انت وهؤلاء الناس الذين معك . فقال يوقنا يا بنى ما لك الى زواجها من سبيل اذا كنت تدخل فيه لاجل غرض الدنيا وليكن دخولك فيه خالصا من قلبك حتى أن الله يأجرك على ما تفعله وإنا إن شباء الله تعالى أبلفك ما ترومه وتنال هز الدنيا والآخرة فقال لا وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله ، ثم حل وثاق يوقنا واعطاه سلاحه وحل المائة والمطاهم سلاحهم ، وقال لهم كونوا على أهبة وأنا أمضي الى ابي وهو ممل بالخمر فأقتله وثوروا على بركة الله تعالى في رضا الله فعندها قال يوقنا للمائة اشهدوا على أني زوجته أبنتي وجعلت صداقها عتقنا فقبل منه ومضى الى دار ابيه فوجد اباه مقطوع الراس واخوته عنده ، فقال لهم من فعل هذا بابي ؟ قالوا نحن قال ولم ذلك ؟ . قالوا اردنا بذلك وجه الله وقد سمعناك وما تحدثت به مع يوقنا واصحابه فخفنا عليك أن لا يتم لك هذا الامر ويتكاثر الجمع على القوم ويبلغ أباناً خبرك

فيقتلك فبطشنا به قبلك ، قال ففرح لاوان بذلك ورجع الى يوقنا واصحابه وأعلمهم بما جرى فخرجوا من دار لاوان وتوسطوا الحصن ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير ووضعوا السيف في الروم ، قال ووقع الصائح في الحصن كما وصفنا وتبادرت الروم لقتال المسلمين ، وفي تلك الساعة قدم طارق ورفيقه قال فسمعنا الاصوات قال فرجعنا الى مالك واعلمناه بما سمعنا ه، فقال مالك لاصحابه اركضوا لاصحابكم فركضوا خيولهم وخلف منهم مائة يحفظون الاسرى ، فلما قربوا من الحصن وكان يوقنا قد قال للاوان ان نجدة من المسلمين تاتينا فأتى لاوان فرأى المسلمين قد اتوا ففتح لهم باب الحصن من باب السر وادخلهم ، فلما حصل مالك الاشتر في حصن عزاز نادى هو ومن معه الله اكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر ، فلما راى أهل الحصن ذلك رموا سلاحهم ونادوا الفوث الفوث فرفعوا عنهم السلاح واخذوهم اسارى وشكروا ليوقنا ومن معه ، قال فحدث يوقنا مالكا الاشتر بحديث الفلام لاوان فقال مالك اذا اراد الله امرا هيا اسبابه .

(قال الواقدي) حدثني قيس عن عقبة عن صفوان عن عمرو بن عبد الرحمن عن جبير عن أبيه . قال سألت أبا لبابة بن المنذر وكان ممن حضر فتوح الشمام كيف كانت فتوح عزاز وقتل دراس فان نفسى تنكر هذا واريد صحته ؟ . فقال لما وضعت الحرب أوزارها وجمع مالك الاشتر الاساري والمال والثياب والذهب والفضة والآنية ، وأمر باخراج ذلك من الحصن ووكل به قيس بن سعد ، وكان ممن حضر وأصابه سهم فعوره ، وكذلك أبو لبابة بن المنذر وكلاهما حضر بدرا مع رسول الله (ص) فلم يبق أحد في عزاز . ثم قام مالك فمشمى في الحصن وتفقد دراسا فوجده مقتولاً ، فقال من قتل هذا اللعين ؟ ، فقال لاوان قتله أخى لوقا وهو أكبر منى سننا فأمر مالك باحضاره ، وقال لم قتلته وهو أبوك ؟ وما سمعنا ولدا قتل أباه من الروم سواك . فقال حملني على ذلك محبة دينكم ، لان في بيعة هذا الحصن قسا من المعمرين ، وكنا نقرا عليه الانجيل ويعلمنا بعلم الروم ، واني كنت في بعض الايام في البيعة أنا وهو وليس عندنا احد وكان اسمه ابا المنذر ، فقلت له يا ابا المنذر الا ترى الى بلاد الشمام كيف استولت عليها العرب وملكوا أكثرها وهزموا جيوش الملك؟ وما كنا نظن أن العرب تقدر على ذلك لانه ليس في الامم أضعف منهم وأن الله تعالى نصرهم على ضعفهم ، فهل قرأت ذلك في كتب الروم أو ملاحمهم أو ملاحم اليونانيين ؟ فقال يا بني نعم اني قرات ذلك ، ولقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الامر وجمع اليه الملوك والاساقفة والبطارقة وغيرهم ، وأخبرهم أن العرب لا بد أن يملكوا ما تحت سريري هذا ، ولقد بلفنا عن نبي القوم أنه قال « زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومفاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » فقلت له يا أبانا فما تقول في نبى القوم ؟ قال له يا بني أن في كتبنا أن الله تعالى يبعث نبينا بالحجاز رقد بشر به عيسى المسيح بن مريم ، ولا ندرى

اهو هذا ام لا ؟ فعلمت انه كتم عنى امره محافة ان اذيع سره فكتمت ما قال لي البارحة ، فلما رأيت يوقنا واصحابه أسرى قلت هذا يوقنا فد قتل اخاه يوحنا وعائد المرب وقاتلهم ، بم انه رجع الى دينهم ، وما ذاك الا انه قد علم الحق معهم ، فقلت انا لنفسي قم انت واقتل أباك وخلص يوقنا وأصحابه وارجع الى دين هؤلاء فهو الدين الحق لا ننك فيه ، فلما نام ابي بعدما شرب الخمر وسكر قتلته وسرت الى خلاص يوقنا ومن معه فوجدت اخي لاوان فد سبقني الى ذلك ، فقال له مالك يا غلام لم فعلب ذلك ؟ فال محبة في دينكم وانا انسهد أن لا الله وان محمدا رسول الله ، فقال له مالك قبلك الله ووقتك . تم خرج مالك من الحصن وولاه سعيد بن عمرو الفنوي وترك معه المائة الذين كانوا مع يوقنا وقدموا اليه صاحب الراوندات ومن معه فعرض عليهم الاسلام فابوا فضرب رقابهم .

(قال الواقدي) حدتني عبد الملك بن محمد عن ابيه حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عبدالله بن قرط الازدي ان فتح عزاز كان هكذا ، والذي ذكر ان بنات دراس وزوجته قتلنه لم يصح والله اعلم ، ثم ان مالكا الاشتر اراد ان يرحل فعرض عليه سبي عزاز فكان الف رجل من التبباب ومائتين وخمسة واربعين رجلا من الشيوخ والرهبان والغي امراة من النساء والبنات ومائة وثمانين عجوزا ونظر الى شيخ من الرهبان مليح الشبيبة واضح الهيبة ، فعال ان صدقت الفراسة فهذا القس الذي اخبرني به لوقا واخوه لاوان فدعا بهما وقال : هذا هو القس الذي اخبرني به لوقا ، فقال نعم فقال له يا شيخ اذا كنت من علماء اهل الكتاب فكيف تكتم الحق عن مستحقيه فقال : والله ما كتمت الحق عن مستحقيه ، ولكن خفت من الروم ان يقتلوني ، لإن الحق ثقيل وقد قتلوا الابناء والاخوة وذلك لاجل الحق فكيف أنا . فقال له مالك افتدخل في ديننا ؟

فقال: لست ادخل فيه الا اذا سألتكم عن مسائل وجدتها في الانجيل . فقال له مالك هات ما عندك ، فلما اراد القس ان يتكلم وقع الصياح في الحصن فارتاع الناس ووثب مالك لينظر ما خبر الناس أوظن ان الروم قد غدرت بهم واذا بأناس من المسلمين الدين بالحصن يقولون ايها الامير خلوا حلركم فانا نرى غبرة على طريق منبج وبزاعة ولا ندري ما هي فركب مالك ومن معه ووقفوا ينتظرون ما ذاك واذا قد لاح من تحتها خيول الاسلام وهم يسوقون السبايا والاموال والرجال وهم مشددون في الحبال ووراءهم الف فارس من المسلمين وأميرهم الفضل بن العباس (رض) ، وكان قد أرسله ابو عبيدة حتى غازى منبج والباب وبزاعة فوقع الكثير في الفريقين وسلم بعضهم على بعض وسأل الفضل مالكا عن قصته فحدثه أن الله قد فتح عزاز وأذل من فيها ، وحدثه بما كان من حديث يوقنا ، وانني ما منعني من الرحيل الاهذا القس وسؤاله ، فقال له الفضل ايها القس قل ما أنت قائل ، فقال القس أخبرني عن أي شيء خلقه الله تعالى قبل خلق السموات والارض ألا فقال الفضل: أول ما خلق اللوح والقلم ويقال العرش قبل خلق السموات والارض ألا فقال الفضل : أول ما خلق اللوح والقلم ويقال العرش

والكرسي ويقال الوقت والزمان ، ويقال العدد والحساب ، ويقال اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها فصارت ماء ، نم خلق العرش ياقوته وكان عرشه على الماء ، وانه نظر الى الماء فاضطرب وارتعد وصعد منه دخان فخلق الله منه السماء ، ثم خلق الارض ، وقيل خلق أولا العقل لانه اراد ان ينتفع به الخلق ، وقيل اول ما خلق الله نورا وظلمة ، ثم دعاهما الى الاقرار فانكرت الظلمة واقر النور ، فخلق منه الجنة لرضاه عنه ، وخلق النار من الظلمة لسخطه عليها ، وخلق ارواح السعداء من النور وارواح الاشقياء من الظلمة ، فلاجل ذلك كل منهم يرجع الى مستقره ، ويقال اول ما خلق الله نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت وسالت العا فجعلها مبدأ كتابه العزيز فسبحان من الف كتابه من نقطة ، وخلق خلقه من نقطة ، ثم يميتهم بقبضة ويحييهم بنغخة . فلما سمع القس ذلك من كلام الفضل ابن العباس ، قال : اشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله ، هذا هو العلم الذي استأثر به انبياء الله تعالى . فلما نظر أهل عزاز الى قسهم وقد اسلم اسلموا عن آخرهم الأ قليلا منهم والله اعلم .

(قال الواقدي) حدثني عامر بن يحيي عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش عن جده. قال لما أسلم أهل عزاز باسلام قسهم الذي كان معتقدهم عول الفضل ومالك على المسير الى حلب ، فقال يوقنا أنا والله ما لى وجه أقابل به المسلمين ، لاني كنت قلت قولا ودبرت أمرا فلم يتم لي واني سائر الى انطاكية فلعل الله أن يظفرني بالاعداء وينصرني عليهم ، فقال له الفضل أن الله تعالى . قال لنبيه (ص) ليس لك من الامر شيء فلا تحمل قلبك هما ، فقال ودين الاسلام لا ارجع الا بأمر يبيض الله به وجهي عند اخواني المسلمين ، فنظر وقد صحبه مائتان من بني عمه ممن قد رسخ في قلوبهم الايمان ولهم عيال وأولاد في حلب فاخذهم يوقنا وسار يريد انطاكية ، فلما قرب من ارضها أخذ منهم أربعة وأمر الباقي أن يتعوقوا خلفه أربعة أيام ، ثم يأتوا كأنهم هاربون من العرب ليتم ما دبره في خاطره وسار هو والاربعة على طريق حارم والباقي على طريق أرناح ، وقال لهم الميعاد بيننا أنطاكية ففعلوا ذلك وساروا وسار هو الى أن أشرف على دير سمعان المشرف على البحر ، فوجد هناك خيلا ورجالا بحفظون الطرقات ، فلما رأوا يوقنا والاربعة معه بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم ، فقال لهم يوقنا انا صاحب حلب وقد هربت من العرب فوكل بهم صاحب الدرك جماعة وامرهم ان يسميروا بهم الى الملك فأخذتهم الخيل واتوا بهم اليه فوجدوه في كنيسة الفتيان يصلى ، فوقفوا حتى فرغ من صلاته فاوقفوا يوقنا بين يديه ، وقالوا ايها الملك ان بطرس صاحب الحرس الذي عند دير سمعان ، قد وجه بهذا ومن معه اليك ويزعم انه صاحب حلب ، فلما سمع هرقل ذلك . قال له يا يوقنا ما الذي اتى بك وقد بلغنى أنك دخلت في دين العرب ؟ ، فقال أيها الملك لقد بلفك الحق ، وذلك أنى ما أسلمت الآ لمكيدة القوم حتى اتخلص من شرهم ومن كراهة منظرهم ونتن رائحتهم ، واني قلت لهم اسلم اليكم حصن عزاز واقتل صاحبها واخذت منهم مائة سيد من ساداتهم وسرت بهم ، وامرت ان ينفذ ورائي الف حتى اذا صاروا داخل الحصن اقبض عليهم وارسلهم اليك فعجل دراس على ولم يفهم ما اضمرته ووثق بكلام جاسوسه ولم يثق بكلامي ، فقبض علينا فأتت العرب ووضعت السيف في اهلها ، وذلك ان لوقا قتل أباه رجل من العرب وانا من جملتهم ، فلما اشتغلوا بالقتال والنهب هربت أنا وهؤلاء الاربعة وجئنا اليك ، ولولا محبتي في ديني ما كنت قتلت أخي يوحنا وصبرت على قتال العرب وحصارهم سنة كاملة .

(قال الواقدي) فاعانته البطارقة والملوك الذين كانوا حاضرين ، وقالوا صدق يوقنا ايها الملك ، وسيظهر لك فعله وعمله وجهاده ، فانبش وجه الملك لذلك وخلع عليه من لباسه الذي هو عليه وسوره ومنطقه وتوجه ، وقال له : ان كانت حلب اخذت منك فانى وليتك على انطاكية واعطاه وظيفة دمستقها وسكندرها يعنى واليها .

(قال الواقدي) فسمع يوقنا له ودعا له . فبينما هو كذلك أذ ألى اليه الموكل بجسر الحديد واخبر الملك أنه قد قدم عليهم مائتا بطريق من فرسان حلب ، وهم يزعمون أنهم من بيت واحد من الرومية من بني عم يوقنا ، وأنهم قد هربوا من العرب ، فلما سمع ذلك قال ليوقنا : أيها الدمستق والكندر قم واركب واشرف على هؤلاء القوم ، فأن كانوا من بني عمك فأهل بهم وضمهم اليك ليكونوا عسكرك ، وأن كانوا غير ذلك فأت بهم لارى فيهم ما أرى ، وإياك أن يكونوا من قبل العرب ممن رجع الى دينهم من أهل سيجر وحماة والرستن وجوسية وبعلبك ودمشق وحوران ، فقال نعم وأمر اصحاب الدرك أن يأتوا بالمائتين ، فلما رآهم يوقنا رحب بهم ونظروا اليه وهو في وأمر أصحاب الدرك أن يأتوا بالمائتين ، فلما رآهم يوقنا رحب بهم ونظروا اليه وهو في ذلك الزي والحشمة وخلعة الملك عليه ، فترجلوا وقبلوا ركابه ، فقال لهم كيف خلصتم من أيدي العرب ؟ ، فقالوا أيها السيد أننا خرجنا مع أمير من أمرائهم وأغرنا على منبع وبزاعة ، فلما رجعنا نريد حلب أخذنا على عزاز فوجدناهم قد ملكوها ، فلما كان الليل تركناهم وأتينا .

(قال الواقدي) وهذا كله وحجاب الملك يسمعون ، فلما حضروا اخبروا الملك بذلك ودخل يوقنا بهم على الملك فخلع عليهم وانزلهم وامرهم أن يكونوا في خدمة يوقنا واعطاه دارا بازاء قصره، فقال يوقنا ايها الملك أنت تعلم أن هذه الدار لا يدوم نعيمها، وأن السيد المسيح شبهها بالجيفة ، وطلابها بالكلاب يتجاذبونها ، كما روى عن المسيح انه رأى طائرا حسنا مزينا بكل زينة ، فنزع جلده فرآه أقبح ما يكون منظرا ، فقال له من أنت ؟ . قال أنا الدنيا ظاهري مليح وباطني قبيح ، وأنما ضربت لك هذا المثل أيها الملك لتعلم أنه ما خلا جسد من حسد ، وأذا أقبلت الدنيا على أحد كثرت حساده ، وأنا أخاف من الحساد أن يتكلموا في عند الملك ويرموني بالبهتان وبما لا أفعله ، فأن

كان الملك ينفر مني فليول هذه الوظائف غيري وأنا ما أبرح على ركابك . ثم أنه بكى ، فقال له الملك أيها الدمستق ما وليتك هذا الامر الا وقلبي وخاطري وأنق بك ، ومن تكلم فيك بشيء سلمته النك تفعل به ما تريد ، فشكره يوقنا وأراد الخروح الى وظيفته التي ولاه أياها ، وأذا بخيل البريد قد أقبلت من مرعش وهم رسل ابنته زيتونة ، وأنها خائفة من العرب ، وهي تريد القدوم عليك حتى ترى ما يئول من الامر ، وأنها تسألك أن نرسل لها جيشا يوصلها اليك ، فلما سمع الملك ذلك . قال ليس لهذا الامر الا الدمسنق يوقنا ، فقبل الارض وقال السمع والطاعة لامرك فضم اليه الف فارس ومائتين من أصحابه من المدبحة والقياصرة .

(قال الواقدي) فسار بالالفين والمائتي فارس وقد رفع الصليب فوق راسه وجنبت الجنائب وعليها الرخوة المذهبة ، وسار يجد السير الى ان وصل الى مرعشر وأخذ زيتونة بنت هرقل ، وهي الصفرى ، وكان الملك قد ولاها على تلك البلاد وزوجها بنوسطير بن حارس ، وكانوا يسمونه سيف النصرانية لشنجاعته ، وكان قد قتل على اليرموك من جراحات اصابته .

(قال الواقدي) فلما أخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب بها انطاكية أخذ على الجادة العظمى لعله يلقي احدا من جواسيس المسلمين أو يرى معاهدا فيرسله ليعلم أبا عبيدة أنه قد نمكن من الملك ومن البلد ، فلما وصل مرج الديباج ، وكان ليلا وأذا بخيله التي على مقدمته قد أتته وهم مذعورون ، فقال لهم ما بالكم ، فقالوا له أبها السيد الدمستق أن هناك عسكرا نازلا فقربنا منهم فأذا هم عرب وهم نيام ولا شك أنهم مسلمون ، فقال لهم خذوا أهبتكم وايقظوا خواطركم وانصحوا لدينكم وجاهدوا عدوكم وقاتلوا عن أبنة الملك ولا تسلموها إلى أعدائها وكونوا خير جند قاتل عن نعمة صاحبه ، وأذا تمكن الحرب بيننا وبينهم فاعتمدوا على الاسر وأياكم والقتل وأعلموا أن العرب وأميرهم لا بد لهم أن يقصدوا الملك ومن معه ، فأن أسروا منا أحدا يكن عندنا الفداء ، فقد وجدت في كتاب حر فناس الحكيم : أن من نظر في عواقب زمانه توشيح بوشاح أمانه ، ومن أهمل أمره خاف حدره ، ومن أكثر الفدر حل به الامر ، سيروا على بركة الله .

(قال الواقدي) فشرعوا الاعنة وقوموا الاسنة وقصدوا ذلك العسكر ، فلما أحسوا بهم بادروا اليهم واستقبلوهم وهم ينادون بعيسى بن مريم والصليب المفخم من أنتم ؟ . فقال لهم يوقنا ومن أنتم ؟ فقالوا نحن أصحاب جبلة بن الايهم ، فلما سمع يوقنا ذلك ترجل عن دابته وسلم عليه وسلمت العرب المتنصرة على الروم ، فقال جبلة من من أين جئتم ؟ فقال له مرعش ومعي ابنة الملك وانتم من أين جئتم ، فقال جبلة من العمق وقد أتينا بميرة أهلها ، فلما رجعت ووصلت الى مرج دابق لقيت كتيبة من فرسان المسلمين وهم زيادة عن مائتي وهم لابسون زينا ، فلما وصلنا اليهم ابتدرونا

بعزم شديد وحرب عتيد واذا مقدمهم لا يصطلي له بنار فلقد اباد منا رجالا وجندل منا الطالا ونحن في الفي فارس وهم مائنان وكان فينا كالنار المحرقة فما زلنا نقاتلهم حتى اسرناهم بعدما قتل الفارس منهم الفارس والاثنين والثلائة منا وبقي أميرهم الى آخر الناس فقصدنا جواده بالسهام حتى قتلناه ووقع فهجمنا عليه واخذناه أسيرا . فاذا هو من أصحاب محمد وهو ضرار بن الازور ونحن قاصدون بهم الى الملك هرقل ليرى فيهم رايه فاظهر لهم يوقنا الفرح ، وقال وحق ديني لقد فزت بالفخر بأسرك لهولاء وهذا الفلام ، فلقد بلفني عنه ما فعل بأبطال الشام وفرسان الروم ، ثم سار القوم حميما بطلون انطاكية .

(قال الواقدي) حدثني الشريد بن عاصم عن شروان بن مجزل عن قادم ابن بشر عن زائدة بن معمر . قال حدثنا بشار عن عوف عن صالح عن عبدالله عن جده مسروق ، قال المؤلف: وحدثني هذا الحديث عباد بن عاصم عن عمران بن حصين . قال لما فتح المسلمون حصن عزاز وترك مالك الاشتر عليها سعيد بن عمرو الفنوى والتقى بالفضل بن العباس ورجعا بالفنائم الى حلب استبشر أبو عبيدة بسلامة الناس وبفتوح عزاز فسال مالكا عن يوقنا فحدثه فيما بينه وبينه سرا وانه قصد انطاكية ليدخل على كلب الروم بحيلة ولم يكن له وجه يعود اليك به ، فقال ابو عبيدة الله ينصره ويظفره ويففر له ، فلقد ظهر لنا منه ما لم يكن لنا في حسباب ، ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب (رض) كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي عبيدة عامر بن الجراح الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك . فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد (ص) أما بعد ، فأن الله سبحانه له المنة علينا التي سترجب بها الحمد من جميع المسلمين اذ فتح علينا مستصعب قلاع الكفر وحصونه واذل لنا ملوكهم وأورثنا أرضهم وديارهم وان سبحانه قد فتح علينا قلعة حلب واردفها بحصن عزاز وان البطريق يوقنا صاحب حلب قد اسلم وحسن اسلامه وقد صار عونا للمسلمين على الكافرين من بعد ما قاسينا منه ما الله عالم به فالله يجازيه فلقد نصر الله به الدين ونصح للمسلمين وأباد المشركين ، وقد دخل أنطاكية يدبر حيلة على كلب الروم ، وقد القي بنفسه الى الهلاك في طاعة الله ورسوله ، ولقد كتبت هذا الكتاب ونحن معولون على المسير الى انطاكية نقصد طاغية الروم فما بقى حصن سواه لاعدائنا قريباً منا ونحن طامعون في اخذه وأخذ سريره وكنوزه كما وعدنا رسول الله (ص) قزودنا بالدعاء منك فانه سلاح المؤمنين ودمار الكافرين ، والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته . ثم أنه أخرج الخمس وسلمه الى رباح بن غائم اليشكري وضم اليه مائتي فارس من المسلمين فيهم قتادة وسلمة بن الاكوع وعبدالله بن بشار وجابر بن عبدالله ومثل هؤلاء (رض) فأخذوا الخمس وساروا . ثم ان ابا عبيدة دعا بضرار بن الازور وضم اليه مائتي فارس وأمره أن يشن الفارة فركب ضرار

وكان معهم سفينة مولى رسول الله (ص) ولم يزل ضرار سائرا هو ومن معه ومعهم. رجال من المعاهدين يدلونهم على الطرق حتى وصلوا الى مرج دابق ، وكان وقت السبحر ، فقال لهم المعاهد أرفقوا على خيولكم فنزلوا وأراحوها بقية يومهم وليلتهم حتى اذا كان وقت السحر فما شعروا الا وجبلة كبسهم ، فلما وقع الصياح ركب ضرار وركب معه نحو مائة فارس واما المائة الاخرى فقد دهمتهم خيول المتنصرة فلم لتمكنوا من الركوب فقاتلوا رجالا فنفرت خيولهم ووصل اليهم عدوهم حتى أنه قتل كل واحد خصمه وتكاثرت عليهم الخيل فأسروا المائة وأما ضرار فانه صاح بالمائة الثانية ، وقال يا فتيان العرب أن أعداءكم قد هاجبوكم على حين غفلة منكم وهم عرب مثلكم وهذه افضل الساعات عند الله فقووا عزمكم ولا تفشلوا فانتم تعلمون أن النبي (ص). قال « الجنة تحت ظلال السيوف » وقد قال الله تعالى _ كم من فئة قليلة غلبت فئة. كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ـ . قال ميسرة بن عامر ، وكان من جملة من حضر معنا في مرج دابق ربيعة بن معمر بن أبي عوف وهو ابن عمر بن ربيعة الشاعر وكان ربيعة من فصحاء العرب لا يتكلم الا بالسجع كلامه ينظم بحسن مقاله وكنا نصفى اليه اذا سجع ونحفظ منه ، فلما سمع ضرارا وهو يحرضنا . قال : يا فتيان العرب ان تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره ، ووالله لن يدخلها من هو للجهاد كاره : والله في عرض السموات جنة ولكنها محفوفة بالمكاره

واعلى الدرجات درجة الشهادة ، فارضوا علم الفيب والشهادة فهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد النفاق في اسواقه واختفى بنفاقه في انفاقه اما انتم اصحاب نبي العصر ؟ ولم يئستم من الثبات والنصر ؟ بشروا روح المصطفى بثباتكم وقووا العزم بصفاء نياتكم ، واباكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا غضب الجبار ، واعلموا أن النصر والثبات جندان منصوران فمن طلب دار البقا هان عليه الملتقى فصححوا طلبتكم تنالوا وحمة ربكم ، رحققوا حملتكم تنالوا بفيتكم واطعنوا النحور تنالوا الحور وتسكنوا القصور وقوموا الاسنة تنالوا الجنة واعتمدوا على الصبر تنالوا النصر واياكم أن توافقوا الكفار في حالهم واعدلوا عن طريق قولهم ، قال العالم بحالهم وفعلهم . وعد الله اللدين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف اللدين من قبلهم . . قال سمرة ابن غانم: والله لقد دهشت انفسنا بقوله وحملنا على المتنصرة وضرار بنشد:

الا فاحملوا نحو اللئام الكواذب لترووا سيوفا من دماء الكتائب وردوا عن الدين المعظم في الورى وادضوا اله العرش رب المواهب فمن كان منكم يبتغي عتق ربه من النار في يوم الجزا والمآرب فيحمل هــذا اليوم حملة ضيفم ويرضي رسولا في الورى غير كاذب (قال الواقدي) ثم حمل ضرار ونحن من ورائه وبدلنا نفوسنا ورويتا سيوفنا

ورماحنا من المتنصرة وجرى الحرب بما لا يوصف وضرار فيهم كانه النار في الحطب اليابس وجبلة بن الايهم يتعجب من حملاته وضرباته فأمر قومه ان يقصدوا جواده بسهامهم ، ففعلوا ذلك فانصرع الجواد ووقع ضرار فتكاثروا عليه واخذوه اسيرا واخذوا بقية اصحابه وساروا يريدون انطاكية فالتقوا بيوقنا وابنة الملك كما ذكرنا .

(قال الواقدي) ولفد حدتني معمر بن رواحة عن القاسم عن خزامة بن عمرو وعن ابي المندر أن سفينة مولى رسول الله (ص) كان في حرب ضرار بن الازور أسيرا ، فلما كان الليل انطلق هاربا يلتمس الوصول الى ابي عبيدة ، فاذا هو بأسد عارضه . فقال سفينة يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله (ص) وكان من أمري كيت وكيت فقرب منه وهو يبصبص بذنبه حتى وقف الى جانبه وأشار اليه برأسه أن سر فسرت وهو الى جانبي ومضى .

(قال الواقدي) فلما وصل سفينة الجيش حدث الناس بأسر ضرار ومن معه فصعب ذلك على المسلمين وبكى أبو عبيدة وخالد بن الوليد على اسرهم ، وقالا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبلغ ذلك اخته خولة . فقالت ـ أنا لله وأنا اليه راجعون ـ يا بن أمي ليت شعري في السلاسل أوثقوك ، أم بالحديد قيدوك ، أم في البيداء طرحوك ، أم بدمائك خضبوك ، وأنشدت تقول:

الاه مخبر بعد الفراق يخبرنا فلو كنت اذري انه آخر اللقا الا يا غراب البين هل انت مخبري لقد كانت الايام تزهدو لقربهم الا قاتدل النوى ما امتره ذكرت ليالي الجمع كنا سوية لئن رجعوا يوما الى دار عزهم ولم انس اذ قالوا ضرار مقيد فما هذه الايام الا معارة ارى القلب لا يختار في الناس غيرهم سلام على الاحباب في كل ساعة

فمن ذا الذي يا قوم اشغلكم عنا لكنا وقفنا للوداع وودعنا فهل بقدوم الفائبين تبشرنا وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا واقبحه ماذا يريد النوى منا ففرقنا ريب الزمان وشتتنا لثمنا خفافا للمطايا وقبلنا تركناه في دار العدو ويممنا وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى اذ ما ذكرهم ذاكر قلبي المضنى وان بعدوا عنا وان منعوا منا

(قال الواقدي) ولقد بلفني عن واصل بن عوف انه قال اجتمعت النساء من العربيات ممن كان لهم اسير مع ضرار عند خولة ومن جملتهم مزروعة بنت عملوق الحميرية وكانت من فصحاء زمانها ، وكان ولدها صابر بن اوس فيمن أسر مع ضرار فحملت تندب ولدها وتقول:

قلبي تلهبا وقد احرقت مني الخدود المدامع صيبة شعلة وقد حميت مني الحشا والاضالع

ايا ولدي قد زاد قلبي تلهبا وقد أضرمت نار المصيبة شعلة

وأسأل عنك الركب كي يخبرونني فلم يكن فيهم مخبر عنك صادقا فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي وفكري مقسوم وعقلي موله فان تك حيا صمت لله حجة

بحالك كيما تستكن المدامع ولا منهم من قال انك راجع فقلبي مصدوع وطرفي دامع ودمعي مسفوح وداري بلاقع وان تكن الاخرى فما العبد صانع

فقالت لهن سليمى بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت من الزاهدات العابدات أبهذا أمركن الله ؟ أنها أمركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر ، أما سمعتن ما قال الله سبحانه وتعالى سالذين أذا أصابتهم مصيبة قالوا أنا لله وأنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون سافات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون سافات من ربهم ورحمة وأولئك من المهتدون ما المكاء .

(قال الواقدي) ولما ورد الخمس على امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) وكتاب ابي عبيدة مع رباح بن غانم اليشكري وقع الصائح في المدينة بقدومه ، فاجتمع الناس الى المسجد ليسمعوا ما تجدد من امر المسلمين ، فلما دخل رباح المسجد بدا بالسلام على قبر رسول الله (ص) وعلى قبر ابي بكر وصلى ركعتين واتى عمر وقبل يده وعرض على قبر الله الكتاب فقراه على المسلمين فضجوا بالتهليل والتكبير وصلوا على البشير النذير ، واخد الخمس وكتب الى ابي عبيدة يامره بالمسير الى انطاكية ولا يصده عن ذلك شيء ورد الجواب مع رباح اليشكري .

(قال الواقدي) اخبرني مازن بن عبد ربه عن مالك بن اسيد عن جده مروان بن الجرير ان الجواب لما ورد على أبي عبيدة سار من يومه يطلب انطاكية . قال واما ما كان من امر يوقنا رحمه الله تعالى وجبلة بن الايهم لعنه الله فانهم ساروا الى انطاكية وسبق البشير الى الملك هرقل بقدوم ابنته مع يوقنا وقدوم يوقنا ومعه المائتا أسير من المسلمين فأمر بتزيين البلد والبيع فأظهرت الروم زينتها ودفعت الصدقات الى الفقراء واخرج موكب الروم الى لقائهم مع ابن اخيه في زينة عظيمة ودخل القوم وهم في زيهم وحشمهم وكان يوما مشهودا وقد ترجلت الملكية والسريرية بين يدي ابنة الملك وخرج كل من بانطاكية وقدموا اصحاب رسول الله (ص) امامها وهم مشدودون والروم تشتمهم وتبصق عليهم وقد دارت بهم الرجال والبطارقة ودخلت ابنة الملك الى قصر أبيها .

(قال الواقدي) ودخل جبلة بن الايهم ويوقنا على الملك فخلع عليهما وعلى كبار اصحابهما ، ثم انهم احضروا الصحابة واوقفوهم بين يديه وهم في الحبال ، فلما وقفوا صاحت بهم الحجاب اسجدوا الى الارض تعظيما للملك فلم يلتفتوا الى قولهم ولا اعتنوا به ، فقال لهم الحاجب الكبير : ما منعكم أن تعظموا الملك بالسجود بين يديه ؟ فقال لهم ضراد لا يحل لنا أن نسجد لمخلوق وقد نهانا نبينا (ص) عن ذلك .

(قال الواقدي) حدثني سهل بن برقان (رض) عن السائب بن حازم عن الحكم بن مازن . قال لما وقف ضرار والصحابة بين يدي هرقل خاطبهم من غير ترجمان واراد الملك أن يسمع بطارقته وحجابه بما كان يحدثهم به حين بعث النبي (ص) ، وذلك أنه جمعهم اليه لما بلغه أن النبي (ص) قد ظهر وقال: هذا هو النبي المبعوث الذي يشر به عيسى بن مريم وهو صاحب الوقت ولا بد لدينه أن يظهر حتى بملا المشرق والمفرب ، تم أن هر قل دعاهم لاداء الجزية فأرادوا قتله فأراد ذلك اليوم أن يبين لهم حقيقة قوله وانه أراد بذلك الاصلاح لهم ولجالهم . فقال لضرار ومن معه من يخاطبني منكم عما اسأله من العلم ؟ فأشاروا الى قيس بن عاصم الانصارى (رض) وكان شيخًا معمرا وكان شاهد جميع أحوال رسول الله (ص) ومعجزاته وغزواته 6 فلما أشاروا اليه قال للملك قل ما أنت قائل أيها الملك . قال هرقل كيف نزل على نبيكم الوحى أول مبتدا امره . فقال قيس ابن عاصم: سأل هذا السؤال لنبينا (ص) رجل من مكة يقال له الحرث بن هشام . فقال لرسول الله (ص) كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله (ص) ياتيني أحيانا مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فينفصم عنى وقد وعيت عنه 6 وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول . قال قيس : ولقد كان ينزل عليه في اليوم الشمديد البرد فينقصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ، فأول ما بدىء به رسول الله (ص) من الوحى الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، تم حبب اليَّهُ الخلاء فكان يخلو بفار حراء فيتحنث فيه : أي يتعبد الليالي ذوات العدد ، فلم يزل كذلك حتى جاءه الملك وقال له اقرأ . فقال لست بقارىء : قال فأخذني ففطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني وقال لي اقرأ فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني ففطني حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني وقال لى اقرا فقلت لست بقارىء فأخذني ففطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني ففال ـ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم - فرجع بها رسول الله (ص) يرجف بها نؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد (رض) . فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروغ ، فأخبر خديجة وقال لها لقد خشيت على نفسي . فقالت له خديجة : كلا لا يخزيك الله أبدا أنك تصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم ونفوي الضعيف وتعين على نوائب الدهر والحق ، وذكر الحديث بطوله . قال رسول الله (ص) بينما أنا أمشى أذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا أنا بالملك الذي جاءني بحراء وهو جالس على كرسي بين السماء والارض فختميت منه رعبا فرجعت الى خديجة فقلت دنروني دروني فأنزل الله تعالى ـ يا أيها المدثر قم فأنذر ـ الآية ، بم حمى الوحى وتتابع ، ولقد كنت معه يوما في المسجد اذ دخل رجل ومعه بعير له فأناخه بالباب وعقله ودخل وقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام . فقال أيكم محمد ؟ فقلنا هذا الابيض الوجه . فقال له الرجل يا ابن عبد المطلب قد أتيت أسألك مشددا عليك فلا تجد على في نفسك . فقال له سل

عما بدا لك . فقال بربك ورب من قبلك آلله ارسلك الى الناس كلهم كافة ؟ . قال اللهم نعم . قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ . قال اللهم نعم . قال انشدك بالله آلله امرك ان تصوم هذا الشهر من السنة ؟ . فقال اللهم نعم . فقال انشدك بالله آلله أمزك ان تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ . فقال اللهم نعم . فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى: أنا ضمام بن تعلبة أخو بني سعد بن بكر . فقال هرقل بحق دينك ما الذي رايت من معجزاته . قال كنتُ معه في سفر فأقبل اليه أعرابي فدنا منه . فقال له النبي (ص) اتشبهد أن لا اله الا الله وأني محمد رسول الله . قال الاعرابي ومن يشبهد بما تقول فقال النبي (ص) هذه الشبجرة ، ثم أن النبي (ص) دعا الشبجرة وهي بشياطيء الوادي فأقبلت اليه وهي تخط الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاث مرات. فقالت أنت محمد رسول الله ؛ ثم أمرها فرجعت إلى منبتها . فقال هرقل أنا نجد في كتابنا أن الرجل من أمته أذا عمل السيئة كتبت عليه واحدة وأن عمل الحسنة كتبت له عشرا . قال قيس بن عاصم هذا في كتابنا . قال الله تعالى - من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ـ فقال هرقل: اعلم أن النبي (ص) الذي بشر به عيسى المسيح هو الشاهد على الناس يوم القيامة . فقال قيس هو نبينا ؛ قال الله تعالى في كتابه العزيز _ يا إيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا _ الآية : أما شهادته في العقبى فهو قول ربنا في كلامه القديم _ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا .. . فقال هرقل: أن الذي وصفته لك هو الذي يأمر العباد أن بمضوأ اليه في حياته ويصلوا عليه في حياته وبعد وفاته . فقال قيس هو نبينا (ص) . قال الله تعالى في كتابه العزيز ـ ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما _ قال هرقل ان الذي وصفه المسيح يعرج به الى السماء ويخاطبه العلى الاعلى . فقال قيس هو والله نبينا (ص) . قال الله تعالى في حقه - سيحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصى - » .

(قال الواقدي) وكان في ذلك الوقت بترك الروم وهو راس دينهم جالسا يستمع هذا الكلام فالتفت هذا البترك الى الملك وقال له أيها الملك أن الذي ذكره عيسى لم يبعث بعده ولا قبله بل هي تآويل كاذبة . فقال ضرار بن الازور كذبت في وجهك وكذبت هذه اللحية الملعونة المخزية يا كلب الروم انت من امثالك من يكذب عيسى عليه السلام وينكر بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، اما تعلم أن عيسى قرأه في الانجيل وموسى قرأه في التورأة وقرأه داود في الزبور ، وأن نبينا المبعوث بخير الاديان المشهود له بالنبوة والرسالة في كتاب الله العزيز وجميع الكتب المنزلة على الانبياء من قبله ، وهو نبينا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب المكي ، ولكن حجاب الكفر منعكم عن معر قته ، فلما أن سمع هرقل من ضرار هذا الكلام قال له لقد اسات الادب في المجلس اذ خرجت

واحدة يطلبون جيش الموحدين وقد تركوا عزهم وفارقوا دينهم ، فلما قربوا من جيش المسلمين ظهر لهم يوقنا وبنو عمه المائتان . فقال يوقنا لفلنطانوس: إيها الملك عولت على ان تكبس المسلمين فقال لا والقديم الازلي وانما أنا قاصد اليهم وداخل في دينهم وملتهم وأكون من جملتهم ، فمن نظر الى الدنيا بعين الفناء عمل للآخرة فما الذي يمنعك يا يوقنا مما نحن عولنا عليه ؟ . فقال يوقنا أبها الملك لقد جذبك جاذب الحقّ عن طريق الضلال ثم أنه حدثه بحديثه وأنه عازم على أن يغدر بالروم فقبله فلنطانوس وفرح بمقالته وقال له كيف تقدر على ذلك وما أرى معك الا نفرا سيرا . فقال أبها الملك أن في داخل بيتي مائتين من المسلمين من أكابر اصحاب رسول الله (ص) في مقام عشرين الفا من الروم ، ولقد رأيت أن تعود أنت وقومك ولا تستعجل ونبعث رجلا الى أمير المسلمين يخبره بما نحن معولون عليه فاذا كان غدا تقف أنت وجيشك حول الملك هرقل وادخل أنا البلد وأطلق المائتي أسير وأعطيهم سلاحا وتحمل جيش العرب وتحمل انت وعسكرك على مركب هرقل وتقصده بنفسك فتقبض عليه وتكون قد جاهدت واسير أنا ومن معى في داخل البلد فنملكها أن شاء الله تعالى ، وأن أردت أن ترجع الى دار ملكك وبكون المرك مكتوما علينا فحول امر جيشك لمن تثق به من بني عمك . قال فلنطانوس ما فعلت هذا ولى نية في ملكي ولا في ملك الدنيا ، بل اذا قضى هذا الامر ونصر الاسلام قصدت مكة فأحج وازور قبر النبي (ص) ، ثم ارجع الي بيت المقدس فأقيم فيه الى أن أموت ، فمن يذهب الى أمير العرب برسالتي ويخبرهم بما قد عولنا عليه ؟ فقال له يوقنا: اعلم أن لهم عندنا عيونا وجواسيس ممن هؤ تحت ذمتهم وأنا اعلمهم بما قد وقع ، قال فبينما هم في الكلام تحت ستر الليل واذا بشيخ قصد اليهما فتامله بوقنا فاذا هو عمرو بن امية الضمري ساعي رسول الله (ص) فسلم على يوقنا وعلى من معه ، وقال ليوقنا ان الامير أبا عبيدة يقول لك جزاك الله خيرا عن الاسلام وانه راى في المنام رسول الله (ص) وأخبره بما كان من أمر صاحب رومية وما تحدثتما به وما وقع له مع قومه وما عزمتم عليه وبشره بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد تفتح انطاكية ويزول عز الروم عنها وينتزع ملك صاحبها .

(قال الواقدي) فتهلل وجه فلنطانوس فرحا وازداد ايمانا وقال : الحمد الله الذي هدانا للاسلام والايمان .

(قال الواقدي) وذلك أن أبا عبيدة (رض) رأى النبي (ص) في النوم وهو يقول يا أبا عبيدة أبشر برضوان الله ورحمته وغدا تفتح أنطاكية صلحا وأن صاحب رومية المدائن الكبرى قد جرى من أمره كيت وكيت هو ويوقنا صاحب حلب وهما بالقرب منك فأنفذ اليهما بنجاز الامر ، قال فاستيقظ أبو عبيدة وقص رؤياه على خالد وأنفذ عمرو بن أمية كما ذكرنا ، قال فلما سمع فلنطانوس ذلك اقشعر جلده وارتعدت فرائصه وقال: أشهد أن لا الله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن هذا

فقد خف عنى ما وجدت من الضر كذلك فعل الخير بين الورى يجرى تركت عجــوزا في المهامــة والقفــر على نائبات الحادثات التى تجرى على الشيه والقيصوم والنبت والزهر واكرمها جهدى وان مسنى فقرى من الوحش واليربوع والظبي والصقر مع البقر الوحش المقيمات في البر لهنا ناصرا في موقف الخير والشر وجاهدت في جيش الملاعين بالسمر لعلى أنال الفوز في موقف الحشر وقاتل عباد الصليب بني الكفر وجندلته بالطعن في الكر والفر ألا يا أخي ما لي على البين من صير بحسن رجوع قادم منك بالبشر فامسا رجوع أو هلاك مدى الدهر وقولا غريب مات في قبضة الكفر على نصرة الاسلام والطاهر الطهر رسالة صب لا يفيق من السكر الى عسكر الاسلام والسادة الفر بعيد عسن الاوطان في بلسد وعسر غريب كثيب وهمو في ذلمة الاسر بأن دموعى كالسحاب وكالقطر قتلت بحد المرهفات من البتر وقولى ضرار قد يحن الى الوكر له علة بين الجوانح والصدر وواحدة عند الحساب بلا نكر على فقد أوطان وكسر بلا جبر فوافاه أبناء اللئام عليى غدر الا واكتبا هذا الفريب على قبرى الا خبسرا أمسى ودلا على أمسرى لقلب غريب لا يرام من الفكر

ولا ضاع عند الله ما تصنعانه بصنعكما لسى نلت خيرا وراحية وما بسى وايسم الله موتى وانمسا ضعيفة حال ما لها من جلادة تعودها حبب القفار مقيمة وكنبت لها ركنا تعد رحاله واطعمها من صيد كفي ارانسا من الضب والفزلان والبهت بعد وأحمى حماها أن تضأم ولم أزل وانسى أردت الله لا شسيء غسيره وأرضيت خير الخليق أعنى محمدا فمن خاف يوم الحشر أرضى الهه كذًا جلت يوم الحرب في كل كافر تقول وقد حان الفراق لحينه الا با أخى هذا الفراق فمن لنا اذا سافر الانسان عن ارض اهله الا بلفاها عن أخيها تحية جريح طريح بالسيوف مشرح الا يا حمامات الاراك تحملي حمائم نجد بلغي قدول شائق وقولي ضرار في القيود مكبل حمائم نجد اسمعي قول مفرد وان سألت عنى الاحبة خبرى حمالم نجد خبرى الاخت انسى حمالم نجد عددي عند موطني وقولي لهم اني اسير مقيد له من عداد العمر عشر وسبعة وفي خده خال محته مدامع مضى سائرا يبغى الجهاد تطوعا الا فادفناني بارك الله فيكما الا يا حمامات الحطيم وزمزم عسى تسمح الايام منا بزورة (قال الواقدي) لما كُتُب ابن يوقنا هذه الابيات كتب ابوه يوقنا الى أبى عبيدة

يعلمه بما يريد أن يدبره وسلمه الى رجل يثق به وبعثه الى المسلمين .

قال المؤلف حدثني جابر بن عمران الدوسي ونحن في ارض يقال لها البلاط اذ جاء معن بن أوس من آل مخزوم ، ولقد تركه أبو عبيدة في المقدمة فجاء برجل من الروم نقال لابي عبيدة خذ هذا اليك فهو يزعم انه رسول فاستخبره أبو عبيدة في السر . نقال انا رسول اليك بكتاب ، فقال ممن قال من يوقنا ومن اسير لكم بانطاكية يقال له ضرار بن الازور فأخذ أبو عبيدة الكتاب وقرأه على من يعز عليه فبكوا من أبيات ضرار وبلغ الخبر أخته فأتت المي أبي عبيدة وقالت يا أمين الامة أسمعني أبيات أخي فقرأ البعض عليها ولم يتمها فاسترجعت وقالت ... أنا لله وأنا اليه راجعون ... ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فوالله لاخذن بثاره أن شاء الله تعالى وحفظ الناس أبيات ضرار وتداولوها بينهم فكان أشد الناس عليه حزنا خالد بن الوليد .

(قال الواقدي) حدثنا عبد الملك بن محمد عن أبيه حسان ابن كعب عن عبد الواحد بن عون عن موسى بن عمران اليشكرى عن عامر بن يحيى عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش أن أهل حازم فتحوا قلاعا كثيرة وحصونا منها الراوندات وما سواها من قورص وباسوطا ، ولم يزل أبو عبيدة سائرا بالمسلمين الى أن نزل على جسر الحديد وبلغ الخبر هرقل فتمكن الخوف من قلبه وامر بطارقته بالتأهب للقتال ونصب سرادقاته مما يلى جسر الحديد وضربت الملوك خيامها وفتح الملك هرقل خزائن السلاح وفرقها على رجاله وابطاله وخلع على يوقنا وقال له أيها الدمستق قد وليتك على خيشى هذا كله فكن انت مدبره وسلم اليه صليبا كان في بيعة القيسان لا يخرجونه الا في الايام العظام عندهم وقال له ايها الدمستق قدم هذا الصليب بين يديك واعتمد على نصرته فهو ينصرك فأخذه وسلمه الى ولده وأمره أن يحمله بين يديه فعندها ركب الملك هرقل الى كنيسة القيسان ومعه الملوك والحجاب حتى يصلى صلاة النصر ، فلما وصلوا وصلى الملك جلس وامر باحضار المائتين من اصحاب رسول الله (ص) ليقربهم قربانا فقبل يوقنا يده وقال له: يا عظيم الروم ما ولاك الله على البلاد والعباد الا وقد علم أن عقلك يسع ذلك وقد قال ديسقور الحكيم: أن العقل مرقى جليل وصاحبه نبيل ، لانه عز الانسان ومصباح الانام ، واعلم أيها الملك أن العرب قد قصدتنا بعددها وعديدها وقد نزلوا على جسر الحديد ولا بد لنا من القتال والمصاف معهم ولا ندري على من تكون الدائرة ، فان قتلت هؤلاء الاسرى ووقع أحد منا بأيديهم فانهم لا يبقون عليه ، والصواب تركهم الى أن نرى ما يئول من أمرنا ، فان أسروا من أصحابنا احدا او من اعياننا نفاديه ، فقال ارباب الدولة صدق الدمستق في قوله قال البترك أيها الملك احضرهم الى هذه الكنيسة فانها أحسن كنائس بلدنا وأمر النساء والبنات يتزين ويحضرن هنا فاذا هم نظروا الى نسائنا وحسنهن وجمالهن وطيب رائحتهن مالت انفسهم اليهن فيرجعون الى ديننا فيكون ذلك وهنا على المسلمين .

قال فامر بذلك ، فلما حضروا رفعت القسوس أصواتهم بقراءة الانجيل فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا كذب الجاحدون وضلوا ضلالا بعيدا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، وكان في الاسرى رجل من اليمن من فضلائهم وعلمائهم ممن علم علم الحميريين وأقرأ الكتب السالفة وكان اسمه رفاعة بن زهير يقول الشبعر وينظم الكلام وأنة لما نظر الكنيسة ملآنة بأهل الكفر ورآهم يعظمون الصلبان ويستجدون للصور قال الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله كذب العادلون عن الله أصحاب الشيطان ولا اله الا الله الواحد الرحمن الذي ليس له أب محسوب ، وأنه فرد صمد لا الى شيء منسوب ، ليس له ضد ولا ند ولا حد أوجد الموجودات ، وصور المخلوقات ، وخلق الكائنات ، ودير الارض والسموات ، /أول لا افتتاح لوجوده ، وآخر لا عدم لشهوده لا يموت ولا يفنى ، ولا يزول ولا يبلى ، لا شريك له ولا وزير له ولا صاحب له ، ولا مشير له ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . قال فاضطربت الكنيسة لقوله ومالت القسوس بعكاكيزها اليه فأشارت الحجاب اليهم ان لا يكموه ويتركوه فتفرقوا عنه . فقال له الملك هرقل ما اسمك يا أخا العرب . قال أيها الملك وما تربد من اسمى ولست من جنسكم فتستخبروني ؟ ، فقال البترك صدق أيها الملك ليس هو من جنسنا ولا له علم ولا خبرة فعلام تسأله انما هو بدوى يعلم بسكنى القفار وصحبة الاشرار والحكمة من بلادنا ظهرت ، وفي حكمائنا اشتهرت ، لأنها نبعت من اليونانيين ووعاها جدودنا السريانيون من أين للعرب حكمة يتوارثونها وعلوم يتدارسونها والفضائل كلها من علمائنا والعدل في ملوكنا الاسكندر وبطليموس وموريق ويوسطنيوس وارمويل وانطاميس وارجاس وجرجس واسطوس واسطانيس وسارغورس النوصيدي ، وهو الذي بني انطاكية وسفليوس واريسا ، وكان نبيا ملكا ويلينوس وهو الذي بني الرها ومنبج واسطبس وكان كاهنا وهو الذي أخبر ملك زمانه أنه قد ولد مولود يخاطب الرب ويكون له شأن ونبأ عظيم يهلك على يديه افلاطون وهو فرعون ، ومنافسطين الحكيم ومنا فجر العلوم ، ومنا منتهو وهو الذي بني رومية الكبرى وباسمه ، ومناسطاليوس وهو الذي وضع الكتاب الاول الذي فيه حوزة الارض بجبالها وبحارها وبنائها وصوانها ووصف أمة كل اقليم بألوانها وخواصها ووصف ما في كل اقليم من معدن ذهب أو فضة أو جوهر وأحصى عيون الارض جميعها بأسمائها وجبالها وأوديتها وشعابها وغدرانها وعجائبها ، ومنا ابردروس القلنسب الرومي وهو الذي يقول لاحشرني الله مع الذين يقال لهم في الميعاد ادبروا مع ابليس وجنوده الى النار ، ألم تطهر نفسك أيها المسكين الناظر في كتابي القارى الآبي من ادناس الدنيا وشهواتها المظلمة للنفوس المعوقة للحس الروحاني النوراني أن ترقى الى عالم عليين فانظر في الحكمة فانها سلم العالم الروحاني فمن عدمها فقد عدم القرب الى بارئه ومصوره ومنشبته .

(قال الواقدي) انما تكلم البترك بهذا الكلام بين يدي الملك هرقل وهو يظن أنه

يطعن في العرب ليسمع جبلة بن الايهم حكمته ، وكان جبلة وولده حاضرين وكان بين البترك وبينه عداوة سببها أن البترك كان بنى له ديرا عظيما وجعل له عيدا في السنة تقصده الروم من كل مكان بالنفود والاموال والستور والشموع ، وكان ذلك كله برسم البتوك قال فاعطى الملك لجبلة تلك الارض التي فيها الدير فتغلب جبلة على الدير وبنى حوله مدينة وسماها باسمه وهي جبلة هذه .

حدثنا سليمان بن عامر عن منصور الجوني . قال حجاج بن جريج اخبرني يحيي بن عمارة ابن أبى الحسن . قال لما سمع رفاعة بن زهير كلام البترك تبسم من قوله وقال: أيها البترك لقد مدحت أقواما ليس لهم الى الفضل سبيل ، ولا فيهم فاضل ولا نبيل ، ولا من وحد الملك الجليل ، الذي ليس له مثيل ولا عديل ، وما الغضل الا. لولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل ، الذي لهم البيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام ، ومنهم التبابعة والاقيال والحماة والاشبال الذين ملكوا الارض في الطول والعرض ، ومنهم الملك الصعب الاسكندر الذي ملك قرني الارض ودخل الظلمات ودخل في طاعته أهل الارض ، وبلغ مطلع الشمس ومغربها وأذل ملوكها وجعل له منهم جندا واعوانا وسماه الله ذا القرئين ، ومنهم سبأ بن يعرب بن قحطان وشداد بن عاد وشديد بن عاد وعمرو ذو الاذقان وهو ابن سكسك والهدهد بن عاد ولقمان بن عاد وشعبان بن اكسير بن تنوخ وعباد بن رقيم ، وهاديل بن عتبان وكان يتكلم بالحكمة ومناجاة موسى (٧) بن جلهمة بن سياسة بن عجلان بن ياقد بن رخ وثمود بن كنعان ، ومنا سبأ بن يشبجب ، وهو أول متوج منا ثم ولى بعده حمير ثم منا تبع وهو متوج ومنا وائل بن حمير متوج ومنا عاد بن حمير متوج ومنا نبي الله حنظلة ابن صفوان من اهل الرس ، ومنا نفيل بن عبد المدان بن خشدم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود عليه السلام عاش خمسمائة سنة ، وهو الذي بني المصانع واستخرج الكنوز وقاد الجيوش وورثه الله علم نبيه حنظلة بن صغوان ، وقد ختم الله شرفنا ورفع قدرنا اذ جعل محمدا (ص) منا فنحن السادة وأنتم العبيد .

حدثنا سفيان عن عبد ربه . قال اخبرنا رحيم ، قال حدثنا الوليد بن زيادة عن حزام ابن حكيم قال : بلغني أن هذا الرجل يعني رفاعة بن زهير بن زياد بن عبيد بن سرية الجرهمي ، كان عالما بانساب العرب وأخبارهم وملوكهم وكان طالع كتب هود وصالح وحنظلة عليهم السيلام ، فلما تكلم بحضرة الملك هرقل بهذا الكلام اراد البترك ان يعجزه بسؤال يلقيه عليه ، فقال يا ذا الهمم العلية والقرائح الذكية بم تصل القلوب الى نسيم العقل الروحاني وترقى الى ملكوت اللاهوت والطيور الخفية الفائبة عن الابصار بالاقطار وترقى في وياضات الالباب المصفاة من الادناس والافكار النورانية بصفو اكدار الاخلاق المحيطة بالافكار من الهياكل الجسمانية ؟ فعند الصفو من مفارقة الكدر تعيش الارواح عيشة الابد الذي لا يصل اليه انحلال ولا اضمحلال ، فحينئل

يختلط العنصر بالعنصر ، ويطفو الصفو بالصفو ، ويرسب الكدر الى الكدر ؟ فقال رفاعة بن زهير ما أصبت أيها البترك في مقالتك ، فقال ولم ؟ قال رفاعة كيف تدل القلوب الى علام الغيوب ، وقد حجب عنها صواب المصيب ، أم كيف يتخلص الصفو من الكدر بغير تهذيب من الكفر وكيف تحلى الافكار من غوامض الاسرار وهي في حجب الاغترار اذا تناهت الاهوال الى مفازاتها وقربت الهمم من مواضعها وعادت الفكر الى عناصرها وعادت متحركات الفكر الى مساكنها وغاليات الاذهان الى أماكنها فانحازت الاشكال عن الاشكال بلطف تأثير الهوى فيها وانكبت مشرفة عن هياكلها من اقطار عناصرها . قال أيها البترك هذا كلام العرب الذي زعمت أن الحكمة ليست من أخلاقهم ولا تباع في أسواقهم ولقد كان ملك من ملوك اليمن اسمه سيف بن ذي يزن الذي بشر نبينا محمد (ص) يتكلم بفوامض العلوم الحكمية ووشح بوشاح شكر النعمة ، ومن جملة ما قال فصيح من فصحائنا اسمه قيس بن ساعدة هذه الابيات :

الا انسا من معشر سبقت لهم ولم ينظروا يوما الى ذات محرم وفينا من التوحيد والفعل شاهد نعاين ما فوق السماء جميعها ونعلم ما كنا ومن اين بدؤنا وان وان كنا على مركز الثرى وما صعدت كي تستريح وانما

اياد من الحسنى فعو فوا من الجهل ولا عرفوا الا التقية في الفعل عرفناه والتوحيد يعرف بالعقل معاينة الاشخاص بالجوهر المجلى وما نحن بالتصوير في عالم الشكل فارواحنا في عالم النور تستجلي حقيقة ممثول وجلت عن المثل

(قال الواقدي) قال أبو سعيد حدثنا شيبة بن أبي عبدالله بن عيسى عن لقية بن هند عن عبدالله بن ربيمة ، قال قلت لرفاعة بن زهير لما خلص من قبضة الروم يا عم كيف كان البترك يفهم ما تقول وتفهم ما يقول ، فقال يا بني ما رأيت أفصح من اللعين بلسان العربية ، ولقد سالت عن ذلك من عبد الله يوقنا ؟ . فقال أما علمت أن ملوك الروم والبطارقة لا يستقيم ملكهم الا أن يتعلموا لسان العربية ، قال ولما حدث رفاعة المسلمين بمناظرة البترك كتبها كثير من الناس .

(قال الواقدي) وكان لرفاعة بن زهير الجرهمي ولد جاهل . قال وكان اسر معه . قال وكان قلبه يميل الى الكفر وكان رفاعة يدعو عليه ، فلما حضر الاسارى في كنيسة القيسان واشتغل رفاعة مع البترك بالمناظرة اقبل ولد عامر يحدق بنظره الى البيعة وزينتها وصورها وصلبانها ويتامل نساء الروم وزينتهن قبادر الى تقبيل الصلبان والاشراك بالرحمن ، فلما رآه أبوه رفاعة بكى ، وقال يا ويلك اكفرت بعد الايمان ، يا ويلك طردت عن باب الرحمن ، يا ويلك كفرت بالملك الديان ، يا طريد القدرة يا من بعد عن الحضرة فيا ولدي ما بكائي على فراقك ، وانما اذا سلكت انا في طريق وانت في طريق اذا مضيت انت الى دار الابالسة وحشرت مع الرهبان والشمامسة

وتكون في طبقة النار السادسة ، وأنا أمضى مع محمد الى دار فيها الارواح مستأنسة يا بني لا تطلب حياة الدنيا ، يا بني لا تختر شهوتها على الآخرة واخجلني من فعالك اذا وقفت بين يد العزيز الجبار . يا بني لقد فضحت شيبة ابيك اذ كفرت بعالم السر والنجوى ، يا بنى لقد خاب أملى فيك والرجاء . يا بنى كيف طاب قلبك أن تتبرأ من محمد المصطفى . يا بنى ممن تطلب الشفاعة غدا . يا بنى غرتك الحياة فصرت تكفر بالعليم . يا بني صرت الى الشقاء من بعد كونك في النعيم . يا بني اما تخشى العذاب في الحجيم . أما تستحي من أحمد يوم القيامة . أما تعلم أن أباك قد غدا من أجل كفرك في هموم . أين المفر اذا دعاك الله في اليوم العظيم ، ويقول يا عبدي كفرت بواحد فرد . يا بني أنت في عيشِ ذميم . أما أبوك فانه يبقى بعز مقيم ، أسألك يا ولدى بما قد كان في الزمن القديم من حنوي وتعطفي حال الرضاعة والفطام الا رجعت الى الذي غطاك بالستر العميم . قال فقيل له أن ولدك قد أغلق الباب عليه وأرخى الحجاب ، فامر به البترك فحل من الوثاق ، وامر به الى جرن ماء المعمودية ففمسوه فيه ، ودارت به القسوس والشمامسة وبخروه ووقعت عليه الخلع من البطارقة والملوك ، ووهب له البترك مركبا وجارية ومنزلا وضمه الى عسكر جبلة بن الايهم . ثم قال البترك يا هؤلاء ما منعكم أن تدخلوا في ديننا كما فعل صاحبكم . قالوا منعنا من ذلك صحة ديننا وثبات بقيننه، وما نحن من الذين يبدلون ايمانهم بالكفر ولو قتلنا ، فقال لهم البترك طردكم المسيح عن بابه وأبعدكم عن جنابه .

نقال له رفاعة الله يعلم إينا المطرود ومن هو عن رحمة ربه معبود ، فقال هرقل يا مغاشر العرب قد وصل الينا أن خليفتكم وأميركم يلبس مرقعة وقد وصل اليه من أموالنا وذخائرنا ما يكل عنه الوصف فما منعه أن يتزيا بزي الملوك ؟ فقال رفاعة يمنعه من ذلك طلب الآخرة والفزع من جبار الجبابرة ، فقال هرقل ما صفة دار أمارته ؟ فقال رفاعة مبنية بالطين خالية من الحجاب آنسة بالفقراء والمساكين . قال فما بساطه ؟ . قال العدل والتمكين . قال فما سريره . قال العقل واليقين ، قال فما بدلة ملكه ؟ . قال الوهد والدين . قال فما خزائنه ؟ . قال الثقة برب العالمين . قال فمن جنده ؟ . قال أبطال الموجدين . أما علمت أيها الملك أن جماعته قالوا له يا عمر قد ملكت كنوز القياصرة وذللت البطارقة والا كاسرة فهلا لبست ثيابا فاخرة . قال انتم تريدون زينة الحياة الظاهرة ، وأنا أريد رب الدنيا والآخرة ، فلما أبدى هذا القول وأضمر أشار اليه منادي القدرة وبشر سالدين أن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وأضمر أشار اليه منادي القدرة وبشر سالذي ما عسكره ليشرف على الخيام فرأى السجن الذي هو في كنيسة القيسان وخرج الى عسكره ليشرف على الخيام فرأى السرادقات قد ضربت لان البطارقة ضربت سرادقاتها عند خيامه ونونيا الملوك قد نصبت بازاء كل نونية كنيسة من الخشب المدهون بسائر الاصانيع والنواقيس على نصبت بازاء كل نونية كنيسة من الخشب المدهون بسائر الاصانيع والنواقيس على

أبوابها وكان زي الروم ذلك وهذه البيع والخشب كانوا يتنافسون فيها وفي صنعتها وتكون معهم في اسفارهم وعساكرهم وطاف هرقل على عسكره جميعه واراد الدخول الى انطاكية واذا بفوارس تركض اليه ، فقالت لهم الحجاب واصحاب السرير ما وراءكم ؟ قالوا: ملك جسر الحديد منا وقد حصلت العرب منا على داخل الجسر . قال فأيقن الملك بزوال ملكه ، وقال وكيف ملكت العرب الجسر والبرجين وفيها ثلثمائة من البطارقة الشعاد ، قالوا ايها الملك ان المقدم الذي على الابراج هو الذي سلمهم .

(قال الواقدي) ومن حسن لطف الله بالمسلمين ان صاحب الملك كان في كل يوم يمضى الى الجسر ويوصى من في البرجين باليقظة والحرس الشديد وانه مضى في بعض الايام على عادته فوجدهم بشربون الخمر وليس عندهم حفظ ولاحرس فاخذهم وضرب كبراءهم وهم بقتل مقدمهم . ثم انه أمسك عنه خوف الملك فعمل الحقد في قلوبهم فجاءهم يوقنا في بعض الايام يتجسس ليدبر فيه حيلة فرآهم حنقين من صاحب الملك فسألهم فانكروا منه ، فقال لهم اطلعوني على خبركم ، فقالوا له اتعطينا منك امانا فأغطاهم ، فقالوا نحن نسلم هذا الجسر للعرب . فلما صح عنده ذلك ، قال لهم ما مرادكم . قالوا نأخذ أمانًا من المسلمين ، فقال يوقنا أنا اكتب لكم كتابًا إلى أميرهم بأن يعظيكم أمانًا ، وأن دخلتم في دينهم فهو خير لكم ، فقالوا له وكيف أنت دخلت في دينهم . ثم رجعت ، فقال حاش لله وانما أتيت أدبرهم على تسليم انطاكية لهم ، فلما صبح عندهم ذلك . قالوا ونحن نسلم اليهم العجسر ، فلما وافقهم على ذلك كتموا امرهم ، فلما قدم المسلمون مضى اليهم صاحب العِسر من غير ان يعلم به احد واخذ له ولمن معه أمانًا وناوله كتاب يوقنًا ففرح المسلمون بذلك بأن يأخذوا جسر الحديد من غير قتال فأعطوا للمقدم أمانًا ، فلما وصل عسكر المسلمين الى الباب الذي على الجسر. فتح لهم فدخلوا ، فلما سمع هرقل بذلك امر الناس ان يتأهبوا للحرب . قال ففعلوا ذلك .

(قال الواقدي) حدثنا ياسر بن عبد الرحمن عن منازل بن نزاف الصيدلاني وكان أعرف الناس بفتوح الشام . قال بلغني انه لما صار المسلمون بأرض انطاكية . قال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان قد صرنا بارض انطاكية بلد كلب الروم والساعة يأتينا عسكره فما ترى من الرأي . قال خالد أن الله قال ـ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ـ ألاية فأمر اصحابك أن يتأهبوا ويظهروا زينة الاسلام وقوة الايمان وسير كل أمير بجيشه ولتكن الكتأنب والمواكب يتلو بعضها بعضا . قال فغمل أبو عبيدة ذلك ، وأول من سير سعيد بن زيد أحد العشرة ومعه ثلاثة آلاف فلرس فيهم المهاجرون والانصار وجعله على مقدمة الجيش ، وسير وراءه رافع بن عميرة الطائي ومعه الف فارس ، وسير وراءه ميسرة بن مسروق العبسي في ثلاثة آلاف فارس ، وسار وراءه خالد في جيش الزحف ، وسار وراءهم أبو عبيدة في بقية العسكر ، وكان معه عمرو بن خالد في جيش الزحف ، وسار وراءهم أبو عبيدة في بقية العسكر ، وكان معه عمرو بن

معد يكرب الزبيدي وذو الكلاع الحميري وعيد الرحمن بن ابي بكر وعبدالله بن عمر وابان بن عثمان ابن عفان والغشل بن العباس وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن ضمرة وسعيد بن رافع وزيد أبن همرو ومثل هؤلاء السادات وسار وراءهم النساء اللاتي لهن الاسرى وفيهم خولة بئت الازور وعفيرة ابنة عفان ومزروعة ابنة عملوق وام أبان بنت عتبة وليس فيهم أشد حزنا من خولة بنت الازور .

(قال الواقدي) ومما بلغني أنها قالت في أسر أخيها من المراثي المبكيات :

ابعد اخي يلد الغمض عيني سابكي ما حيبت على شقيق فلو أني لحقت به قتيلا وكنت الى السلو أدى طريقا واني أن يقال مضى ضرار وقالوا كم بكاؤك قلت مهلا

فكيف ينام مقروح الجفون اعز على من عيني اليمين لهان علي اذ هو غير هون واعلق منه بالحبل المتين فليس يموت موت المستكين لباكية بمنسجم هتون اما ابكى وقد قطعوا وتيني

قال فسيار أبو عبيدة في مواكبه كما ذكرنا ، فبينما الروم في خيامها وعسكرها أذ وقع فيهم الصائح بقدوم العرب ، فركزوا خيولهم وصفوا صفوفهم ، فأول من أشرف عليهم برايته سعيد بن زيد وبعده المسيب بن نجبة الفزازي، وبعده ميسرة بن مسروق العبسى ، وبعده اتى خالد بن الوليد ، وبعدهم ابو عبيدةً في مواكبه ، فنزل كل أمير بقومه ، فلما نظر هرقل اليهم وانهم قد نزلوا بفنائه وبنائه ترك على حفظ جيشه صاحبه الاكبر نسيطاروس بن روميل ، وكان من شجعان الروم ، ودخل الى كنيسة القيسان وجمع الملوك والبطارقة والسريرية والحجاب ، وقام هرقل فيهم خطيبا . وقال: يا أهل دين النصرانية ويا بني ماء المعمودية قد قرب ما حدرتكم منه من زوال ملككم وذهاب عزكم من أرض سورية ، وقد كنت حدرتكم من زوال ملككم ومن هذا المقام فلم تقبلوا مني واردتم قتلي ، وهؤلاء القوم قد دخلوا بدار ملككم ورياح عزكم فقاتلوا عن حريمكم واموالكم وانفسكم ، واياكم والفشل لا يلحقكم في الجهاد فقد جاهدت عنكم جهدي واتلغت أموالي وخزائني ورجالي عن دينكم وملككم ، فلم تصادفني مساعدة ولا أدركت من القوم فائدة ، فإن أنتم فشلتم وتقاعستم ولم تجردوا لهؤلاء العرب سيوف العزم ، والا كان العار عليكم ، والذلة تصل اليكم ، أين أبناؤكم ومن سلف من آبائكم 1 ماتوا كراما غير لنام وسكنت ديارهم العرب اللنام ، وكنائسهم مسروها جوامع ، واخربوا البيع والصوامع ، واذلوا ملوككم واستعبدوا ابناءكم ونساءكم وملكوا قلاعكم واستولوا على حصونكم ومدائنكم ، وقد مضى ما مضى فاستأنفوا الامر وقاتلوا ، فكم هلك من الامم قبلكم على ممالكهم وعلى الغيرة على حريمهم ، ولقد كانت حكمتى انتجت لكم أن تنسجوا على منوال المصالحة بينكم وبين هؤلاء العرب فأبيتم

ذلك ، لأن ظلمة جهلكم قد اطفات نور الحكمة ، أما علمتم أنه قد وجد لوح من الحجر على قبر طيماون تلميذ اقيانوس وفيه مكتوب: الحكمة سلم العالم الاعلى ، من عدمها نقد عدم القرب الى بارئه ، الحكمة حياة القلوب ، وبغية الاذهان ، ونزهة النفوس ، ونور العقول ، من لم يكن حكيما لم يزل سقيما ، من تدبر نظر ، ومن نظر عرف ، ومن عرف عمل ، ومن عمل انفتح ذهنه وعقله ، ومن انفتح عقله صفت نفسه ، فقام اليه جبلة بن الايهم ، وقال يا عظيم الروم انما قتال هؤلاء العرب بقتل خليفتهم عمر بالمدينة ، فلو انت ارسلت اليه رجلا من آل غسنان يقتله فيكون سبب فشلهم وانتزاع الشام من ايديهم فقال هرقل هذا شيء لا يصح أمله ولا ينقضي أجله ، لأن الآجال مقدرة ، والانفاس مقررة ، ولكن هو شيء تطيب النفس عند سماعه فافعل ما اردت . قال فأرسل جبلة من قومه رجلا يقال له واثق بن مسافر الفساني ، وكان جريبًا مقداما في الحروب فقال له انطلق الى يثرب فلعلك تقتل عمر ، فان انت فعلت ذلك فانا اعطيك ما أردته من الاموال . قال : فانطلق واثق بن مسافر حتى دخل المدينة ليلا ، فلما كان الغد صلى عمر بن الخطاب (رض) بالناس صلاة الصبح ودعا وخرج الى ظاهر المدينة يتنسم اخبار المجاهدين بالشيام . قال فسيقه المتنصر وجلس له باعلى شجرة من حديقة بن الدحداح الانصاري واستتر باغصانها ، ثم ان عمر قام عن ظاهر المدينة حين حميت الرمضاء وعاد وهو وحده فقرب من الحديقة ودخلها ونام في ظلها ، فلما نام هم المتنصر بالنزول من الشبجرة وجرد خنجره واذا هو بأسد أقبل وهو بقدر البقرة الكبيرة وطاف حول عمر وجلس عند قدميه يلحسهما واقام حتى استيقظ ، فعندها نزل المتنصر وقبل يد عمر ، وقال له : يا عمر قد عدلت فأمنت . . . بأبي والله من الكائنات تحفظه والسنباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ، ثم حدثه بامره واسلم على يديه .

(قال الواقدي) وكانت هذه الفعلة قبل نزول المسلمين على انطاكية .

حدثنا أبو محمد قال اخبرني أبي عن حسان عن السدي عن يحيي الواقدي عن شهر بن عباس البيروتي أن عمر حدثه عن نزول أبي عبيدة بالمسلمين على انطاكية ، قال وعظ هرقل قومه بكنيسة القيسان واستحلفهم أنهم لا ينهزمون أو يموتوا عن دم واحد فحلفوا وخرجوا مع الملك الى عسكره ، وقد رفعت الصلبان وقرأت القسوس والرهبان وارتفع الضجيج من أهل الكفر والطفيان واصطفوا للقتال ، وكان المسلمون قد رتبوا صفوفهم وأوقفوا كل أمير في مكانه ونشرت الرايات والإعلام وأشار أبو عبيدة الى ربيعة بن معمر الشاعر ، وكان لسنا فصيحا لا يتكلم الا بالكلام المنظوم . فقال له : يا ربيعة فوق سهام لفظك ووعظك الى المجاهدين وحرض المسلمين على قتال المشركين قال فتقدم ربيعة أمام الصفوف وكان جهوري الصوت يسمعه القريب والبعيد . فقال أيها الناس الى متى هذه المهلة فتأهبوا للحملة ، فهذه طيور الارواح قد عولت على فراق أقفاص الاشباح وقد ارتاحت الى باريها وأجابت صوت مناديها وها هي تخاطبنا

بلسان اشارتها عن نطق عبارتها ما هذا الوقوف على بذل انفسكم وقد اشتراها مؤيدكم ؟ افركنتم الى حب الحياة الفانية والانفس الدانية ، وهذه اوقاتكم بالنصر مؤيدة وهمتكم عن طلب زينة الدنيا متحيدة والمواعظ الصادقة بكلام الحق مقيدة : اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ، وهذه طوالع سعودنا بالاقبال طائمة وشيجرة آمالنا بالتاييد يانعة ، فله درهم فلقد ظهرت زهرة نجوم المحبة في افلاك راياتهم وتبلج فجر العشق في سماء سماتهم واشرقت شموس المعرفة في مشارق عشقهم ، فلما هموا بالحملة بأجمعهم واصطغوا وقدموا همم النفوس في رضا الملك القدوس واستبقوا وزاحموا بعضهم بعضا ولم يرفقوا نودوا من صغاء اسرارهم سمن المؤمنين رجال صدقوا .

(قال الواقدي) رحمه الله حدثني زيد بن اسمعيل الصائغ عن جعفر بن عون عن عياش ابن ابان عن جابر بن اوس . قال كنت حاضرا في مصاف ابي عبيدة على انطاكية حين وعظنا بسجمه ربيعة بن معمر ، فكان أول من خرج من الروم للبراز شجاع الروم نسطاروس بن روبيل وهو كانه برج من حديد ، فلما توسط الميدان طلب البرازُّ فخرج اليه دامس أبو الهول مولى بني طريف فاتح قلمة حلب ، وهو يومثذ فارس غطريف فحملا على بعضهما ، فلما اشتعلت نار الحرب بينهما عثر جواد دامس فسقط على ظهره فانقض عليه نسطاروس واخذه اسيرا وقاده ذليلا ورجع الى الميدان ، فخرج عليه الضحاك بن حسان الطائي وكان يشبه خالدا في حملاته وخفته ، فلما برز . قال قائل من الروم ممن شاهد قتال خالد في المواطن وعرفه هذا فارس الشام والمسلمين اللى فتح بلادنا فصار كل من في انطاكية ينظر اليه وهم يظنون أنه خالد فازدحمت خيل المشركين من كثرة النظر اليه فقطعت حبال السرادقات التي لنسطأروس وغيروا سريره فخاف الغلمان على انفسهم وسرادقاته على ذلك واذا راها على تلك الحالة قتلهم ولم يجدوا احدا يعينهم على رفع السرادق لان كل من في العسكر مشعفول بالفرجة على نسيطاروس مع خصمه فاتفق اثنان من الغراشين وكانوا ثلاثة على حل دامس أبي الهول ، وقالوا له نحن نحلك من وثاقك وتعيننا على شيل عمود هذا السرادق ونعيدك الى الوثاق . فاذا جاء البطريق نشفع فيك فانه يخلي سبيلك . فقال نعم فحلوه من وثاقه ، فعندها قبض على الاثنين كل واحد بيد وضرب واحد بواحد فصرعهما فماتا فهجم على الثالث فقتله وفتح صندوقا من الصناديق فوجد فيه ثياب نسطاروس فلبسها وركب من الطوالة جوادا من خيارها واخذ بيده قنطارية وسيفا ولثم وجهه وقصد عسكر المتنصرة ووقف الى جانب حازم بن عبد يغوث وهو ابن عم جبلة ، وكان قدمه على عسكر المتنصرة وجبلة وولده وبنو عمه في موكب الملك .

(قال الواقدي) ولم يزل القتال بين نسطاروس والضحاك بن حسان الى أن كل الجوادان ولم يقدر احد منهما على صاحبه فافترقا وعاد نسطاروس الى سرادقاته

ليستريح فوجد السرادق على الارض والفراشين قتلى ولم ير دامسا فعلم أن المصيبة من قبله فمضى الى الملك واعلمه بذلك ، فقال وحق المسيح ما هؤلاء العرب الا شياطين. قال وهرج العسكر بصنع ابي الهول ، فقال الملك هو الآن في عسكرنا وما رايناه خرج وما هو الا مختف في عسكر المتنصرة لانه من جنسهم ، فلما راى دامس هرج عسكر الروم ، وأن ذلك بسببه انتضى سيفه على حين غفلة وضرب به حازم بن عبد يفوث فرمى رأسه عن بدنه فبهتت المتنصرة من فعله وأمسك الله عنه أيديهم ودهشوا لذلك وأطلق جواده وطلب عسكر المسلمين ، فلما رأوه صاحوا بالتهليل والتكبير فاتي الي أبي عبيدة وأخبره بما وقع له مع القوم ، فقال لا شلت يداك . قال وبلغ الخبر جبلة من قتل ابن عمه حازم ففضب واتى الى هرقل وصقع له ، وقال يا عظيم الروم انا لا أقدر على الصبر ولا بد لنا من الحملة على هؤلاء الذين قد تعدوا طورهم وجهلوا قدرهم ، فاراد الملك أن يأمرهم بالحملة ، وأذا قد أقبلت عليه خيل تركض ، فقال لهم ما وراءكم ؟ . قالوا أيها الملك انه قد قدم الى نصرتك فلنطانوس بن سطانيوس بن أرمونيا صاحب المدائن ورومية الكبرى وباسم جده سميت ، وكان قد وضع فيها هيكلا عظيما يسمى أبا سرفيا وكان به صورة من نحاس مطلية بالذهب الاحمر ولذلك الهيكل سبعة أبواب من الذهب على كل باب هيكل مدور على دأسه شخص آدمي وبيده عدة الواح من الذهب وفي كل عام يعلق منها لوح على الهيكل تلقاء الشمس ثم ينظر كاهن ذلك الهيكل في ذلك اللوح فيعلم ما يجري في الاقليم المُختص بذلك اللوح، وكان كل لوح مختصا باقليم من الاقاليم السبعة وكذلك لكل هيكل من تلك السبعة هياكل ، فيعلم أهل رومية الكبرى ما يجري في العالم بما وضعه حكماؤهم الاقدمون وفي وسط تلك السبعة هياكل قبة مثمنة على ثمانية عمد من نحاس اصفر مطلية بالدهب محوط به سور مرقط ببياض وفيه بابها الاعظم وعلى راسها صورة من حجر لا يعلم ما هو ؟ بل الحجر أسود . فاذا كان استواء الزيتون في مشارق الاربض ومفاربها يسمعون من لك الصور صوتا هائلا تكاد القلوب تتفطر منه ، فاذا كان الفد تأتي من آفاق الارض زارزيرها وكل زرزور حامل ثلاث زيتونات واحدة في منقاره واثنتآن في رجليه فيلقونها على رأس تلك الصورة فلا تزال كذلك حنى يمتلىء ذلك المكان العظيم. قال فيعصرون منه زيتهم وما يأكلون من العام الى العام وكان في داخل الهيكل الاعظم بيت مقفل لم يفتح منذ بنيت رومية ولما أراد فلنطانوس الملك النهوض الى نصرة هرقل احتاج الى مال يصرفه على عسكره فأتى الى ذلك البيت المقفل وهم بفتحه ، فقال له عظمأؤه وعطماوس ، وهو القيم على أمر الهياكل كلها: أيها الملك أن هذا البيت منذ أقفل تاريخه سبعمائة سنة وذلك من قبل ظهور المسيح بمائة سنة وسبعين ، وما أحد من أجدادك تعرض اليه ولا أحد ممن ولى أمر هذه الكنيسة الا ويوصى على هذا البيت أن لا يفتح فلا تزل حكمة أسسها من كان قبلكمن الحكماء والملوك، وقد بني هذه المدينة وأسس هذا الهيكل وهذا البيت ، وهو بيت جدك رسيوي بن قطاوس وبقي

في ملكه على ما بلفنا ثلثمائة وسبعين سنة ووصى كوصية ابيه وتولى عليه احد اجدادك حتى وصل اليك هذا الملك ولك فيه مائة سنة فلا تزل حكمة اجدادك اجدادك الذين اسسوها وطلاسم وضعوها . قال فأخذه اللجاج في فتحه ، فلما فتحه لم يجد فيه شيئًا الا أنه رأى في البيت صورة القدس ومدن الشام وصفة ملوكهم وعددهم وفي آخرهم صورة ليطن وهو هرقل كأنه ينظر في اللوح مكتوب باليونانية: يا طالب العلم عليك بكثرة القراءة فانه كلما تكور مرور النكت على مسامع من يتعلمها كان ذلك أشد لثبوته وأحكم لتصريفه ، أذ العلوم كلها أنما تستخرج بالعقل والقياس ، وأنما يكون بكثرة الرياضة ، والعلم مطية التدبير ، والتدبير موضع العلم ، والعلم موضع العقل ، هذا هو المتمم لاشكال العلوم ، وقد رأينا في الحكم والاسرار الخفية أن صاحب الفمامة أذا خيمت على صفحة الارض وحلت الضلالة خرج مصباح الهداية من ارض تهامة فيذهب بظلام الجهل المظلم للحس ويدعو الناس بدينه إلى توحيد الصانع وهو صاحب الجمل الاورق فيذهب بالاديان والملك ، يضيق لدعوته السهل والجبل ، فاذا غلب نوره على كل كثيف انتقل الى العلم الروحاني وولى بعده رجل نحيف الصورة قلبه منور بنور الصدق يشيد ملته ويصدق شريعته وويل للشام مما يحل بها من الرجل الاحور الداهب بملك قيصر وهو الرجل الكثيف صولته الربعة صورته العدل صفته والحق منقبته جبته مرقعة وسيفه درته ، في أيامه تذهب الدول وتتحول وتضمحل وتزول. ، واوانه اذا فتح هذا البيت المصور بالحكمة المحفوظ بحفظ النعمة فطوبي لمن رسخت الحكمة في قلبه ، واشرقت مصابيحها في لبه واتبع الحق وعرفه ، وجانب الباطل وخالفه . قال فلما قرأ فلنطانوس ما في اللوح أخذه العجب ، وقال لعطماوس قيم الهياكل: أيها الاب الشفيق ما تقول في هذه الحكمة ؟ قال أيها الملك وما عسى أن أقول في حكمة وضعتها العظماء وعلمت بها الحكماء وانما العلوم غامضة يصل اليها الخبر الجوهري بنور العقل ، وانما أرى أن دولة هرقل وهي عز دولتها وانهدت أركان ملكه من ارض سوريا وانتقل ملك الروم الى ارض اسطور يعنى قسطنطينية وبذلك اخبر مهراييس الحكيم في كتابه العزيز الذي وضعه وسماه اسلاوس يعني جواهر الحكمة ، ومن جملته: اذا ظهر نور اليتيمة المصفاة من الادناس من جبال ثاران تصفت الاذهان بنور حكمته وانصرفت الظلمة المتكاثفة في سماء الجهل بقوة عزيمته ، ودعا الناس الى ـ لطيف دعوته وقادهم بازمة لطافته فيعلو على الافلاك ، فويل لارض ايليا من صولة صاحبه المتوشح بوشاح الهيبة المتوج بتاج العقل ، صاحب فتوح الارض ومذل ملوكها العدل فسطاطه والمرقعة لباسه ، وفي زمانه ينكسر الصليب وتخرج الهياكل وتندرج الذابح ويدوب ماء المعمودية فلا نجاة من صولته الا باتباع شريعته وصاحبه . قال فلما سمع ذلك فلنطانوس من القيم على الهياكل كتم الامر في نفسه وقال لا بدلي من النظر الى العرب والمسير اليهم والى نصرة الملك هرقل وقد وصل الى كتاب البتوك وندبني الى نصرة دين المسيح فان تأخرت حرمني ، ثم انه اختار من جيشه في رومية

تلاتين الفا وهم الكرجية وولى في موضعه ولده استغليوس وهو مثلث النعمة واستخرج من ببت الحكمة رايات الاسكندر اليوناني ، وكانت منسوجة باللهب واللؤلؤ التي نشرها يوم قتحت الواحات من ارض باليوس ، وكانت لا تنشر الا في يوم واحد في أفسنة ببيعة ايا صوفيا وهو يوم عيد الصليب والشعانين ، قال فلما رفعت على راس للنظانوس سار حتى ورد انطاكية ونزل على باب هاوس ومعناه باب فارسى ، قال وركب الملك هرقل في موكبه الى لقائه وضربت سرادقاته بازاء سرادقات هرقل وفرحت الروم وتفاءلت بالنصر وضربت النواقيس ووقعت ضحة عظيمة في جيوشهم وارتفعت اصواتهم وجاءت عيون المسلمين فأخبروهم بقدوم صاحب رومية فرفع ابو عبيدة كفه الي السماء ، وقال : اللهم ان اعداءك يستنصرون علينا بكثرة عددهم وتزايد مددهم وكلمتهم السفلي وانصرنا كنصر نبيك في يوم الاحزاب : اللهم رد كيدهم في نحرهم وانصرنا عليهم قال : وامنت المسلمون على دعائه .

(قال الواقدي) حدثنا ابراهيم بن العلاء عن ابي يوسف الكندي عن ابي جمفر الدارمي عن الربيع بن انس عن جعفر بن ميسرة قال : قال لي عمي كما قدم صاحب مؤمية بجنوده بخاف المسلمون ولكن ثبتهم الله وبعث أبو عبيدة معاذ بن جبل ومعه كلالة آلاف وقالَ له يا صاحب رسول الله أن الروم قد تجمعت من سواحل البحر لنصرة دينها فانهض وشن الغارات على بلاد السواحل واحتفظ أن تؤتى المسلمون من قبلك قال فغمل ذلك معاذ وسار الى جبلة واللاذقية فاحتوش اموالها ، واخذ غنائمها ووجد على باب جبلة عنان بن جرهم الغساني ابن عم جبلة بن الايهم ومعه الف دابة معملة برا وشعيرا لعسكر الكفر ، وقد جمعها من طرابلس وعكا وصور وصيدا وقيسارية وقد بعث بها قسطنطين بن هرقل الى ابيه ، فلما وصلت مدينة جبلة سلمه المرب المتنصرة لابن عم جبلة وعادوا فوقع بها معاذ (رض) فاخذها ورجع قافلا الي همسكر المسلمين ، فلما راوها رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير فسال هرقل عن ذلك فأخبروه بما وقع فغضب على أخذ الميرة التي تتقوت بها عسكر أعدائه . فقال لبطارقتا ما بقى بيننا وبين هؤلاء الا المصاف ويعطى الله النصر لمن يشماء ، ثم انه امر عسماكوه بالاهبة للقتال ثم انه ركب والى جانبه فلنطانوس صاحب رومية وصاحب مرعش وصاحب قلعة اسكبادنيس وهي قلعة الروم وصاحب طرطوس وصاحب مصيصا وصاحب قونية وصاحب ماصر وصاحب اقصرا وصاحب قيسارية الروم الاقصر وصاحب قوماط وصاحب انظرانه وصاحب طبرزند وجبلة ابن الايهم .

(قال الواقدي) وأقبل يوقنا يرتب الصفوف في الحرب ، فلما وقف كل ملك بجيشه وكل بطريق باصحابه أراد فلنطانوس ملك رومية أن يتقرب الى هرقل بمبارل المرب فصقع له على قربوس سرجه وقال: أيها الملك ما تركت ملكي وأتيت الى خدمتك

من مائتي فرسخ الاحتى ارضى المسيح واخدمه بين يديك وان كل عسكرك قد قاتلوا وجاهدواً واريد أن أبرز في هذا اليوم الى هؤلاء المحمديين وأشفى لرادك وفؤادي منهم فاراد الملك ان يطيب قلبه . فقال له الزم مكانك ولا تخرق بحرمتك وحشمتك حشمةً اللوك فانت اقدم منى في المملكة فدع غيرك يكون لهذا الامر فما بلغ من شأن العرب أن تخرج انت اليهم بنفسك . فقال فلنطانوس أيها الملك وأي حشمة بقيت لنا مع هؤلاد وقد أهملوا عزنا واذلوا أعز ديننا وللجهاد مفروض على كبيرنا وصفيرنا ، أما علمت إيها الملك انه من نظر الى الدنيا بعين المحبة جذبته الشهوات الى الفلو في محبتها والتعلق يز خارفها ، فاذا فعل ذلك ركب غيم كثافه الجهل على صفحة صدره فمنعه ذلك عن طلب معاده ، ومن سارع الى طاعة خالقه بترك شهواته ارتقى الى دار دائرة القدس في محل الانس ، ولما علم القديم الازلى بركون انفسكم المحجوبة بحجاب الففلة الى طلب ما يفني سلط عليكم اضعف امة قد اخرجتكم من دياركم وابعدتكم عن أوطانكم وما ذاك الا لخلودكم الى الاهواء الجاذبة الى مهاويكم والى ادراك المهالك لانكم حكمتم بفير الحق واجتراته على الرعية بطلبكم منهم ما ليس لكم بحق والجور في أخذ أموالهم وفساد أحوالهم وكثرة الزنا واتباع الخنا فلاجل ذلك لم تنصروا ، ودارت دائرة السوء عليكم . قال ثم تكلم صاحب الملك هرقل الكبير واسمه سروند وصاح عليه وقال له أيها السيد لا تحمل على قلب الملك من كلامك ما لا يطيق في مثل هذه الساعة ، فقد وعظه من هو اكبر منك فلم يسمع قوله . قال فغضب فلنطانوس من صياح الحاجب عليه وكتم امره الى الليل ، فلما مضى من الليل ربعه طلب حجابه وخواصه ، وقال لهم أرضيتمُ أن يزعق على حاجب هرقل ويوبخني بين الملوك وانتم تعلمون أن بيتي أعظم من بيته ونسبه أدنى من نسبي وملكي أقدم من ملكه ؟ ، ولقد قال قسيس حكيم بلاد الذكر المشمور بحكمته وهو الذي وضع المنار الاعظم في يوم كبير كان بين بلاد الجرامقة وبلاد الانجار وهي مسيرة اثني عشر يوما ولا يصل الى ارضها الا بعد عناء كبير فاحتفر لها بئرا ووضع في وسطها عمودا على راس حجر يدور من صنعة حكمتها يسمع له من حدة النداء من حوله ويرشح له بقدر ما يملا ذلك الجرن العظيم ، فانه قال : لا تسع بقدمك الى من يراك دونه فتصفر عنده واجعل عز نفسك في مقابلة كبرياء عجبه ، فأن عزم النفوس تقابل جاه الملوك ولا تصنع صنيعك لغير مستحقه لانها تجلب عليك السوء من قبل ذلك ، فإن ذلك الاحسان لا يزكو الاعند ذوي الاصول فأنه يندسج عند السفهاء والارذال لا تصنع اليهم النصيحة ، فانك انت تطلب منفعته وهو يريد هوى نفسد باذيتك وقد جئنا من مائة فرسخ واكثر الى خدمة رجل يرى اننا قد قصدنا داره وتاج عزه وأننا نحن من جملة خدمه وأن نور العقل المجوهر للحس يمنعني من أتباع الجهل المظلم للحواس ، وأن نفسي تأبي ذلك ، والعز محل جليل ومقا منبيل ، والذَّل وبيل وصاحبه قليل ، وقد عولت أن أسير الى هؤلاء العرب وأختبر ملتهم فأنها هي الملة الواضحة بالحق المؤيدة بالصدق ، ومن كان عليها أمن في معاده من الهول الاكبر فما

أنتم قائلون ؟ . قالوا أيها الملك وكيف تطيب نفسك بتراد دينك وملكك وعزك وتتهج هؤلاء وهم لا فضل لهم ولا مندهم حكمة ، فقال فلنطانوس: أما الحكمة البالغة فعندهم مقرها وفي نفوسهم موطنها . لان نور توحيدهم صفى اذهانهم ونور ايمانهم ببركة صاحبهم المسمى في علوم الفيوب ، لان مغناطيس حكمته الربانية جذب جوهر عقولهم الى متابعته والاقتداء بشريعته ، ومن أراد أن يلقى حالم عليين فلا يقعد على صفحة أرض الجهل: أما علمتم أن النور أنور من الظلمة والموت نهار الحياة . قال فلما سمعوا قوله قالوا أيها الملك نحن ما نمنعك من عز دائم يخرجنا من الذل ومهابة الغلبة ، فاذا كنت تطلب بنا طريقا يؤدي الى البقاء ويذهب بالشبقاء فالحق اتباع الحق ونفي الباطل فنحن لك وبين يديك . قال فخدوا على انفسكم فاذا كانت ليلة فد ركبنا كانا نطوف حول البينت نحرسه ونطلب جيش العرب. قال ففعلوا ذلك واخذ فلنطانوس في أمره . قال ابن وهب وابن صالح عن أبي موسى الاشعري . قال: لما عزم أن يسير ألى جيش المسلمين اتى اليه يوقنا برسالة آلملك هرقل ، فلما ادى الرسالة وهم بالقيام قال له فلنطانوس من أنت من الحجاب ؟ قال أنا يوقنا صاحب حلب . قال وكيف تركت بلدك ؟ قال استولت عليها العرب وحدثه بحديثه . فقال فلنطانوس: وما الذي ظهر لك من هؤلاء العرب . قال أيها الملك اني دخلت في دينهم واطلعت على أمرهم وكشيف سرهم فرأيت القوم لا يستمعون الى الباطل ولا يحيدون عن الحق ولا ينامون الليل من كثرة اجتهادهم ولا يتكلمون بغير ذكر ربهم ينصفون المظلوم من الظالم ويواسي غنيه م فقيرهم ، الامراء منهم في زي المساكين ، والعزيز والذليل عندهم سواء ، فقال له فلنطانوس فاذا وقفت على سرهم ورأيت فضلهم فما منعك أن تقيم عندهم وبينهم ؟ فقال يوقنا منعني من ذلك صحة ديني وصحبة قومي لاني لم أر فراقهم .

قال فلنطانوس: ان النفوس الزكية الباقية اذا رأت الحق جذبها بحاذب اليقين الى حضرة طلب الاخلاص من المعيشة الذميمة الى ان ترقى الى اعلى عليين . قال فخرج يوقنا وقد رسخ كلام فلنطانوس في قلبه ، فقال والله ما تكلم بشيء الا وهو منقوش على صفحة صدري وكلامه يشهد بقبول عقله لصحة دين الاسلام ، واقام يوقنا على قلق من ذلك حتى أقبل الليل فأتى الى فلنطانوس فرآه وهو على نية الركوب الى ما ذكرناه ، فلما وقف بين يديه صقع له . فقال له فلنطانوش بأي حجاب حجب الله الظالمين عن اتباع سبيل المتقين فالحق واضح لمن طلبه والباطل خفي عمن اتبعه . فقال يوقنا أيها الملك ما معنى هذا الكلام الذي أشرت اليه ؟ فقال لو انك رأيت بعين البصيرة لما رجعت عن ملتهم ولا أددت بدلا غيرهم وانما أنت طلبت نعيما يئول الى النكال . قال فسكت يوقنا وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ومضى الزوال الى النكال . قال فسكت يوقنا وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ومضى ووقف على الطريق الذي يمضي الى المسلمين فركب فلنطانوس وخرج من سرادقه فوجد بني عمه قد اخذوا أهبتهم وهم أربعة آلاف فارس وقدموا عزمهم وساروا يدا

واحدة بطلبون جيش الموحدين رقد تركوا عزهم وفارقوا دينهم ، فلما قربوا من جيش المسلمين ظهر لهم يوقنا وبنو عمه المائتان . فقال يوقنا لفلنطانوس: أيها الملك عولت على ان تكبس المسلمين فقال لا والقديم الازلى وانما أنا قاصد اليهم وداخل في دينهم وملتهم واكون من جملتهم ، فمن نظر الى الدنيا بعين الفناء عمل للآخرة فما الذي يمنعك يا يوقنا مما نحن عولنا عليه ؟ . فقال يوقنا ايها الملك لقد جذبك جاذب الحقّ عن طريق الضلال ثم انه حدثه بحديثه وانه عازم على أن يغدر بالروم فقبله فلنطانوس وفرح بمقالته وقال له كيف تقدر على ذلك وما أرى معك الا نفرا يسيرا . فقال أيها الملك أن في داخل بيتي مائتين من المسلمين من اكابر اصحاب رسول الله (ص) في مقام عشرين الفا من الروم ، ولقد رأيت أن تعود أنت وقومك ولا تستعجل ونبعث رجلا ألى أمير المسلمين يخبره بما نحن معولون عليه فاذا كان غدا تقف انت وجيشك حول الملك هرقل وأدخل أنا البلد وأطلق المائتي أسير وأعطيهم سلاحا ويحمل جيش العرب وتحمل انت وعسكرك على مركب هرقل وتقصده بنفسك فتفيض عليه ونكون قد جاهدت واسير انا ومن معي في دأخل البلد فنملكها ان شاء الله تعالى ، وان أردت أن ترجع الى دار ملكك ويكون امرك مكتوما علينا فحول امر جيشك لمن تثق به من بني عمك . قال فلنطانوس ما فعلت هذا ولي نية في ملكي ولا في ملك الدنيا ، بل اذا قضى هذا الامر ونصر الاسلام قصدت مكة فأحج وازور قبر النبي (ص) ، ثم أرجع الى بيت المقدس فاقيم فيه الى أن أموت ، فمن يلهب إلى أمير العرب برسالتي ويخبرهم بما قد عولنا عليه ؟ فقال له يوقنا: اعلم ان لهم عندنا عيونا وجواسيس ممن هو تحت ذمتهم وأنا الملمهم بما قد وقع ، قال فبينما هم في الكلام تحت ستر الليل واذا بشيخ قصد اليهما نتامله يوقنا فاذا هو عمرو بن أمية الضمري ساعي رسول الله (ص) فسل معلى يوقنا وعلى من معه ، وقال ليوقنا أن الامير أبا عبيدة يقول لك جزاك الله خيرا عن الأسلام وأنه راى في المنام رسول الله (ص) واخبره بما كان من أمر صاحب رومية وما تحدثتما به وما وقع له مع قومه وما عزمتم عليه وبشره بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد تفتح انطاكية ويزول عز الروم عنها وينتزع ملك صاحبها .

(قال الواقدي) فتهلل وجه فلنطانوس فرحا وازداد ايمانا وقال : الحمد لله الذي هدانا للاسلام والايمان .

(قال الواقدي) وذلك أن أبا عبيدة (رض) رأى النبي (ص) في النوم وهو يقول يا أبا عبيدة أبشر برضوان الله ورحمته وغدا تفتح أنطاكية صلحا وأن صاحب رومية المدائن الكبرى قد جرى من أمره كيت وكيت هو ويوقنا صاحب حلب وهما بالقرب منك فأنفذ اليهما بنجاز الامر . قال فاستيقظ أبو عبيدة وقص رؤياه على خالد وأنفذ عمرو بن أمية كما ذكرنا . قال فلما سمع فلنطانوس ذلك اقشمر جلده وارتعدت فرائصه وقال: اشهد أن لا أله الا أله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن هذا

(14) - 4.0 -

الدين هو الحق اليقين ، نم انهم عادوا وطافوا بجيس الملك كانما يحرسون ، فبينما يوقنا قد ذهب باصحابه من عند صاحب رومية وقد قوي عزمهم على ما ذكرنا من امر كبسهم الملك وأذا بالحاجب قد لقيه والمشاعل بين يديه وفد خرج من انطاكية ومعه ضرار بن الازور ورفاعة بن زهير والمائتا أسير وقد عول على قتلهم وان يرمي غدا برؤوسهم الى المسلمين ، فلما سمع يوقنا ذلك ضاقت الدنيا عليه وقال له إيها الحاجب الكبير انت تعلم ان المصاف غدا واقع بيننا وبينهم فان انتم قتلتم هؤلاء ورميت برؤوسهم الى المسلمين فانهم لا يقعون بأحد منا فيبقون عليه فاتق الله ولا تعجل بذلك ودعهم عندي وراجع الملك في أمرهم الى أن نرى ما يئول امرهم اليه ، قال فتركهم الحاجب عند يوقنا ومضى الى الملك وأخبره بما قال يوقنا ، فقال له دعهم عند وسار بهم الى خيمته وصعب عليه اخراجهم من انطاكية لانه كان قد عول على أن يملك وسار بهم الى خيمته وصعب عليه اخراجهم من انطاكية لانه كان قد عول على أن يملك عزم عليه هو وصاحب رومية من القبض على الملك هرقل ، فقال ضرار والله لارضين عزم عليه هو وصاحب رومية من القبض على الملك هرقل ، فقال ضرار والله لارضين عزم عليه هو وصاحب رومية من القبض على الملك هرقل ، فقال ضرار والله لارضين عربم عليه هو وصاحب رومية من القبض على الملك هرقل ، فقال ضرار والله لارضين عبه عدا بجهادنا وكانت قد ختمت جراحاته لانه كان في الاسر ثمانية أشهر وفرقتم مع بني عمه ،

(قال الواقدي) حدثنا أبو محمد عن سعيد بن أبي مريم عن يحيي بن أيوب عن عبدالله بن مسعود أن الذي أمر باخراج الاسرى لم يكن هرقل وانما كان مملوكه الخاص٬ واسمه تاليس بن رينوس وكان قد البسه تاجه ومنطقته وكان أشبه الخلق به وقال له كن غدا مكاني فاني أريد أن أكيد العرب وأكمن خلفهم وما ذاك الا أنه رأى في نومه كأن شخصاً قد نزل من السماء وقلبه عن سريره وكأن تأجه قد طار من على راسه ، وكأن شحصا يقول له قد قرب ما بعد وقد زال ملكك من سورية وقد ذهبت دولة الشقاق والنفاق وجاءت دولة الوفاق ، وكأن ذلك الشخص قد نفخ في عسكره فأبوقد نارا فاستيقظ مرعوبا وفسر منامه على نفسه بزوال ملكه ، وكان قبل نزول العرب قد عبى خزائنه وجمع ما يخاف عليه من التحف ووضعها في المراكب من حيث لا يعلم بذلك أحد من دولته وعبى الزاد والماء ، ثم انه أرسل أهل بيته في تلك الليلة بعدما رأى في المنام ولم يدع من حريمه واولاده وعياله احدا وبعده أمر مملوكه تاليس بن رينوس بما أمره أن يفعله . قال فلما ركب تاليس فما كان من أمره الا أن قال للحاجب أخرج الاسارى وأضرب رقابهم فأخرجهم وأخذهم يوقنا كما وصفنا . قال حدثنا ياسر عن سليمان بن عبد الواحد عن صفوان بن بشر عن عروة بن مذعور عن محمد بن على عن عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن ابن سعد . قال ما خرج هرقل من انطاكية الا وهو مسلم وذلك أنه كتب الى عمر بن الخطاب في السر عن قومه أن بي صداعا لا يسكن فانفذ الى بدواء اتدواى به فارسل اليه قلنسوة فكان اذا وضعها على

راسه سكن صداعه واذا رفعها عاد اليه فتعجب من ذلك وامر بفتحها فاذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم . فقال هرقل ما اكرم هذا الاسم واعزه حيث شفاني الله به وكانوا قد توارثوا هذه القلنسوة الى ان وصلت الى صاحب عمورية ، فلما كان يوم المعتصم ونزل عليها عرض للمعتصم صداع فأرسل اليه صاحب عمورية بالقلنسوة ، فلما وضعها على راسه سكن ما به فأمر المعتصم بفتحها فاذا فيها الرقعة ومكتوب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم .

(تال الواقدي) وأما ما كان من أمر تاليس ، فلما أصبح ركب ورتب عساكر الروم عن آخرها ودارت المواكب حول تاليس بن رينوس ، وكان كل من رآه يظن انه هرقل ولا يشك فيه ودار بمواكبه عسكر فلنطانوس صاحب رومية وركب يوقنا ومن معه وهم متنكرون تحت السلاح ، فكان أول من حمل خالد بن الوليد بجيش الزحف . قال وتبعه سعيد بن زيد وتبعه قيس بن هبيرة وتبعه ميسرة وبعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وذو الكلاع الحميري وامثالهم واطبق الناس بعضهم على بعض ، فلما اشتبكت الحرب هجم يوقنا ومن معه وحمل ضرار فلله دره لقد اعطى السيف حقه وأخذ بثأره من الروم وكلما قتل وأحدا صاح وآثارات أسر ضرار بن الازور ، وكان قد قصد عسكر المتنصرة هو واصحابه ورفاعة بن زهير يشجعهم ويوبخهم ويقول خلوا بثاركم ممن أسركم واحملوا ، وأياكم أن تفشلوا وأعلموا أن الجنة قد فتحت أبوابها وزينت خورها وقصورها وأشرق بنيانها ومرح ولدانها وتجلى ديانها ، ثم صاح يا فتيان العر بايكم يرغب في زواج الحور فان يذل النفوس هي المهور ومن يريد عرسا في الجنان ويقوم في خدمته الولدان ، من يرغب فيما قال الملك الديان ـ متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان ـ أين من شهد بدرا وحنين مع سيد الكونين ، أين من يزيل عن قلبه حجاب الففلة والرين ؟ وافقوا قوما صارت هممهم الى دار الازل فأناخوا بباب من لم يزل محبوبهم ، فأراد الحق أن يوقفهم على منازلهم ليزيدوا في حسن افعالهم فكشف عن سرائرهم فراوا دارا بناؤها النور قواعدها من الرحمة حيطانها من اللهب ملاطها المسك ماؤها من الحيوان حصباؤها الدر والجوهر ترابها الكافور والعنبر سورها المجيد اللطيف ستورها الكرم أشجارها لا اله الا الله اغصانها محمد رسول الله ثمارها سبحان الله والحمد لله عرضها السموات والارض سقفها عرش الرحمن ، فلما كشيف لهم عن هذه الاسرار اشتاقوا الى سكنى الدار ، قيل لهم لن تصلوا اليها الا بيدل النفوس في رضا الملك القدوس ، ثم خلع عليهم خلع الاحسان وتوجهم بتيجان الرضوان ونشر على رؤوسهم رايات الففران مرسوم على طرازها بقلم السر المكنون ـ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ـ لقد بذلوا النفوس في رضا القدوس.

(قال الواقدي) فبينما ضرار يحمل في الاعداء ويذيقهم شراب الردى واذا هو

بفارس يطحطح الكتائب ويفرق المواكب ويصيح واثارات ضرار بن الازور فتأمله فاذا هو أخته خولة فناداها دارك يا بنت الازور أنا والله أخوك فأقبلت لتسلم عليه . فقال لها اليك عنى ما هذا وقت سلام ، وأن قتال الكفر أفضل من كلامك يا بنت الازور فاجعلي عنانك مع عناني وسنانك مع سناني وجاهدي في سبيل الله ، فان قتل احدنا فالملتقى في الحشر عند حوض سيد البشر ، فبينما هم في ذلك اذ نظر الى جيوش الروم وقد تقهقرت وفرسانهم قد انهزمت وكان السبب في ذلك أن صاحب رومية رحمه الله لما رأى الحرب قد أضرمت نيرانها وعلا دخانها حمل بأصحابه وقصد تاليس بن رينوس فقبض عليه وهو يظن أنه هر قل فصاح الصائح أن الملك هر قل قد قبض عليه فلنطانوس ملك رومية وغدر به فولت الروم الادبار وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها الا بأجنادين واليرموك ، و قتل من العرب المتنصرة زهاء من اثني عشر الفا وطلب جبلة ولده فلم ير لهم خبرا فقيل انهم واكابر قومهم ركبوا مع الملك هرقل في المراكب، وكان جملة من هرب من سادات المتنصرة مع جبلة وابنه خمسمائة من جملتهم ابن عمه قرظة وعروة بن واثق ومرهف بن واثق وهحام بن سالم وشيبان بن مرة . قال فسكنوا جزائر البحر فمن نسلهم هذه الافرنج . قال واخد المسلمون ما كان من السرادقات والخيام والديباج والمتاع والخزائن واسروا ثلاثين الفا وقتلوا من الروم سبعين ألفا وولت العرب المتنصرة منهزمين ، فمنهم من أخذ نحو الدروب ومنهم من طلب قيسارية الى قسطنطين بن هرقل ، فلما وضعت الحرب اوزارها وخمدت نارها جمعوا الاموال والاثقال والاسرى بين يدي أبي عبيدة ، فِلما نظر الى ذلك سجد اله شكرا وسلم المسلمون بعضهم على بعض ، وجاء ضرار واصحابه ويوقنا وفلنطانوس وأصحابه وسلموا على المسلمين و فرحوا بهم ، فلما وصل فلنطانوس قام اليه المسلمون وقال كبار الصحابة سمعنا نبينا (ص) يقول اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . قال فنظر فلنطانوس الى تواضعهم وحسن سيرتهم وكثرة عبادتهم فقال هؤلاء والله القوم الذين بشر بهم عيسى عليه السلام ، قال فأسلم بنو عمه عن آخرهم وجاهدوا في الكفار الى أن فتحوا جميع الامصار وبعدها مضى فلنطانوس الى مكة فحج وزار قبر النبي (ص) المختار ، وسلم على عمر (رض) ، فلما رآه وثب اليه قائما وصافحه هو وجميع المسلمين وعاد الى بيت المقدس فجلس يعبد الله فيه حتى أتاه اليقين .

(قال الواقدي) ونظر أبو عبيدة الى جيش انطاكية وقد تحصنوا فيها وهم لا يحصون فقال اللهم اجعل لنا الى فتحها من سبيل وافتح لنا فتحا مبينا، قال وكان على انطاكية بطريق اسمه صليب بن مرقس ، وكان جاهلا في رايه فعزم على القتال من داخل السور فاجتمع أكابر البلد الى البترك في الليل وقالوا له أخرج الى هؤلاء العرب وصالح بيننا وبينهم على ما تقدر عليه ، قال فخرج البترك الى أبي عبيدة وحدثه في الصلح فاجابه الى ذلك ، فكان جملة ما صالح عليه أهل انطاكية ثلثمائة ألف

مثقال من الذهب، فلما تقرر الصلح قال له أبو عبيدة احلف لنا أنكم لا تفدرون بنا فأن مدينتكم مانعة كثيرة الجبال والوعر . فقال خالد ومن يحلفه ؟ فقال أبو عبيدة يوقنا . قال فوضع يوقنا يده على رأس البترك فوق يده وقال قل والله والله والله اربعين مرة ، والا قطعت زناري وكسرت صليبي ولعنتني الشمامسة والديرانيون وخلعت دين النصر أنية وذبحت الجمل في جرن ماء المعمودية ونجستها ببول مولود من أولاد اليهود وقتلت كل الشهود ، والا خرقت شدائد مريم وعصبت رأسي ، والا ذبحت القسوس وصبغت بدمائهم ثوب عروس ، والا جعلت مريم زانية به ، والا جعلت في المذبع حيضة وصبغت بدمائهم ثوب عروس ، والا جعلت مريم زانية به ، والا جعلت في المذبع حيضة يهودية ، والا الطفات قناديل بيعة جرجيس وجعلت عزيرا في مقام كالوس ، والا تزوجت يهودية طامثة لا تلقي أبدا والا غسلت أثوابي صبيحة يوم الجمعة وهدمت الكنائس والبيع وأحللت الاعياد والجمع ، والا عبدت اللاهوت وجحدت الناسوت ، والا أكلت لحم الجمل يوم الشعانين ، والا صمت رمضان عاطشا وكنت للحم الرهبان ناهشا ، لا صليت في ثياب اليهود وقلت أن عيسى دباغ الجلود أننا لا نفدر بكم ولا كنا الا معكم والا صليت في ثياب اليهود وقلت أن عيسى دباغ الجلود أننا لا نفدر بكم ولا كنا الا معكم

(قال الواقدي) فعندها قام أبو عبيدة ودخل انطاكية وكان دخوله لخمسة أيام مضين من شعبان سنة سبع عشرة من الهجرة فدخله وبين يديه اللواء الذي عقده له أبو بكر الصديق (رض) وعن يمينه خالد بن الوليد وعن يساره ميسرة بن مسروق ودخلها والقراء بين يديه يقراون سورة الفتح ، فلم يزل سائرا حتى وصل الى باب الجنان فنزل هناك وخط هناك مسجدا وأمر ببنائه وبه يعرف الى يومنا هذا . قال ميسرة بن مسروق فنظرنا الى بلد رطب طيب الهواء كثير الماء والخيرات ، فاستطابه المسلمون ووددنا لو اقمنا فيه شهرا لنستريح ، فما ١٠ كنا أبو عبيدة فيه غير ثلاثة أيام ، ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب (رض): سلام عليك واني احمد الله اليك الذي لا اله الأ هو ، واصلى على نبيه محمد (ص) واشكره على ما فتح علينا ورزقنا من الغنيمة والنصر واعلمك با أمير المؤمنين أن الله عز وجل قد فتح على المسلمين كرسي النصرانية ، مدينة انطاكية وكسر الله عسكرها ، ونصرنا الله عليهم وهرب هرقل في البحر وأني لم اقم بها لطيب هوائها واني خشيت على المسلمين أن يغلب حب الدنيا على قلوبهم فيقطعهم عن طاعة ربهم وانى معول على المسير الى حلب واني منتظر أمرك ، فان أمرتنى أن أسير الى داخل الدروب فعلت ، وأن أمرتنى بالمقام أقمت ، وأعلم يا أمير الة منبن أن العرب قد نظرت الى بنات الروم فدعتهم أنفسهم الى التزوج فمنعتهم من ذلك ، واني اخشى عليهم الفتنة الا من عصمه الله ، فعجل الى بامرك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين . وطوى الكتاب وختمه ، وقال : معاشر المسلمين من يسير بكتابي هذا الى امير المؤمنين ؟ فاسرع بالاجابة زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد مولى عمرو ين هو ف ، فقال أنا أيها الامير أوصله أن شاء الله تعالى ، فقال أبو عبيدة يا زيد أنت لسبت مالك نفسك ، وانما انت مملوك ، فإن أردت المسير فسل مولاك أن يأذن لك في

ذلك ، فأسرع زيد الى مولاه عمير فانكب على يديه يقبلهما فمنعه من ذلك ، وذلك ان عميرا كان رجلا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة ، ما يملك من الدنيا سوى سيفه ورمحه وفرسه وبعيره ومزادته وقصعته ومصحفه ، وكان الذي يصيبه من الفنائم لا بدخر منه ولا يأخذ الا ما يقوته ، وكان يفرق الباقي على قرابته وقومه ، فان فاض شيء يرسله الى عمر (رض) يفرقه على فقراء المسلمين المهاجرين والانصار ، قال فلما أراد زيد أن يقبل يد سيده منعه ، وقال له ما الذي تريد ؟ . فقال يا مولاي تأذن لي أن أكون رسولا للمسلمين بشيرا الى عمر بن الخطاب (رض) ، فقال عمير بن سعيد بريد أن تكون بشيرا المسلمين وامنعك من ذلك ، انى اذا لآثم ، امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وارجو بعتقك أن يجيرنى الله من النار ،

قال ففرح زيد بذلك وعاد الى ابي عبيدة فأخبره أن ببركة كتابه صار حرا فسر بو عبيدة وسار زيد على نجيب من نجب اليمن دفعه اليه وكان سابقا . قال فجعل رَبِد يَطَلُبُ أَقْرِبُ الطُّرِقُ حَتَّى قَدْمُ المَّدِّينَةُ وَدَخُلُهَا ﴾ وأذا بها ضبجة عظيمة ولأهلها ضجيج وهم يهرعون نحو البقيع وقباء ، فقلت لنفسي أن لهم أمرا فتبعتهم لارى ما سمانهم وانا احسب انهم يريدون حربا فرايت رجلا فعرفته فسلمت عليه فعرفني ، وقال انت زيد ؟ قلت نعم . قال : الله اكبر ما وراءك يا زيد ؟ . قلت البشارة والفنيمة والفتح . قلت ما فعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب ؟ . قال أنه خارج يريد الحج ومعه 'زواج النبي (ص) يحج بهن والناس يشيعونه . قال زيد بن وهب: فانخت بعيري وعقلته وأسرعت مهرولا حتى وقفت بين يدى عمر (رض) وهو يمشى راجلا ووراءه مولاه بقود بعيرا وقد رحاله بعباءة قطوانية وزاده وجفنته عليه ، والهوادج بين يديه سائرة ، وعن يمينه على بن أبي طالب ، وعن يساره العباس ابن عبد المطلب ، ومن ورائه المهاجرون والانصار وهو يوصيهم بالمدينة . قال زيد بن وهب : فلما وقفت بين يديه ناديت: السلام عليك يا أمير المؤمنين أنا زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد أتيتك بشيرا . قال عمر بشرك الله بخير فما بشارتك ؟ قلت هذا كتاب من عاملك ابي عبيدة بخبرك أن الله قد فتح على يديه انطاكية . قال فلما سمع عمر بذكر انطاكية وأن الله فتحها خر لله ساجدا يمرغ خديه على التراب ، ثم انه رفع راسه من سجوده وقد تترب وجهه وشيبته من التراب ، وهو يقول : اللهم لك الحمد والشكر على نعمك السابغة ، ثم قال هات الكتاب رحمك الله فناولته اياه ، فلما قراه بكي ، فقال له على كرم الله وجهه مم بكاؤك ؟ . قال مما صنع أبو عبيدة بالمسلمين وبما استعقب رايه في الموحدين ، ثم قال أن النفس لامارة بالسوء ودفع الكتاب الى علي فقراه على المسلمين الى آخره . قال زيد بن وهب: ثم رايت عمر قد هدا من بكائه ، وقد زاد فرحه واقبل على ، وقال يا زيد اذا عدت فأمعن النظر في اتيانها واعنا بها واحمد الله كثيرا ، فقلت يا أمير المؤمنين ليس هذا أوانه . قال ثم جلس عمر على الارض ودعا بدواة وقرطاس

وكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبي عبيدة عامر أبن الجراح ، سلام عليك وأني أحمد ألله الله الا هو وأصلي على نبيه وأشكره على ما وهب من النصر للمسلمين ، وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل بنا لطيفا معينا . وأما قولك لم نقم بالطاكية لطيبها ، فأن الله عز وجل لم يحرم الطيبات على المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، فقال _ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا .. ، وقال .. يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ــ الآية فكان يجب عليك ان تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون في مطعمهم ويريحون أبدانهم من نصب القتال مع من كفر بالله ، وأما قولك أنك منتظر أمري فالذي آمرك به أن تدخل وراء العدو وتفتح الدروب فانك الشاهد وأنا الفائب، وقد يرى الشاهد ما لا يراه الفائب وانت بخضرة عدوك وعيونك تأتيك بالاخبار ، فان رأيت أن دخولك الى الدروب بالمسلمين صواب فابعث اليهم بالسراية وادخل معهم الى بلادهم وضيق عليهم المسالك ، ومن طلب منك الصلح فصالحهم ووف لهم بما تقدر ، واما قولك ان العرب ابصرت نساء الروم فرغبت في التزوج ، نمن أحب ذلك فدعه أن لم يكن له أهل بالحجاز ، ومن أراد أن يشتري الاماء فدعه فأن ذلك أصون لفروجهم وأعف لنفوسهم ، وما تحتاج أن أوصيك في آمر فلنطانوس صاحب رومية أوسع عليه في النفقة وعلى من معه فانه قد فارق أهله وملكه وأمره ونهيه والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ، وطوى الكتاب ودفعه لزيد بن وهب ، وقال له انطلق رحمك الله وأشرك عمر في ثوابك ، فأخذ زيد الكتاب وهم أن يسمير فأمره أن يقف ، وقال له على رسلك حتى يزودك عمر من قوته ، ثم أن عمر أناح راحلته وأخرج له تمرأ وأغطاه صاع تمر وصاع سويق وقال يا زيد اعذر عمر فهذا ما أمكنه ، ثم أن عمر قبل راس زيد بن وهب فبكى زيد ، وقال يا امير المؤمنين او بلغ من قدري أن تقبل رأسي وانت أمير المؤمنين وصاحب سيد المرسلين ، وقد ختم الله بك الاربعين فبكي عمر وقال أرجو أن يففر الله لعمر بشهادتك . قال زيد بن وهب: فاستويت على كور ناقتى وهممت بالمسير فسمعته يقول: اللهم احمله عليها بالسلامة واطو له البعيد وسهل لُهُ القريب انك على كل شيء قدير . قال زيد بن وهب : ففرحت بدعوة عمر (رض) وعلمت أن الله لا يرد دعوته اذ كان لربه طائعا ولنبيه تابعا ، فجعلت أسير والارض تطوي لي تحت أخفاف مطيتي فكنت والله في اليوم الثالث عند أبي عبيدة ، وقد رحل عن انطاكية وقد نزلت على حازم . قال زيد : فلما وصلت الى عساكر المسلمين سمعت ضجة وجلبة وقد ارتفعت الاصوات فسالت رجلا من أهل اليمن ما سبب ذلك ؟ . قال فرحا بما فتح الله على المسلمين . وهذا خالد قد اتى وكان قد ضرب على شاطى، الفرات وأغار بخيله ، وقد صالحه أهل منبج وبزاعة وبالس وأتى برجالهم وأموالهم وافتتحها صلحا ، وقد فتح منبج وبزاعة وبالس وقلعة نجم في العشر الاوسط من المحرم سنة ثماني عشرة من الهجرة وصالحهم بعد رد اموالهم على مائة الف وخمسين

الف دينار واخذها بعد ان نزل صاحبهم جرفناس وسار بامواله وعبيده وخيوله الى بلاد الروم وولى على منبج عباد ابن رافع التميمي ، وعلى الجسر نجم بن مفرج ، وولى على بزاعة أوس بن خالد الرابعي وعلى بالس بادر بن عوف الحميري وبنى له بها قلعة الى جانب بالس من الشرق وسماها ناسمه وعاد خالد بالاموال والاثقال يوم قدوم زيد بن وهب . قال فاتيت ابا عبيدة وهو جالس وخالد الى جانبه ، وقد قدم مال الصلح فأنحت ناقتي وسلمت عليهم ودفعت الكتاب الى ابي عبيدة فغضه وقراه على المسلمين ، فلما سمعت المسلمون ما فيه . قال ابو عبيدة : معاشر المسلمين ان أمير المؤمنين قد جعل امر الدخول الى الدروب الي ، وقال انت الشاهد وأنا الغائب وأنا لا افعل شيئا الا برايكم فما تشيرون علي أن أفعل رحمكم الله ؟ فلم يجبه احد ، وأعاد القول ثانيا فلم يجبه احد ، والله اعلم .

تسم الجسزء الاول

ويليه: الجزء الثاني: اوله ذكر غزوة مرج القبائل داخل الدروب

فهرس الجزء الاول

صفحه	صفحه
١٠١ ـ فتح قنسرين	ه ــ المقدمة
١٢٨ ـ نزول المسلمين على حمص	٧ ۔ اقبال الجند
١٣٤ ـ فتح الرستن	١٧ ــ عمرو بن العاص في فلسطين
١٤٤ ــ وقعة البرموك	٢٣ ـ خالد بن الوليد في الشمام
١٨١ ــ نساء المسلمين في المعركة	١٤ ــ خولة بن الازور
٢١٣ ـ فتح مدينة بيت المقدس	٥٩ ــ معركة اجنادين
۲۲۹ ـ فتح مدينة حلب وقلاعها	٥٨ - تولية ابي عبيدة
۲۰۸ ــ فتح عزاز	۹۵ ــ معرکة ضرار





-7-

تأليف ابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي



بسيسه التدالزحن الزحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا

ذكر غزوة مرج القبائل داخل الدروب

فقال أبو عبيدة : معاشر المسلمين هذا الشام قد ملكتموه وملككم الله اياه وأخرج عدوكم منه بالذل والهوان ، وأورتكم أرضهم وديارهم أ كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ، فما نشيرون به على" ؟ أندَّخل في هذه الدروب وراء اعدائنا ؟ فلم يجبه أحد فأعاد الكلام . ثم قال : مــــا هذا السكوت افشيل بكم بعد الشيجاعة ، أم كسيل بعد النساط ، أم قد انتقيتم من الحسنات ولم يبق عليكم من الذنوب ، وأن الحسنات لكم كثيرٌ : '، ولم يبق عليكم خطبئة فالرغبة الـي الله أن يعينكم غـلي الجهاد ، فهو خير لكم من الدنيا وما فيها . قال فكان أول من تكلم ميسرة بسن مسروق العبسى ، فقال: ايها الامير أنا لم نسكت لجرع لحقنا ولا لفزع رهقنا ، وأنما بعضنا ينتظر بعضا أجلالا وأدبا ، وأعلم آيها الامير أنه مَّا لنا تجارة ولا عمل غير الجهاد في اعداء الله ، وها نحن لك وبين بديك ومنك الامر ومنا الطاعة لله ولرسوله ولك ، وأما أنا فلا أملك آلا نفسى فوجهني حيث شئت تجدني طائعا ، فقال ابو عبيدة : معاشر المسلمين من له راى وحضرته مشورة فليقلها وبظهر ما عنده ، فقال خالد أيها الامير ان أقامتنا عن طلب القوم وهن وعجز منا في ديننا وطلبهم هـو الفنيمة ، والنصر من عند الله ، والذي أشبر به أيها الامير أن تبعث الجيوش في كل درب من هذه الدروب . فان ذلك يوهن العدو وتقر به اعين المسلمين . قال فجزاه أبو عبيدة خيرا ، وقال يا أب اسلمان ا انى فد رابت أن أعقد لمسرة عقدا وأسير معه رجالا لانه هو أول من سارع الى هذا الامر وأشار به ، فيفتح الله لهم الدروب ويغير على ما قرب من البلاد ويرجع فيخبرنا عن خبر البلاد فنعمل على حسب ما نرى. فقال خالد: هذا الصواب . فعقد ليسرة وانتخب له مسن القبائل

ثلاثة آلاف فارس من الشجعان وألف عبد من السودان ، وجعل من كل قبيلة نقيبا ، وجعل على العبيد دامسا أبا الهول ، قال فلبسوا أكمل السلاح وكل منهم يقول أنه يلقي الكتيبة وحده ، وجعل أمير القسوم ميسرة ، وقال أبو عبيدة : يا أبا الهول كن أنت بجماعتك في أوائل العسكر ولا تخالف ميسرة فيما أشار به . فأنه مبارك الطلعة . فقسال سمعا وطاعة . قال وجهز القوم ، ثم أن خالدا قال : أيها الامير أرسل معهم أدلاء يعرفونهم الطريق ويكونون لهم عيونا على أعدائهم ، فطلب لهم من أهل حلب من المعاهدين من يكون ناصحا لهسم ، فاختاروا لهم أربعة أهل حلب من المعاهدين من يكون ناصحا لهسم ، فاختاروا لهم أربعة وأعطاهم بو عبيدة وأحسن اليهم وطرح عنهم الجزية ، وقسال لهم : في أي درب يكون دخول المسلمين في طلب العدو ؟ فاجتمع رأيهم على أن يدخلوا في الدرب الاعظم من بلد قورص .

ثم أنهم قالوا أيها الامير أن هذه الدروب ليست كمثل البلاد التي فتحتموها بل هي بلاد شديدة البرد كثيرة الشجر والمدر والحجر وفيها مضايق وشعاب وأودية وكهوف وعقبات ، فقال أهل اليمن سيروا انتم أمامنا فانكم ترون منا عجبا ، فسار أبو الهول والعاهدون امامه ، وسار ميسرة في أعقابهم بعدما ودعوا الناس ومضوا وهم بالتهليل والتكبيب وقراءة القرآن والمسلمون بدعون لهم بالنصر والسلامة . قال عطاء بن جعيدة : وسرنا والدليل أمامنا حتى أتينا عقبة حنداس فقطعناها، وعم نا نحو الساجور وأتمنا قورص فنزلنا فيها وبتنا ، فلما اصبحنا ودخلنا الدروب وجدنا بها أرضا وعرة وأشجارا ومياها جارية ومضايق ليسس للفرس فيها مجال ، فهالنا وحشة ذلك المكان اذ ليس للعرب فيه مجال ولا فسحة . فقلت في خاطراي أن طالت علينا هذه الاودية خشيت على "المسلمين أن يظفر بهم عدوهم والادلاء أمام المسلمين ، وقد تعلقوا في جبال شامخة صعبة الصعود فلم يبق احد الا وترجل عن فرسه ، قال ومشينا حتى تقطعت نعالنا وسال الدم من أرجلنا فلم نزل على ذلك ثلاثة أيام والادلاء يقولون لنا كونوا على يقظة ، فان اخذ علبكم المجاز هلكتم ، فلما كان في اليوم الرابع خرجنا الى ارض واسعة ، وكان دخولنا البي بلاد الروم في أول الصبف ونحن مخففون من الثياب ولما دخلنا الى تلك الارض وجدنا بردا كثيرا ونظرنا إلى الثلج، وهو على الجبال عن يميننا وشسمالنا. قال وكان دامس أو الهول لم يأخَّذ معه ثيابًا تدفئه فحصل له من البرد فقال يا أبا الهول ما لي أراك ترتعد ؟ فقال أخذني البرد وليس معي ما يدفئني . قدفع اليه قروه فلبسها فدفىء . فقال كساك الله من قياب

(قال الواقدي) وسادوا الى أن وصلوا الى ارض طيبة كثيرة

المياه قليلة الشجر فنزلوا فيها . ثم انهم ساروا فلم يروا احدا لان الروم كانوا قد نزحوا عن البلاد لحذرهم من المسلمين . فلما كان في اليسوم الخامس ونحن سانرون اذ لاحت أننا قرية فقصدها المسلمون ... وإذا هي خالية بل سمعوا أصوات الديوك والغنم فدخلوها فلم يجدوا عندها مانعا ولا دافعا فعرفنا انهم تواروا عنا فصاح ميسمرة ، وقال خذوا حدركم . فأن القوم قد الهزموا . فدخل الناس الى القرية فأخذوا ما كان فيها من طعام وأناث ومتاع . قال سعيد بن عامر : فرايت أبا الهول، وهو يحمل على عاتقه ثلاثة أكسية وقطعتين . قال فقلت له : يا أبا الهول ما هذا ؟ فقال استعد به ليرد هذه البلاد الخبيثة فما انساها ابدا . قال وأخذوا ما كان في القرية من طعام وعلوفة وساروا الى أن وصلوا الى مرج بقال له مرج القبائل ، وهو مرج واسع ، فانبثت الخيل فيه يمينا وشمالا ونزل الجيش هناك ، رميسرة يراود نفسه في الرجوع الى حلب، **فبينما هو كذلك والخيل منبثة والناس آمنون من عدو يدهمهه ، اذ** أقبل بعض الخيالة ومعه علج يقوده ، فلما وصل الى ميسرة ، قال له : ما شان هذا ومن ابن اخذته ؟ فقال: اعلم ايها الامير اني سبقت اصحابي فأتيلته وسقته اليك . قال فتقدّم اليه رجل من المعاهدين فسأله فحدثه فأطال معه الكلام والناس سكوت ، فلما أطال ، قال ميسرة : ويلك ما الذي تقول هذا العلج ؟

فقال أيها الامير أنه يقول: أن الملك هرقل لما ركب البحر وخرج من الطاكبة ووصل ألى قسطنطينية قصدته الروح من كل مكان من المنهزمين وغيرهم ، وبلفه أن انطاكية قد فتحت صلحا وأنه قتل من كان فيها من المقائلة فصعب علبه وبكى ثم قال: « السلام عليك يا أرض سوريا ألى يوم اللقاء » ، وقد تجمع عنده من البطارقة والحجاب وغيرهم خلق كثير ، فقال لهم أي أخاف من العرب أن ترسل في طلبنا . ثم أنه جهز ثلاثين ألفا مع ثلاثة بطارقة وأمرهم أن يحفظوا له الدروب . فقال أسم ميسرة : قل له كم بيننا وبينهم ؟ قال يقول لكم فرسخان . قال فلما سمع ذلك ميسرة أطرق ألى الارض لا يرد جوابا ولا يبدي خطابا . فقال له رجل من آل سهم يقال له عبد الله بن حذافة السهمي ، وكان مسن أبطال الموحدين وشجعانهم ، وكان له عمود من حديد ، وكان يقاتل به لا يقله في الحرب سواه وكان ذميم الخلقة ، فقال لميسرة بن مسروق : والرجل منا يقابل ألفا من الروم .

فقال والله يا عبد الله ما اطرقت حوفا ولا جزعا ، ولكن خوفا على

المسلمين أن يصابوا تحت رايتي وهي أول راية دخلت الدروب فيلومني عمر بن الخطاب ، وكل راع مسؤول عن رعيته . فقال المسلمون : والله ما نبالي بالوت ولا نفكر في الفوت لاننا قد بعنا انفسنا بجنة ربنا ومن تعلم أنه بنقل من دار الفناء الِّي دار البقاء فلا يبالي بما وصل اليه من الكفار؛ ثم انه قال أيها الناس أترون أن نلقاهم في موضعنا هذا أو نسير اليهم ؟ فسألوا المعاهد ، وقالوا أن كان موضعهم أفسح من هذا رحنا اليهم . فقال ليس من هذه البلاد بعد عمورية أفسىح من هذا المكان ، فان عو"لتم على القائهم فاثبتوا مكانكم ، وأن عدتم الى ورائكم كان خيرا لكم من قبل أن يشرف عليكم عدوكم . قال فعرض ميسرة على العلج الاسلام فأبي ، وكانوا كالحراد المنتشر . وكان قد مضى النهار فأضرمت النيران . فلما أصبح الصبح صلى ميسرة بالناس صلاة الفجر ، فلما فرغ قام في الناس خطيبًا ، فقال أيها الناس هذا يوم له ما بعده ، وأن رايتكم هذه أول راية فضرب عنقه ، فبينما هم على ذلك اذ أشرفت عليهم الروم فنزلوا بازائهم ما لا يحصل لفيره . فقال قبح الله نلك البلاد ، فاذا كأن هذا البرد عندهم في الصيف فكيف يكون في الستاء . وجعل يرتمد فرآه ميسرة ، دخلت الدروب ، واعلموا أن اخوانكم مطاولون لفعلكم ، واعلموا أن الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر واسمعوا ما قال نبينا (ص) « الجنة تحت ظلال السيوف » ولا تنظروا الى قلتكم وكثرة أعدائكم ، فقد قال تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » . فقال المسلمون : اركب بنا يا ميسرة على بركة الله والقهم بنا ، وانا لنرجو من الله النصر عليهم . قال فاستبشر بقولهم وركبوا وانفصلت العبيد من العرب ووقفوا تحت راية أبي الهول وأخذوا على أنفسمهم قتال عدوهم واستنصروا بربهم ، وهو يوصيهم ، وجعل على الميمنة عبد الله بن حذافة السهمي وعلى المسرة سعد بن أبي سعيد الحنفي وقدم العبيد مع أبي ألهول فلم ينطق بكلمة وركب جيش الروم ومدوا صفوفهم ثلاثة صفوف كل صف عشرة الاف وأمامهم الصلبان وهم في عددهم وعديدهم ، فلما استوت الصفوف خرج رجل من الروم من المتنصرة وقرب من المسلمين، وقال أن الباغي بقيه يرديه ، أما كفاكم ما ملكتموه من الشيام العظيم حتى اقتحمتم هذه الجبال ؟ وابما ساقتكم الآجال وهنا ثلاثون الف عنان ، وقد حلفوا بالصلبان أن كلا منهم لا ينهزم وأن وقع ميتا ، فأن اردتم أن نبقي عليكم فاستسلموا للاسر حتى يحكم الملك هرقل فيكم بما يسريد . فخرج أبو الهول والراية بيده ، وقال له صدقت في قولك أن الباغي بردبه بغيه . وأما قولك أنا نلقى اليكم بأيدينا لتبقوا علينا فأنت أذا باغ بقولك هذا اذ نطقت بغير تجربة منكم وها انا عبد من عبيد العرب لا قدر أي ولا قيمة عند ذوي الرتب فاقرب مني حتى أجندلك صريعا تخور في دمك ،

ثم أن دامسا همز حصانه البه وطعنه فأرداه عن فرسه قتيلا . ثم جال علَى فلوه وهز راسه ، وقال الله وأكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالظفر . ونظرت الروم الى ابي الهول ، وقد قتل صاحبهم وكان من شجعانهم ، ففضبوا لذلك فخرج اليه آخر فما تركه يقرب منه حتى طعنه في نحره فأخرج السنان من ظهره . ونظر الروم الى ذلك ، فقالوا : هذا عبد من عبيد الموب قد فعل ما ترون . قال فلم يجسر أحد أن يخرج اليه فأغار عليهم وقتل من القلب واحدا ورجع . قال فحمل عليه صف من الصفوف وهم عشرة آلاف ودهموه بالخيل قحملت العبيد وحملت المسلمون والتفي الجمعان . قال ميسرة : فالله در" العبيد لقد أبلوا بلاء حسنا واستنقذوا أبا الهول من عين الهلاك وهم يقولون : « نحن عميد لعباد الله وضربنا متل الحريق في سبيل الله ونقتل من كفر بالله » ، قال : ولم يزل الحرب بينهم حتى قامت الشمس في قبة الفلك وحمى عليهسم الحر وافترق الحمعان . قال وإن المسلمين موقنون بالظفر والنصر ، والمشركون قلم القنوا بالهلاك ، وقد قتل منهم خلق كثير واسر من الروم تسعمائة وقتل منهم زهاء من الف . فلما انفصل الجمعان افتقد المسلمون أبا الهول فلم يحدوه ، فقال ميسرة: « أن كان أبي الهول قد قتل أو أسر فقد أصبنا يه والى الله تعالى أشكو ما أصبنا من فقد أبي الهول » ، وأسر مسن المسلمين عشرة . تم ان ميسرة قال : من فيكم يكسف لنا خبرهم ؟ واذا بالروم قد عادوا للقتال وحملوا بأجمعهم فقاتلوا قتالا شديدا فكان الرجل من المسلمين يجتمع عليه العشرة والعشرون والخمسون الى أن يقتلوه أو ياسروه ، وكانت العرب في أربعة آلاف والروم في نلاتين ألفًا ، فعظم بينهم الحرب وهاج الطعن والضرب ، فلله در" ميسرة بن مسروق العبسى ، لقد جاهد في الله حق جهاده وهو مع ذلك ينادي : أيها ألناس اذكروا الدار الآخرة واعلموا انها اقرب لاحدكم من رجوعة لاهله فاستقبلوها استقبال الوالدة لولدها ولا تولوا الادبار عنها ، فإن أصاب القوم منا فإني أخشى أن ذلك وهن بنا . ثم انه نادى أحطموا أجفرة سيوفكم فذلك طريق

قال زيد بن وهب : فلم ببقى احد من السلمين حتى رمى بجفير سيفه ، سيفه ، فلما رات الروم ذلك فعلوا متلنا ورمى كل منهم بجفير سيفه ، وسميت تلك الواتعة باسمين : وقعة مرج القبائل ووقعة الحطمة ، لاجل حطم اغمدة السيوف . قال : واقتتلوا حتى ان الرجل بقول ان سيفه ما بقى يقطع ، والمسلمون يبتهلون الى الله والكفار تعج بكلمة كفرهم . قال وان المسلمين بطلبون الفرج من الله ، والسودان تقاتل قتال الموت ، وكان شعار العرب في ذلك اليوم النصر النصر ، وشعار السودان يا محمد يا محمد . قال ابن نابت : وكنت قد اخذنى القلق على المسلمين ، ونحن

في ركب عظيم اذ سمعت في الروم ضجة هائلة واذا بهم يقاتلون اناسا من ورائهم وهم في وسط عسكرهم والزعقات منهم قد علت وسمعت قائلا يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله . فقلت هذه اصوات الملائكة . فاتبعت الصوت ، فاذا هو صوت دامس إبي الهول ، وهو بارك تحست حجفته ومعه العشرة الماسورين وهم يقاتلون معه ويحمون بعضهم الى ان خلصوا من بيتهم ، وسمعته يقول هذه الابيات :

يونقني الاعداء في الحديد وناصري وسيدي المبيد مهلك عاد وبني ثملود أغاثني بعونه الشديد محمل الطاهر الرشيد فحل عني القيد والحديد والديد ذاك رسول الملك المجيد صلى عليه الناصر الحميد

قال فحملت المسلمون وكشفوا عنهم فخرجوا وكأنهم قد غرقوا في بحر دم ، ووالله ما قتل من المسلمين أكثر من خمسين رحلا بواحد أوَّ باثنين ، وقتل من المشركين نيف عن ثلاثة الاف غير ما قتله ابو الهـول واصحابه في وسط عسكر الكفر . فلما نظر ميسرة الى دامس اراد ان يترجل الينة فاقسم عليه أن لا يفعل وافترق الجيشان فضم ميسرة دامساً الى صدره وقبله بين عينيه وقال له: كيف كان امركم ؟ . قال . اعلم أيها الامير أن الروم كانوا قد تكاثروا على فسرسي فقتلوه ووقعت فأخذوني أسيرا وجعلوني في الحديد وفعلوا بأصحابي مثلي وقد أيسنا مِن انفُسْنَا ، فَلَما حِن ۖ اللَّيلُ رأيت رسول الله (ص) وهو يقول لا باس عِلْيك يا دامس اعلم أن منزلتي عند الله عظيمة ، ثم انه أمر" يده الكريمة على الحديد فسقط مني وفعل ذلك مع اصحابي وقال لنا ابشروا بنصر الله فأنا نبيكم محمد رسول الله . وقال لي اقرى، عني ميسرة السلام وقل له جزاك الله خيرا ، ثم غاب عني فانتبهت فوجدت الموكلين بنا نياما مما لحقهم من التعب وقد رموا سلاحهم فأخسلنا سيوفهم وطوارقهم وقتلناهم وحملنا فيهم ونصرنا الله عليهم ببركة رسول الله (ص) فقتلنا منهم من قتلنا وخرجنا من بينهم سالين وهذا حديثنا . قال فضج المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير .

النجية

(قال الواقدي) ثم أن بطريق الروم كان اسمه جارس ، فلما رأى ما قد حل باصحابه قال وحق السبيح خاب ملك انتم حماته ، فان لم تقاتلوا بعزم وشدة والا قتلتكم ، قال فتحالفوا أن لا ينهزموا أو يقتلوا عن آخرهم ، فلما وثق منهم أمر أن تضرم النيران على شواهق الجبال

وامر ان ينفذ النفير الى البلاد بأسرها ، قال فاتت اليه الروم من كل جانب فأتى اليه عشرون الفا ، ولكن المسلمين لم يكترثوا بذلك ، فلما كان الفد صلى ميسرة بالمسلمين صلاة الخوف وهو اول من صلاها داخل الدروب واول راية دخلت كانت رايته ، فلما فرغ من صلاته قام في الناس خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه وقال : أيها الناس اثبتوا لما نزال بكم فالصبر عند نزول المصائب ، وهذه رحمة من الله لنا أذ نحن في صدور الاعداء وقد دارت بنا هذه الجيوش ونحن لا نقاتل الا بنصر الله لنا وان الامير ابا عبيدة كان قد أمرنى أن لا أبعد بكم عنهم ولنا منهم الآن سبعة أبام وما يظن أبو عبيدة اننا نلاقي جيشا .

فقال له سعيد بن زيد : يا ميسرة ما الذي تريد بهذا الكلام ؟ ان كنت تريد انك تحرضنا فنحن اشوق الى لقاء الله من الظمآن الى الماء المارد . فقال ميسرة ما اردت بذلك الا مشورتكم ، وقد رأيت أن ننفذ الى أمير المسلمين رجلا نعلمه بما قد بلينا به وان مدد القوم يزيد فلعله ىنجدنا باخواننا . فقال سعيد : نعم ما قد أشرت به . فدعا برجل من الاربعة المعاهدين ووعده بكل خير وامره أن يأخذ معه آخر وأن يسير الى ابي عبيدة ويعلمه أن نفير القوم قد لحقنا من الحصون والقرى وسألس البلاد ، وقد نزلوا بازائنا وان يحدثه بما قد رأى ، قال فسار المعاهد والرجل الى حلب وأجهدا نفسيهما في السير في طرق يعرفانها الى أن وصلًا جيش المسلمين فسقطا كانهما البغال الهرمة من شدة السيسر والتعب . فأمروا أن يرش عليهما الماء ، فلما أفاقا قال لهما : ما وراءكما أهلكت الكتيبة ؟ قالا : لا والله ولكن نفر عليهم العدو من كل مكان ... واخبراه بمآكان سن الحرب والقتال وكيف حطموا اجفرة سيوفهم وكيف أسر ابو الهول وكبف خلص وما هم فية ؟ فقلق ابو هبيدة عند ذلك وقام مسرعاً واتى قبة خالد بن الوليد فوجده يصلح درعه ، فلما رآه قام اليه قائما وقال ته خيرا أيها الأمير فأخذ بيده وساد به الى أن أتى رحله وقال للرجلين قوما فحدثا الامير بما عاينتما فحدثاه بما كن من أمسر المسلمين . فقال خالد أن الله سبحانه وتعالى منذ نصرنا ما خذلنا فله الحمد على ذلك وقد أمرنا بالصبر على الشدائد فقال عز من قال « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » ، وقال : أن الله مع الصابرين . وأما خالد فقال أحبس على الجهاد في سبيل الله ولا أبخلُّ هلى الله ورسوله فلعل الله أن ينجيني من النار ويرزقني الشبهادة .

ثم أسرع الى خيمته ولبس لامته وقلنسوته المباركة وركب جواده الوقع النفير في الناس . قال فاقبلوا من كل جانب فلولا أن منعهم أبو

عبيدة كانوا ساروا بأجمعهم . فانتخب منهم ثلاثة آلاف فارس واردفهم بالفين آخرين . اخبرنا احمد بن هشام عن عياض عمن حدثه قال . لما سار خالد بالجيش لمعونة ميسرة بن مسروق ومن معه ، رفع خالد يديه الى السماء وقال : اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا واطو لنا البعيد ويسر لنا كل صعب شديد . وسار نحو الدروب . قال واما ميسرة ومن معه فانهم دارت بهم الروم من كل جانب وهم يقاتلون في كل يوم اشد القتال الى أن يقبل الظلام فيفترقون ، وفي كل يوم يزيد عددهم ومددهم وقد لحق المسلمون من التعب والجراح ما لحقهم ولكن من غير فشل ، وكأنهم قوم قد حجب عنهم الموت باذن الله تعالى .

(قال الواقدي) حدثنا عمر بن راشد عن الزبيدي قال: لما سار خالد ليلحق ميسرة وينجده الى داخل الدروب سجد ابو عبيدة سجدة اطال فيها ، وقال: اللهم اني اسألك بمن جعلت اسمه مع اسمك وعرفت فضله لانبيائك ورسلك الا طويت لهم البعيد وسهلت لهم كسل صعب شديد والحقتهم باصحابهم با قريب يا مجيب . قال وميسرة ومن معه منظرون من الله فرجا ياتيهم ونصرا ينزل عليهم . قال عبد الله بسن الوليد الانصاري حدثني ثابت بن عجلان عن سليمان بن عامر الانصاري قال: كنت مع ميسرة في وقعة مرج القبائل ويوم حطمنا أغمدة السيوف قال: كنت مع ميسرة في وقعة مرج القبائل ويوم حطمنا أغمدة السيوف والروم تقبل من كل جانب ومكان الى المسلمين ونحن نباكر القتال ونروح رواحا . قال سليمان بن عامر فخرج يوما من الايام بطريق من الروم قد لبس درعين وعليه سواعد من الحديد وعلى راسه بيضة تلمع فوقها مسليب من الجوهر وبيده عمود من الحديد كأنه ذراع بعير فجال بين الصفوف وطلب البراز وكان أحد الثلاثة المقدمين على الثلاثين الفا . قال : قجعل يدعو الى البراز ويطمطم ، فقال ميسرة للترجمان : ما يقول قاذ الاغلف؟

قال : انه يذكر انه فارس شديد ويطلب شبجعانكم وابطالكم . فقال ميسرة : من يبرز اليه ؟ فأسرع اليه رجل من المسلمين من قبيلة النخع وعليه درع من دروع الروم وثياب من ثيابهم . فقلنا انه من المتنصرة وقد عاد الى الاسلام . فجعل العلج يتكلم وهو يظن انه يفهم كلامه ، فلما رآه لا ببرز اليه حمل عليه وضربه بعموده فزاغ النخعي عنها وعطلها عليه فوقع العمود على رأس جواده فصرع الجواد براكبه ، وسار النخعي على قدميه فناداه ميسرة : يا أخا النخع ارجع ، فرجع القهقرى والعلم يطلبه والنخعي راجل والعلج فارس ، فسار اليه عبد الله بسن حذافة السهمي وصاح بالعلج فادهشه ، فالتفت اليه وسار النخعي الى أن وصل عسكر السلمين وحمل عبد الله بن حذافة على العلج وحمل العلج عليه عسكر السلمين وحمل عبد الله بن حذافة على العلج عليه

وصعب بينهما المجال صار عبد الله كلما ضرب العلج لا يقطع فيه شيها والعلج كلما ضرب عبد الله يأخذها بحجفته فتوهن ساعده من ثقل العمود وطال بينهما القتال والتقيا بضربتين فبادره عبد الله بالضربة تحت لحيته فطلب بها نحره فلحق رأس سيفه رقبة العلج فطار راسه عن بدنه واراد الفرس أن يرجع الى عسكر الروم فأخذه عبد الله ونزل اليه واخذ سلبه ورجع الى المسلمين فعظم دنك على الروم وكان عندهم معظما وعند الملك، قال فبرز بطريق آخر وقال: هذا صاحب الملك قد قتل ولا بدلي من اخذ ثأره من الذي قتله اما بقتله او اسره وابعث به الى الملك يصنع به اخذ ثأره من الذي قتله اما بقتله او اسره وابعث به الى الملك يصنع به ما يريد . ثم انه اتى البطريق المقتول وراسه طائح عن بدنه فبكى عليه وقال بلسان فصيح : معاشر العرب لا شك ان الله سيهلككم ببغيكم علينا وفعالكم بنا فليبرز الى قاتل هذا البطريق حتى آخذ منه بثاره .

فلما سمع عبد الله بن حذافة همد بالخروج فمنعه ميسرة شفقة عليه لاجل راحته . فانه قد تعب واراد ميسرة أن يلقاه بنفسه . فقال عبد الله: يدعوني أيها الامبر باسمي وأتخلف ، إنني أذا لعاجز . فقال له ميسرة : اننى اشفق عليك . فقال عبد الله : اتشفق على من تعب الدنيا ولا تشفق علي من حر النار وعيش عاش فيه رسول الله (ص) لا يبرز اليه غيري . ثم برز اليه وتحته فرس المقتول وما غير من لامته شيئًا وبيده سيفه وحجفته ، فلما التقيا ورأى البطريق فرس صاحبه علم أنه قاتله فنما أمهله حتى نفر اليه وحمل عليه عبد الله كأنه جبل قد انهد من علو وتشبث به وجذبه فأخذه أسيرا وذهب به الى قومه وقال أوثقوه بالحديد واحملوه على خيل البريد واذهبوا به الى الملك في هذه الساعلة . قال : ففعلوا ذلك وساروا به ورجع البطريق الى الميدان وهو يفتخسر بما صنع فأراده تلاثة من المسلمين كسل منهم يريد أن يخرج اليه ، فقال ميسرة ما يخرج لهذا اللعين غيري واستدعى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسلم الرآية اليه ، وقال له : كن الراية حافظا حتى أخرج الى هذا اللعين . فإن عدت أخذتها . وإن قتلني فأجري على الله. فَأَخَذُ سَعِيدُ الرَّايَةُ وَخُرِجَ مَيْسَرَةً إِلَى البَطْرِيقِ ، وَهُو يَقُولُ :

قد علم المهيمن الجبار بأن قلبي قد كوي بالنار على الفتى القائم بالاسحار سيعلم العلج اخو الاشرار انى منه آخذ بالشاد

قال وحمل عليه وتجاولا طويلا وعظم الامر بينهما وتدانيا وتقاربا وتباعدا وغابا عن الابصار تحت الغبار وكل فرقة تنظر السبى صاحبها وتدعو له 6 ثم اكشفا وهما للتفرق اقرب منهما للتقارب فقال العلج

لميسرة : بحق دينك ما هذه الراية التي طلعت من وراء عسكركم فلم يلتفت الى كلامه بل قال له :. « وما ذلك على الله بعزيز » . فقال وحق ديني ما فلت لك الاحقا. قال وهو يحلف كاذبا . فالتفت ميسرة لحرصه أن بأتى الله بالفرج وينظر حفيق ما قاله اللعين فحمل البطريق عليه ومكن يدة منه ليأخذه أسيرا ، واذا قد طلعت راية خالد بن الوليد وهي مشرقة بالنور وهي في يد خالد ابن الوليد . وكبر المسلمون يدا واحدة فمن عظم تكبيرهم ارتجت يد العلج عن ميسرة والتفت البطريق ليرى ما الخبر ، فقبض عليه ميسرة وهمدُّ أن يقلعه فلم يقدر لانه كان مرفلا في السرج ، فجعل يجذبه فلم يقدر وقرب خالد منهم فرفع سيفه يريد أن يضرب به ميسرة ليطلقه من يده فحاد السيف عن ميسرة ووقع على يسد العلج الشمال فقطعها وانتخع ميسرة وانثنى البطريق الى اصحابه ويسده مقطوعة وهو يئن فالتقى به غلمانه فأخذوه وكووه . وأما خالد فانــه التقى بميسرة وتسالما وحدثه بما وقع له مع الروم وكيف اسروا،عبدالله بن حدافة السهمي فتأسف خالد واسترجع ، وقال : يؤسر مثل عبد الله بن حدافة والله لا يفارقهم خالد أو تخلصه أن شاء الله تعالى . وأقسام خالد بقيد ذلك اليوم ، فلما كان من الغد اتاهم من جيش الروم شيخ وعليه مسوح السواد حتى وقف بازائهم وأومأ بالسجود فمنعه خالدكم وقال: ما الذي تريد ؟

قال : أن كبير هؤلاء القوم يريد صلحكم ويطلق أسيركم ويدفع ما تريدون وترجعون . فقال خالد : ما نرجع الأعلى انفصال ، وأما الأسير فاذا لم تطلقوه طوعا أطلقتموه كرها . قال : انت أمير هؤلاء ؟ قال : نعم. قال : أن رأيت أن تؤخر القتال بقية يومنا هذا وليلتنا فافعل لندبر ما بيننا وبينكم ويبرد وجع هذا البطريق ونجيبكم الى ما تريدون . قال له أجبناكم الى ذلك . فرجع الشيخ الى قومه ، وقال البطريق قد أجابوا ووضعت الحرب أوزارها ونزل خالد والمسلمون بازائهم في أماكنهم وأضرم الروم النيران وزادوا فيها وحملوا اثقالهم وساروا من أول الليل ، فلما كان الفد ركب المسلمون فلم يجدوا للروم اثرا فعلموا أنهم قد ولسوا الادبار . فتأسف خالد على ما فاته فأراد أن يتبعهم فمنعه ميسرة ، وقال له أنها بلادهم وهي وعرة وأن الصواب رجوعنا ألى عسكر المسلمين . قال : فأخذوا ما تركه الروم ورجعوا منصورين ولكنهم حزينون على أسر عبدالله بن حذافة السهمي وساروا حتى اتوا حلب فلقيهم أبو عبيدة وفرح بسلامتهم وأقبل ميسرة يحدثه بما جرى لهم وكيف أسر عبدالله بن حذاقة ، فتأسف عليه ، وقال : اللهم اجعل له من أمره فرجا ومخرجا. وكتب الى عمر بن الخطاب يخبره بما وقع له من امر السرية الى الدروب وما كان من المسلمين وأخبره بأسر عبد الله بن حذافة وبعث الكتاب .

كتساب عمسر

فلما وصل الى عمر بن الخطاب فرح بسلامة المسلمين واغتماً على عبد الله بن حذافة واسره لانه كان يحبه حبا شديدا ، فقال : وعيسش رسول الله بن حذافة ، فان لسم يفعل والا سرت اليه بالجيوش والعساكر . ثم انه كتب : بسم الله الرحمن الرحبم ، الحمد الله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وصلى الله على نبيه محمد المؤيد ، من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين . اما بعد فاذا وصل اليك كتابي هذا فابعث الي بالاسير الذي عندك وهدو عبدالله بن حذافة . فان فعلت ذلك رجوت لك الهداية ، وان ابيت بعثت اليك رجالا وأي رجال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى . ثم انه طوى الكتاب وبعث مرقل ، قال له : من اين كتابك هذا ؟ قال من امير المؤمنين امير العرب . هرقل ، قال له : من اين كتابك هذا ؟ قال من امير المؤمنين امير العرب . فقراه ، فاذا هو من علند عمر بن الخطاب ، قال فدعا بعبد الله بن حذاقة فقراه ، فاذا هو من علند عمر بن الخطاب ، قال فدعا بعبد الله بن حذاقة اليه . قال عبد الله بن حداقة اليه . قال عبد الله بن حداقة وله ، فاما وقفت بين يديه ، قال لي : من انت ؟

قلت: رجل من المسلمين من قريش . قال أنت من بيت نبيك ؟ قلت لا أنا من بني عمه . قال : هل لك أن تتبع ديننا وازوجك ابنة بطريق من بطارقتي وأجعلك من أخصائي ؟ فقلت : لا والله الذي لا اله الا هو ، لا فارقت دين الاسلام أبدأ وما جاء به محمد عليه السلام . فقال: اجب الى دبننا ، وأنا أعطيك المال كذا وكذا ، ومن الغلمان كذا وكذا ، ومن الجواري كُذًا وكُذًا . قالَ عبد الله : ثم دعا بسفط من الجوهر وقال : اذا دخلت في ديني أعطيتك الله . فقلت لا والله لو أعطيتني ملكك وملك قومك مـا فارقت دين الاسلام ابدا ولو أعطيتني كل ما تملكه . فقال اذا لم ترجع الى دىنى قتلتك شر قتلة . فقلت : لست افعل ولو قطعتنى قطعاً ولو أحرقتني بالنار لا رجعت عن ديني فاصنع ما أنت صانع. قال ففضب من كلامي ، وقال : اسجد لهذا الصليب سجدة واخلى سبيلك . فقلت : اسبتُ أفعل . قال : فكل من لحم الخنزير وأنا أطلقك. قلت : حاشى لله ما كنت بالذى أفعل . قال : فاشرب من هذا الخمير شربة واحدة واطلقك . قلت : لا والله لا أشرب أبدا . قال : وحق ديني لتأكلن وتشربن قهراً . ثم !مر بي فجعلني في بيت ، وجعل عندي من ذلك: اللحم والخمر ، وقال : أذا أضرُّ به الجُّوعُ والظمُّا أكلُ وشربُ . وأغلقوا على: الابواب .

قال : حدثنا عامر بن سهل عن يوسف بن عمران عن سفيان بن خالد عمن يثق به أن هرقل كان قد مات بعد هزيمته من انطاكية بأيام قلائل مما دخل على قلبه من القهر ويقال انه مات مسلما والذي فعل ذلك بعبد الله بن حذافة ولده سبطيوس وكانوا لقبوه باسم هرقل • قال: فلما كان في اليوم الرابع طلب عبد الله بن حذافة وقال للفلمان : ما فعل؟ قالوا لم نأكل شيئًا ولم يشرب وهو على حاله . فقال له وزيره : أيها الملك اعلم أن هذا الرجل شريف في قومه لا يرى الذل فكل ما تفعله في هذا الرحل تفعله المسلمون اذا قبضوا على ملك منا . قال فاستدعاه ، وقال له: ما فعلت باللحم ؟ قال: هو على حاله . فقال: ما منعك أن تأكل ؟ قال : فزعا من الله ورسوله ، وأبضا أنه قد حلَّ لي بعد ثلاثة أيام ، ولكن ما أردت أن تشمت بي الملحدون . وورد كتاب عمر بن الخطأب رضى الله تعالى عنه فلما قراه أعطى عبد الله مالا كنيرا وثيابا وأعطاه لؤاؤا كثيرا هدية لعمر بن الخطاب وبعث معه خيلا الى أن أخرجوه من الدروب ووصل الى حلب ولقى المسلمين ففرحوا به . ثم انه سار الى عمر بن الخطاب ، فلما رآه سبجد لله شكرا وهناه بالسلامة وحدثه بما كان من هرقل وأخرج له اللؤلؤ . فلما رآه عمر عرضه على التجار ، فقالت التجار له هذا ما يقويم ومن جاءك به ، فقالت الصحابة خذه اليك يارك الله لك فيه ، فقال : لا اله الا الله محمد رسول الله ، اذا كنتم قد جملتموني منه في حل عكيف أصنع بمن غاب من السلمين ومن فسى بطون الامهات واصلاب الرجال من أولاد المهاجرين والانصار والمجاهدين في سبيل الله ، ولا طاقة لعمر بمطالبتهم يوم القيامة. . ثم باعه وجعل ثمنه في بيت المال .

حداثنا عمر بن سالم عن عبد الله بن غانم عن أبي بكر بن عمر عبن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ، قالوا جميما أنه لما فتح أبو عبيدة انطاكية صلحا ، وكان من آمر سرية ميسرة بن مسروق ما ذكرناه أقام أبو عبيدة بحلب ينتظر ما يأتي اليه من عمرو بن الطاص لما مضى الى قيسارية في خمسة آلاف من المسلمين فيهم عبادة بن الصامت وعمرو بن ربيعة وبلال بن حمامة وربيعة بن عامر .

ذكر فتح قيسارية الشام بساحل البحر

قال سبيع بن ضمرة الحرائي: كنت مع عمرو بن العاص حين سار الى قيسارية فدخلنا قرية من قرى الشمام، وكان البرد شديدا ونظرنا الى كرومها ونظرت الى كرمة في دار من دور القرية وفيها عناقيد مدلاة أكبر ما يكون فأخذنا منها وأكلنا قبردنا ولحقنا البرد الشديد من شدة برد ذلك العنقود، فقلت قبحالله هؤلاء الملاعين بلدهم بارد وعنبهم بارد وماؤهم

بارد وأنا أخاف الهلاك من شدَّة برد بلادهم • قال فسمعنى رجل من أهـــل البلد فأراد أن يقرب الي " لاداعبه ، فقال لي : يا أخا العرب ان كنت تجسد البرد من العنب فاشرب من مائه • قال سبيع: ثم انه دلنا على دن" كبير فيه خمر فشربت أنا وجماعة من عرب اليمن فسكرنا فجعلنا نتمايل سكرا فأخبر بذلك عمرو ابن العاص ، فكتب ألى أبي عبيدة يعلمه بذلك فكتب اليه أبو عبيدة : أما ابعد فمن شربها فحده عليها وأقم حدود الله كما أمـــ ، ولا تخش ألومة لائم ، فلما وصل الكتاب الى عيرو دعا بسبيع ابن ضمرة لرأصحابه فجلدهم بالسياط • قال سبيم :فلما ضربني عمرو وأوجعني • قلت والله لأقتلن العلج الذي دلنا على الخمر حتى شربناها وأكلنا الحدُّ، فأخسذت سيفي ودخلت القرية أطلب العلج فلما رأيته ووقعت عيني عليه أردت قتله فولى هاربا فتبعته وهو يقول : ما ذنبي عندك ؟ فقلت أنت دللتني علمي ما يغضب الله حتى أكلت الضرب ، فقال والله ما علمت أنه محرَّم عليكم • قال فناداني عبادة بن الصامت وقال يا سبيع اباك أن تقتله فانه تحت الذمسة ٠ قال فتركته ومضى العلج وأتى الى ً بتين وجوز وزبيب وقال كل هذا بــذاك فاته يدفئك ٠ قال فأكلته فوجدته طيبا فقلت لحاك الله أين هذا كان قبــــل أن أضرب بالسياط ؟

(قال الواقدي) ثم ان عمرا ارتحل فنزل بموضع يقال له محل وبلغ الخبر فلسطين بن هوقل ، وكان فد أتاه المنهزمون من عسكو أبيه ولجئــوا اليه واكتمل جيشه في ثمانين ألفا ، يُم انه دعا برجل من المتنصرة وقال له : امض واحزر لي عسكر العرب واكشف لي أخبارهم فوصل اليهم ولجـــا الي قوم من اليمن وهم يصطلون حول النار ، فجلس بينهم يسمع حديثهم ، فلما أراد القيام عثر في ذيله • فقال باسم الصليب كلمة أجراها الله على لسانه ، فلما سمعوا قوله علموا أنه متنصر جاسوس للروم فوثبوا اليه وقتلوه ووقع الصائح في العسكر فسمع عمرو الضجة • فقال ما الخبر ؟ • قيل ان قوما من اليمن وقعوا بجاسوس من الروم فقتلوه • فأل فغضب عمرو وطلبهم ، وقال ما حملكم على قتل الجاسوس ؟ وهلا أتيتموني به لأستخبره ؟ فكم من عين تكون علينا ثم انها ترجع فتصير لنا ، لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف شاء ٠ ثم انه نادى في جيشه : من وقع بغريب أو جاسوس فليأت به الى ً . قــال وان فلسطين استبطأ الجاسوس فعلم بقتله فأرسل غيره فأشرف على القوم من فوق شرف عال وحزرهم وعاد اليه فأخبره أنهم في خمسة آلاف ، الا انهم كالأسبود الضارية أو كالعقبان الكاسرة يرون الموت مغنما والحياة مغرمك ، فلما سمع ذلك • قال وحق المسيح والقربان لا بدٌّ من قتالهم • فأمـــا أن

«Y» _ \\ _ \\ _

أبلغ المراد أو أموت صبرا ، ثم انه جمع عسكره واختار منهم عشهرة آلاف فارس شدادا وولى عليهم بطريقا اسمه بكلاكون وهو صاحب جيشه : وقال سر بهؤلاء فأنت طليعة جيشي فسار من ساعته ، ثم انه عقد صليبا آخر وسلمه الى دمستق العسكر واسمه جرجيس بن باكور وضم اليه عشرة آلاف وقال له الحق بصاحبك فسار في أثره ، فلما كان في اليوم الثانسي خسرج فلسطين ببقية الجيش وترك ابن عمه فسطاس في قيسارية يحفظها وترك عنده عشرة آلاف • قال بشار بن عوف : فبينما نحن نازلون اذ أشرف علمنا البطريق الأوَّل في عشرة آلاف فارس ، فلما قربوا منا رأيناهم فحزرناهـــم فأذا هم عشرة آلاف • قال ففرحنا وقلنا نحن خمسة الاف وعدو أنا في عشرة آلاف ، فكل رجل منا يقاتل اثنين ، فبينما نحن كذلك اذ أشـــرف علينـــا البطريق الثاني في عشرة آلاف ، فقال عمرو رضى الله عنه : اعلموا أن من أراد الله واليوم الآخر فلا يرتاع من كثرة العدو" ولو تزايد المدد ، فإن الجهاد أوفر متجرا وأعز قدرا ، وأي فخر عند الله ممن يقتسل في سبيسل الله ٠٠٠ وصفوف الكفار ويكون حيا عند الله يرتع في مروج الجنة وبنال من الله سابغ النعمة والمنة ، فقد قال الله تعالى _ ولا نحسبن الذين قتلوا في ســـنهيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهـــم - الآيــة ، ولو أن الجاسوس الذي قتلتموه لم تعجلوا عليه ، لأخبرنا بمسير هذا الجيش الينا وكُشرته ، وكنا قد أخذنا حذرنا على انفسنا واحبطنا ، ولكن أمر الله لا يرد . ثم انه جمع أبطال الموحدين ، وقال قد رأيت أن ننفذ الى أبي عبيدة نعلمـــه ليمدنا بالخيل والرجال ، فأن هذا جيش عظيم • ثم قال : أيها الناس من يركب ويسبير الى الأمير أبي عبيدة ويعلمه بما قد صرنا اليه ؟ فلعله أن ينجدنا كما أنجد يزيد بن أبي سنفيان • وهو متحاصر قنسرين وأجره على الله •

المعارك في فلسمطين

فقال له ربيعة بن عامر: يا عمرو الق بنا العدو وتوكل على الله ، فان الذي نصرنا في مواطن كنيرة ونحن في قلة ينصرنا اليوم على بقية الفوم الكافرين و قال فقنع عمرو بكلام عامر بن ربيعة ، وقال والله لقد صدقيت وأمر الناس بالتأهب الى لقاء العدو ، فركب المسلمون ورفعوا أصواتهي بالتهليل والتكبير فأجابتهم الجبال والتلال والأوعار والأشجار والأحجار ، ومن في تلك الأرض من العمار ، وقالوا: الهنا ومولانا انا تسمع أصواته موحدة غير مشركة ولا ملحدة في التوحيد ، وقد أسمعتنا كلام التوحيد وأربتنا وجوه أهل التمجيد والتحميد ، الهنا مل أطيب سماع ذكرك ومن لنا أن نوفى

بشكرك • قال و ضبعت الوحوش والسباع الى مولاها شاكرة لما أعظامها وأولاها ، ونادت عالم سرها ونجواها : يا من جمع الوحوش راضية بما آتاها أخرج رزقها ومرعاها تغدو خماصا وتروح بطانا الى باب سيدها ومولاهما ، يا من لو توارت دودة تحت الأرضين السبع لرآها ، ولو كانست في علس الظلمات تحت اليم المظلم حبة لرزق عبد لبلغه اياها ، الهنا انا سمعنا أصوات توحيدك في هذه الأرض وما كنا عهدناها ، ونسمع آيات ما كنا عرفهاها ولا سمعناها ، سبحانك يا من قدرته لا ننساها ويا من احسان وفضيكه لا يتناهى • قال : فهتف بهم هاتف من الجواء، كم لله من مسبحق الجبال وفراها تحت تخوم الأرض وثراها ، وفي فلوات البراري المقفرات ، وفي قعور البحار الزاخرات وماها • قال فارتاع عسكر الكفار لما سمعوا في الجميع همسنه الأصواتُ ، وكأنما الأرض وأقطارها وأهلها تجاوبهم ، وكان فلسطين قـــــــ أتى وسمع ذلك ونظر الى جيش العرب وقد زاد في عينيه أضعافا. فقال: وحق ديني لما أشرفت على القوم ما كانوا في هذه الكثرة وما كانوا أكثر من خمسة آلاف ، وقد زاد الآن عددهم وتزايد مددهم ، ولا شك أن الله قلد أمدهمم بالملائكة ، ولقد كان أبي هرقل على بصيرة من أمر هؤلاء العرب ؛ وليس جيشني هذا باعظم من جيش ماهان الأرمني لما لقيهم باليرموك في ألهب ألف ، ولقد ندمت على خروجي اليهم ، ولكن سوف أدبر حيلة على هؤلاء العرب ، ثم انه دعا بقس عظيم القدر عند النصرانية ، وهو قس قيسارية وعالمها وقال له اركب الى هؤلاء القوم وكلمهم بالتي هي أحسن ، وقل لهم ان ابن الملك يسألكم أن تنفذوا اليه أفصحكم لسانا وأجرأكم حنانا فابعثوا به ولا يكون من طغيسام العرب •

قال فركب القس وعليه ثوب من الديباج الأسود وعليه برنش من الشعر فركب بغلة شهباء وأخذ بيده صليبا من الجوهر وسار حتى وصل الى المسلمين فوقف بحيث يسمعون كلامه • فقال : يا معشر العسرب انى رسول اليكم من الملك فلسطين بن هرقل يسألكم ان تنفذوا اليه أفصنحكم لسانا وأجرأكم جنانا ، وانه والله يزيد صلحكم ولا يبغي قتالكم ، لأنه عالم بدينه بصير بأموره ، وليس يحب سفك الدماء ولا فساد الصور ، فلا تبغوا علينا فالباغي مقهور والمبغى عليه منصور ، وقد قال لنا المسيح لا تقاتلوا الا من بغى عليكم ، وان الملك يريد أن تبعثوا اليه رجلا من أفصحكم لسانسا وأجرئكم جنانا ، ثم سكت • قال فلما سمع عمرو كلامه • قال أيها الناس قد سمعتم ما قاله هذا الأغلف ، فمن منكم يبادر الى مرضاة الله تعالى ورسوله وينظر ما يتكلم به مع ملك الروم •؟

فتقدم اليه بــــلال بن حماســـة مؤذن رســـول الله (ص) ، وكان غلاما أسود طويلا من الرجال كأنه النخلة السحوق بصاص من السمواد ، عيناه جمرتان كأنهما العقيق جهوريُّ الصوت • فقال يا عمرو أنا أسبير اليه، فقال يا بلال انك قد حطمك الحزن على رسول الله (ص) ، وأيضا انك من جنس الحبش ولست من العرب ، لأن العرب لهم الكلام الجزل والخطــب والفصاحة • فقال بلال بحق رسول الله (ص) الا تركتني أمضي اليه . • فقال عمرو لقد أقسمت على " بعظيم اذهب واستعن بالله ولا تهبه في الخطاب وأفصم في الجواب وعظم شرائع الاسلام · فقال بلال ستجدني ان شاء الله حيث تريد. قال فخرج بلال نحوهم وهو كالنخلة السحوق عريض المنكبين كأنه من رجال شمنوءة ، وكان من عظم خلقته اذا نظر اليه أحد يهابه ، وكان لابسما يومئـــذ قميصاً من كرابيس الشام وعلى رأسه عمامة من صوف منقلدا بسييف ومزوده على عاتقه وبيده عصا ٠ قال فلما برز بلال من عسكر المسلمين ونظر اليه الفس أنكره ، وقال ان القوم قد هنا عليهم فانا دعوناهم نخاطبهم فبعثوا الينا بعبيدهم لصغر قدرنا عندهم ٠ مم فال أيها العبد أبلغ مولاك وقل له ان الملك يريد أميرا منكم حتى يخاطبه بما يريد ، فقال بلال : أيها القس أنـــا بلال مولى رسول الله (ص) ومؤذنه ولسبت بعاجز عن حواب صاحبك ، فقال له القس قف مكانك حتى أعلم الملك بأمرك وعاد القس الى الملك ، وقال له : أيها الملك انهم فد بعثوا بعبد من عبيدهم بخاطبك ، وما ذاك الا استصــغارا لأمرنا عندهم ، وهو عبد أسود • قال فأرسل له رجــ لا يقول له : أيها العبد أبلغ مولاك وقل له ان الملك ايما يريد أميرا منكم حتى يخاطبه • فقال لــه بلال أيها الرجل أنا بلال بن حمامة مولى رسول الله (ص) ولسبت بعاجز عن جواب صاحبكم • فقال فلمسطين ارجع اليهم وقل لهم بعث اليكم ملك النصرانية أيليق أن تبعتوا له بعبد من عبيدكم ؟

فرجع الترجمان الى بلال وقال له با أسود: ان الملك بقول لك: لسنا ممن نخاطب العبيد بل يأتينا صاحب جيشكم أو المؤمر، عليكم ، فرجع بلال وهو منكسر وأخبر عمرا بذلك ، فقال لشرحبيل أنا أمضي اليه ، فقلل عمرو الله شرحبيل يا عبد الله اذا مضيت أنت فلمن ندع المسلمين ؟، فقال عمرو الله لطيف بعباده وهو أرحم الراحمين بخلقه ، ولكن خلد الراية واخلفني في قومي ، فان غدر الروم فالله الخليفة عليكم ، فوقف شرحبيل في مقام عمرو وأخذ الراية وخرج عمرو نحو القوم وعليه درعه ومن فوقه جبة صوف وعلى وأسه عمامة من صنع اليمن مصبوغة صفراء قد أدارها على رأسه كورا وأرخى لها عذبة ، وفي وسطه منطقة ، وقد تقلد سيفه واعنقل رمحه وسار

عمرو حتى وقف بازاء الترجمان الذي أرسله فلسطين بن هوقل ، فلما رأه الترجمان ضحك ، فقال مم تضحك يا أخا النصرانية ؟ • قال من دناءة رؤيتك وحملك هذا السلاح ، ما الذي تصنع به ولم تحمله معك وما نريد حربــا؟ فقال عمرو ان العرب حمل السلاح شعارهم ووطاؤهم ودثارهم، وانما حملت السلاح معى استظهارا ، ولعلى أن ألقى عدوًا فيكون ذلك حصنا من عدويي وإحامي-به عن نفسي • قال الترجمان : شيمتكم أيها العرب الغدر والمكر فكن مطمئن الجانب، ثم عطف الترجمان الى فلسطين بن هرقل وأخبزه بما سمعمن مقالة عمرو بن العاص ، وقال أيها الملك ان أمير العرب قد قدم علينا وعليه من اللباس كذا وكذا فتبسم الملك من قول القس، وقال: قل له يتقدَّم الينا٠ قال فلما قدم أخذ الملك في التأهب لقدوم عمرو عليه ، وزين ملكه واوقـــف القسوس عن يمينه وشماله والحجاب بين يديه ، وأقبل على النرجمان ، وقال له يا أخا العرب قد أذن لك الملك ، فسار عمرو على جـواده وعسـكر قيسارية تتعجب منه ومن زيه الى أن وقع على قبة الملك ، ثم ترجل ومست الحجاب أمامه حتى وقعت عينه على عين فلسطين فأدناه ورحب به وبش في وجهه ، وقال مرحبا بأمير قومه ، وأراد أن يجلسه على السرير فامتنع عمرو من ذلك ، وقال بساط الله أطهر من بساطك ، لأن الله تعالى جعــل الأرض بساطا وأباحنا اياها فنحن فيها سواء ، وما أريد أن أجلس الا على ما أباحه الله • ثم جلس على الارض باركا وترك رمحه أمامه وسيفه على فخذه الأيسر ، فقال له فلسطين ما أسمك ؟٠

قال اسمي عمرو وأنا من العرب الكرام أرباب الحزم المعظمين في الفوم وقال فلسطين: انك لفتي كريم من عرب كرام ، يا عمرو ان كنت من العرب فنحن من الروم وبيننا قرابة وأرحام متصلة ، ونحن وأنتم في النسب متصلون ومن يكونون متصلين في النسب ما لهم يسفك بعضهم دم بعض ؟ ، فقال عمرو ان أنسابنا لاحقة من أبينا ونسبتا الأعلى هو دين الاسلام ، واذا كان أخوان قد اختلفا في الدين كان حلالا أن يقتل أحدهما أخاه ، وقد انقطع النسب بيننا ، وقد ذكرت أن نسبك لاحق بنا فكيف يكون نسبك ونسبنا واحدا وتحن قريش الكرام وأنتم بنو الروم ؟ وقال يا عمرو أليس أبونا آدم ثم نوحا ثم ابراهيم وعيصو بن اسحق واسحق أخو اسماعيل وكلاهما ولد ابراهيم ، ولا ينبغي للأخ أن يبغي على أخيه بل يجود عليه ، فقال انك لصادق في قولك الذي قلت وان كان نوح عليه السلام قسم الأرض شططا حين اسمعيل صلوات الله عليه وان كان نوح عليه السلام قسم الأرض شططا حين غضب على ولده حام وعلم أن أولاد حام لن يرضوا بها فاقتتلوا عليها زمانا، وهذه

الارض التي أنتم فيها ليست لكم وهي أرض العمالقة من قبلكـم ، لان نوحــاً عليه السلام قسم الأرض بين أولاده النلاثة سام وحام ويافت وأعطى ولده ساما الشام وما حوله الى اليمن الى حضرموت والى غسان ، والعرب كلهم ولد سام ، وهو قحطان وطسم وجديث وعملاق وهو أبو العمالقة. حيث كانوا من البلاد وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام فهذه العرب العاربة ، لأن لسانهم الذي جبلوا عليه العربية ، وأعطى حاما الغرب والساحل وأعطي يافث ما بين المشرق والمغرب ــ وان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبـــة للمتقين ــ ونريد أن نود ً هذه القسمة فنأخذ ما في أيديكم من العمارة والأنهار عوضا عما نحن فيه من الشوك والحجارة والبلد القفر ، فلما سمع فلسطين كلام عمرو بن العاص علم أنه رجل ماكر ٠ فقال له : صدقت في قولك الا أن القسمة قد جرت ، فأن نقضتموها كنتم من الباغين علينا ، واعلم أنه مـا حملكم على ذلك وأخرجكم من بلادكم الا الجهد العظيم ، فقال له عمرو : أيها الملك • أما زعمت أن الجهد أخرجنا من بلادنا ، فنعم كنا نأكل خبز الشعير والذرة فاذا رأينا طعامكم واستحسناه فلن نبارحكم حتى نأخذ البلاد مين أيديكم وتصيروا لنا عبيدا ونستظل تحت أصول هذه السجرة العاليية والفروع المورقة والأغصان الطيبة النمار ، فان منعتمونا مما ذقناه من بلادكم من لذيذ العيش ، فما عندنا الا رجالا أشوق الى حربكم من حبكم الحياة ، لأنهم يحبون القتال كما تحبون أنتم الحياة • قال وأفحم فلسطين عن جوابه ، فرفع رأسه الى قومه و قال ان هذا العربي صادق في قوله وحق الـــكنائس والقربان والمسيح والصلبان ما لنا معهم نبات • قال عمرو فوجدت الى وعظهم سبيلا ، وفلت : معاشر الروم ان الله عز وجل قد قرَّب عليكم ما كنتهم تطلبون • ان كنتم تريدون بلدكم فادخلوا في ديننا وصدِّقوا قولنا ، فان الدين عند الله الاسلام •

قال فلسطين: يا عمرو انا لا نفارق ديننا وعليه مات آباؤنا وأجدادنا وال عمرو: فان كرهت الاسلام فأعطنا الجزية منك ومن قومك وأنترم صاغرون و قال فلسطين لا أجيبك الى ذلك ، لأن الروم لا تطاوعني الى أداء الجزية ولقد قال لهم أبي ذلك من قبل فأرادوا قتله ، فقال هذا ما عندي من الأعذار ، ولقد حذرتكم ما استطعت ولم يبق بيننا حكم الا السميف ، والله يعلم أني دعوتكم الى أمر فيه النجاة فعصيتموه كما عصى أبوكم عيصو عن أمه فخرج من الرحم قبل أخيه يعقوب ، وأنتم تزعمون أنكم أقرباؤنا في النسب ، وانا لبراء الى الله عز وجل منكم ومن قرابتكم اذ أنتم تسكفرون بالرحيم ، أنتم من والد عيصو بن اسحق ، ونحن من ولد اسمعيل بن ابراهيم بالرحيم ، أنتم من والد عيصو بن اسحق ، ونحن من ولد اسمعيل بن ابراهيم

عليه السلام ، وان الله تعالى اختار لنبينا خير الانساب من لدن آدم الى أن أخرج من صلب أبيه عبد الله ، فجعل خير الناس من ولد اسماعيل فتكلم بالعربية وتكلم اسحق على لسان أبيه فولد اسمعيل العرب ، ثم جعل خير الناس كنانة ، ثم جعل خير العرب قريشا، وخير قريش بني هاشم ، نم جعل خير بغي عبد المطلب نبينا محمد جعل خير بني هاشم بني عبد المطلب نبينا محمد (ص) فبعثه رسولا واتخذه نبيا وأهبط عليه جبريل بالوحي ، وقبال له طفت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر أفضل منك ، قال فخضعت جسوارح القوم حين ذكر رسول الله (ص) ووجلت قلوبهم ودخلت آلهيبة في قلب فلسطين حين سمع كلام عمرو ، فقال صدقت في قولك ، كذلك الأنبياء تبعن من خير بيوت قومها على لسان ربها ، ثم قال له يا عمرو : وهل في أصحابك من خير بيوت قومها على لسان ربها ، ثم قال له يا عمرو : وهل في أصحابك أمضي وآتيك بهم لتقف على صحة قولي ، ثم وثب وسار الى عسكره وركب وأتى جيشه فحمدوا الله المسلمون على سلامته وباتوا يتحادثون ، فلما صلى عمرو بالناس صلاة الفجر أمرهم بالركوب الى قتال عدو هم ، قال : فأسرعوا الى ذلك واستووا على متون خيولهم ، واصطفوا للحرب والقتال ،

المعركسة

(قال الواقدي) حد ثنا عروة بن زيد عن موسى مولى الحضرميين عن موسى بن عمران وابن الصباح لما كان يوم الحرب صف فلسطين جيشك ثلاثة صفوف وقدام المشاة وعدل الميمنة والميسرة ورفع الصليب أمامه وتقدم أمام الجيش فنظر عمرو الى فلسطين وقد رتب عساكره وعزم على الحرب ، فهيأ المسلمين ، وصفهم صفا واحدا وجعل في المهمنة العجماة من أصحاب رسىول الله (ص) ومعهم شرحبيل بن حسنة كاتب الوحي وصابوب بن جبالية الليثي عن شماله و كان أحد فرسنان المسلمين ، فبينما الناس كذلك اذ خرج فارس من الروم وعليه ديباج ودرع وجوشن ، وفي عنقه صليب مـن الذهب فحمل حتى خطى برمحه منالميمنة الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة، ثم الى القلب ثم وقف بازاء جيش المسلمين وركز رمحه بازائه وأخذ القوس بيده وفوق سنهمها ورمى رجلا من الميمنة فاتبت السهم فيه فجرحه ورمى، آخر من الميسرة فقتله فنظر اليه عمرو وما قد صنع فصاح بالمسلمين : ألا ترون هـذا العلج اللعين وما يصنع بقوسه ؟ فمن يكفينا أمره ويزيل عن المسلمين شره ، فخرج اليه رجل من ثقيف وعليه بردة دنسة وبيده قوس عربية قد فــوق سهمها ، وخرج الى العلج يريده فنظر اليه العلج وليس عليه شيء من العديد يستره الا فروة دنسة ، وما معه من السلاح غير القوس فازدري به وبلبسه

وأطلق سهما من كبد قوسه فوقع سهمه في صدره فاشتبك في الفروة ووقع غير مصيب ، وكان اللعين أرمى أهل زمانه • ما رمى قط شيئا الا نفذ فيه ، فغضب لذلك وهم أن يرميه بسهم تان فامتعط النقفي نبلة ورمى بها نحوه فلم يرها لصغرها وخفاء موقعها فاشتبكت النبله في حلق العلج فخرجت من قفاه ، فما تمالك العلج الا ان وقع صريعا فأسرع النقفى الى جواده فاخه واستوى على متنه ونزع بيضة المشرك عن رأسه ، وجعل بسحبه نحو جيش المسلمين فاستقبله ابن عم له وكلمه فلم يجبه من فرحه بما صنع • نم أقبل الى عمرو فاعطاه اباه فنظرت الروم الى فعل الثقفي فغاظهم ذلك ، وجعلو ينسيرون الى السماء فلعلمنا أنهم يقولون ان الملائكة تنصرنا قال ونظر فلسطين الى ذلك فعظم عليه وقال لبعض البطارقة اخرج الى هؤلاء العرب وحام عن دينك فخرج البطرين وعليه ديباجة خضراء ودرع حصين ومن تحت الدرع جوشن منيع وفي عنقه صليب من الذهب الأحمر ومعه، غلام من ورائه يجنب جنببة وعليه سيفه ودرقته فخرج حتى وقف بين الصفين فجعل يسائل الفتال ، فلما نظر المسلمون اليه أقبلوا اليه بنظرون ولا يخرج اليه أحد •

فقال عمرو: معاشر العرب من يخرج اليه ويهب نفسه لله عز وجل فخرج اليه رجل من العرب وهو يقول أنا أكون ذلك وقصال عمرو بارك الله فيما تريد وحمل صاحب المسلمين عند ما خرج مصمما واستقبله البطريق وجعلا يتجاولان ساعة وهما يتعانفان بالسيوف الى أن خرجت لهما ضربتان فسبقه البطريق بالضربة فأخذها الرجل بالدرقة فقدها نصفين وكانت جلد بعير بطانة واحدة فلم يصل اليه من الضربة شيء وضربه الرجل ضربة في أنرها فقطعت البيضة وسلكها فتقهقر البطريق الى ورائه ولم يصل اليه أذى و فلما رجعت اليه روحه حمل على المسلم وضربه فجرحه جرحا فاحشا فألوى الى أصحابه فصاح به رجل من العرب من وهب نفسه لا يرجع من بين يدي عدوه و فقال الرجل أما كفاك هذه الضربة حتى توبخني ان الله ليلومني بأن ألقي بيدي الى التهلكة ثم شد جراحه وعظم عليه ما فال ابن عمه و فلما خرج قال له ا بن عمه الذي خاطبه ارجع فخذ هذه البيضة واجعلها على رأسك فقال قال له ا بن عمه الذي خاطبه ارجع فخذ هذه البيضة واجعلها على رأسك فقال ثقتى بالله أعظم من حديدك ، ثم دلف نحو البطريق وهو يقول:

يقول لي عند الخروج للقال دونك هذا الترسفاجعله وقا من علج سوء قد بغى وقد طغى أقسمت بالله يمينا صادقا لأتركن البيض فوق المرتقى وأدخال الجنة دار الملتقى

قال فدعا له المسلمون بالنصر وقالوا اللهم أعطه ما تمنى وحمل على

البطريق وضربه ضربة هائلة فوقعت على عاتقه وخرجت من علائقه ثم حمل في جيش الروم فقتل رجلا وجندل أبطالا ولم يزل كذلك حتى قتل رحمه الله تعالى • فقال عمرو : هذا رجل اشترى الجنة مــن الله بنفســه : اللهــم أعطــه ما تمنى •

البطريق قيدمسون

(قال الواقدي) وكان هرقل حين بعث ولده فلسطين الى قيسارية بعث معه بطريقا من البطارقة وكان اسمه قيدمون وكان مسن أفرس الروم ويقال انه خال فلسطين ، وقد كان لقى عسكر الفرس وعسكر الترك وعسكر الجرامقة قال وكان اللعين بحفظ سائر اللغات ، فقال فلسطين : لا بدلي من قتال العرب ، قال وخرج وعليه لامة وخرج مبارزا ، فلما رآه المسلمه ن قد خرج وكأنه جبل قد انهد من أعلاه الى أسفله وهؤ يلمع من بريق الجوهسر ضبح المسلمون بقول لا اله الا الله ، فلما وقف في الميدان أقبل يرطن بلغته ويطلب البراز فأقبل العرب يهرعون اليه من كل جانب ومكان يريدون قتاله لأجل ما عليه ، فقال عمرو ثواب الله خير لكم مما عليه فلا يخرج أحد لطلب سمعت رسول لله (ص) يقول « من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله أه ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزو جهسا فهجرته الى الله ما هاجر اليه » قال فخرج غلام من اليمن ومعه أمه وأخته يريدون الشام ، وأخته تقول له : يا ابن أمي جد بنا في السير لنصل الى الشسل الى الشسام ، وأخته تقول له : يا ابن أمي جد بنا في السير لنصل الى الشسل الى الشسل من خيره ونعمه ،

فقال لها أخوها انها أذهب القاتل لمرضاة الله عز وجل وقد سمعت معاذ بن جبل يقول: ان الشهداء عند ربهم يرزقون و فقالت له أخته كيف يرزقون وهم أموات و قال سمعت رسول الله (ص) يقول « ان الله تعلل يرزقون وهم أموات و قال سمعت رسول الله (ص) يقول « ان الله تعلل يجعل ارواحهم في حواصل طيور الجنة فتأكل تلك الطيور من ثمار الجندة وتشرب من أنهارها فتغدو أرواحهم في حواصل تلك الطيور ، فهدو الرزق الذي جعله الله لهم » فلما كان قتال قيسارية خرج ذلك الغلام الى القتال بعد ان ودع أمه وأخته وداع الموت وقال لهم نجتمع على حوض رسول لله (ص) ثم خرج وبيده قناةوهي موصولة كثيرة العقد وتحته جواد هجين و

فلما خرج الغلام حمل على البطريق من ساعته وطعنه بسنانه · قال فاشتبك السنان فيدرع البطريق فلم يقدر على انتزاعه فضرب البطريق قنا الغلام بسيفه فقطعها وحمل على الغلام وضربه على هامته فسطرها فوقـــع

الغلام ميتا رحمه الله وجال قيدمون على مصرعه ، ثم طلب البراز ، فخــرج اليه ابن قشم فقتله البطريق ، فلما نظر الى ذلك شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه اقبل يعاتب نفسه ويقول: تتفرجين على قتل المسلمين، ثمم خمرج والراية بيده التي عقدها له أبو بكر (رضي) يـــوم خروجه الى الشــــام ، فلما رآه عمرو قد عول على الخروج قال : يا عبدالله اركز الراية لئلا تشغلك. فركزها شرحبيل فوقفت كالنخلة وغاصت في حجر كأنها منه فنفاءل بالنصر وخرج الى لقاء قيدمون والمسلمون يدعون له بالنصر على عدويه فلما رآه البطريق ضحك من زيه وكان للملعون صوت عال وهو ضخم من الرجال وكان شرحبيل نحيف الجسم من كنرة الصيام والقيام بالليل والبطريق في ميدانه فحمل كل واحد منهما على صاحبه واختلفا بضربتين ، وكان السابق شرحبيل قيدمون على شرحبيل فشجه ثم تجاولا على الجوادين . قيال سعيد بن روح وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب فبينما هما في المعركة أذ نزل المطر كأفواه القرب قال فنزلا عن الجوادين وجالا يتصارعان في وسط الطين وذلك أن قيدمون حمل على شرحبيل فضرب يده في مراق بطنه فاقتلعه من الارض ورمى به على ظهره نم استوى على صدره وهم أن ينحره فنسادى شرحبيل يا غياث المستغيثين فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من الروم وعليه لامة مذهبة ومن تحته جواد من عتاق الخيل فقصد موضع البطريـق وشرحبيل فظن قيدمون انه انما خرج ليعطيه جواده ويعينه ، فلما قرب منهما ترجل وأمال البطريق برجليه عن صدر شرحبيل وقال يا عبد الله قد أنـاك الغوث من غياث المستغينين فوثب شرحبيل قائما ينظر اليه متعجبا من قوله وفعله ، وكان الفارس متلمثًا نم جرد سيفه وضرب البطريق ضربة قطع رأسه ، وقال يا عبد الله خذ سلبه • فقال شرحبيل والله ما رأيت أعجب من أمرك واني رأيتك جئت من عسكر الروم فقال أنا الشبقي المبعد أنا طلحة ابن خويلد الذي ادعى النبوَّة بعد رسول الله (ص) وكذب على الله وزعم ان الوحى كان ينزل عليه من السماء ، فقلت له يا أخي _ ان رحمة الله قربب من المحسنين ، وقد وسمعت رحمنه كل شميء ــ ومن تاب وأقلع وأناب قبل ألله توبته وغفر له ما كان منه والنبي (ص) يقول « التوبة تمحو ما قبلها » أما علمت يا ابن خويلدان الله سبحانه وتعالى لما انزل على نبيه _ ورخمتي وسعت كل شيء _ طمع فيها كل سيء حتى ابليس فلما نزل قوله تعالى _ فسأكتبها للدين يتقون ويؤتون الزكاة ـ قالت اليهود نحن نؤتي الزكاة ونتصدق ، فلما نزل قوله تعالى ـ والذين هم با ياتنا يؤمنون ـ قالت اليهود نحن مؤمنون بما انزل الله في الصحف والتوراة فأراد الله أن يعلمهم انها خاصة بأمة محمد (ص) بقوله _ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي _ · فقال طلحة بن خويلد مالي وجه أرجع الى الاسلام وهم أن يسير على وجهه فمنعه شرحبيل وقال له: يا طلحة لست أدعك تمضي ، بل ترجع معي الى العسكر قال ما يمنعني من المسير معك الا الفظ الغليظ خالد بن الوليد ، واني أخاف أن يقتلني ، فقلت يا أخي انه ليس معنا وهذا الجيش لعمرو بن العاص قال فرجع معي ، فلما قربنا من المسلمين تبادروا الينا وقالوا يا شرحبيل من هذا الرجل معك ؟ فلقد صنع معك جميلا قال ولم يعرفوه ، لانه كان متلمثا بفضل عمامته · فقلت هذا طلحة بن خويلد الذي يعرفوه ، لانه كان متلمثا بفضل عمامته · فقلت هذا طلحة بن خويلد الذي وتعالى • قال شرحبيل فاتيت به الى عمرو بن العاص فسلم عليه وبش في وجهه ورحب به ·

قال حدثنا حسان بن عمر لربعي عن جده ان طلحة بن خويلد لما ادعى النبوَّة وجرى له ما جرى من الحرب مع خالد بن الوليد رضي الله عنه وسمع ان خالدا قتل مسيلمة الكذاب وقتل الاسود العنسى أيضا لانه قال انه نبي فخاف طلحة على نفسه من خالد فهرب بالليل ومعه زوجته للشام واستجار برجل من أل كلب فأجاره الكلبي وأنزله في داره ، وكان الكلبي مؤمنا وبقي عنده مدة أيام الى أن استخبره عن حاله فحد "ثه طلحة بجميع أحواله مع خالد بن الوليد ووقائعه معه وكيف ادعى النبوة فغضب الكلبي لكلامه وطوده من جواره فاقام طلحة بالشام ، وقد تاب من أمره ، فلما بلغه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد قبض قال ذهب من جر "دت السيف في وجهه فمن ولي بعده قالوا عمر بن الخطاب ، قال : الفظ الغليظ ٠٠٠ وهاب أن يمضي اليه وفزع من خالد بن الوليد أن يراه بالشام فيقتله ، فقصد قيسارية ليركب في المراكب ويطرح نفسيه في بعيض جزائسي البحير، فلميا نظير الى جيش فلسطين قد خرج الى قتال العرب قال أسير مع هذا الجيش فلعلى انكب نكبة وأغسل بها سُيئًا من أوزاري وتكون لي قربة إلى الله تعالى والي المسلمينَ ، فلما نظر شرحبيل في عيسن الهلكة قسال لا صبر لي عنه فخرج واستنقذه كما ذكرناه ، فلما وقف بين يدي عمرو بن العاص شكره وبشره بقبول التوبة • فقال يا عمرو اني أخاف من خالد بن الوليد أن يراني بالشام، فيقتلني • فقال عمرو فاني أشير اليك بشيء تصنعه وتأمن به على نفسك في الدنيا والآخرة • قال وما هُو ؟

قال : أكتب معك كتابا بنا صنعت وشهادة المسلمين فيه وتنطلق به الى عمر ابن الخطاب وتدفعه اليه وأظهر التوبة فانه يقبلها وسيندبك الى الفتوح

وفنال الروم فتمحو عنك ما سلف من خطاياك فأجابه طلحة الى ذلك فكتب له عمرو كتابا الى عمر بن الخطاب رضي الآعنه بما صنع وأخذه طلحة ومسى به الى مدينة رسول الله (ص) فلم يجد عمر في المدينة وقيل له هو بمكة فمضى حتى وردها فوجد عمر متعلقا بأستار الكعبة فتعلق معه وقال يا أمير المؤمنين اني تائب الى الله عز وجل وحق رب هذا البيت مما كان مني • قال عمر من انت ؟ قال أل طلحة ابن خويلد • قال فنفر عمر عنه وقال :

_ يا ويلك ان أنا عفوت عنك فكيف الامر غدا بين يدي الله عز وجل بدم بن محصن الاسدي • فال طلحة : يا أمير المؤمنين عكاشة رجل أسعده الله على بدي وشقيت أنا بسببه وأرجو أن يغفر الله لي بما عملته • قال عمر وما عملت فأخرج له كناب عمرو بن العاص ، فلما قرأه عمر وفهم ما فيه فرح به وقال أبشر فان الله غفور رحيم وأمره عمر أن يقيم بمكة حتى يرجع الى المدينة فأقام معه أباما ، فلما رجع عمر الى المدينة وجه به الى قتال أهل فارس •

قال الواقدي رجعنا إلى الحديث • قال لما قتل البطريق قيدمون على يد طلحة ونجا شرحبيل مما كان قد لحقه ورجع الى عمرو وكان المطر شديدا فقطع الناس القتال ولحق الناس الاذي لان أكثرهم بلا أخبية ولا بيوت والتجئوا الى الجايية وتستروا بدورهـا وكان مـن رحمة الله بالمسلمين أن وقع في قلـب فلسطين الفزع والرعب لما قتل قيدمون البطريق وكان ركنه ودعامته فشاور أصمحابه في الرجوع الى قيسارية وقال : يا معاشر الروم أنتم تعلمون أن جيوس الير موك ما تبتت لهؤلاء العرب ، وان أبي قد ولي الى القسطنطينية من خوفهم وقد ملكوا الشام جميعه وما بقى غير هذا الساحل ، وانى أخاف أن ندهى من قيلهم ويملكوا قيسارية والرحيل أوفق من المقام ههنا فأجابوه الى ذلك ، فلما كان الليل ارتحل القوم والمطر ينزل • قال سعيد بن جابر الاوسىي : وكان ذلك كله رحمة للمسلمين من الله عز وجل • قال فلما كان في اليوم الرابع ارتفع المطر وطلعت الشمس فخرجنا من الجابية نطلب قتال الروم فلم نر لهم أثرا ،. فوالله لقد فرحنا بطلوع السمس أكثر من فرحنا برحيل الروم فكتب عمرو بذلك الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص السهمي الى أمير جيوش المسلمين أبي عبيدة عامر بن الجراح ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فيا صاحب رسول الله (ص)، فإن فلسطبن بن هرقل قد أخرج الى لقائنا ثمانين ألفا من الروم وكان لقاؤنا معهم على موضيع يقال له نخل وأخذ شرحبيل أبن حسنة وكان الذي ملك أسره قيدمون ابن خالة هرقل ، ثم خلصه الله على يد طلحة بن خويلد الاسدى وقتل قيدمون ابن خالة هرقل ، ثم وجهته بكتاب الى عمر بن الخطاب وقد انهزم عدو الله فلسطين ، وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ٠

وبعث الكتاب مع جابر بن سعيد الحضرمي ، فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب فرح بسلامة المسلمين وسير الجواب وقال : اذا قرأت كتابي فانزل على قيسارية وأنا في أنر الكتاب معودًل على السير الى صور وعكاء وطرابلس والسلام • ثم سلم الكتاب الى جابر بن سعيد وأمره بالرجوع •

ذكر فتح صور وعكاء وطرابلس الشام وقيسارية

قال وعوال أبو عبيدة على النهوض الى الساحل ، فقام اليه عبدالله يوقنا وقال اينها ألامير اعلم أن الله عز وجل قد أباد المشركين ورفع علم الموخدين واني أربد أن أسبير قبلك الى الساحل لعلى أفوز من القوم بغزوة • فقال يا عبدالله ان أنت عملت شيئا يقر بك الى الله تجده بين يديك فافعل فوثب يوقنا قائما وأخذ أصحابه وكان قد انضاف اليه من كان يخدمه بحلب وكلهم رجعوا الى الاسلام وكانوا أربعة آلاف ، وفي عسكر العرب أبضًا ممن أسلم من البطارقة ما يزيد عن نلاثة آلاف فارس من البطارقة المعدة وعليهم وال يقال له جرفاس ٠ ا ولما انهرم فلسمطين الى قيسارية وتحصن بهما بعدت الى أهل طرابلس ان يبعثوا لـــه بنجــدة فبعثوا لـــه بثلاثة آلاف فــارس قال وساروا يطلبون قيسارية ، فلما كانوا بالقرب منها نزلوا في مرج ليعلقوا على خيولهم ، فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم يوقنا وأصحابه وكأن قد صحبهم فلنطانوس صاحب رومية وأصحابه وكانوا معوالين على زيارة بيت المقدس والمقام بها ، فلما أشرفوا على المرج وهم بزيهم ما غيروا منه شيئا ورآهم جرفاس ركب أبنفسه يختبر حالهم ، فلما قرب منهم سلم عليهم ورحب بهسم وقال من أنتم قالوا نحن الذين لجأنا الى هؤلاء العرب واستكفينا شرهم وظننا أنهم على شيء فاذا هم طغاة لا دين لهم فهربنا بديننا ونحن أصحاب حلب وقنسرين وعزاز ودارم وانطاكية ونحن قاصدون الى الملك هرقل لنكون في جنابه ، فلما سمع جرفاس من القوم ذلك فرح بهم وأنس لكلامهم وقال انزلوا عندنا كي تستريحوا ساعة من التعب ، فلا شك أنكم سرتم الليل والنهار وخافت أنفسكم من العرب قال يوقنا أين انتم سائرون ؟ قال بعث الينا فلسطين لنكون في طرابلس فقال يوقنا : تيقظوا لانفسكم فان أمير العرب أبا عبيدة تركناه على نية القدوم الى الساحل • فقال جرفاس وماذا ينفع حذرنا ودولتنا قد اضمحلت وأيامنا قد ولت ولسنا نرى الصليب يغني عن أهله شيئا ٠

قال الواقدي: فنزلوا عندهم ساعة وقدموا لهم من أزوادهم فأكلوا ثم ركبوا وهم جرفاس أن يركب لركوبهم • فقال يوقنا اشتغال بأصحابك والبسهم أفخر نيابهم ، فإن ذلك مما يظهر الرعب في قلوب أعدائكم •

قال الواقدي: حد تني سليم بن عامر عن نوفل بن عبدالله عن جرير بن البكاء وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال ما دخل يوقنا الى ساحل البحر حتى

أتفن الحيلة وذلك أنه قد نزل فيه الحرث بن سليم من بني عمه يرعون ابلهم وكانوا في مائتي بيت من العرب فأغار عليهم يوقنا وأخذهم وشدهم كنافأ ودخل بهم الى بلاد الساحل ، فلما جن ً الليل جمعهم اليه وقال لا تظنوا اني رجعت عن الاسلام وانما فعلت بكم هذا كي تسمع الروم بسواحلها اني غدرت بالعرب وأخذتهم ؟ قال فاطمأنت العرب الى كلامه وقالوا له ان كنت تريد اقامة دين ألله فالله ينصرك وبالاعداء يظفرك • قال ووكل يوقنا رجالا تسوق الاموال وانما اطمأن جرفاس وأصحابه الى يوقنا لما رأى الاسرى من العرب والجمال والانعام ، فلما ركب يوقنا وأصحابه ورأى أنهم طالبون لساحل البحر نكب عن طريق طرابلس وكمن في الليل على طريق الفوم • قال وان جرفاس فرق خزائنه الني كانت عنده على أصحابه وقعد حتى جنَّ الليل وأكلت الخيـــل عليقها ، م ركبوا واستقاموا على الطريق ، فلما توسطوا أطبق عليهم يوقنا وأصحابه وداروا بهم ولم بمهلوهم بالقتل وأخذوهم أخذا بالكف وانتشرت الخيل في تلك الارض لئلا يكون قد انفلت من الروم أحد ، فلما حصلوا في قبضتهم وتحت أسرهم أرادوا أن يطلقوا الحرن بن سليم وأصحابه ، فقال الحرث اني أرى من الرأي أن تتركونا على حالنا فان ثواب الله قد حصـــل وصبحوا بنا بلاد العدو ً فانكم ما تشرفون على بلد من بلاد الساحل الافتحة الله لكم ٠ قال يوقنا هذا رأي صحيح ثم أمر أصحابه أن يستوثقوا من الأسرى وكمن ألفين من أصحابه وأصحاب فلنطانوس مع الاسرى وهم ثلاثة آلاف فارس وقال اذا جاء نكم رسلي فاقدموا ، نم ألبس أصحابه زي الروم مثل أصحاب قيسارية الذين أخذوهم وساروا نحو طرابلس فلما خرج كل من في البلد الى لقائهم كان كتاب فلسطين قد وصل اليهم انى قد بعنت اليكم بثلاثة آلاف فارس مع جرفاس بن صليبا ودخل يوقنا مع أصحابه حتى استفر قراره في دار الامارة ودخل عليه سُبيوخ طرابلس والبطارقة وأهل الحشمة منهم ، فلما حصلوا عنده أمر بهم وفبض عليهم وقسال: با أهمل طرابلس ان الله سيبحانه ونعظــــم الصـــــور والفربـــان ونجعـــــل لله زوجــة وولــدا حتى بعث لنا هؤلاء العرب فهدانا وألمحقنا بهم ببركة نبيهم (ص) وهو النبي المبعوث الذي ذكره الله في التوراة وبشر به عيسى المسيح وان الاسلام حق وقوله الصدق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وينطقون بالحق ويتبعون الصدق ويوحدون الله وينزهونه عن الصاحبة والولد ويجاهدون في سبيله وهو الذي أمر به أنبياء ورسله فاما أن ترجعوا الى دين الاسلام أو تؤدوا الجزية والا بعثتكم عبيدا للعرب، وهذا ما عندي والسلام.

قال فلما سمعوا كلامه علموا أن يوقنا اجتاز عليهم وأخذ أصحاب الملك في الطريق و فقالوا أيها السيد نحن نفعل ما أمرتنا به و فمنهم من أسلم ومنهم رضي بالجزية وعدل يوقنا فيهم وبعث الى أصحاب الكمين فحلوا الاسرى فعرض عليهم الاسلام فأبوا فأمر بحبسهم وبعث الى أبي عبينة بالخبر وما جرى له وبعث الكتاب مع الحرث بن سليم من وادي بني الاحمر وقال يا عبدالله كن للامير مبشرا بهذا الفتح و قال سأفعل ذلك أن شاء الله تعالى وسار بالكتاب حتى وصل الى أبي عبيدة وسلم عليه وناوله الكتاب ، فلما قرأه وعلم معناه فرح وقال للحرث بن سليم : ألم تستأذني أن تسير أنت وبنو عمك الى وادي بني وقال اللحر فمن أوصلك الى طرابلس ؟ قال أوصلني القضاء والقدر ، وذلك أبو عبيدة: يوقنا أغار علينا وأخذنا أسرى وحد ثه بحديثهم فعجب من ذلك أبو عبيدة:

قال حدثني عامر بن أوس قال اخبرني ابن سالم قال حدثني موسى بن مالك وقال ان عمرو بن العاص لما ارتفع المطر رحل من الجابية ونزل على أبواب قيسارية ، وأما ما كان من أمر يوقنا فانه لما ملك طرابلس واحتوى عليها واستوثق من سورها وأبوابها ترك أصحابه على الابواب وقال لا تدعو أحدا يخرج من الابواب وكان في المرسى مراكب كثيرة فرفع آلاتها وأخذها كل ذلك ولا يعلم أحد من أهل الساحل بما صنع وقال وبعد أيام جاءت مراكب كثيرة زهاء من خمسين مركبا ، فتركهم يوقنا حتى نزل أكثرهم الى المدينة فأمر بها اليه فاستخبرهم عن حالهم وقال من أين جئتم ؟ قالوا جئنا من جزيرة قبرص ومن جزيرة أقريطش وقالوا معنا العدد والسلاح مضروبة لملك فلسطين فأراهم الفرح والسرور وسلم عليهم وقال اني أريد أن أسير معكم ، ثم أمر بهم الى دار الضيافة وبعث الى قواد المراكب فأنزلهم وقدم لهم السماط ، فلما أكلوا قال اني أريد أن أسير اليكم الزاد والعلوفة وعدة السلاح الى خدمة الملك ولكن تقيمون عندي ثلاثة أيام و فقالوا : أيها البطريق انا على عجل من أمرنا ولكن تقيمون عندي ثلاثة أيام و فقالوا : أيها البطريق انا على عجل من أمرنا نخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم حتى اذعنوا له ولخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم حتى اذعنوا له ولخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم حتى اذعنوا له ولخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم حتى اذعنوا له ولخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم حتى اذعنوا له ولخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم حتى اذعنوا له ولم يؤلو ولم ي

فقال: أربد أن تنزلوا الشراعات والمقاذيف فتكونوا في المدينة ليطمئن قلبي بذلك ففعلوا وألصقوا المراكب بالسور ونزل كل من في المراكب وما بقي في المراكب الا ثلاثة رجال، فلما دبر هذا التدبير قبض على الجميع فلما كان

الليل سلم طرابلس لبني عمه وللحرث بن سليم وفلنطانوس وعمر المراكب برجاله وهم بالصعود اليها واذا عند غروب الشمس قد أقبل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه في ألف فارس من أصحابه ، فلما رآهم يوقنا سجد لله شكرا وسلم على خالد بن الوليد وسلم له المدينة وحدثه بما جرى له وما قد عزم عليه فقال نصرك الله وأيدك ، تم ان يوقنا ركب من ليلته وسار وكان على سور دمشن جيش فلسطين وهو أرمويل بن نشطة ومعه أربعة آلاف فما أصبح يوقنا الا وهو في مدينة صور فأمر بالبوقات فضربت والرايات فنشرت ووقف الدمستق يختبر خبرهم فعاد صاحب البحرالية ، فقال هؤلاء أهل قبرص وجزيرة اقريطش قد أقبلوا بالعلوفات والطعام والعدد يريدون قيسارية في وجزيرة اقريطش قد أقبلوا بالعلوفات والطعام والعدد يريدون قيسارية في ألدمستق طعاما ومد لهم سماطا عظيما وأحضر لقوادهم الخلع ويوقنا ينتظر ولرك الباقين في المراكب، وقال ان لم يتم لنا ما نريد ولم نظفر بهم فلا تبرحوا من مراكبهم وأنفذ الى خالد وأخبره بالقصة ،

قال الواقدى : ما سمع بأعجب من هذه القصة ، ولقد حدَّتني ابن مزاحم عن الارقط بن عامر عن عمار بن ياسر الربعي · قــال لما حصــل « يوقنا » والتسعمائة بمدينة صور وأكلوا سماط الملك وخلع على كبرائهم ٠٠٠ أقبل عليهم في السر رجل من بني عمرٌ يوقنا ممن استحكمت الطملالة في قلبه واحتوى الكفر على أقانيم جسده فأقبل الى الدمستق وحدثه بأمر يوقنا وما قد عــزم عليه وأنه مسلم وأنه يقاتلكم مع العرب وقد فتح طرابلس وأخذ ألبطريـــق جرمانس صاحب الملك ، فلما سمع الدمستق ذلك لم يكذب خبرا دون أن ركب بأصحابه وقبض على يوقنا وأصحابه ووقع الصياح وكثر الضجيج وسنمسع بذلك أصحاب يوقنا فعلموا أن ذلك بسبب أصحابهم وانه قبض عليهم فاغتنموا لذلك غما شديدا وأخذوا على أنفسهم من عدر يقبل عليهم، قال فلما استوثق عليهم الدمستق أرمويل بن نشطة وكل بهم ألف رجل وقال سيروا بهم الى الملك يفعل فيهم ما يريد وأقبلوا يعنفون يوقنا وأصحابه ويقولون لهم : مــا الذي رأيتم في دين العرب حتى تبعتموهم وتركتم دينكم ودين آبائكم قد طردكم المسيح عن بابه وأبعدكم عن جنابه ، فلما هموا أن يسيروا بهم وقع الصياح من الابواب ونفر أهل القرى ، ومن كان بالفرب من صور فسألوهم عن أخبارهم • ` فقالوا قدمت العرب عليكم ٠

قال الواقدي : وكان عمرو بن ألعاص لما نزل على قيسارية وجه يزيـــد

ابن أبي سنفيان في الفي فارس الى صور ، فلما سمع الدمستق أمر بالابواب فأغلقت وصعدت الرجالة على الاسوار وعمروا ألابراج ونصبوا المجانيق وأدخل الدمسيتق يوقنا الى قصر صور واستوثق منهم لئلا يتم عليه أمر منهم وبات القوم يحرسنون وأضرموا نيرانهم أعلني ألاسنوار فأقبلوا يرقصنون ويشربون طول ليلتهم ، فلما كان الغد أشرف عليهم يزيد بن أبي سنفيان نظر اليهم الدمستق ، فلما وآهم قليلا استحقرهم وطمع فيهم وقال : وحق المسيح, لا بدُّ لي مـن الخروج اليهم وهزم هذه الشرذمة اليسيرة • ثم لبس الدمستق اللباس وأمرهم بالخروج وترك على حفظ يوقنا وأصحابه ابن عمه باسيل • قال وكان باسيل هذا ممن قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان قد رأى النبي (ص) في دير بحيرا الراهب وكان باسبيل قد مضى الى زيارة بحيرا ، فلما قدمت عير قريش وجمال خديجة بنت خويلد وفيها رسولالله (ص) نظر بحيرا الى القافلةورسول الله (ص) في وسطها والسحابة على رأسه تظله من حر الشمس ، فلما تبينه قال والله هذه صفة النبي الذي يبعث من تهامة ثم أنتظروا واذا بالركب قد نزل ورسول الله (ص) نزل وحده تحت شجرة يابسة واستلقى اليها فأورقــت الشبجرة بين يدي رسول الله (ص) ، فلما عاين بحيرا ذلك صنع طعاما لقريش واستدعاهم فدخلوا الدير وبقي هو مع الابل ليرعاها ، فلما نظر بحيرا اليهم ولم يره في جملتهم قال يا معشر قريش هل بقي منكم أحد ؟ قالوا نعم بقي فينا من تخلف لحفظ القافلة ورعي الابل • قال ما أسم من يرعى،الابل قالوا محمد بن عبد الله ؟ قال هل مات أبوه وأمه قالوا نعم قال هل كفله جده وعمه قالوا نعم ، قال يا قريش هو والله سيدكم وبه يعظم في الدنيا مجدكم، قالوا: من أين علمت ذلك ؟ قال لما أشرفتم على من البرية لم يبق صيخر ولا مدر الا خرـ له س_اجدا ٠٠٠

قال الواقدي: فبقي باسيل في حيرة من أمرهم وكتم سره وعلم أن بحيرا لا يتكلم الا بالحق، فلما وقع يوقنا وأصحابه ووكله الدمستق على حفظهم قال ان الاسلام هو الحق وقد ىشر به بحيرا الراهب ، ولعل الله يغفر لمي اذا حللت هؤلاء القوم .

قال الواقدي: من حسن تدبير الله لعباده المؤمنين أنه كلا خرج الدمستق الى لقاء يزيد ابن أبي سفيان لم يتأخر أحد من شباب المدينة لا صغير ولا كبير الا وخرج معه وبقيت العوام ينتظرون على الاسوار ما يكون بينهم وبين العرب، فلما نظر باسيل آلى المدينة وخلوهما واشتغل أهلها بالحرب أخذ رأيه على خلاص يوقنا ومن معه فأقبل اليهم بالليل والتفت الى يوقنا وأصحابه وقال أيها البطريق كيف تركت دين آبائك وأجدادك من قبل وعولت على دين هؤلاء العرب

«٣» -

وما الذي رأيت من الحق حتى تبعتهم وقد كانت الروم تتخذك عضدا لها وعونا، قال له يوقنا : يا باسيل ظهر لي من الحق ما ظهر لك من الحق فعرفته وقد هتف بي هاتف يقول لي ان الذي هداك الى دينه يخلصك وبشرني بالخلاص على بديك • قال فلما سمع زام ايقانه وتحقق ايمانه وقال ليوقنا لقد أنطق الله لسانك بالحق وان الله تعالى أكثاثف حجاب الغفلة عن قلبي منذ رأيـت نبي هؤلاء القوم بدير بحيرا الراهب وهو في قافلة لاهل مكة ورأيت من دلائله أنه لا يسيراً على الارض الا والشجر تسير اليه والسحابة على رأسه تظلله ولقد استند الى شجرة يابسة فأورقت في الحال وأنبأني بحيرا الراهب أنه وجد في العلم أن جماعة من الانبياء اسمتندوا اليها وجلسوا حولها فلم تورق ، فلمسا استند نظهره اليها أورقت أغصانها وأينعت فعجبت من ذلك ، وسمعت بحيرا لهُول هذا والله الذي بشر به المسيح فطوبي لمن تبعه وآمن به وصدقه ، فلما عدت من زيارة بحيرا سافرت الى القسطنطينية بتجارة وطفت في بلاد السروم وأقمت ما شاء الله ، ثم عدت الى قيسارية فرأيت الروم في هرج ومرج فسألت عن أحوالهم فقيل قد ظهر نبي في الحجاز اسمه محمد بن عبدالله وقد أخرجه قومهمن مكة وقد أتى الى المدينة التي بناها تبع وقد ظهر على قومه ونصر عليهم فما زلت أسأل عن أخباره وهي في كل يوم تنمو وتزيد حتى مأت ، تم ولَّي صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأنفذ جيوشه الى الشام فلم يلبث الا يسيرا ثم مات وولى هذا الرجل عمر بن الخطاب ففتح بلادنا وهزم جيوشنا وأنا مع ذلك أنتظر قدومهم إلى هذا الساحل حتى أتى الله بهم • فقال له يوقنا وما الذي عزمت عليه ؟ قال عزمت والله أن أفارق قومي وأتبعكم فان الحق بين ثم حل " يوقنا وأصحابه وسلم اليهم العدد والسلاح وقال ليوقبا : اعلم ان مفاتيح أبواب المدينة عندي والعسكر خارج المدينة مشتغل بقتال العرب وليس فسى المدينة من يخاف جانبه فانهض على اسم الله فقال بوقنا جزاك الله خيرا فلقد هداك الله الى دينه وسلك بك طريق ألنجاة وختم لك بخير. ويجب الآن علينا أن نظهِر أنفسنا ونبعث في المراكب حتى ينزلولي الينا ونكون نحن يدا واحدة •

فقال باسيل: سنافعل ذلك ثم انه خرج في حال الخفاء وفتح باب البحر ومعه رجل من بني عم يوقنا وركبا زورقا حتى وصلا الى البحسر والمراكسب وحد ثاهم بما قد كان فأقبل كل مركب برجاله اليهما وساروا ألى أن نزل الجميع وحصلوا داخل المدينة أعني مدينة صور وأعمى الله أبصار الكفار ، فلما هموا أن يثوروا قال يوقنا: ليس هذا من الرأي وأين من يهب نفسه لله عز وجل ويخفي أمره ويخرج من الباب ويدور الى عسكر المسلمين وبتوصل الى أميرهم ويعلمه بما كان منا ويكون على أهبة واذا سمع بنا أحد لا يهوله وليصدم جيش العدو

فقال رجل من القوم أنا أكون ذلك ألرجل ، ثم خرج متنكرا وأغلق باسيل خلفه ووصل الى يزيد بن أبي سفيان وجدَّته بالامر على حقيقته وبما كان من أمر يوقنا فسجد لله شكرا وبعث من ساعته الى المسلمين ليأخذوا على أنفهم في الكبة على القوم ففعلوا ذلك م

وأما يوقنا رحمه الله، فلما علم أنالخبر وصل الى المسلمين قال لاصحابه: ليصعد منكم خمسمائة رجل إلى السور ويقتلوا من عليه ، قال باسيل ليس هُذَا رأيا فان العوام لا اعتبار لهم ولعل الله أن يهديهم الى الاسلام ولكن مر أصحابك أن يلزموا مطالع السور حتى لا ينزل أحد منهم ويزعقوا بالامان قال فاستصوب رأيه ووكل الرجال بالمطالع ثم زعق يوقنا وأصحابه بصوت مزعج وقالوا : لا اله الا الله محمد رسول الله فسمع كل من في المدينة ومن على السور ذلك فعلموا أن يوقنا وأصحابه تخلصوا من الاسر ووثبوا في المدينة وطارت عقولهم وانزعجت أفئدتهم على أولادهم وأهاليهم فبقوا في حيرة فسمع يزيد بن أبي سفيان الضجة فعلم أن المسلمين قاموا في المدينة فكبر وكبرت المسلمون وهلل الموحدون فسمع الدمستق الضبجة من المدينة فعلم أن يوقنا وأصحابه تخلصوا من الاسر وهم الذين فعلوا ذلك فوقع الرعب في قلوبهم ونظروا الى النيـزان قد اشتعلت في عسكر المسلمين وتأهبوا للحملة عليهم فلم يبق لهم صبر/وقد انقطعت ڤلوبهم من أجل أموالهم وأولادهم الذين في داخل المدينة وقيسارية محاصرة وليس لهم مدد من ولد الملك فولوا الادبار واتبع المسلمون آثارهــم وملكوا خيامهم وما كان فيها ، فلما أصبح الصباح فتح يوقنا باب المدينة ودخل يزيد بن ابي سفيان ومن معه من المسلمين واحتووا على أموال الروم ونادى من كان على السور الغوث الغوث فأمنهم المسلمون ونزلوا بأجمعهم ، فقال لهم يزيد : ان الله عز وجل قد فتح لنا مدينتكم عنوة وأنتم الآن لنا عبيد ، فمُسل شئنا حكمنا فيكم ، ولكن نحن اذا عاهدنا وفينا ، واذا قلنا صدقنا ، وقلم أعطيناكم الامان من أنفسنا ولكن عليكم الجزية على من لم يدخل في ديننا ومن أسلم منكم فِله مالنا وعليه ما علينا ، فأجاب القوم الى ذلك وأسلم أكثر القوم وبلغ الخبر الى فلسطين بأن صور قد فتحت ، فعلم أنه لا بقاء له فأخذ الفرصة وانهزم وأخذ خزائنه وأمواله وذخائره وخدمه وأركبهم في المراكب بالليل وقلع يريد اللحوق الى قسطنطينية ، فلما نظر أهل قيسارية الى ذلك خرجوا الى عمرو بن العاص وصالحوه على أن يسلموا له المدينة فصالحهم على مائة ألف درهم وما. ترك الملك من خزائنه ورجاله فأجابوه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح فعندها دخل عمرو بن العاص الى قيساوية وأخذ بقية ما ترك الملك وضرب الجزية عليهم من السنة الآتية كل رجل أربعة دنانير وبذلك أمرهم عمر بن

الخطاب رضي الله تعالى عنه وبعث عمرو جيشا الى صور مع ياسر بن عمار بن سلمة وكان شيخا كبيرا قد شهد مع رسول الله (صن) حنينا والنضير وقتل أخوه يوم حنين قتله مالك بن غون النضيري فبعثه عمرو الى صور ومعه رجل أن أصحابه ، وصالح عمرو بن العاص أهل قيسارية على مائة ألف درهم وما خلفه فلسطين من بقية ذخائره ، قال ودخلها يوم الاربعاء في العشر الاول من بجب الفرد سنة تسع عشرة من الهجرة ووصل الخبر الى الرملة وعكاء وعسقلان ونابلس وطبرية فعقدوا كلهم صلحا مع المسلمين وكذلك أهل بيروت وجبلة واللاذقية ، وملك الله الشام كله للمسلمين ببركة سيد المرسلين ، (ص)

ذكر فتوح مصر

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي • قال زياد بن عامر ، قال شام بن عبدالله العنبري : حدثنا سالم مولي عروة بن نعيم اليشكري ، قال : لما فتح عمرو بن العاص قيسارية صلحا كان لعمر في الخلافة أربعة أعوام وستة أشهر وبلغ الخبر الى أهل ألرملة وعكاء وبلقاء وعسقلان وصيدا وغزة ونابلس وطبرية فأتي كبراؤهم الى أبي عبيدة وأصلحوا أمرهم معه على مال لا يحصى وكذلك أهل بيروت وجبله واللاذقية وأنفذ أبو عبيدة لعمرو بن العاص أن يسير الى مصر بأمر عمر بن الخطاب (رضى) ، وملك المسلمون أقاصي البلاد والمدن نبيئا محمد (ص) وعظم وكرم • قال وسكنها العرب وتفرقوا في البلاد والمدن ودانت لهم العباد وكل يوم يزدادون فلم يبق في الشام وأعمالها مركز مس مراكز الروم الا أخذه المسلمون وتوالدوا وتناسلوا وكثروا ببركة سيدنا

قال محمد بن اسحق الاموي رحمه الله تعالى • قال حد ثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة عليه بالخضراء بمدينة عسقلان • قال أخبرنا الليث بن سعد • قال حد ثنا نوفل بن عامر ، قال أخبرني يحيى بن ساكن المدني قراءة عليه يوم الجمعة ، ونحن عند منبر يونس بن متى • قال لما فتح الله ساحل الشما على المسلمين في سنة تسع عشرة من هجرة رسول الله (ص) كتبرا بذلك الى أمير جيوش المسلمين أبي عبيدة عامر بن الجراح : بسم الله الرحمن الرحيل من عمرو ابن العاص الى أمين الامة • أما بعد : فاني أحمد الله الذي لا اله الاهو ، وأصلي على نبيه محمد صلى الله (ص) وان الله جل وعلا قد فتح ما كان قد بقي من الساحل وأخذنا قيسارية صلحا وهرب منها فلسطين بن هرقل بأمواله وعياله ونحن بها ننتظر أمرك والسلام • وكتب أيضا يزيد بن أبي سفيان بما تم ليوقنا في صور وان الله قد عضد الدبن ووصل الكتابان الى أبي عبيدة وقد رحل من حلب يريد طبرية فوصل اليه الخبر وهو نسازل على

الزراعة ، فلما قرأ الكتابين تهلل وجهه فرحا وضسيج المسلمون بالتهليسل والتكبيز وكتب من وقته وساعته الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبشره بما فتح الله على المسلمين وبما فعله يوقنا ووجه الكتاب مع عرفجة بن مازن فركب ناقته وسار حتى وصل المدينة ، قال عرفجة بن مازن وعلي من ديباج الروم قباء فاخر وعلى رأسي مطرف خز مذهب ، قال فلما أتيت المدينة ودخلتها يوم الجمعة أول ليلة من شهر رمضان قبل مغيب الشمس ، وعمر رضي الله عنه قد أتى يريد المسجد ، فلما أبركت نافتي وعقلتها وجئته الأسلم عليه نظر الي شررا وقال من الرجل ؟ قلت عرفجة بن مازن ، فقال يا ابن مازن أما كان لك برسول آلله أسوة حسنة وان هذه تياب الجبارين ، ومن جعل الله لهم الدنيا جنة وهذا الديباج حرام على الرجال منا والا يصلح الا للنساء وهذا الذي عليك تصد ق به على فقراء المدينة ، أما والله لقد دخلت يوما على رسول آلله (ص) وهو نائم على سرير مرمل بشريط ، وليس بين جلده وبين الشريط شيء ، وقد أنر الشريط في نعومة جلد رسول لله (ص) ، فلما رأيت ذلك بكيت ،

ففال لي : يا عمر ما الذي أبكاك ، فقلت : يا رسبول الله ان كسرى وقيصر يعيشان في ملك الدنيا وأنت رسبول الله بهذه المثابة •

فقال : يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة · قال عرفجة فسلمت اليه الكتاب ، فلما قرأه تهللت أسارير وجهه • قال عرفجة : ثم نزلت على خالتي عفراء بنت أبي أيوب الانصاري وبت عندها ليلتي ، فلما أصبحت لم أقدر أن أقابل عمر بذلك الزي فأعطيت الثوب والعمامة لخالتي فباعتهما و نصد قت بنمنهما على فقراء المدينة ، قال وسرت الى عمر وعلى ثوب من كرابيس الشام كان تحت نيابي فلما رآني تبسم في وجهي ، وقال يا ابن مازن ما فعلت بديباجتك ؟ قلت يا أمير المؤمنين باعتها خالتي وتصدُّقت بثمنها على المسلمين فقرأ عمر _ وما تفعلوا من خير يعلمة الله _ مم انه كتب الى أبي عبيدة يقول : بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر ابن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجرَّاح أما بعد ، فأني أحمد الله الذي لا اله الا هو ، وأصلي على نبيه محمد (ص) وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين وما وعدنا به رسىول الله نمن كنوز قيصر وسيفتح علينا من كنوز كسرى ، والحمد لله على ذلك كثيرا وقد بلغني أنّ بادية الاعراب قد استلذوا الدنيا وزينتها ، وقسله نصبت لهم سُبباك محبنها ، وقد تمسكوا بذيل غرورها ونسوا نعيم الجنـــة وقصورها ورفلوا في ثياب الديباج والخز وأكلوا الحلواء وخبز الحنطة ولهاهم ذلك عن الآخرة ، وقد بلغني يا ابن الجراح أنهم قد تهاونوا بالصيلاة ونسوا المفترضات فجراد عليهم عتاق الخيل ذوات الهمم وأغلظ عليهم ولا تكن لهم

خاملا فيطمعوا فيك ، ومن أخل منهم بشيء مما فرض عليهم فأقم فيهم حدود الله ، واعلم بأنك راع مسئول عسن رعيته ، قال الله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الركاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وقد قال فيك رسول الله (ص) : أبو عبيدة أمين هذه الامة فأعط الامانة حقها ومن ترك صلاته فأضربه عليها ، ولقد كان رسول الله (ص) يحدثنا ونحدثه ، فأذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بالصلة وبعظمة الله ، وعنه (ص) أنه قال « أن الله عز وجل يقول : أن بيوتي في الارض المساجد وأن زو اري فيها عمارها بالعبادة فطوبي لعبد تطهر في بيته ، ثم زارني فحق على المزور أن يكرم زائره » وقال (ص) « جميع المفترضات افترضها الله علي في الارض الا الصلاة فأن الله افترضها علي في السماء » وأذ قسرأت كتابي هذا فأمر عمرو بن العاص أن يتوجه الى مصر بعسكره ويقدمهم عامر بن ربيعة العامري ومشايخ من أصحاب رسول الله (ص) يفضي بهم عند مشورته وأنفذ من قدرت عليه الى أرض ربيعة وديار الجد بن صالح والله أسأل أن يكون لكم عونا ومعينا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وسلم ألكتاب الى عرفجة بن مازن وأمر له بنفقة من بيت المال ،

قال عرفجة فأخذت الكتاب وسرت به على طريق تيماء فلقيت عند بيت لحم ركبا من أهل وادي القرى ، فسألتهم عن أبي عبيدة فأخبروني أنــه على غباغب وهو طالب طبرية • قال عرفجة أطلب الغور والجولان وأقصد طبرية، قال فالتقيت بأبي عبيدة على الأردن ، فسلمت عليه وناولتــه كتاب عمر (رضى) فلما قرأه جمع المسلمين وقرأه عليهم ، فلما فرغ قــال ما مـن جل ترك الصلاة أو أخلَّ بشيء مما افترضه الله عليه الا جلدته ، ومن الغد تى خالد بن الوليد من طرابلس فقرأ عليه الكتاب وأنفذه الى عمرو بن العاص أرسىل يحثه على المسير الى أرض مصر ، فلما وصل الكتاب الى عمرو أخمل على نفسه بالمسير وسار معه يزيد بن أبي سنفيان وعامر بن ربيعة العامري وجماعة من الصحابة وسار معه يوقنا في أربعة آلاف من أصحابه وقد وهبوا أنفسه لله ورسوله فسار عمرو على البيداء من وراء العريش قال وكانيت أرض مضر وريفها عامرة بالديور والصوامع وكان دير الزجاج في مملكة القبط ، وكان ملكهم يومنذ المقوقس ابن راعيل ، وكان هذا الملك من أهل الرأي والتدبير والفضل والحكمة ، وكان تلميذ الحكيم أعاشادمون وهـــو حركه سمع صوته من مقدار ميل • قال فتخرج الحيات من حجرتها فمسن هربت نجت ومن وقعت هلكت ، وكان المقوقس من أعلم أهل زمانه وكانــت القبط معه في عيشة مرضية وكان يتوقع ظهور رسول الله (ص) ٠

وكان حكيم ذلك الزمان بمصر يقال له عطماوس وهو الذي ضنيسع دواليب الريح ورحى الهواء ، وكان عمَّر في الأجيال واطلع على مكنون الحكم والأسرار وعرف عمل صنعة الاكسير وعمل الذهب والفضية والجيوهر والحركات المتحركة من نفسها بهبوب الريح وأجناس الأهوية في أحسامهــــا وكان يجد في عمله أن الله يبعث نبيا من أرض تهامة ينشر دينه وتعلو كلمتــه وتملك أصحابه البلاد ، فعمل في أيام راعيل أبي المقوقس هيكلا عظيما على أعمدة من نحاس بمكان يعرف بعين شمس وجعل عليه أشخاصا مجو "فـــة وجعل وجهها الى جهة مصر وكتب عليها بالقبطية اذا دارت هذه الأسلخاص الى جهة الخجاز فقد قرب ملك العرب قال فبينما المقوقس راكب في بعسض الأيام للصيد وقت هجرة رسول الله (ص) ، وقد انتهمي سيره الي عين شمس اذ هو سمع أصواتا من الأشخاص فد علت تم انها حوَّلت وجهها نحو الحجاز فأيقن بتلف ملكه وزواله ، فعاد من ركوبه وهو قلـق ودخـــل قصــر الشمع وجلس على سريره وجمع القسوس والرهبان وكبراء القبط ، وقال لهم يا أهل دين النصرانية اعلموا أن زمانكم قد مضى وهذا النبي المبعوث لا شك فيه وهو آخر الأنبياء ولا نبيَّ بعده وقد بعث بالرعب ولا بدُّ لرجل إ من أصحابه أن يملك ما تحت سريريهذا فانظروا الى ملككم وأصلحوا ذات بينكم وادفقوا برعيتكم ولا تجوروا في حكمكم وأمِّنوا ضعفاءكم واياكم واتباع الظلم فان الظلم وبيل ومرتعه وخيم وأعطوا الحق من أنفسسكم ولا يستطل قويكم على ضعيفكم وما دامت الدنيا لأحد من قبلكم حتى تدوم لكم وكمسا ملكتموها ممن كان قبلكم كذلك يأخذها منكم من كان بعدكم فأصلحوا نياتكم فيما بينكم وبين خالقكم فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر على أعدائكم ومن يريدكم ، وان اتبغتم أهواءكم تبين هلاككم ٠

قال حد ثنا ابن اسحق عن عبد الملك عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد بن عوف عن موسى بن عمران عن حميد الطويل عن أبي اسحق الراوي المغازي مع رسول الله (ص) قال: لما جاء النبي (ص) من مكة الى المدينة وبايعه الأوس والخزرج كتب الى ملوك الأرض ، وفي الجملة كتابا الى المقوقس ملك مصر وكان الذي كتب الكتاب اليه أبو بكر الصديق رأضي الله عنه ، ونسخة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم من عند رسول الله (ص) الى صاحب مصر ، أما بعد : فأن الله أرسلني رسولا وأنزل على كتابا قرآنا مبينا وأمرني بالانذار والاعذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخيل الناس فيه وقد دعوتك الى الاقرار بوحدانية الله تعالى فأن أنت فعلت سعدت

وَالْ أَنت أَبِيتَ شَقِيت والسلام ، ثم طوى الكتاب وختمة بخاتمة • قال أنس بن مالك فاستخرجه رسول الله (ص) من أصبعه وكان فصه عليه ئلاتــة أسطر: السطر الأول محمد ، السطر الثاني رسيول ، السطر الثالث الله ولا نقش أحد على خاتمه كنقشه • قال سمرة بن عوف قلت لحميد الطويل أكان لخانم رسول الله (ص) فص أم لا ؟ قال : لا أدري ، قال وسأل رجل جابر بن عبد الله الأنصاري • فقال له في أي يد كان يتختم رسول الله (ص)؟ • فقال : في يده اليمنى ويقول اليمنى أحق بالزينة من الشمال وفص الخاتم في يمينه ، وقال عبد الله بن عباس رأيت رسول الله (ص) يتختم في يمينه ثم

حدَّثنا أنس بن مالك أن رسول الله (ص) كان يتختم في يســـاره ، وحدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان\رسول الله (ص) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى ً والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا يتختمون في اليسار٠

(قال الراوي) فلما طبع الكتاب بخاتمه قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر وأجره على الله قال فوتب اليه حاطب بن ابي بلتعة القرشي وقال أنا يا رسول الله • فقال له بارك الله فيك يا حاطب قال فأخذت الكتاب من يد رسول الله (ص) وودعته وأصحابه وسرت الى منزلي يشددت راحلتي وودعت أهلي واستقمت على الطريق الى نحو مصر • فلما عدت عن المدينة بثلاثة أيام أشرفت غلى ماء لبني بدر فأردت أن أورد ناقتي الماء واذا على الماء رجلان ومعهما ناقتان ومعهما رجل آخر راكب على جسواد أدهم ، فلما رأيتهم وقفت واذا بالهارس أتى الي "، وقال لي : من أين أقبلت وأين تريد ؟ فقلت يا هذا لا تسال عما لا يعنيك فتقع فيما يحزنك ويخزيك أنا رجل عابر سبيل وسالك طريق • فقال ما اياك أردنا ولا نحوك قصدنا نحن قوم لنا دم وثار عند محمد بن عبد الله وقد جئت أنا وهذان الرجسلان وتحالفنا على أن ندهمه على غفلة فلعلنا نجد منه غرق فنقتله • قال حاطب والله لقد أمكنني الله منهم فلأجعلن جهادي فيهم ولو بالخديعة ، فقد سمعت رسول الله (ص) يقول « الحرب خدعة » •

فبينما أنا أخاطب الفارس واذا بالراكبين قد وصلا الي وقسالا لي بغلظة و فظاظة ويحك لعلك من أصحاب محمد ؟ فقلت لهما لقد كاد أن يتبدل لكما الطريق عن سبيل التحقيق واني رجل مثلكما أطلب ما تطلبون وأنا قاصد يثرب ، وقد عو لت علي صحبتكم لأكون معكم ، ولكن سمعت في طريقي هذا ممن أثق به أن محمدا أنفذ رسولا من أصحابه الى مصر بكتاب فلعله في هذا الوادي فان وقعنا به قتلناه • فقال صاحب الفرس أنا أسير معك ثم انه

تقد م أمامي وتركنا صاحبيه واقفين ينتظران ، قال حاطب : فلما بعدت به عن أصحابه وغبنا عنهما ، قلت ما اسمك ؟ قال اسمي سلاب بن عاصمه الهمداني ، قلت يا سلاب اعلم أنه لا يقدر أن يدخل على ينرب الا من كان له جنان وقلب وغدر ومكر لان بها سادات الأرض وأبطالها منل عمر وعلي ، ولكن كيف سيفك قال سيفي ماض ، فلت أرني اياه فاستله من غمده وسلمه الى فأخذت السيف من يده وهززنه وقلت سيف ماض ثم قلت :

سيوف حداد يالؤي بن غالب مواض ولكن أين للسيف ضارب

فقال ما معنى هذا الكلام ؟ قلت يا ابن عاصم ان سيفك هذا من ضرب قوم عاد من ولد شدًّاد ، وما ملكت العرب سيفا مثله ولا أمضى مــن هــذا السيف ، ولكن وجب على ً اكرامك وأريد التقرب اليك بحيلة أعلمك اياها تقتل بها عدو "ك • فقال بذمة العرب افعل ذلك • فقال حاطب اذا كنت في مقام حرب وقتال وخصمك بين يديك وتريد قتله فهز هذا السيف حتى يهتز هكذا وتلتئم مضاربه واضرب عدو ًك بحرفه فانه أسرع للقتل والقطع ، وملت بالسبيف على عنقه واذا برأسه طائر عن بدنه ، فنزلت اليه وأمسلكت الجواد لئلا ينفلت فينذر أصحابه ، وتركته مربوطا الى شجرة وأسرعت الى صاحبيه واذا هما ينتظراننا ، فلما رأياني أقبل أحدهما اليُّ فقال : ما وراءك وأيـن سلاب ؟ ففلت أبسر بأخذ الثأر وكشف العار واعلم بأننا وجدنا رجلين من نتمكن منهما ويقف أحدكما ههنا ، فان هذا الوادي ما خلا ساعة من اصحاب محمد ٠ فقال نعم الرأي الذي قد أشرت به وسار معى ، فلما غيبت عــن . صاحبه قلت : ما اسمك ؟ قال عبد اللات • قلت كن رجلا واياك والخــوف ذلك ، فقلت له : اني أرى غبرة ولا شك أن تحتها قوما ممن صبأ الى ديــن محمد ، فجعل يتأمل كأنه الواله الجيران فعاجلته بضربة على غفلة فرميـت رأسه عن بدنه وعدت الى الثالث ، فلما رآني وحدي تيقن بالشر فقارعنسي وقارعته وصدمني وصدمته ، الا ان الله أعانني عليه فقتلته، وأخذت الراحلتين والفرس وأسلابهما ، ووضعت الجميع عند رجل من أصحابي ، وكان رفيقا لي من زمن الجاهلية وهو من عبد شمس ، ثم توجهت أريد مصر ولم أزل الي أن أتيتها ، فلما وصلت الى باب الملك ، قالوا من أين جئت ؟ قلت أنا رسول الى ملككم ، فقالوا من عند من ؟ قلت من عند رسول الله (ص) ، فلما سمعوا بذلك أحاطوا بي وأوصلوني الى قصر الشمع بعد أز استأذنوا لي وأوقفوني

على باب الملك فأمرهم باحضاري بين يديه ، فعقلت راحلتي وسرت معهم عند المقوقس واذا هو في قبة كثر الجوهر في حافتها ولمع الياقوت من أركانها ، والحجاب بين يديه • فأومأت بتحية الاسلام ، فقال حاجبه يا أخا العرب أين رسالتك ؟ قال فأخرجت الكتاب فأخذه الملك من يدى بيده • قال فباســه ووضعه على عينيه ، وقال مرحباً بكتاب النبي العربي ، ثم قـــرأه وزيــره الباكلمين ، فقال له اقرأه جهرا فانه من عند رجل كريم ، فقرأه الوزير الى أن أتى إلى آخره • فقال الملك لخادمه الكبير: هات السفط الذي عندك فأتى به ، ففتحه واستخرج نمطا ففتح ذلك النمط واذا فيه صفة آدم وحميسع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وفي آخره صفة محمد (ص) فقال لي صف صاحبك حتى كأننى أراه ٠ قال حاطب ومن يقدر أن يصف عضوا من أعضاء رسول الله (ص) فقال لا بد من ذلك • قال فوقفت بعدما كنبت جالسا وقلت أن صاحبي وسيم قسيم معتدل القامة ، بعيد الهامة بين كتفيه شامة وله علامة كالقمر اذا برز ، صاحب خشوع وديانة وعفة وصيانة صادق اللهجة واضح البهجة أشمم العرنين ، واضح الجبين سهل الخدين رقيــق الشفتين براق الثنايا بعينيه دعج وبحاجبيه زجج ، وصدره يترجرج وبطنـــه كطى الثوب المدبج له لسان فصيح ونسب صحيح وخلق مليح ، قال والملك ينظر في النمط ، فلما فرغت قال : صدقت يا عربي هكذا صفته ، عبينما هو يخاطبني اذ نصبت الموائد وأحضروا الطعام ، فامرني أن أنقــــدم فامتنعــت فتبسم وقال : قد علمت ما أحل " لكم وجريَّم عليكم ، ولم أقدم لك الا لحم بها في الجنة ، قال فبذلوا طعامي في صحاف فخار فأكلت ، فقال أي طعام أحب الى صاحبك ؟ ففلت : الدباء يعني القرع فاذا كان عندنا شيء منه آثرناه على غيره فقال: ففي أي شيء يشرب الماء؟ •

فقلت في قعب من خسب • قال أيحب الهدية قلت نعم فانه قال (ص) « لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى الي « ذراع لقبلت » • قـال أيأكل الصدقة قلت لا بل يقبل الهدية ويأبى الصدقة ، وقد رأيته اذا أتى بهدية لا يأكل منها حتى يأكل صاحبها • فقال الملك أيكتحل ؟ قلت نعم ، في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين ، وقال من شاء اكتحل اكثر من ذلك أو أقل وكحله الأثمد وينظر في المرآة ويرجل شعره ويستاك • فقال المقوقس اذا ركب ما الذي يحمل على رأسه ؟ فقلت راية سوداء ولواء أبيض وعلى اللواء مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله • فقال أله كرسي يجلس عليه أو قبة ؟ قلت نعم له قبة حمراء تسم نحو الأربعين • قال فما الذي يحب من الخيل ؟ قلت نعم له قبة حمراء تسم نحو الأربعين • قال فما الذي يحب من الخيل ؟ قلت

الأشقر الأرتم الأغرُّ المحجل في الساق ، وقد تركت عنده فرسا يقال لهــــا المرعد • قال فلما سمع كلامي انتخب من خيله فرسا من أفخر خيول مصــر الموصوفة ، وأمر به فأسرج وألجم فأعده هدية لرسول الله (ص) وهو فرسه المأمون وأرسل معه حمارا يقال له عفير ، وبغلة يقال لها دلـدل وجاريـــة اسمها بريرة وكانت سوداء ، وجارية بيضاء من أجمل بنات القبط اسمها مارية ، وغلام اسمه محبوب وطيب وعود وند ً ومسك وعمائم وقباطي ، وأمر وزيره أن يكتب الى رسول الله (ص) كتابا ، يقول فيه : باسمك اللهم منن المقوفس الى محمد • أما بعد ، فقد وصل اليَّ كتابك وفهمته ، وأنت تقول : ان الله أرسلك رسولا وفضلك تفضيلا وأنزل عليك قرآنا مبينا ، فكشفنا ولولا أنني ملكت ملكا عظيما لكنت أول من آمن بك لعلمي أنك خاتم النبيين وامام المرسلين ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته مني آلى يوم الديـــن • قال وسلم الكتاب والهدية الي وقبلني بين عيني وقال : بالله عليك قبـل بين عيني محمد عني هكذا ، نم بعث معي من يوصلني الى بلاد العـــرب والى مأمني • قال فوجدنا قافلة من بلاد الشام وهي تريد المدينة فصحبتها الى أن وردت المدينة فأتيت المسجد وأنخت ناقتي ودخلت وسلمت على رســول لله (ص) وأنشأت أقول:

أنعم صباحا يا وسيلة أحمد اني مضيت الى الدي أرسلتني حتى رأيت بمصر حصاحب ملكهم فقرا كتابك .حين فك ختامه قال البطارقة الذين تجمعوا قال اسكتوا يا ويلكم وتيقنوا قالوا وهمت فقال لست بواهم وبكل سطر من كتاب محمد هذا الكتاب كتاب لك جامعا

نرجو النجاة غداً بيوم الموقف أطوي المهامه كالمجد المعنف فبدا الي بمثل قول المنصف فأطل يرعد كاهتزاز المرهف ماذا يروعك من كتاب مشرف هذا كتاب من نبي المصحف اني قرأت بيان لفظ الأحرف خط يلوح لناظر متوقسف يا خير مأمول بحبك نكتفي

(قال الراوي) ورجعنا الى الفتوح ، قال حدَّثني أحمد بن عبيد عـن عبد الله بن عمر السلمي عن محمد الزهري عن عبد الله بن زيد الهذلي عن أبى اسحق الأموي وهو المعتمد عليه في فتوح مصر وأرض ربيعة والفرس .

حد ثنا عمر بن حفص ولم ينفرد بهذه الرواية سواه ، وكان أصحاب السير قد اشتغلوا بوقائع العراق وفتوحه ، وما تجدد من سعد بن أبي وقاص

وبنى كسرى أنوشروان وتركوا فتوح الشام وأرض مصر فيما بعد ، وكان قد ارتحل عنهم فتركوه لأجل الزيادة والنقصان فيه ، والما انفرد ابن استحق لأنه انفرد عن مشايخ ثقات قد وثق بهم من آل مخزوم اجتمع بهم في الرملة بعد الفتوح أحدهم نوفل بن ساجع المخزومي وكان عمه خالد بن الوليد وكان من المعمرين ، شهد تبوك مع النبي (ص) ، وشهد بعدها الحديبية ، وشهد يوم اليمامة ومسيلمة ، وكان مع عمرو بن العاص بأرض مصر في جميع فتوحها ، والثاني فهد بن عاصم بن عمرو بن سهل بن عمرو المخزومي وغيرهما مسن الثقات ممن شهد فتوح أرض مصر والوفائع كلها قالوا جميعاً ، ومنهم مـــن قال : ان عمرو بن العاص لما انفصل من ساحل الشام وكتب الله سلامـــــة المسلمين وسيار متوجها يريد أرض مصر ، فلما كان بمكان يقال له رفح قال له يوقنا : يا عمرو أنت تريد أن تدهم مصر على حين غفلة من أهلها ، وأنا ممن يمنكني ذلك لأن ثواب الله أجل عنيمة ، فان قلبي ملوث بحب الدنيك واني كنت ممن أشرك بالله سواه ، وأنا أجتهد في الخلاص وأقاتل من كنـــت انصره على الكفر وعبادة الصلبان والسجود للصور من دون الله ، وقد أخذت الاسلام بنية وقبول لأنه الحق وأريد أن أتقدُّم الى أرض مصر فلعلى أجد لكم بالحيلة سببيلا • ففال عمرو : وفقك الله وأعانك وحفظك وصانك • قال فسار يوقنا ليلا من رفح يطلب الفرماء ولم يقرب من العريش ولا القارب وكلها حصون عامرة وقد سكنها أقوام من العرب المختلطة ، وكانوا يؤدون المال الى الملك المقوقس بن راعيل ، وسنذكر فتوحها فيما بعد ان شاء الله تعالى • فال وان يوقنا أشرف على الفرماء ، وكان بها وال من قبل المقوقس اسمه الرندبان ، والفرماء على جانب بحيرة تنيس من الشرق · فرأى يوقنا خياما منصوبة وقبابا مضروبة ، فلما رأوا يوقنا وقع الصائح ، فركب مــن كان هناك وكانت الأخبار ترد عليهم كل وقت بما صنع الصحابة ، فلما بلغهم أن قيسارية فتحت اغتموا لذلك ، لأنه كان فلسطين بن هرقل قد تزوج بابنة المقوقس ارمانوسة ، وكان قد جهزها أبوها وأرسلها مع غلمانها وأموالها الى بلبيس ، ثم انها وجهت حاجبها تميلاطوس الى الفرماء في ألفى فــارس لحفظ ذلك المكان ٠

الاسيستعداد

حد "ننا ابن اسحق أخبرنا موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحسرت التيمي عن أسامة ابن زيد بن أسلم • قال ابن اسحق حدثني رجل من القبط رأيته وقد دخل في دين الاسلام فقربت اليه وسألته فاخبرني أنه من قبط مصر من جند المقوقس فقلت له: كيف كان من أمركم لما سسمعتم بقدوم

المسلمين من الشام وكسر جيوش هرقل ، قالى لما بلغنا ذلك بعث المقوقس رسله الى جميع اطراف بلاده مما يلي الشام بأن لا يتركوا أحدا من الروم ولا غيرهم يدخل أرض مصر ، كل ذلك لئلا يتحدثوا بما صنع المسلمون بجنود هرقل فيدخل الرعب في قلوب قومه فلأجل ذلك أنه لما دخل يوقنا أرض مصر لم يعلم به أحد فلما ركبوا الى لقائه ورأوا حشبه وعسكره وكانوا بزي الروم سألوه عن مكانه وكان قد أخبر في طريقه من حصن كيفا وأعلموه بابتعاد فلسطين عن زوجته أرمانوسة ، وان أباها قد جهزها وهي على مدينة بلبيس ففال يوقنا : ومتى تزوجها ؟ قالوا تزوجها والمسلمون على حصن حلب ،

فقال لهم انه قد ركب في البحر وترك قيسارية وقـــ أرسـلني حتى آخذها في المراكب من دمياط ، ومضىى يوقنا يقول : أنا قهد جئت رسولا من الملك فلسطين الى الملك المقوقس حتى يرسل معى ابنتـ الى زوجها ، فلما سمعوا كلامه قالوا ان الملكة في بلبيس وقد أنفذها اليــــه وما منعها من المسير الا خوف العرب وهروب فلسطين من قيسارية فسار يوقنا محتى قرب من بلبيس فنزل هناك وسار حاجبها اليها وعرفها بما قاله يوقنا . فقالت على " به فأتى اليه الحاجب ، وأمره بالمبير فركب وركب أصحابه و هـم بأحسن زي وأتوا الى عسكر أرمانوسة واذا به عسكر كبير أكثر من عشرة آلاف ٠ قال فترجل يوقنا وترجل قومه ووقفوا على باب قصرهنا واستأذنوا عليها فأذنت لهم بالدخول ، فلما وقفوا بين يديها خضعوا لها فأمرت لهــم بكراسي فوضعت لهم فأمرتهم بالجلوس فجلسوا ووقفت الحجاب والمماليك والخدم فقالت الملكة أرمانوسة له من غير ترجمان كم لكم عن الملك فقـــال شهر • فقالت أكان رحل من المراكب أم قبل رحيله فقال يوقنا بل قبـــل رحيله وحين ركب منهزما ، ولما وصلت الى غزة بلغني أنه سار وقد قال لى في السر " بيني وبينه لا طاقة لنا بقتال هؤلاء العرب ، فأن أبي هرقل ترك أنطاكية وذهب وقد قاتلهم بجميع جنوده واستنصر عليهمم بجميع دبن النصرانية وأنفذ اليهم ما هان الأرمني الى اليرموك في ألف ألف فهزموه وقتلوه واني أريد أن آخذ خزائني وأطلب القسطنطينية ، ثم انـــه وجهني اليك أيتها الملكة لتركبي في المركب اليه •

قال فلما سمعت ذلك أطرقت برأسها إلى الأرض ثم رفعت رأسها وقالت اني لا أقدر أز أصنع شيئا الا بأمر الملك أبي وانى مرسلة اليه • قال فقام يوقنا وصقع لها ودعا ثم خرج من عندها فوجد غلمانه قد ضربوا خيامه فنزل بها وارسلت إليه العلوفة والضيافة • قال ابن اسمن الأموي (رضى): ولقد بلغني نه لما جن الليل أتت اليها الجواسيس وأعلموها بفتح قيمارية ومدائن

الساحل جميعها وبتوجه عمرو بن العاص الى مصر وبحديث يوقنا صاحب حلب وحدروها منه وعرفوها بجميع الأخبار مفصلة وانه هو الذي فتصح طرابلس وصور وجبلة ، قال فلما سمعت ذلك دخل في قلبها الرعب وعلمت انه محتال فطلبت حاجبها وقالت له : مر العسكر بلبس السلاح وأن يكونوا مستيقظين فقد جرى من الأمر كذا وكذا نم انها أوقفت مماليكها وغلمانها وقالت لهم اذا دخل هذا الرجل وخواصه فاقبضوا عليهم فاذا نحن ملكناهم انخذل عسكر المسلمين ، فلما رتبت هذا أرسلت تطلب يوقنا فذهب حاجبها اليه وقال له أيها البطريق الكبير ان الملكة تطلبك لتوصيك بما تقوله لأبيها : فقال له السمع والطاعة ها أنا راكب وأصحابي فذهب القاصد ، فقال يوقنا في أيديهم قتلونا لا محالة وتضرب بنا الأمثال لمن يأتي بعدنا فموتوا كراما ولا ترجو من هذه الدنيا الغدارة التي ما صفت لأحد الا وغيرته بالكدر فاعمروا نرجو من هذه الدنيا الغدارة التي ما صفت لأحد الا وغيرته بالكدر فاعمروا دار البقاء و جاهدوا في سبيل الله حق جهاده فلعلكم ترضونه بذلك ، قال فأخذ القوم على أنفسهم واشتدوا وركبوا وتوكلوا على الله في جميع أمورهم ،

حدثنا ابن اسمحق قال: لقد بلغنى أن الملكة أقامت تنتظر فدومه ـــم لتقبضِ عليهم فاستبطأتهم فبعثت رسولا ثانيا تستحثهم • فقال له يوقنا ارجع الى صاحبتك وقل لها ما جرت بذلك عادة الملوك يبعثون يطلبون الرسل الا لأمر يحدث وقد كنت عندها فما الذي تريده نصف الليل مني ؟ فعـــاد الرسبول وأخبرها بما قاله فركبت من وقتها وتقدمها حاجبها وأمرت الجيش كله أن يركب ودارت بيوقنا وأصحابه ولم تحدث بشيء الى الصباح فأقبل صاحب الملكة اليهم وقال: ما حملكم أن تركتم دين آبائكم وهجرتم دين المسيح وأمه وقد جئتم تحتالون علينا ألا وان المسيح قد غضب عليكم • فقال يوقنـــا أن المسيح عبد من عبيد الله لا يقدر على شيء لانه مأمور مكلف وقد أنطقه الله بذلك وهو في المهد فقال ـ اني عبد الله وقال : وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ــ ، ومـــن يؤمر بالصلاة والزكاة ويموت فليس باله انما هو عبدالله مكلف بالعبادة مثل واحد منا وان الله لا يتشبه بأحد منا وان الله لا يشبهه شيء ولا بتشبه بأحد، ولقد أضلكم من صدكم عن ذلك وزاغ بكم عن طريق الحق بقولـــه على الله والمسيح ، ولقد كنا مثلكم نسجد للصلبان ونعظم القربان ونسجد للصـور ونجعل مع الله الها آخر الى أن تبين لنا دين محمد (ص) فشنفانا بعد العمى وشرح صدورنا للهدى ، ودين الاسلام هو الدين الواضح وكنا نقول مثـــل قولكم ان المسيح ابن الله ، وان ابراهيم واسحق كانا نصرانيين فكذبنا الله بقوله في كتابه _ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين _ وقال سبحانه _ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين _ وهانحن قد جئناكم لنجاهدك_م : اما أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله واما الجزية واما القتال · قال فلما سمع الحاجب كلامه قال لقومه دونكم وهؤلاء فقد جاءوا يريدون قتلكم وأخذ أموالكم وأولادكم وحريمكم · قال فحملوا على بوقنا وأصحابه وعمل السيف بينهم بقية يومهم و فلما كان من الغد ركبوا وداروا بهم وتصايحت عليهم القبط ودارت بهم الخيل والرجال فبلى يوقنا ومن معه بما لا طاقة لهم به وقتل منهم جماعة وقتلوا هم من القبط خلقا كثيرا ولكنهم صــبروا لأمر به وقتل منهم جماعة وقتلوا هم من القبط خلقا كثيرا ولكنهم صــبروا لأمر رضا ربنا · قال ابن اسحق :

حد "ثنا سيف بن شريح عن يونس بن زيد عن عبد الله بن عمر بن حفص عن عبد ألله بن الحرث • قال لما أخبرت الجواسيس أرمانوسة بقصة يوقنا أنفذت كتابا الى أبيها المقوقس تعلمه بذلك وأنها مغلوبة معهم وان العرب متوجهون مع رجل يقال له عمرو بن العاص وأنا منتظرة جوابك • قال فلما وصل ١ لكتاب اليه دعا أرباب دولته و قال لهم قد تم من الأمر على من كذا وكذا فما تشيرون به على ؟ • قالوا أيها الملك نرى لك من الأمر أن تنفُّذ جيشــــا الى الملكة ينصرها على عدو ها ، وتنفذ الى جلباب ملك البرية تستنصر به على هؤلاء العرب وتنفذ الى مازع بن قيس ملك البجاوة ينفذ لك جيشا وتنفذ الى من بالاسكندرية يأتون والى من بالصعيد يأتون فاذا اجتمعت اليك هذه الأمم اعلموا أن الملك محتاج الى سياسة ، ومن ملك عقله ملك رأيه ومن ملك رأيه أمن من حوادث دهره وليسبت الغلبة بالكثرة وانما هي بحسن التدبير ،والله الروم الى اليونانية ومن أقاليمه ومن القسطنطينية ومن سائر البلاد وبـــلاد الاندلس واستنصر بنا وبغيرنا فما أغنى عنه جمعه شيئا ولا قــــدر أن يرد ً القضاء والقدر عنه ، وأعلموا أن العقل أساس الآدمي المخاطب المكلف المفضل به على سائر ما خلق على الأرض ، فمن ملك عقله ملك أمره ومن لم يجد منه حظا كان بجهله أرضيا ، ولن تنال الحكمة الا بالعقل •

قال الحكيم ماسوسى : ان الحكمة مرقى جليل وطالبها نبيل وتاركها ذليل لانها غذاء الارواح وقوت القلوب ، واعلموا أنى لست أتكلم الا بالصدق

وأنتم تعلمون أن محمدا في أيامه بعث الينا يدعونا الى دينه فاستدليب على صدق قوله بكتابه وما ظهر من معجزاته وقد سمعتم أنه لما بعث ما سمع أحد بذكره الا وخاف منه ، وقد سمعتم أن الفمر انشيق له والذراع المسموم كلمه وقال : يا رسول الله اني مسموم فلا تأكلني وقد كلمه الضبُّ والحجر والسجر والمدر وعرج به الى السماء وركب أوج الماء وأول من تغلب عليه قومه وحـــاربه عشيرته حين أنكروا قوله وفعله فنصر عليهم وقهرهم وقد تبين لهم الحق فاتبعوه ونصروه ، وهم هؤلاء الذين فتحوا السام وما أنكرت من أمرهم شيئا فانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله التي أمر بها وما في كتابهم شيىء الا وفي الانجيل مثله وقد أضلكم بولس وأغواكم حين غرَّ بكم وبدل شرعكم وسماكم باسم لا يليق بكم ، وكيف وقد عاد بكم من الطريق الواضح وأحلَّ لكم جميع ما حرَّم عليكم من قبل ، وهذا هو عين ألمِحال وداعية العمى أن تتعدوا ما قال نبيكم وكيف نبغي لروح الله عيسمي بن مريم أن يكلمكم بما لم يرسله الله اليكم • تم ان بولص قال لكم انه أحلَّ لكم الخنزير وسُرب الخمر وارتكاب المعاصى ما ظهر منها وما بطن فأطعتم أمره وصدَّقتم قوله وحاشا المسيح أن يفعل ذلك ، وما كان أحد من الانبياء الا على ما جاء به محمد ، وهؤلاء الحكماء الأولون ما منهم الا من يتكلم بوحدانية الله تعالى ، وهذا الحكيم دمونا الذي صمع في براري اخيم أرصادا وجعلها مثلا للامم الآتية ، وذكر فيها من يأتي من الامم والاجيال الى آخر الزمان وصور الحكماء منفردة به والنسر يعقد رأس الحمل والنسر يقيم في كل برج ثلاثة آلاف سنة كما قدر بالمفدار الحكيمي ، وكان قدر صوَّر صورة وكتب على رأسها بقلم اليونانية أربعـــة أسطر • الاول من خاف الوعيد سلم مما يريد • الناني : من خاف ما بين يديه صان دموعه بما في يديه ٠ الثالث : ان كنت تريد الجزيل فلا تنمَّ ولا تقيل ٠ الرابع بادر قبل نزول ما تحاذر ، فمن كان هذا كلامهم فكيف صنع سواهم ، وهذه فريضة هُؤلاء القوم المحمديين • قال فأطرقوا برؤوسهم الى الارض غيظًا على الملك • قال وما تكلم المقوقس بهذا الكلام حتى أوقف عنده من مماليكه ألف غلام فوق رأسه بالسيف ، لانه كان قد سمع ما جرى لقيصر وهرقل مع بطارقته لما جمعهم ونصحهم فوثبوا عليــه وأرادوا قتله • أمــا المقوقس فانه استوتق بمماليكه حتى لا يطمع فيه ٠ قال فلما نكلم بذلك قال له وزيره : أيها الملك رأيك راجح وأنا أول من يؤمن بما تقول • فقال للوزير اكتب الى ابنتي كتابا تأمرها فيه أن تتلطف بالقوم وتعطيهم الامان وتنفذهم الينا حتى نخلع عليهم وتطيب قلوبهم ويكونوا معنا يقاتلون من يريد قتالنا ، وما أراد بذلك الا أن يسلم مثل يوقنا وأصحابه اذ هم على الحق • قال فكتب الوزير الى الملكة كتابا بما قاله أبوها ، فلما وصل الكتاب اليها وقرىء عليها أمرت أصحابها أن يرجعوا عن قتل يوقنا ومن معه فرجعوا وأرسلت الى يوقنا تعلمه بكتاب بيها وأوسلت اليه الكتاب ، فلما قرأه قال لرسولها : امض اليها حتى استخبر الله تعالى فى ذلك •

فَعَالَ ، بوقنا » لاصحابه : أن الله قد كشف حجاب الغفلة عن قلب هذا الملك وقد ظهر له ما ظهر لنا من الجق فما الذي ترون من الرأى ؟ قالوا نحن تسمع من رأيك • فقال دعوني هذه الليلة • قال فلما جن عليه الليل قـام بصلى وأمر أصحابه أن لا ينزلوا عن خيولهم مخافة من غدر القوم فبينما هو يصلي واذأ بشخص قد دخل عليه فارتاع منه ثم تأمله فاذا هو عمر بن أمية الضمري ساعى رسول الله (ص) ، فلما رآه يوقنا فرح وكان قد رآه مرارا فقال له مرحبا يا عمرو من أبن ؟ • فقال أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثني الى عمرو بن العاص لأحثه على المسير الى مصر فوجدته قد وصل وها هو منك قريب وقد أرسلني اليك لأعرفه خبرك فأخبره بما وقع له وقال له امض يا عمرو ودعه يعجل بالمجيء يعيننا على هؤلاء القوم وحدثه بجميع مأجرى علينا . فرجع عمرو مسرعا الى عمرو بن العاص واعلمه بفصة يوقنا ٠٠ فال فتـــرك عمرو بن العاص الانقال ومعها من يحفظها وركب وسار بجرائا الخيل وترك مع الاثقال عامر بن ربيعة العامري ، فما كان قبل طلوع الفجر ألا وهو عند يوقنا فدار بالقوم فلما أحس بهم يوقنا كبر هو ومن معه ورفع الجميع أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا السيف في القبط فما طلعت ألشمس الا وقد قتل من القبط أكثر من ألف وأسر منهم خلق كثير وولى الباقي منهزمين ، وأخذت أرمانوسة ابنة الملكوجميعما معها من الاموالوالرجالوالجواريوالغلمان.

ذكر فتح مدينة مصر

قال ابن اسمحق الاموي (رضي) : لما ورد المنهزمون على الملك وأخبروه بما تم عليهم وعلى ابنته ٠٠٠ ضاق صدره وبقي متفكرا فيما يصنع وليس له نية في القتال مع الصحابة ، فبينما هو متفكر اذ جاءه البشير بقدوم بنته وما معها فخف عنه بعض ما كان يجده ، علما دخل عليه قيس رفع مجلسه فوق المللوك والحجاب وأرباب دولته وكانوا قد اجتمعوا يهنئونه بابنته ، فلما حضر قيس بن سعد سأله الملك عن أشهياء لعل أصحابه أن تلين قلوبهم الى الاسلام ، فقال يا أخا العرب أخبرني عن صاحبكم ما الذي كان يركب من الخيل ، قال الاشتز الارتم المحجل في الساق وكان اسمه المترجل ، فقال لقد بلغنا أنه كان لا يركب الا الجمال ، فقال قيس أن الله أكرم الابل وشرفها قال لها كوني فكانت وأخرج ناقة من الصخر وخص بها العرب من دون غيرهم من بني آدم وكان يركبها لكونها قد جعلها الله مباركة تقنع بما تجد وتصبر على الحمل النقيل والسير الشديد وتصبر عن الماء أياما وقد ذكرها ربنا في قوله في كتابه العزيز ، فقال _ وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق _ وقال _ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله _

ولما غزا رسبول الله(ص)من غزواته غزوة بدر كان معه مائة ناضم من الأبل وكان معه فرسان يركب أحدهما المقداد بن الاسبود الكندى ويركب الاخر مصعب بن عمير وآنا لقينا قريشا في عددها وعديدها فهربوا ببركة رسول الله (هن) ، وكان أصحابه يتعاقبون في الطريق ، وكان عليه الصلاة والسلام وعلى بن أبي طالب ومرتد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وغيرهم يتعاقبون شامخا ، وكان أيها الملك يركب الحمار الذي أهديته اليه ويردف وراءه معاذ بن جبل ، وعلى الحمار ركاب من ليف وخطامه ليف ، واعلم يا ملك القبط أنه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقول « من رغب عن سنتي فليس مني » ، وكان قميصه من القطن قصير الطول والكمين ليس له أزرار ولقد أهدى اليه ذويزن حلة أشتراها له قومه بنلاثة وتلاثين بعيرا فلبسها رسول الله (ص) مرة واحدة وأهدى له جبة من الشام فلبسها حتى تخرقت وخفين فلبسهما حتى نخر "قا ، وكان له رداء طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعات ونصف ، وكان له نوب خز يلبسه للوفد أذا قدموا عليه ، وكان إقصم النساس اذا تكلم بكلمة يرددها نلانًا ، وكلما زأى قومًا سملم عليهم ورأيتُه كلما تحدث تبسم في حديثه ، الكلمات اتخذتهن عادة • قال أمرني بهن جبريل وأخرجت لنا زوجته لما قبض كساء وازارا غليظين ، وقالت قبض رسول الله (ص) فوق هذين ٠

فقال المقوقس : هذه والله أخلاق الانبياك فطوبى لمن اتبعه ، فان أمته هئي الامة الموصوفة في الانجيل ، فقال بعض من حضر أيها الملك ما تكون أمة عند

الله أفضل من هذه الامه وهم (نحن فغضب الملك من قوله ، وقال وبَأَى " شيء أنتم أفضل عند الله أبأكلكم الحرام وارتكابكم الآثام وصنعكم المنكرات وتجنبكم الحسنات وظلمكم في الرعية وميلكم إلى الدنيا أين أنتم من قوم عبر عليهم الاسكندر فرآهم ليس بينهم قاض ولا حاكم ولا أمير قائم عليهم ولا فيهم من يختص بالغنى دون اخيه ، بل هم سواء في كل ما هم فيه ، أكلهم وشربهـم واحد غير متناف ، ولامتضاد وملبسهم غير متناف ولا متباعد ، فتعجــٰــب الاسكندر منهم وسأل الأكابر منهم عما رآه من أحوالهم • فقالوا أيها الملك إنا وجدنا جمجمة وعلمها مكتوب: يا ابن آدم ما خلقت الا من التراب، وقد خلوت بما قدمت اما صالحا فيسرك ، واما طالحا فيضرك فتندم حيث لا ينفعك الندم ولم يكن لك الى الدنيا مرجع ، فطوبي للكيس العاقل السندي ليسس ببليسد ولا غافل ، يتزود الى ما اليه يصير ولا يلقى الاتكال على التقصير ، فبادر الى الخير قبل الموت واغتنم حياتك قبل الفوت ، وكأنك بالحي وقد هلك وترك كل ما ملك ، فلما قرأنا هذا اعتبرنا أيها الملك بهذه الموعظة البالغة ولبسنا أثوابها السابغة ، فقال ما بال مساجدكم شاسعة نائية وقبوركم دانية ؟ • فقالوا أما مساجدنا فبعيدة ليكثر الاجر بكثرة الخطا وقبورنا قريبة لنذكر إلموت فننتهى عن الخطأ ، فقال مالى أرى أبوابكم بغير غلاق ؟ ، قالوا لاننا ما فينا خائن ولا سرَّق · فقال ما لي لا أرى فيكنم أميرا ولا حاكما ؟ فقالُو الاننا ما فينا معتد ولا ظالم ٠٠٠

فقال: ما لي لا أرى فيكم معسرا ولا فقيرا؟، قالوا لان رزق الله فينا الكبير والصغير، ثم انهم أخرجوا له جمجمتين عظيمتين فقالوا: أيها الملك هذه جمجمة رجل ظالم وكلاهما صار الى هذا المصير ولم يغن عنهما الجمع والتدبير ، أما العادل فمسرور ريان ، وأما الظالم فنادم حيران فاز المتقي وخسر الشقي ، فاختر ما تراة قبل الحين أيها الملك لانك قد ملكت النواصي ونفذ أمرك في الداني والقاصي واستخلفك الله في الارض وأمرك بالقيام بالنفل والفرض ، فتذكر مرجعك ورمسك واعمل لنفسك وأعلم أنه لا ينفعك جدك اذا قبضت روحك واشتمل عليك لحدك ، فاترك أوامر الشيطان ودواعيه وخذ بأوامر الرحمن ونوأهيه ولا يغرنك النعيم فتبوء بالاثم العظيم ، اذكر ايها الملك ما فعل الشيطان بأبيك حين نصب له مكيدته وأدار العظيم ، اذكر ايها الملك ما فعل الشيطان بأبيك حين نصب له مكيدته وأدار عليه حيلته فنصب له فخ ألعداوة وغره فيه بحبة البر " ، فقال قيس أيها الملك عليه حيلته فنصب له فخ العداوة وبه يعدلون ـ وقد رآهم نبينا (ص) ليلة عرج وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ـ وقد رآهم نبينا (ص) ليلة عرج به ، فلما عاد أخبر أصحابه بهم ، قالوا يا رسول الله أهم قوم مؤمنون بما أنزل به ، فلما عاد أخبر أصحابه بهم ، قالوا يا رسول الله أهم قوم مؤمنون بما أنزل به ، فلما عاد أخبر أصحابه بهم ، قالوا يا رسول الله أهم قوم مؤمنون بما أنزل

عليك ؟ فأراد أن يعلمهم أن أمة محمد أفضل منهم فأنزل الله _ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون _ فقال المقوقس لقيس بن سعد يا أخا العرب ارجع الى أصحابك وأخبرهم بما سمعت وبما رأيت وانظر فيما يستقر عند كم وبينكم • فقال قيس أيها ألملك لا بد لنا منكم ولا ينجيكم منا الا الاسلام أو أداء الجزية أو القتال • ففال المقوقس أنا أعرض ذلك عليهم واعلم أنهم لا يجيبون لان قلوبهم قاسية من أكل الحرام •

حَدَّثنا ابن اسحق (رضى) حدننا عبدالله بن سهل عن عدي ً بن حاطب عن سليمان ابن يحيى قال : ان الملك المقوقس كان من عادته أنه في شهر رمضان لا يخرج الى رعيته ، ولا يظهر لأحد من أرباب دولته ، ولا أحد منهم يعلم ما كان يصنع ، وكانت مخاطبته لقيس بن سعد في أواخر شعبان سنة عشرين من الهجرة ، فخرج قيس من عنده ومضى الى عمرو بن العاص وحدثه بما كان منه • قال ابن اسحق : وكان ولي عهد الملك ولده اسطوليس وكان جبارا عنيدا وانه لما سمع ما تحدث به أبوه رأى ميله الى الاسلام وعلم انه لا يقانلهم وربما أسلم وسلم اليهم ملكه صبر الى أن دخل أبوه الى خلوته التي اعتاد أن يدخلها ويختلي فيها كل سنة فجمع أرباب الدولة في الخفية الئلا يدري به أحد فيعلم أباه وقال لهم : اعلموا أنكم قد ملكتم هذا الملك والن أبي يريد أن يسلمه الى العرب لانني فهمت من كلامه ذلك • فقالوا إليها الملك أنت تعلم أن هذا الامر مرجعه اليك ، وأنت ولي عهده فاعمل أمرا يعود صـــــلاحه عليك وعلينا • قال فطلب صاحب شراب أبيه وأعطاه ألف دينار ووعده بكل جميل وأعطاه سما وقال له ضعه في شرابه • قال ففعل الساقبي ما أمر به وسمقى الملك فمات فأتى الساقى الى أرسطوليس وأعلمه ان أباه قد مات فذهب اليه ودفنه في الخفية وقتل الساقي وجلس على سرير الملك. كأنه نائب عن أبيه اذا غاب كعادته في كل عام ولم يعلم أحد بموته ، هذا ما كان منه وأما عمرو بن العاص فانه ارتحل من بلبيس ونزل على قليوب وبعث الى أهل البلاد والقرى وطيب خواطرهم وقال لهم : لا يرحل أحد من بلده.، ونحن نقنع بما نوصلونه الينا من الطعام والعلوفة فأجابوا الى ذلك وارتحل من قليوب ونزل علمي بحر الحصى فارتجت بنزولهم اليها ووقع التشويش فيهم وعلا الضجيه وأغلقوا الدروب والدكاكين ووقف أهل كل درب على دربهم. بالسلاح ليحموا حريمهم • قال وأما عمرو بن العاص فانه أمر أهل اليمن ومن معه من العربان أن يحدقوا بالبلد ، وأن أهل البلاد أقبلت اليهم بالعلوفة والطعام والخيـرات وهم يردون عليهم من كل فج ٠

ثم ان عمرا أراد أن يرسل الى صاحب مصر رسولا ، وكان عنده غلام له

من أهل الرملة ، وكان اسمه وردان ، وكان يعرف سائر الألسن ، فقال له عمرو . يا وردان اني أريد أن أرسلك الى هؤلاء القبط فانك تعرف بلسانهم ولا تظهر لهم أنك تعرف ، فقال سمعا وطاعة ، فقال أريد أن أكتب معك كتابا وهم أن يكتب واذا برسول أرسطوليس قد أقبل وقال : يا معاشر العرب ان ولي عهد الملك يريد منكم أن تبعثوا له رجلا منكم ليخاطبه بما في نفسه فلعل ولي عهد الملك يريد منكم أن تبعثوا له رجلا منكم ليخاطبه بما في نفسه فلعل ولعبدالله بن جعفر الطيار وللنعمان بن المنذر ولسعيد بن وائل : اعلموا أنى قد ضربت على ملوك الروم ولست أرى من يتكلم مثلي وما يسير الى هؤلاء الا أنا فاني أريد أن أرد القوم وأنظر حالهم وما هم فيه من القوة وأن لا يخفى علي شيء من أمرهم ، فقالوا يا صاحب رسول آلله (ص) قو كي الله عزمك وما عندنا الا النصيحة للدين والنظر في مصالح المسلمين فافعل ما أردت تغان • فقال لشرحبيل قد قلدتك أمور المسلمين فكن مكاني حتى أمضي الى القوم وآتيكم بما فيه • فقال له شرحبيل الله يوفقك ويسددك •

قال فلمس عمرو نوبا من كرابيس السام وتحته جبة صوف وتقلد بسيفه وركب جواده وسار ومعه غلامه وردان وسار البلابة الى قصر التسمع ، واذا هم بالمواكب مصطفة والعساكر واقفة وهم بالدروع وألجوائس والعدد ، وقسد أظهروا ما أمكنهم من القوة ، فلما وصلوا الى قصر الملك أخبروا ارسطوليس أن رسولك أتى بوأحد من العرب فأمرهم باحضاره فدخل عمرو راكبا وهو متقلد بسيفه ، فأراد الحجاب أن ينزلوه عن جواده فأبى وان يأخذوا سيفه فأربى ، وقال ما كنت بالذي أنزل عن حصاني ولا أسلـم سيفي • فأن أذن • صاحبكم ان أدخل على حالتي والا رجعت من حيث أتيت فاننا قوم قد أعزنا الله بالايمان ونصرنا بالاسلام فما لنا أن ننزل لأهل الشرك والطغيان ، وأنتم طلبتمونا ونحن لم نطلبكم فأعلموا الملك بما قاله • فقال أرسطوليس دعوه يدخل كيف شاء ، فخرجوا اليه وقالوا له ادخل كيف أردت فدخل عمرو وهو راكب حتى وصل الى قبة الملك ورأى السريرية والحجاب وقوفا والبطارقة وهم في زينة عظيمة ، فلما رأى عمرو ذلك تبسم وقرأ - فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خيرا وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون - • قال وكان قصر الملك قد بناه الريان بن الوليـــد بن أرسلاووس وهو الذي . استخلف يوسنف على مصر بعد العزيز • تم خرب وأقام خرابا خمسمائة سنة وما بقي الإ أثره ، فلما بعث عيسى وانتشرت دعوته ورفعه الله اليه وافترقت أمته فرقا وادعوا فيه ما ادعوا من الالهية وتقوَّل الكذب ولي مصر رجاليس بن مقراطيس فبني ذلك ألقصر الخراب ، وهو في وسط قصر الشمع ، وانما سمي قصر الشمع لانه لا يخلو من شمع الملوك ، فلما بناه أحضر الحكماء الذين كانوا

قد بنوا في برية الحميم، وكان المقدّم عليهم قربانس · فقال لهم اني قد قرأت كنيرا من الكتب التي أنزلت على الانبياء من الله وقرأت صحف موسى ، ورأيت أن الله يبعث نبيا قوله حق ودينه صدق ، أخلاقه طاهرة وشريعته ظاهرة ، وقد بشر به المسيح فما تقولون فيه ؟ فقال قربانس الحكيم : ان الذي قرأته هو الصحيح · قال فثم من يخالف ذلك ؟

فالوا نعم: قال الحكيم أريد أن أصنع تمثالا من الحكمة ونجعله بيتــا للعبادة ، ونجعل على هيكلها تماثيل يكون وجوهها مما يلي التمثال بأعلى قصرك • فاذا جاء وقت مبعث هذا النبي يحوال كل تمثال وجهه عن صاحبه • وأما الذي يجعل على الكنيسة • فانه عند مبعث النبي العربي يقع على وجهه ويكون موضع عبادة القوم واقامة شرعهم • قال فأخذوا في عمل الحكمة وأقاموا التماثيل على ما ذكرنا ، فلما بعث النبي (ص) حوَّل كُل شخص وجهه عن صاحبه وسفط الذي كان على سطح الكنيسة ، وهو الجامع اليوم . وأما التمثال العالي فبُقي على حاله بأعلى القصر ، فلما دخل عمرو بجواده سمعوا من التمنال صوتا عظيماً • ثم انه سقط على وجهه فارتاع له الملك وأربــاب دولته وصكوا وجوههم ودخل الرعب في قلوبهم ، وقالوا بلسانهم ما وقع هذا التمثال الا عند دخول هذا العربي وما جرى هذا الا لأمر عظيم ، ولا شك أنه هو الذي يفلع دولتنا ويأخذ ملكنا فامروا عمرا أن ينزل عن جواده فنزل وترجل وجلس حيث انتهى به المجلس وأمسك عنان جواده بيده ويده اليسرى على مقبض سيمه ونظر الى زينتهم وزخرفة قصرهم فقرأ ـ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سهفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لمن متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ــ ، ثم قال اعلموا أن الدنيا دار زوال وفناء ، والآخرة هي دار البقاء ٠ أما سمعتم ما كان من نبيكم عيسى وزهده وورعه كان لباسه الشعر ووساده الحجر وسراجه القمر ، وقِبه قال نبينا (ص) « ان الله أوحى الى عيسى أن نح على نفسك في الفلوات ، وعاتبها في الفلوات ، وسارع الى الصلوات ، واستعمل الحسنات ، وتجنب السيئات ، وأبك على نفسك بكاء من ودَّع الاهل والاولاد ، وأصبح وحيدا في البلاد ، وكن يقظان اذا نامت العيون خوفًا من الامر الذي لا بد أن يكون » فأذا كان روح الله وكلمته خوَّف بهذا التخويف فكيف يكون المكلف الضعيف ، وأول من تكلم في المهد • قال اني عبدالله فاذا كان أقر لله بالعبودية فلم تنسبون اليه الربوبية ، تعلى الله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ولا أشرك في حكمه أحدا ، جل عن الصاحبة والاولاد ، والشركاء والاضداد ، لا صاحبة له ولا ولد ، ولا شريك له ولا وزير،

ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء ، ولا يحويه مكان ، ليس بجسم فيمسُّ ولا بجوهر فيحس لا يوصف بالسكون والحركات ، ولا بالحلول والكيفيات ، ولا تحتوي عليه الكميات ولا المنافع ولا المضرُّات · ثم انه قرأ ــ ان كل من في السمموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدُّهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا - • فقال له الوزير أصح عندكم معاشر العرب ان المسيح تكلم في المعهد ؟ • قال نعم : قالوا له فهذه فضيلة قد انفرد بها عن جميسع الأنبياء ، فقال عمرو قد تكلم في المهد أطفال منهم صاحب يوسف وصاحب جريج وصاحب الأخدود وغيرهم ، فقالوا يا عربي أتكلم نبيكم بغير العربية ؟ قال لا قال الله في كتابه ـ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ـ قالوا : أبعث الله منكم أنبياء غير نبيكم؟٠ قال نعم : قالوا من ؟ • قال صالح وسُعيب ولوط وهود • قال فلمـا سمعوا كلام عمرو وفصاحته وجوابه الحاضر ، قالوا بالقبطية للملك ان هذا العربي فصيح اللسان جرىء الجنان ، ولا شك أنه المفدَّم على قومه وصاحب الجيش فلو قبضت عليه لانهزم أصحابه عنا ٠ قال وغلام عمرو وردان يسمع ذلك ، فقال الملك انه لا يجوز لنا أن نغدر برسول ، لا سيما ونحن استدعيناه الينا، فقال وردان بلسان آخر ما قالوه ففهم عمرو كلامه ٠

ثم ان الملك قال يا أخا العرب ما الذي تريدون منا ؟ وما قصدنا أجلم الا ورجع بالخيبة وانا قد كاتبنا النوبة والبجاوة وكأنكم بهم قد وصلوا الينا • فقال عمرو: اننا لا نخاف من كثرة الجيوشوالأمم، وان الله قد وعدنا النصر وأن يورثنا الأرض ونحن ندعوكم الى خصلة من ثلاث ١ اما الاسلام ٠ وامــا العجزية ٠ واما الفتال ٠ ففالوا انا لا نبرم أمرا الا بمشورة الملك المقـوقس، وقد دخل خلوته .. ولكن يا أخا العرب ما نظن أن في أصحابك من هو أقــوئ ا منك جنانا ولا أفصل منك لسانًا ٠٠ فقال عمرو أنا ألكن لسيانًا ممسمن في صحابي ومنهم من لو تكلم لعلمت أني أقاس به ٠ فقال الملك هذا من المحال أن يكون فيهم مثلك ، ففال ان أحب الملك أن آتيه بعشرة منهم من يسمع خطابهم • فقال الملك ارسىل فاطلبهم ، فقال عمرو لا يأتون برسالة ، وانما ان أراد الملك مضيت وأتيت بهم • فقال الملك لوزرائه اذا حضروا قبضلا عليهم والأحد عشر أحسن من الواحد ووردان يفهم ذلك ، نم ان الملك قــــال لعمرو امض ولا تبطىء علي ّ فوتب عمرو قائما وركب جواده ، فقال الملك بالقبطيـــة لاقتلنهم أجمعين ، فلما خرج من مصر ، قال له وردان ما قاله الملك ، فلمسا وصل الى الجيش أقبلت الصحابة وسلموا عليه وهم يقولسون والله باعمرو لقد سماء تبك الظنون ، فأقبل يحدثهم بما وقع له معهم وبما قالوه وبما قاله

وردان فحمدوا الله على سلامته وكان أفبل الليل ، فلما أصبح صلى عمرو بالناس صلاة الفجر وأمرهم بالناهب للقتال واذا برسول الملك قد أقبــل وفال له أن الملك ينتظرك أنت والعشرة ، ففال عمرو : ان الغـــدر يهلــك أصحابه وأهله وان على الباغي تدور الدوائر ، يا ويلكم ينفذ صاحبكم يطلب منا رسولا ، فلما أتيته أراد أن يقص على " ، وقال كذا وكذا فأنت يا ويلك ما الذي يمنعني عنك اذا أردت قتلك ولسنا نحن ممن يخون ويغدر ارجع اليه وفل له انبي فهمت ما قاله وما بقي بيننا وبينه الا الحرب • قال ابن استحق رحمه الله ورضى عنه هكذا وقع له مع القبط ، وكان عمرو اذا ذكر ذلك يقول لا والذي نجاني من القبط • قال وعاد الرسول وأخبر الملك بما قاله عمرُو ، فعند ذلك فال : أريد أن أدبر حيلة أدهمهم بها ، فعال الوزير : اعلم أيها الملك ان القوم متيقظون لانفسهم لا يكاد أحد أن يصل اليهم بحيلة ولكن بلغني أن العوم لهم يوم في الجمعة بعظمونه كتعظيمنا يوم الأحد ، وهو عندهم يوم عظيم وأرى لهم من الرأى أن تكمن لهم كمينا مما يلي الجبل المقطم • فاذا دخلوا في صلابهم يأتي اليهم الكمين ويضع فيهم السيف • قال فأجابه الملك الى ذلك وأفاموا ينتظرون ليلة الجمعة • قال وأما عمرو فانه أرسل يوقنــا الى القرى التي صالحوها ليأتيه منها بما يأكلونه ويعلفون به خيلهم قال فركب يوقنا الى القرى الىي صالحوها وسار في عسكره وبني عمه الى ما يأتي به ومضيي نحو الجرف ، وكان معهم جواسيس الملك في عسكرهم فاتــوا الى الملــك وأخبروه بما جرى من المسلمين ، فعندها دعا بابن عمه ماسيوس وهو المفدم على جيوسُ مصر ، وقال له اخنر من جيوشنا أربعة آلاف وأمض بهم واكمــن وراء عسكر المسلمين من جهة الجبل ، واياك أن يظهر عليكم أحد وليكن لكم ديدبان • فاذا دخل القوم في صلاتهم فاحملوا عليهم وضعوا فيهم السيف • قال ففعل ماسيوس ما أمره به الملك ومضى في الليل من نحو سغارة السودان ولم يعلم بهم أحد ، فلما كان وقت صلاة الجمعة أتاهم الديدبان وأعلمهم أنهم دخلوا في الصلاة وكانوا فد أخذوا بغالا ودواب وحملوها برا وشمعيرا وكان قد فال لهم اذا أردتم أن تحملوا عليهم فقدموا الحمول أمامكم فانهم يأمنون ويحسبون أنها هي التي مضى صاحبهم يأتي بها قال ففعلوا ذلك •

حد ثنا ابن اسحق حدتنا عمارة بن وهب عن سعيد بن عامر سليمان بن ناقد عن عروة عن جابر عن محمد بن اسحق قال : هكذا دبر عليهم القبط وكان بين القوم وبينهم نصف ميل ، وليس عند المسلمين خبر ما صليم المشركون ، وكان سعيد بن نوفل العدوي يقول لعمرو أيها الأمير ما الذي يمسكنا عن قتال هؤلاء القبط فيقول والله ما تأخري جزع والما قد علمتهم

وصد هذا الملك المقوقس وما عليه من الدين والعقل وهو مقر "بنبوة" نبينا وقد دخل الى خلونه التي سنها لنفسه في هذا السهر المعظم ، وقد بفي منه خمسة أيام ويظهر ونبعث اليه رسولا ونرى ما يكون جوابه ؟ فاما الصلح ، واما القنال ، قال فبينما هم يتحادثون في ذلك اذ أتاهم رسدول من عنه أرسطوليس بن المقوقس ، وقال لهم معاشر العرب ان ولي عهد الملك يسلم عليكم ويقول لكم أني لا أقدر أن أحدت أمرا حتى يخرج الملك من خلونه ، وقد بقي له خمسة أبام وهو يدبر في رعيته بما يشاء ، فقال له عمرو : قد علمنا ذلك ولولا الملك وما نعلم منه أنه يحب نبينا وأنه مؤمن به ما أمهلناكم طرفة عين ، فمضى الرسول ، قال ابن استحق وما بعث هنا اللعين هذا اللعين هذا الرسول الا ليطمئن المسلمون وليقضي الله أمرا كان مفعولا واذا جاء القدر لا ينفع الحذر واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ،

(قال الراوي) فكان المسلمون قد أطمأنت قلوبهم بذلك الخبر وقربت الصلاة فقام عمرو وخطبهم خطبه بليغة حذر فيها وأنذر ، فلما فرغ أقيمت الصلاة وأقاموا مواليهم يرقبون مخافة العدو ً أن يكبسهم في صلاتهم • قــال صابر بن قیس و نحن لا نری أحدا من أهل مصر لا فارسا ولا راجـــلا قــال فاصطففنا خلف عمرو للصلاة ، وليس بينا لنا عدو ً نخافه ، فلما أحرمنــــا وفرأ عمرو ركعنا وأومأنا للسجود اذ أشرفت الدواب والبغال وعلى ظهورها الأحمال والعسكر من ورائها وهم أهل الكمين الذي أكمنه أعداء الله وهم على عدد أصحابنا الذين مع يوقنا فلما رآهم موالينا ظنوا أنهم أصحابنا وقسد أقبلوا بالعلوفة فرفعوا أصواتهم بالفرح وقالوا جاء يوقنا وأصحابه ولم يكلمهم العدو عنى أتونا ونحن في الصلاة ووضعوا السيف فينا ونحن ساجهدون السجدة الأخيرة ونحن بين يدي الله تعالى قال واذا بالسيوف تقرقع في لحومهم وما أحد منهم قام من سجوده وكان القتل في آخر صف م ن المصلين والصف الذي يليه وهم من اليمين ومن بجيلة ومن وادي القرى ومن الطائف ومــن وادي نخلة ، تم قال ابن عتبة وكنت قد شهدت وقائع النمام وحضرهـــوت واليرموك فوالله ما فتل منا في وقعة من الوقائـــع مثل مــــا قتـــل منا يوم بحر الحصى في أرض مصر بالحيلة التي دبرها عدو" الله علينا ، وقال والله ما منا من انجرف عن صلاته ولا حو"ل وجهه عن ربه وقد أيفنا بالهلاك عن آخرنا حتى أشرف علينا يوقنا بأصحابه ، فلما نظروا ما حل ً بالمسلمين صاحوا ورموا ما على رؤوسهم من المعمائم وقال يوقنا لبني عمه والله من قصر منكم عن عدو "ه فالله يطالبه به يوم القيامة وما أزى الا أن الاعداء قد غدروا وكبسوا المسلمين فدوروا من حولهم وضعوا السيوف فيهم واحذروا أن ينفلت منهم

أحد فحملوا وأطبقوا على القبط فدفعوهم عن أصحاب رسول الله (ص) ولسم يزل القتال بينهم حتى فرغ عمرو من الصلاة هو ومن معه وثاروا ثوران الاسد ـ وركب عمرو ومعاذ وسعيد بن زيد وجميع الصحابة وحملوا في العدو" وطحنوهم طحنا · قال جابر بن أوس وحلنا بينهم وبين الوصول الى مصر فوالله ما نجا منهم أحد وبقوا كأنهم طيور وقعت عليهم سُبكة صياد ، فلما وضعت الحـرب أوزارها هنأ المسلمون بعضهم بعضا بالسلامة وشكروا الله على ما أولاهم من نصره وأثنوا على يوقنا خبرا وافتقدوا قتلاهم فكانوا أربعمائة وسنتة وثلاثين قد ختم الله لهم بالشهادة • قال واتصل الخبر الى أرسطوليس بقتل ابن عمه ، ومن معه وانهم لم ينج منهم أحد فصعب عليه ذلك وأيقن بهلاكه ، فدعا ببطارقته وأرباب دولته وشاورهم في أمره فقالوا أيها الملك أنت تعلم بأن الدنيا ما دامت لأحد ممن كان قبلك حتى تدوم لك وما زالت الملوك تنكسر وتعود وما أنت بأكثر ممن أنهزم من ملوك الارض ، وقد سمعنا أن داونوس بن أردين بن هرمز بن كنعان بن يزحور الفارسي هزمه الاسكندر الرومي سببعين مرة فأخرج الي لقاء العوم واضرب معهم مصاف ولا تيأس وهؤلاء القسوس والرهبان والشمامسة خزائن أبيه وأنفق على الجند وأعطاهم السلاح وطلب شبياب مصر وأمرهيم بالخروجوبعث يستنجه بملك النوبة وملك البجاوة وأقاممدة ينتظر قدرمهم

قال حدينا محمد بن اسحق انقرشي عن عقبة بن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه قال : لما كان من أمر المسلمين ما ذكرنا مما قد و الله عليهم من كبسة عدو هم كتب بذلك عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب (رضى): بسم الله الرحمن الرحيم ، من عمرو أبن العاص الى أميسر المؤمنيسن عمر بن الخطاب ، سملام عليك واني أحمد الله اليك وأصلي على نبيه ، أما بعد فقد وصلت الى مصر سالما وجرى لنا على بلدة بلبيس مع ابنة المقوقس كذا وكذا ونصرنا الله عليهم ورحلنا الى بحر الحصى وقد كنا صالحنا قوما من أهل قرى بلاد مصر ببلاد يقال لها الجرف حتى يعينونا بالعلوفة والميرة ويجلبوا الينا الطعام واني أرسلت عبدالله يوقنا ليشتري لنا منهم طعاما ومضى في خيله وسرت بنفسي رسولا الى مخاطبة القوم فهموا بالقبض علي ونجاني الله منهم وانهم أكمنوا لنا كمينا من الليل وأشغلونا برسول والكمين كان من الليل ، فلما استوت صفوفنا للصلاة كبسوا علينا ونحن في الصلاة فلم نشعر حتى بذلوا فينا السيف وقتلوا منا اربعمائة وستة وثلاثين رجلا والاعيان منهم ستون ختم الله لهم بالشهادة ، ونحن الآن في بحر متلاطم أمواجه من كشرة ستون ختم الله لهم بالشهادة ، ونحن الآن في بحر متلاطم أمواجه من كشرة القوم والعساكر فانجدنا يا أمير المؤمنين وأدركنا بعسكر ليعيننا على عدو المقوم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وختم السب واعطاه عبدالله بن قرط ، فسيار من ساعته وجد في السبير الى أن وصل المدينة فقدمها في ألعشر الاوسط من شبو الله سنة اثنتين وعشرين من الهجرة فأناخ مطيته بباب المسجد ودخل فرأى عمر بن الخطاب عند قبر رسول لله (ص) • قال ابن قرط فدفعت الكتاب اليه فنظر الي ، وقال عبدالله ؟ • قلت نعم : قال من أين أتيت ؟ • قلت من مصر من عند عمرو بن العاص ٠ قال مرحبا بك يا ابن قرط ثم فك الكتاب وقرأه وقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ثم قال من ترك الحزم وراء ظهره تباعدت عنه فسيحات الخطأ ، ووالله ما علمت عميرا الا حازم الرأي مليح التدبير ، ضابط الامر ، حسن السياسة ولكن اذا نزل القضاء عمى البصر ، ثم انه كتب كتابا الى أبي عبيدة وذكر له ما جرى لعمرو بن العاص بمصر وأمره أن ينفذ اليه جيشا عرمرما ، وأنفذ الكتاب مع سالم مولى أبي عبيدة قال عبدالله بن قرط فأقمت في المدينة يومين واستأذنته في المسير فزوَّدني من بيت المال وكتب الى عمرو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ٠ أما بعد : فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي وأسلم على سيدنا محمد (ص) ، وقد بلغني ما جرى لكم بمصر من غدر عدو يكم كما سبق. في أم ألكتاب ، وكان يجب عليك يا بن العاص أن لا تطمئن الى عدوك ولا تسمم منه حيلة ، وما كنت أغرفك الاحسن الرأي والتدبير ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، فاستعمل النشاط في أمرك ولا تأمن لعدو ملك واستعمل الحذر فان الامام ما يكون الا على حذر والله يعيننا واياك على طاعته وقد أنفذت الى أبي عبيدة أن يرسل اليكم جيشا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وختمة وسلمه لعبدالله ابن قرط ٠ قال فأخذته وسرت وأنا أجد السير حتى أتيت مصر ودفعت الكتاب لعمرو بن العاص فقرأه على ألمسلمين ففرحوا بذلك وأقاموا ينتظرون اخوانهم •

كبسة الجيش

حد تني ابن اسحق حد تني سهل بن عبد ربه عن موسى عبد الرزاق وقال : لما كبس ابن المقوقس جيش المسلمين ورجعت دائرة السوء عليه وقتلوا عن آخرهم وبلغه الخبر بكى على ابن عمه وحلف بما يعتقده من دينه انه لا بدله أن يأخذ بثارهم ، ثم أنه أمر أرباب دولته أن يجتمعوا بالكنيسة المعلقة فلي داخل قصر الشمع فاجتمعوا فجلس على سرير عند المذبح وقام فيهم خطيبا وقال : يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية اعلموا أن ملككم عقيم وبلدكم عظيم وهذه بلاد الفراعنة ممن كان قبلكم وقد ملكها عدة ملوك ممن احتسوى على الاقاليم وملكها مثل الملك المعظم من آل حمير ومثل مستفان والبستق

والمُلحان وهو باني هذه الاهرام ونمروذ ابن كنعان ولقمـان بن عـاد'، وذي الفرنين الملك العظيم وانقضى ملكهم منها ورجع الى سمبأ وأرصها وحضرموت وفصر عمان ، نم تولى هذه الارض القبط من أبائكم وأجدادكـم اطسليس وبلينوس والريان بن الوليد وهو الذي استخلص يوسف لنفسه والوليد وهو المكنى بفرعون ، وبعدهم طبلهاوس تم جدي راعيل ، ثم أبي المقوفس وجميع ملوك الارض تحسدنا على ملك مصر وهؤلاء العرب الطماعة ، وليس في العرب أطمع منهم فأنى أراكم قد كسلنم وفشلتم عن لفائهم فطمعوا فيكم وفي ملككم كما طمعوا في ملك النسام وانتزعوه من أيدي القياصرة فقاتلوا عن أموالكم وحريمكم وأولادكم ، وأما أنا فواحد منكم ، واعلموا أن الملك المقوقس قد أمرني بلقاء هؤلاء العرب وفال انه لا بظهر اليهم حتى أرى ما يظهر من قومي وأرباب دولتي فما نقونون وما الذي اجتمع عليه رأيكم ٤٠ ففالوا أبها الملك انما نحن عبيد هذه الدولة وغلمانها فانها قد استعبدت رقابنا بنعمتها واحسانها ، ونحن نقاتل لمحبتها فاما أن نرزق النصر من المسيح واما أن نموت فنستريح • قال فسكر قولهم وخلع على أكابرهم وقال لهم اخرجوا واضربوا خيامكم ظاهر البلد مع القوم وطاولوهم بالمبادرة الى أن يأتي الينا نجدة من ملك النوبة والبجاوة فأجابوا الى ذلك وأمروا غلمانهم بأن بضربوا الخيام خارج البلد فضربوها مما يلى النور والرصد •

قال ابن اسحق : وفي ليلتهم تلك جاءتهم الأخبار بأنه وفع بين ملك النوبة وملك البجارة حرب وانه ما يجيبكم منهم أحد وأخرجوا للملك ارسطوليس مرادقا معظما وسط جيش القبط • قال وأخذ المسلمون على أنفسهم وأقبلوا يحرضون بعضهم ويحرسون قومهم بالنوبة ، فكان عمرو في أوَّل الليلل يطوف حول العسكر ومعاذ اذا انتصف الليل ويزيد بن أبي سفيان في آخر الليل والنور على عسكرهم والإيمان لائح عليهم وأصواتهم مرتفعة بالقرآن وبذكر الله وبالصلاة على نبيه (ص) قال ابن اسحق ، فلما وصل كتاب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة وقرأه على المسلمين قال لخالد بسن الوليل يا أبا سليمان ما ترى من الرأي ؟ فقال اذا كان أمير المؤمنين أمرك أن ننجد عمرو بن العاص فانجده • فقال أبو عبيدة ان الطريق الى مصر بعيد وان أنا أرسلت جيشا كبيرا خفت عليه من بعد الطريق ومن المشقة فقال خالله كم جهدك أن ترسل ؟ قال أربعة آلاف فارس • فقال خالد ان الله كفاك ذلك قال المسلمين فهم مقام أربعة آلاف فارس • فقال أبو عبيدة من الأربعة ؟ • قال المسلمين فهم مقام أربعة آلاف فارس • فقال أبو عبيدة من الأربعة ؟ • قال المسلمين فهم مقام أربعة آلاف فارس • فقال أبو عبيدة من الأربعة ؟ • قال العدمين فهم مقام أربعة آلاف فارس • فقال أبو عبيدة من الأربعة ؟ • قال العدمين فهم مقام أربعة آلاف فارس • فقال أبو عبيدة من الأربعة ؟ • قال الن عزمت على ما ذكرت فابعن أربعة ألف فارس • فقال أبو عبيدة من الأربعة ؟ • قال خالد أنا أحد الأربعة والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر ومالك بن الحرث ،

فلما سمع أبو عبيدة دلك تهلل وجهه وقال يا أبا سليمان افعيل ما تراه فدعاهم خالد وأعلمهم بما عزم عليه ، فقالوا سمعا وطاعة فقال حينوا على أنفسكم فنحن نسير هذه الليلة • قال فلما صلى أبو عبيدة بالناس صيلاة المغرب قدم الثلاتة الى قبة خاله فركبوا وودعوا أبا عبيدة والمسلمين وأخذوا معهم ميا معهم دليلا يدلهم على الطربق الى وادي موسى والندوبك وأخذوا معهم ميا يحتاجون اليه وساروا يريدون مصر فما زالوا يجدّون الى أن فربوا من عفية أيلة واذا هم بخيل ومطايا بزيد على ألف فارس فأسرعوا اليهم فاذا هم من تقيف وطي ومرداس قد وجههم عمر بن الخطاب الى مصر مع رفاعة بين قيس وبسار بن عون • قال فلما رأوهم سلموا عليهم ورحبوا بهم واستبسيروا بالنصر لما رأوا خالدا وعمارا والمقداد ومالكا وارتفعت أصوانهم بالنهليليل والتكبير وساروا بأجمعهم •

قال حدَّثنا يوسف بن بحيى عن دارم عن منصور بن ثابت قال كنت في جملة الوفد الذي وجهه عمر (رضى) مع رفاعه وبسار والتقينا بخالــــ بن الوليد وأصحابه عند عقبة أيلة وسرنا معهم حتى وصلنا أرض مصر وقربنا وبقى بيننا وبينها يومان ، فبينمانحن نسير في بعض الليالي وكانت ليلــــة مظلمة لا يكاد الرجل أن يرى من شدة الظلام اذ سمعنا حسا بالبعد منا الجيش قال نصر بن ثابت وكنت راكبا فقفزت من ظهر ا لراحلة وسعيت على قدمي وأخفيت احسى الى أن تبين لي جيش كثير فتحققت أمرهم فاذا هـــم جيش من العرب المتنصرة وهم يزيدون على نلاثة آلاف وهم ركبان المطايسا والخيل • فقلت والله لاعدت الى أصحابي الا بالخبر اليقين • قال فانبعــت أثرهم لأسمع ما بقولون وما يتحدثون فمشيت معهم قليلا فأسمعهم يقولون أذل ً الصليب أعداءنا فانا قد أصابنا التعب ولحقنا الجهد ومنوقت خروجنا من مدين لم نجه أحدا ومصر قد قربنا منها فانزلوا لنأخذ راحة ونريح مطايانا وانعلق على خيلنا وإذا بمقدمهم يقول : وحق المسيح ما بغيتنا الا في الخلـــع والأموال من ملك مصر ولكن اذ عوَّلتم على الراحة فانزلوا قال فنزل القـوم على ماء يعرف بالغدير وأقبلوا يجمعون الشبيح ويصنعون لهم الزاد وعلقوا على خيولهم وتركوا ابلهم ترعى • قال نصر بن تابت فعلمت أن القوم مــن متنصرة العرب فتركتهم وأتيت الى أصحابي وحدتتهم بذلك فحمدوا الله كثيرًا وأثنوا عليه وقالوا لخالد ما الذي ترى ؟٠ فقال أرى أن تركبوا خيلكم الآن وتستعدُّوا للحرب ونسير اليهم ونكبسهم فانهم قد أتوا لنصرة صاحب مصر وما أتوه الا بمكاتبة لهم يستنجد بهم على أصحابنا ، قـــال فلبســـوا

سلاحهم وركبوا الخيل وتركوا مواليهم مع المطايا والرجال وساروا خيسلا ورجالا الى أن قربوا من نيران القوم فصبروا حتى خمدت وناموا فتسللوا عليهم كتسلل القطاة فقال خالد: دوروا بالقوم ولا تدعوا أحدا منهم ينفلت من أيديكم فيثير عليكم عدو كم ، قال فداروا بهم كدوران البياض بسواد الحدق وأعلنوا بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فما استيقظ أعداء الله الا والسيف يعمل فيهم ووقعت الدهشة في القوم وهم في أنر النوم فقتل بعضهم بعضا ووقف ابن قيس ومعه جماعة على البعد منهم وبشار ورفقته وكل مسن انهزم أخذوه ، فلما أصبحنا راينا القتلى منهم ألفا وأسرنا منهم ألفا فعرضوهم على خالد فقال حدثوني من أين جئتم والى أين مقصدكم ؟ •

هزمتم الملك هرقل رحلنا من أرض الشام ونزلنا أرض مدين ونحن على خوف مثكم وكاتبنا صاحب مصر وهو المقوقس لعله أن بأذن لنا أن نكون مــن أصحابه ونكون له عونا عليكم ، فلما أجابنا الى ذلك بعننا الخيل العربيــة الى وليَّ عهده وصاحب الامر من بعده ، فلما كان في هذه الايام جاءتنا خلعــة ورسالة بالدخول الى مصر فرحلنا اليهم فوقعتم بنا ، فلما سمع خالد منهم ذلك قال « من حفر لمسلم قليبا أوقعه الله فيه قريبا » ثم عرض عليهم الاسلام فأبوا فأمر بقتلهم فقتلناهم عن آخرهم وقسمنا رحالهم وماكان معهم ووجدنا معهم الخلع التنِّي وجهها اليهم ابن المقوقس ففرقها خالد على المسلمين وفيها خلعة سنية وكانت لمقدَّم القوم فأعطاها رفاعة وساروا حتى قربوا من الجبل المقطم فرأوا جيش القبط فأرسل خالد رجلا من قبله وهو نصر بن ثابت لنصرتك قال فمضى الرجل الى أن وصل الى عسكر القبط فأخدة الحرس وقالوا له من أنت ؟ قال أنا مبشر الملك بقدوم العرب المتنصرة الى نصرته قال ابن اسمحق فأخذوا نصر بن ثابت وأتوا به الى سرادق الملك • قال فلما وقفت بين يديه ناداني الحجاب أن استجد للملك ففعلت وأنا أستجد لله تعالى حتى لا ينكروا على وكان قد صح عندهم أنه من امتنع من السحود فهو مسلم • قال فلما رفعت رأسي قال لي الوزير يا أبخا العرب أوصل أصحابك الي نصرة الملك فقلت نعم وها هم في دير الجبل المقطم • قال فلما سمع الملك ذلك أمر من حجابه أناسا أن يمضوا الى لقائهم وسرت في جملتهم وأخذوا معهـــم الجنائب وأظهروا زيُّ الفراعنة وخلع على نصر بن ثابت عوض بشارتــــه وسياروا الى لقاء المتنصرة ٠

قال حد ثنا عسكر بن حسان عن رفاعة بن وس عن موسى بن

عون عن جده نعيم بن مرة ٠ قال : كنت فيمن وجه عمر بن الخطاب من أهل نخلة وكان خالد يحبني ويقر بني لان أبي كان يسافر له ببضاعة الى سدوق بصرى ٠ قال فلما رأى خالد أصحاب الملك قد أتوا فال لي خالد : يا ابن مرة أريد أن أوصيك ٠ فقلت بماذا قال : اعلم أن العدو قد أرسل يلاقينا وهو يظن أننا من متنصرة العرب ولا شك أن عمرو بن العاص ومن معه تجفل قلوبهم منا وأريد أن تنزل عن فرسك وتكمن خلف هذه الحجارة فاذا خلا لك الطريق فانسل نحو عسكر المسلمين وحدتهم بأمرنا وما قد عزمنا عليه من غدر القوم ، فان عمر لا يطمئن لغيرك وأقرئه سلامي وقل له يكن على أهبة فاذا سمع تكبيرنا يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالنهليل والتكبير ، فان فاك ما يزيد في رعب أعدائنا فقال نعم • قال وفعلت كما أمرني خالد ونزلت فرسي وأسلمتها لغلامي دارم ومضيت نحو الجبل وكمنت بين الأحجار وغن فرسي وأسلمتها لغلامي دارم ومضيت نحو الجبل وكمنت بين الأحجار و

(قال الراوي) وان خالد أمر أصحابه بلبس الخلع التي أرسلها لهسم ابن المقوقس فلبسوها فوق دروعهم ولبس رفاعة بن قيس وبشار بن عون أحسنها وغير خالد زيه والمعداد وعمار ومالك الاشتر • قال فلما وصل مقدم جيش القبط • قال خالد لرفاعة وبشار ترجلوا له واصقعوا بين يديه وصلبوا على وجوهكم فليس عليكم في ذلك حرج واحلفوا بالمسيح والسميدة مريسم واياكم والغلط بأن تذكروا محمدا (ص) فيظن القوم بنا واجعلوا الجهاد نصب أعينكم وتوكلوا على الله في جميع أموركم قال ففعلوا ما قال لهم خالمد وترجلوا عند رسول القبط وصقعوا •

قال حد ثنا نصر بن عبد الله عن عامز بن هبار قال : يا عم اعلم ان الله اذا أراد أمرا هيأ أسبابه ، وذلك أننا لما أشرفنا على اول ديار مصر نزلنا على دير يقال له دير مرقص وكان ديرا عامرا بالرهبان ، فلما نزلنا عليه أشرف علينا أهله وقالوا من أنتم ؟ قلنا نحن من أصحاب الملك هرقل ملك الشام وقد جئنا لنصرة صاحبكم فانه قد أرسل الينا يستنفرنا لأجل هؤلاء العرب ، قال ففرحوا بنا ودعوا لنا وكان كبيرهم والمقدم عليهم في دينهم شيخا كبيرا وكان من قسوس الشام وكان م ن أعلم القوم بدبنهم وأعرف الناس بآل غسان وكانت الضيحا قد أقطعها هرقل للملك جبلة ابن الأيهم وكان قد جعل على جبايتها ولد هذا القس وكان اسمه نونلس ، وان المسلمبن لما فتحوا بعلبك وحمص هرب هذا القس بأمواله وأولاده الى طرابلس وركب البحر في مركب وتوصل الى مصر وبلغ خبره المقوقس فأحضره وسأله عن حاله فحد له بأمره وتوصل الى مصر وبلغ خبره المقوقس فأحضره وسأله عن حاله فحد له بأمره فخلع عليه وجعله قيما في ألكنيسة المعلقة التي في قصر الشمع وصار من فلما نزل

عمرو بمن معه عليهم وقتل ابن المقوقس أباه احتاج الى رأى البترك فأرسل اليه وأنزله في الكنيسة وولى البترك مكان هذا القس نونلس بن لوقا فكان في الدير فلما نزل خالد بن الوليد ومن معه على الدير • قال عامر بن المبارك النعلبي فأشرف علينا وتأملنا وكان أعرف الناس بخالد ابن الوليد لانه رآه في مواطن كثيرة من الشام وكان صاحب حمص فد أرسله رســـولا الي أبي عبيدة ليصالحوهم ٠ قال فجعل يتفقدهم وينظر في وجوههم ، نم قال وحـق المسيح ما أنتم من آل غسان وما أنتم الا من عرب الحجاز وقد جئتم لتحتالوا علينا فاني رأيت أمامكم الذي فتح الشام وقتل ملوكها وسوف أكاتب الملك بقصتكم ليقبض عليكم ، فقالوا ما عندنا خبر من الذي تقوله وقد خيل لك ذلك : أما علمت أن المسلمين ما خلوا لنا حالا وقد نهبون___ا وأصبحن___ا بالذل بعد العز والفقر بعد الغنى وقسد كتب الينها ملسك مصمر بأن نجىء اليه فأرسل الينا بالخلع وطيب قلوبنا · قـال عامر فضحـك اللعين من قولى وقال لى : ان آل غسان أكثرهم بعرف بكلام الروم وحـــق ديني ما أنتم منهم وقد صح قولي : انكم مسلمون ٠ فقلنا لــه يا ويلـــك لو كنا من الذين تقول عنهم ما كنا نأتيكم بالنهار وكنا نكمن ونسير في الليل حتى نصل الى أصحابنا وانك استحقرت المسيح اذ جعلتنا من أصحاب محمد فقد وقعت في ذنب عظيم ، ثم اننا بالقرب منهم • فقال أصحابه يا أبانا ليس هؤلاء القوم ممن ذكرت فلو كانوا مسلمين ما جسروا أن يدخلوا أرض مصر في ضوء النهار ولا يقربوا العمران • فقال وحق ديني : أنا أعرف الناس بهم وانهم مسلمون بلاشك فامتنعوا منهم ولا تخرجوا لهم طعاما ولا ماء وسأنفذ خبراً للملك بذلك فيكون منهم على حذر ٠ قال عامر بن هبــار وكان مــن لطف الله بنا أن الرهبان الذين بالدير لما سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض يجب علينا أن نأخذ لنا منهم صلحا فنكون آمنين من غائلتهم ولا نبرح من ديرنا هذا • فقال أكبرهمان أنتم فعلتم ذلك فاننا لا نعلم من بنصر مين الفريقين أصحابنا أم العرب، فإن كان النصر لأصحابنا خفنا من هَذا القس اللعين تعلمون أنه على غير مذهبنا وهو في كل يوم يكفرنا لانه نسيطوري فاقبضوا عليه وسلموه لهم وخذوا منهم أمانا • قال ففعلوا ذلك وقبضوا عليه وأشرفوا علينا وقالوا لنا: بحق ما تعتقدون من دىنكم أنتم من أصحاب محمد أم لا فانا قد قبضنا على هذا اللعين ونريد أن نسلمه نكم وانكم تعطوننا أمانا فأنا قوم لا نعرف حربا ولا قتالا • فقال لهم مالك الاشتر : يا هؤلاء اما ما زعمتم

من صلحنا فانا نصالحكم وما كان أمرنا بالذي يخفى ولا نرضى بالكذب فانه أشنع شيء عبدنا ، ولا سيما ان الاسلام يمنعنا من استعماله ، ولو أن السيف على رأس أحدنا اذا سئل عن دينه أجاب به وتكلم بوحدانية الله تعالى ، ونحن من أصحاب محمد (ص) ولكم الأمان وهذا أماني الله ورسوله .

قال فلما سمع الرهبان من مالك ذلك نزلوا وفتحوا الباب وسلموا لنا القسيُّ • فقال له خالد : يا عدو الله أردت أمرا وأراد الله خلافه ، ثم انـــه عرض عليه الاسلام فأبي وقال أنا هربت منكم من الشام ثم أوقعني المسيم في أيديكم وما أظن الا أن المسيح مسلم فافعل ما أردت فضربوا عنقه • قال عامر بن هبار : وخرج اليناأهل الدير بأجمعهم ومعهم الطعام والعلوفة فأكلنا واقمنا عندهم الى الليل • فقال شيخهم الذي أشار عليهم بقبض القس الرومي لخالد : أيها السيد اني قد تفرست فيك الشجاعة فبالله من أنت من أصحاب فتحت بلاد الشام وأذللت ملوكها وبطارقها وان صفتك عندى ثم انه دخـــل الدير وأتى ومعة سفط ففتحه واذا فيه بين أوراقه ورقة وفيها صمفة عمر بن الخطاب (رضى) وزيه وصورته وصورة أبي عبيدة وصورة خـــالد. بن الوليد والسيف في يده مشهور ٠ قال ما زلت أسمع أخبارك كلها فلم عزلك عمر بن الخطاب وولى غيرك • فقال خاله : اعلم أن عمر هو الامـــام وهـــو الخليفة ومهما أمرنا فلا نخالفه فان الله أمرنا بذلك في كتابه قفال تعـــالي ــ أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولى الأبرر منكم ـ فطاعته فرض علينا لانه يحكم بالعدل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وانا قد وجهنا اليه خمس الغنائم من الفتوح كلها من الأموال فما ازداد في الدنيا الا زهدا ولا آثر الدنيا على الآخرة بل مجلسه على التراب ولباسه المرقعة ويمشىي في سوق المدينة متواضعــــا راجلاً ، فالتواضع لباسه والتقوى أساسه والذكر شعاره والعدل في الرعيــة دتاره وما زال يعطفعلي اليتيم ويرفق بالأرملة والمسكين ويرفد أبناء السبيل ، فظ في دين الله غليظ على أعداء الله قائم بشبطاً ثر الله لا يستحي من الحق ولا يداهن الخلق • فقال القسُّ أكانت له الهيبة على عهد نبيكم ؟ • قال خالد نعم سمعت سعد بن أبى وقاص يقول « استأذن يوما عمر فأذن, له فدخل ورسول الله (ص) يضحك • فقال عمر أضحك الله سنك يا رسول الله قال عجبت من هؤلاء اللواتي كن عندي ، فلما سمعن صونك ابتدرن الحجاب • فقال عمر : أنت أحق أن يهبنك وقال لهن " يا عدو- ات أنفسكن الهبنني ولا تهبن رسول الله (ص) فقلن نعم أنت فظ غليظ دون رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) : والذي نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا

«o» _ _ _ _ _ _ _

غيره » • قال فلما سمع القس ذلك قال بركة نبيكم عادت على امامك____ وعليكم فقال خالد وما يمنعك من الدخول في ديننا ٠ فقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء ، ثم قال لخالد أريد أن أعطيكم من صلبان هذا الدير حتى تكمل حيلتكم • قال وأخرج لهم صلبإنا كثيرة فأخذها خالد ودفعها لرفاعـــة بن قيس وبشار بن عون وتزيوا بزيم الذين قتلوهم من آل غسان وارتحل خالد ويقربو اللملك بذلك • قال وعدنا الى سياق الحديث ، فلما أشرف أصحاب ابن المقوقس عليهم رأوهم وقد لبسوا خلع الملك وعلقوا الصملبان وشدُّوا الزنانير ورفعوا صليباً من فضة كان قد أخرجه لهم القس فلمـــا صـقعوا للحجاب ركبوا وساروا حتى وصلوا الى سرادق الملك فترجلوا وقد أخسذوا لهم اذنا فأذن لهم فدخلوا ودخل أوالهم رفاعة وبنسار ومن معه وخدموا الملك وسجدوا له ولم يدخل خالد ومن معه ووقفوا مع بقية العرب خـــارج السرادق ، وإن الملك لما رآهم قال لهم : يا معاشر العرب أنتم تعلمون محبتنا لكم وتقريبنا لكم وقد طلبتم أن تكونوا لنا عونا على هؤلاء العرب فان نصحتم لنا في دولتنا شاركناكم في مملكتنا وقاسمناكم في ملكنا ونعمتنا • فقال لــه رفاعة أبشر أيها الملك سوف ترى ما نبذله في محبتك يوم الحسرب "قال فخلع عليه وخرج من عنده وأمرلهم بخيام تضرب في عسكرهم ٠

قال حد ثنا عامر بن أوس عن جرير بن صاعد عن نوفل بن غانم عبن سهل بن مسروق و قال لما قدم الجيش الذي وجه عمر بن الخطاب مع رفاعة وبشار وكان من أمرهم ما ذكرناه ، ونظر اليهم عمرو بن العاص ومن معه من أصحاب رسول الله (ص) أقبلوا ينظرون اليهم والى زيهم و فقال معاذ لعمرو : ما هؤلاء من المتنصرة وان نفسي تأبى ذلك و فقال عمرو والله يا أبا عبد الرحمن لقد نظرت بنور الله وانني نظرت فيهم واحدا واحدا ورأيتهم بزى وادي القرى وزي الطائف و فقال شرحبيل بن حسنة وأنا نظرت أعجب من ذلك أني رأيت خالد بن الوليد في إجملتهم ولاحت لي عمامته وقلنسوته وثيابه التي كانت عليه يوم دخول طرابلس و فقال يربد بين أبي سفيان أنا والله رأيت مالكا الاشتر النخعي وعرفته بطول قامته وركبته على فرسه ، ثم قالوا لا بد أن ينكشف لنا خبرهم على جليته فهم في الحديث اذ فرسه ، ثم قالوا لا بد أن ينكشف لنا خبرهم على جليته فهم في الحديث اذ اليهم وسلم عليهم وحد "ثهم بالحديث كله سجدوا لله شكرا ، وقال بعضهم اليعض أيقظوا هممكم وكونوا على يقظة من أمركم ، فاذا سمعتم التكبير في عسكر العدو قبادروا اليهم و قال ابن اسحق ولله في خلقه تدبير ، وذلك أنه

لما جن الليل جمع أرسطوليس بن المقوقس آرباب دولته ، وقال لهسم قسد ضاق صدري من هؤلاء العرب ، وقال لهم قد غلا السعر عندنا ، لان أهسل البلاد قد أجلت من خوفهم، وان خيلهم تضرب الى الريف من هذا الجانب والى الصعيد من هذا الجانب والنوبة والبجاوة ما يأتينا منهما أحد للفتنسة التي هي بينهم والرأي عندي أن نحارب هؤلاء العرب صبيحة عيدهم • قالوا أيها الملك هذا هو الرأي • فقال :أخرجوا السلاح وفرقوه على منايس معه سلاح • هذا ما جرى عنده ، وليس عنده خبر بما جرى في قصره بعد •

نتائسنج المعركة

(قال ابن استحق) وكان من حسن تدبير الله تعالى لعباده المؤمنين أنه كان للمقوقس أخ شقيق واسمه ارجانوس وكانا متحابين وكان المقوقس لا يقطع أمرا دونه وكانا اذا ركبا لا يفترقان واذا جلسا يجلسان معـــا على السرير وكان المقوقس قد دخل في خلوته التي ذكرنا وكان أخوه من محبتــــه استبطأه فأتى الى ابن أخيه فرآه على السرير • فقال له ما فعل الملك ؟ فقال إنه في خلوته الى الآن وقد رأى ان طالعه ضعيف مع هؤلاء العرب و قلد أمرنى أن أكون مكانه حتى يرى ما يريد من قتالهم أو صلحهم قال فكتم الرجانــوس الأمر في نفسه وعلم ان أخاه قد قتل وكان ارجانوس ممن يعتقد نبوء محمد (ص) ويعلم أن دعوته تطوف المشرق والمغرب ، وإن الملوك تضمحل في أيام أصحابه وسينزلون على البلاد فترك أرجانوس الأمر موقوفا ولم يبد ما في نفسه لأحد ، فلما خرج ابن أخيه مع العسكر جمع ارجانوس الذين تركهم ابن أخيه لحفظ البلد في قصر الشمع ، وقال لهم : اعلموا أن العقل هو عمدة قوى ابن آدم ، لان الله قد خصه به دون سائر المخلوقات وان أخي قد قتل ــــه ولده لا محالة وقد كان محبا لكم ومشفقا عليكم ، واعلموا ان هؤلاء العرب قد كان قدامهم من ملكه أعظم من ملككم وما ثبت بين ايديهم ، وليس بين دولتكم وبين أن تزول وتضمحل الا أن يلتقي هذان الجيشان، وان ظفر بكم هــؤلاء العرب قتلوكم ونهبوكم وسكنوا في مساكنكم وأيتموا أولادكم • فقالوا أيهـــا الملك فما يكون عندك من الرأي وما تفعل ؟ قال انسي أرى مسمن الرأي أن تستيقظوا لأنفسكم وتغلقوا أبواب هذا القصر ولا تدعوا أحدا يدخل عليكم من جند الملك ولا هو نفسه فانهم لا يقدرون أن يقاتلوكم ، والعرب من ورائهم، وانه يعدي الى الجانب الغربي ويمضي الى اسكندرية ونعقد لنا صلحا مسمع هؤلاء العرب على أنفسنا وأولادنا وحريمنا ونسلم لهم بعد ذلك ، فمن أراد يتبعهم ومن أراد يعطيهم الجزية • قال فاستصوبوا رأيه واعلموا أنه نطق

بالحق ، كان أرجانوس له في سرايته ألف مملوك ، قال فاحتوى على قصبر الملك وأخذ الخزائن والأموال وغلق أبواب قصر الشمع وفعل ما فعل وليس عند ابن أخيه خبر الى أن ذهب من الليل نصفه أو أكثر فجاء اليه بعض خدمة وأخبره بما فعل عمه فأيقن بتلفه وخروج ملك مصر منه ، قال فبينما هو في حيرة في أمره اذ كبر خالد بن الوليد ومن معه في وسط عسكره فسمنع عمرو وأصحابه التكبير فكبروا ووقعت الخذلة على الكفار وحملت فيهما المسلمون ووضعوا فيهم السيوف ، فلما نظر أرسطوليس الى ما نزل بسمه والكبسة التي وقعت بعسكره لم يكن له دأب الا أن ركب وأحدقت به مماليك أبيه وأرباب دولته وطلبوا الهزيمة وقصدوا البحر وعدوا الجانب الغربي وطلبوا اسكندرية فجازوا على مدينة مريوط وفيها الموبذان الساقي ومعه تلاث وطلبوا اسكندرية فجازوا على مدينة مريوط وفيها الموبذان الساقي ومعه تلاث الملك انهزم وما ثبت احسد من عسكر القبط وولوا والسيف يعمل فيهم وغرق منهم في البحر خلق كثير ونصر الله المسلمين وانهزموا ،

· قال ابن اسحق حد ثنى من أثق به أنه قتل في تلك الليلة من عسبكر القبط خمسة آلا ف وغنم المسلمون أثقالهم وما كان فيها من الأموال ، فلما أقبل الصباح اجتمع خالد بالمسلمين وسلم بعضهم على بعسيض وهنوهم بالسلامة ودخلوا مصر وملكوا دورها وأحاطوا بقصر النسمع فأشرف عليهــــم أرجانوس بن راعيل أخو المقوقس ، وقال لهم يا فتيان العرب : اعلموا أن الله قد أمدكم بالنصر وقد فعلت في حقكم كذا وكذا ولولا حيلتي على ابن اخسي لما انهزم منكم ، وقد ظفرتم الآن ونحن نسلم اليكم على شرط أنكم لا تتعرضون لنا ولا تمدون أيديكم لنا بسوء ، ومن أراد منا أن يبقى على دينه يؤدي الجزية ومن أراد أن يتبعكم يتبعكم • فقال له معاذ بن جبل : قد نصرنا الله على الكفيار بصدق نياتنا وصلح أعمالنا واتباعنا للحق ، وانا ما قلنا قولا الا وفيناه ولا استعملنا الغدر ولا المكر ، وأنتم لكم الأمان على أنفسكم وأموالكم وحريبكم وأولادكم ، ومن بقي منكم على دينه فلن نكرهه ، ومن ا تبع ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا ، فلما سمع أرجانوس ذلك نزل اليهم بالمفاتيح فأمَّنوه وأمنوا من كان معه في القصر ، وجمعوا أكابر مصر ومشايخها وقالوا لهم : ان الله قد نصرنا عليكم ، وقد انهزم ملككم منا وأنتم الآن في قبضتنا وڤد صرتم مماليكنا ومن أسلم منكم قبلناه ومن أبى استعبدناه ، فقالوا أيها الملك ما هكذا بلغنا عنكم • قال وما الذي بلغكم عنا ؟ قالوا سمعنا عنكم أن الله قد أسكن الرحمة في قلوبكم وأنتم تعفون عمن ظلمكم وتحسينون الى من أسباء اليكم وأنت تعلم أننا قوم محكوم علينا ولو كان الأمر الينا لاتبعناكم فارفقوا بنا وانظروا في أحوالنا ، فقال عمرو لأصـــحابه وللأمـراء : ما ترون مـــن الرأي في أمر هؤلاء القـــوم ؟

فقال شرحبيل ابن حسنة اصنع ما أمر الله به من العدل فيهم وأحسن اليهم وطيب خواطرهم فاننا اذا قصدنا غير هذه المدينة وسمع أيها الأمير عنك أهل المدينة الأخرى بما فعلته مع أهل مصر يسلمون بغير منازعة ولا حرب ، فقال معاذ بن جبل وخالد بن الوليدوالمقداد وعمار ومالك وربيعة ويزيـــد: القول الذي قاله كاتب وحي رسول الله (ص) هو المعمول به ، ففال عمـرو لأهل مصر: قد أمناكم على أنفسكم وأولادكم وحريمكم منة منا عليكم وقـــد وضعت عنكم جزية هذه السنة ، وفي السنة الآتية نأخذ منكم الجزية من كل محتلم أربعة دنانير ، ومن أسلم منكم قبلناه ، قال فلما سمع أرجانوس ابن راعيل كلام عمرو ،قال : لقد أنصفت وان الله بهذا نصركم وقد وقفــت الآن على صحة دينكم وأنا أشهد أن الله وحده لا شريك لـــه وأن محمدا عبـــده ورسوله ، واشهدوا على أن كل ما تركه أخى من الأموال والأصول والثياب والمتاع هو هبة مني اليكم بما فعلتم مع أهل بلدي • قال فلما نظر أهل مصر الى أرجانوس وقد أسلم دخل أكثرهم في الاسلام، وعمد عمرو الى الكنيسة وعملها جامعاً وهو المعروف به الى يومنا هذا ، وجمع الأموال التي أخذها من وراء القبط المنهزمين ومن منازلهم وما كان في قصر الملك وأخمسرج الخمس وأعطى كل ذي حق حقه ، ثم كتب كتابـــا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى) وبعث الخمس والكتاب مع علم بن سارية ، وسلم المال والكتاب له وسبير معه مائة فارس وأمره بالمسير الى المدينة ، فاستلم الخمس وسبار حتى ً قدم المدينة وسلم المال والكتاب لعمر بن الخطاب (رضي) ، فلما قرأه سجد لله شكرا وأمر بالمال الى بيت المال • فقال علم بن سارية ، يا أمــير المؤمنين ان عمرا يسلم عليك ويقول لك ان القبط كانوا استسنوا سنة في نيلهم في كل سينة وذلك أنهم كانوا اذا أبطأ عليهم الوقاء في النيل يأخذون جارية من أحسن النجواري ويزينونها بأحسن زينة ويرمونها في البحر فيأتى الماء ويفسى النيل وقد قرب ميقات ذلك ، ولا يفعل عمرو شيئا الا باذنك • قال فكتب عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى نيل مصبر ، أما بعد فان كنت مخلوقاً لا تملك ضرا ولا نفعا وأنت تجري من قبل نفسك وبأمرك فانقطع ولا حاجة لنا بك ، وان كنت تجـــري بحول الله وقو"ته فاجر كما كنت والسلام · وأمره أن يدفعه لعمرو بن العاص يرميه فيه وقت الحاجة اليه ثم انه كتب: بسم لله الرحمن الرحيم، أما بعد فالسلام عليك واني أحمد الله اليك وأصلي على نبيه ، واذا وصل اليك كتابي

فاطلب أعداء الله حيث كانوا ، واياك أن تلين جانبك لهم وانظر في أحسوال الرعية واعدل فيهم ما استطعت ، واطلب العفو بالعفو عن الناس وأجر الناس على عوائدهم وقوانينهم وقرر لهم واجبا في دواوينهم وأعل رسوم العافيسة بالعدل فانما هي أيام تمضي ومدة تنقضي ، فاما ذكر جميل واما خزي طويل، ثم انه سلم الكتاب الى علم بن سارية فسار هو ومن معه الى أن قدموا مصر وسلم الكتاب الى عمر و ، فأما كتابه فقرأه على المسلمين ، وأما كتاب النيل فانهم قد كانوا عدوا ليالي الوفاء وتوقف النيل عن الوفاء ، وقد يئس الناس من الوفاء في تلك السنة ، فمضى عمرو الى النيل وخاطبه ورمى فيه كتاب عمر بن الخطاب (رضى) • قال فلما رماه فيه هاج البحر وزاد فوق الحد "ببركة عمر بن الخطاب ، وانقطعت عن أهل مصر تلك السينة السيسيئة ببركة عمر (رضى) •

حد "ثنا محمد بن يحيى بن سالم عن عدي بن يحيى بن عوف قال : لما بلغنا أن عمرو افتح مصر وأتى الى الكنيسة المعظمة عندهم وجد في مذبحها بيتا مغلقا واذا فيه صورة من الفضة وأمام الصورة شخص آخر وفي يده أعلام وهي على صفة الصورة التي وجدها الني (ص) في الكعبة لما فتح مكة ، فدعاً عمرو بالقسوس ، وقال لهم : ما هذه الصورة ؟ قالوا له هذه صــورة ابراهيم وأبيه آزر ، فتبسم عمرو وقال ـ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين _ فقال معاذ بن جبل لما قدمت من اليمن سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجهه قترة ، فيقول له ابراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى فيقول آزر: اليوم لا أعصيك ، فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من هذا ؟ فيقــول الله حرامت الجنة على الكافرين ، ثم يقول له يا ابراهيم انظر الى ما تحت قدميك، فينظر الى الريح وقد أخذت أباه فتلقيه في النار » قلل ثنم أمر عمرو بالصورتين فكسرتا ، وعبر عمكر المسلمون الى الجانب الغربي ، وقد تقدَّم خالد فترجل الى نحو الاسكندرية وتقدُّم على مقدَّمته عبد الله يوقنا وسيار يوما وليلة هو وبنو عمه وهم بزي الرُّوم •

ذكر فتوح مدينة مريوط

قال ابن اسحق وكان قد بلغ الموبذان الذي مع الثلاثة آلاف وهمم في مدينة مريوط، وقد حصنها ما حصل ، فلما قدم عليه يوقنا ، قهال له الموبذان : ما الذي أقدمك علينا ؟ فقال يوقنا ان المسلمين وجهوني اليك وهم يحرضونك على خلاص نفسك ويأمرونك بتسليم هذه المدينة اليهمم ولك

الأمان علمي نفسك وأهلك ومالك ومن أردت ، ولك الخيار في المقام تحت يــــد الاسلام أو الانفصال فان اخترت المقام فلا مانع يمنعك وأن اردت المسبــــير أوصلناك الى أي موضع أردت ، فلما سمع الموبذان ذلك قهقه ضاحكا • وقال : وحق ديني ان الغدر شعاركم والمكر دثاركم ،' فلا فلح من آمن لكم ، وأما أنا فلا أخون الملك في بلده وأنا وهو في أرض واحدة وسوف أبعث اليه بأن أقدم اليه وأساعده عليكم جزاء بما عملتموه من الخديعة وستعلمون على من تدور الدائرة ومن يكون المغبون في الآخرة وأنت يا معشر الروم قد كفرتم بالمسيح وجحدتم السبيدة أمَّ النور وخرجتم من ملة الحواريين وأردتم هؤلاء العـــرب الجياع الاكباد العراة الاجساد ولن يغنوا عنكم شيئا ووحق المسيملأبعثن بكم الى الملك فيقتلكم على كفركم ، وكان يوقنا قد ترك جماعته ومضمى في عشرين رجلا منهم لعله يعمل عليه حيلة ، فلما دخل عليــه أنزلـــــه في دار الضيافة فوضعوا سلاحهم ، فلما أكلوا الطعام وتحادثوا وكان قد فطن بهـــم وأمر غلمانه أن يكونوا على حذر وأن يهجموا عليهم فيقبضوهم يريد بذلـك أن يرسلهم الى الملك الى الاسكندرية ورماهم في بيت مظلم في دار امارته وأقام ينتظر غفلة من عسكره وكانوا قد أحاطوا بالبلد ووكل بهم جارية اسمها رينا وهي أخت مارية التي أرسلها المقوقس الى رسول الله (ص) ٠

وكانت أختها شقيقتها وسلم اليها المفاتيح لمعزّتها عنده وقال لها احفظي عليهم لأرى ما أنظر فيهم قال فلما جنّ الليل واشتغلل عدو الله الموبذان بالشراب قال فصبرت رينا الى أن غرق في سكره هو ومن معه وناموا وأمنل على نفسها فأتت الى الباب وفتحت على يوقنا وأصحابه وقالت لهم أبسلروا لا خوف عليكم فأن الله قد جعل رحمتكم في قلبي وأنا أخت مارية التي أهداها المقوقس لنبيكم واني أريد منكم أن توصلوني عند أختي مارية و فقال لها بوقنا أبشري بما يسرك ، ولكن أخاف عليك من عدو الله فما ترين ؟ فقالله والله ما جئتكم حتى سكر ونام و فقال يوقنا فعر فينا الطريق التي نسلكها الى قومنا قالت ان هذا المكان فيه سرب يخرج الى ظاهر البلد وهو مبني من قديم الزمان وبابه الخارج مبني عليه قبة على أعمدة وتحتها قبر بين المقابر فكل من رآه يظن انه قبر ، وان الذي بني هذه المدينة امرأة يقال لها فمعمان بنت عاد وصنعت هذه المقابر التي وراء التل وهي كأنها قصور مسلمة وكان فيها أناس سكنوها و فقال يوقنا : افعلي بنا ما يقربك الى الله تعمال ورسوله ولعلك أن تنزلينا من هذا السرب حتى نذهب الى أصحابنا ونأتي بهم من هذا ما دام الموبذان سكران وهو نائم ، فقالت : سأفعل ذل ك ان

- شاء الله تعالى غير أنى أريد أن أفتح لكم باب السرب قبله حتى لا تتعو "قوا ٠
- فاذا هو ومن معه صرعى من الخمر فتركتهم وعادت الى باب السرب لتفتحه ، واذا هي تسمع وراءه حسا ففزعت ووقفت السمع .

قال حد ثنى عبد الرزاق بن يحيى عن سليمان بن عبد الحميد.عـــن سفيان الأعمش عن أوس بن ماجـــد ، وكان ممن شهد فتــــوح مصـــر والاسكندرية ٠ قال لما نزل خالد بن الوليد على مربوط بجيشه تفقد يوقنا وقال لأصحابه انه من وقت أن بعنته برسالتي الى مربوط للموبذان ما عاد خالد أن يوقنا مقبوض عليه فبات مهموما من أجله ، وكان خالد صاحب همة وعزيمة لا ينام من خوفه على المسلمين وكان معه جواسيس قد أخذهم معه من كل أقليم وقد اصطفاهم لنفسه وهو يحسن اليهم وأينما ذهب بكونوا معهه ليأتوه بالأخبار فبينما هو في غمَّ بسبب يوقنا ، واذا هو بواحد منهم قد دخل عليه وأعلمه أن ولد الموبذان قد أتى من اسكندرية من عند أرسطوليس ومعه خلع وهدايا لأبيه ومعه خمسمائة فارس ، وقد بلغه أنكم محاصرون أباه فترك العسكر وما معه بالبعد وانفرد ومعه خادمان وأتى وما نعلم ما يريد . قال فلما سبهع خالد ذلك قام وأخذ معه غلامه هماما وأربعة ممن يعتد بهم وأبعد وقعد على سفح التل من نحو اسكندرية ونظروا الى التل واذا بولد الموبذان ومعه الخادمان قصدوا الى وراء لتل عند تلك المقابر التي وصفتها رينا ليوقنك وقصدوا القبة فمشى خالد وراءهم وفر"ق جماعته من أربع جهات الفبية وكبسهم واذاهم قد فتحوا طبقا في وسط القِبة فأخذهم خالد فلما رآه الموبذان ارتعدت فرائصه وخاف فقال خالد ان صدقتموني أمنتكم وان لم تصدقونيي رميت رقابكم • فقال الغلام أنا أصدقك أنا ولد الموبذان وكنت عند الملك في اسكندرية وقد أنفذ معي خمسمائة فارس عونا لأبي وحفظا لهذه المدينة فنحن في الطريق ، واذ قد جاءتني الجواسيس بأنكم نازلون على البلد فأوففـــت العسكر وأتيت الى هذه القبة ، فقال له خالد : وما الذي تريد من هذه القبـة ألكم فيها سلاح أم مطلب فيه مال ؟ قال لا قال فما تريد منها • قال الغلام ان أمنتنى قلت لك الحق •

فقال له. خالد قد أمننك على نفسك فقبل يده وقال يا مولاي أريد أمانا لأبي ، ومن يلوذ به فأعطاه ، فقال : اعلم أن هذه القبية على سيرب والسرب ينتهي الى دار الامارة ودار الامارة في وسط هذه المدينة ، قال فلميا سمع خالد ذلك تهلل وجهه فرحا وسرورا وقبض على الغلام وعلى الخادمين

وأمرهما مع واحد آخر ممن معه أن يفتحوا السرب فُفتحوه فارسل همـــاماً الى العسكر وأمره بأن يأني بهم في السرب وأن يأنوا معهـــم بالنار والزيت والقناديل وأن يسرع بذلك وكان ذلك التلِّ عاليا والذين في المدينة لا ينظرون ما وراءه ، فلما أقبل همام بما طلبه خالد أوقدوا المسارج ونزلوا في السرب وابن الموبذان أمامهم فوصلوا الى الباب واذا برينا عند الباب تريد فتحه ليوقنا ومن معه ، فلما سمعت حسهم فالت من أنتم ؟ فقال خالد لابن الموبذ ان كلمها فقال أنا فلان بن الموبذان افتحي ولا تعلمي أبي قال فلم يبني لها بد أن تفتح الباب ففتحت فصعد خالد ومن معه فقبضوا على رينا ٠ فقالت لهم يـا قوم دعوني فاني أردت أن أخلص أصحابكم وجئت لآفتح لهم هذا الباب وأنزلهم اليكم وتملكوا هذه المدينة من ههنا ، وقد أتى بكم رب العالمين وأنا رينا أخت مارية زوجة نبيكم ، فلما سمع خالد فرح وقال لها وأين أصحابنا ؟ فأتت بهم عندهم فحلوا وثاقهم وأتوا ألى دار الامارة فوجدوا الموبذان لا يشعر بنفسه من الخمر فوكل به جماعة وأمر الباقي أن يملكوا السمور وقبضوا على الحرس ونزلوا ألى الابواب وكان لها بابان فكسروا أقفالهما وفتحوهما وأرسل الى بڤية العسكر فدخلوا المدينة والكل في حالك الليل ، فلما أصبح الصباح استيقظ الموبذان ومن معه واذا بالمسلمين حولهم ، وكل من في المدينة قد أسر • فقال له خالد يا عبدالله لولا أنى أعطيت ولدك الامان كنت قتلتك سر قتلة ، ولكن خذ أهلك وانصرف فاننا قوم اذا قلنا قولا نعمل به ، وفهم الموبذان أن ولده قد دلهم على السرب، فلما خرج الموبدان بأهله قال ولده لخالد يا مولاي ان أن مضيت معه قتلني ولسنت أريد بغيركم بدلا ، وأنا أقول : أسُهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقال له خالد ان قصر أبيك وما فيه لك ، وعرض خالد الاسلام على أهل مربوط فأسلم أكثرهم ثم ان خالدا قال ليوقنا رحمه الله : أبشر من الله بالرضوان والغفران والنواب فبصبرك على الشدائد فتح الله علينا هذه المدينة ، فقال والله ما فتحها الا بفضله وببركة نبيه (ص) ، فكتب الى عمرو بن العاص يبشره بفتح مريوط ونحن معو ٌلون على الدخول الى اسكندرية وأرسل الكتاب اليه ٠

قال ابن اسحق : وأقام خالد بمريوط لاجل ذي الكلاع الحميري لانه مرض معه ، وكان مرضه شديدا فجلسوا عنده شهرا ولم يفارقه خالد فقد رالله لله بالوفاة فحزنوا عليه حزنا شديدا عظيما ، فكان ذو الكلاع ملك حمير ، وكان قبل دخوله في الاسلام يركب له ابنا عشر ألف مملوك سود سوى غيرهم قال أبو هريرة الدوسي (رضى) : ولقد رأيته بعد تلك الحشمة يمشي في سوق المدينة وعلى كتفه جلد شاة لما قدم من اليمن الى الجهاد في أيام أبي بكر

الصدَّيق (رضى) ، فلما مات رثاه ولده تنوخ بما رثى به حمير أباه سبأ بن يسجب في الزمن المتقدم وهو :

عجبت ليومسك ماذا فعل وسلمت ملكك ذا طاعاً عا فيومك يوم رفيسع النسزال فلا يبعسدنك فكل امرئ لئن صحبت نائبات الزمان لقد كنست بالملك ذا قوتة بلغت من الملك أقصى المدى فطحطحست آفاقه والمدى حويت من المحل تقسل الامور حوملت عزمك تقسل الامور بنيت القصور كمثل الجبال بنيت القصور كمثل الجبال تؤمل في الدهر أقصى المنى قرالت لعزمك شم الجبال فزالت لعزمك شم الجبال

وسلطان عزك كيسف انتقل وسلمت للامسر لمسا نزل ودورك فسي الدهر دور رحل سيسدركه بالسنيسن الاجل وشت مع الدهر وجه الامل نقلت وعز ك لسم ينتقل نقلت من المعرب حول الدول ونلت من الملك مسالم ينل فقام بهسا حازم واستقسل وما مر عيشسك فيما فعل ذهبست فلسم يبق الا الطلل وملم تدر بالامسر حيسن نزل ولم يك حزمسك فيها هبل

ذكر فتوح اسكندرية

قال: وعو"ل خالد على المسير الى اسكندرية .

حد ثنا زياد بن أوس الطائي عن معمر بن الرشيد ، قال لما نزل خالد بعد رحيله عن مربوط ، قال له عيونه انه لما انهزم ابن المقوقس وأتى الى اسكندرية وبلغه فتح مصر صعب عليه ، قال وكانت اسكندرية عامرة كان فيها الخليق كثيرا والمراكب فأرسل مراكب وعمرها بالرجال وأمرهم أن يكبسوا سواحل بلاد الشام على المسلمين ، فقالوا سمعا وطاعة ومضوا الى سياحل الرملة فوجدوا بالليل نيرانا كثيرة فسألوا من كان خبيرا بالبلاد ، فقالوا هذه نيران المسلمين النازلين ههنا ، فقالوا : هذه حاجتنا التي جئنا في طلبها ، فنزلوا وقصدوها واذا بها حلل من حلل دوس بني عم أبي هريرة ، وكان معهم طائفة من بجيلة وفي جملتهم ضرار بن الازور وهو مريض وأخته خولة معه تمرضه وكان أبو عبيدة أمرهم بالنزول هناك لاجل كثرة المرعى وهم آمنون مطمئنون من الروم وغيرهم ، لان دولة الروم قد انصرمت وأيامهم قد ولت ، فما فطن من الروم وقد كبسهم القبط في حندس الليل ووضعوا فيهم السيف فقتلوا

هلهم رجالا وأخذوا منهم أسارى ومن جملتهم ضرار وأخته وأخذوا ما قدروا على حمله وأتوا بهم المراكب ، وكان جملة من أسروه من الرجال والنساء والاولاد والعبيد ألف ومائة فوضعوهم في المراكب وأقلعوا بهم من ليلتهم وسارا طالبين اسكندرية .

قال ابن اسحق : وكان أبو عبيدة قد استوطن طبرية لكونها في وسبط البلاد وهي قريبة من الاردن والشام والسواحل ، وان أبا هريرة قد أتى ليزور قومه في تلك الايام ويسأل عن حال ضرار وكانوا يحبونه لشجاعته فأتى أبو هريرة ومعه حليف له من بني بجيلة فأصبحنا تلك الليلة في الحي واذًا بهم قد أخذهم القبط وبيوتهم مطروحة والرجال مقتولة وآثارهم منبوذة ووجــدوا من الذين انهزموا أناسا مجروحين فسألوهم فقالوا ما عندنا خبر حتى كبسنا قوم نصاري وما نعلم من أيُّ الطوائف هم ولم نفق حتى وقعوا فينا بالسيوف فقتلوا ما ترون وأسروا الباقين وأخذوهم في مراكبهم • فقال أبو هريرة : لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ، وساروا الى ساحل البحر فلم يروا لهم أثرا ، فلما غولوا على الرجوع اذا بلوح من ألواح المراكب تلعب به الامواج ، وعليه شبخص فوقفوا له حتى أقبل وخرج الرجل واذا به أمير دوس وحيان ابن عم أبى هريرة ، فلما رآه ترجل له وعانقه وهنأه بالسلامة وقال له يا ابن عم ما وراك • فقال هجم العدو علينا ليلا وأسرونا وساروا ، فلما توسطنا البحر بعث الله بريح فغرقت مركبنا ، وقد نجاني الله على هذا اللوح · فقال له : ومـن أعداؤكم قال من قبط مصر ، واني سمعتهم يذكرون اسكندرية كثيرا • قال فرجع أبو هريرة يطلب طبرية وأتني ابن عمه الي مكان الحلة حتى يلم مسعبث الناس ويداوي المجروحين فجمع ما تركوه وأتي بهم الى الرملة • وأما أبو هريرة فأتى أبا عبيدة وأخبره بما جرى فاسترجع وبكي ، وقال أعوذ بالله من الساعات الرديئة ، ثم قال والله لئن وصلوا الى اسكندرية ما يبقيهم صاحبها طرفة عين ويموت ضرار ويمضى دمه هدرا وكتب الى عمرو بن العاص يعلمه بذلك ويحذره من صاحب الاسكندرية وانه أسر ألفا وتمائة من جملتهم ضرار وأخته ، وكانت تداويه وهي عنده فاذا وصل اليك كتابي هذا فاجتهد في خلاصهم وان وقع في أيديكم أحد من القبط ففادوهم به ودفع الكتاب لزيد الخيل وأمره أن يسير الى مصر ، فلما قدم زيد الخيل الى مصر دفع الكتاب لعمرو بن العاص ، فلمها قرأه صعب عليه ، وكان يحب ضرارا فأرسل الكتاب الى خالد بن الوليــد ، وكتب اليه يحثه بالمسير الى اسكندرية وأنه يفتقد حال الاسرى ، فلما وصل الكتاب الى خالد وقرأه صعب عليه أمر ضرار وأخَّته خولة ٠

حدُّثنا ابن اسبحق قال حدثنا عاصم بن منصور عن أحمد المروزي عن

سلمة عن عبدالله ابن المبارك عن عبد العزيز عن أبيه • قال لما أخذت النصاري حلل دوس وضرارا واخته وعصفت عليهم الريح وغرق أحد المراكب ووصسل الباقى الى اسكندرية أوقفوهم أمام ابن المقوقس فأراد قتلهم فقال له أرباب دولته أيها الملك لا تعجل عليهم ، واعلم أن العرب متوجهة اليك ولا بد لنا من قتالهم فان أسر أحد منا ممن يعز عليك يكون عندنا من نعادى به ولعل أن نصالح العرب فاستصوب رأيهم وقال ادفعوا هؤلاء الاسرى الى دير الزجاج وأرسىل معهم ألفي فارس يوصلونهم الى الدير فجاءت عيون خالد وأخبروه بما. وقع فقام وأخذ معه أصحابه وسار يطلب دير الزجاج فوصل خالد الى الدير قيل وصول الأساري ومن معهم ، فلما أحدقوا بالدير أشرف عليهم راهب كبير السين وكان اسمه مباحا وكان تلميذا لبحيرا راهب بصرى ، وكان مؤمنا بالله وبأنبيائه ٠ فقال له خالذ يا راهب كيف ترى الدنيا ٠ قال تنحف ألبدن ، وتجدد الامل ، وتقرب المنية ، وتقطع الامنية قال فما حال أهلها قال من نال منها شبيئًا نفضته ومن فاته منها شبىء حسرته ، قِال فما خير الاصحاب فيها قال العمل الصالح والتقى ، قال فما شر الاصحاب فيها ؟ قال اتباع النفس والهوى • قال خالد صدق رسول الله (ص) اذ قال الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها ، نم قال كيف طابت لك الوحدة ؟ قال ألفتها قال فهل نلت منها فائدة • قال نعم: الراحة من مداراة الناس • قال فما أحسن هذا الاعتقاد لو كان في دين الاسلام والتوحيد ، قال فما أعرف غيره ، قال فما تقول في محمد ابن عبدالله (ص) ؟

قال : سيد الرسل وخاتم الانبياء وصفتًى الاصفياء وحجة الجبار على الورى ، قال فلم لا تكون في بلاد الاسلام فهي أصلح لك من ههنا ، قال قلبي ملوث بحب الدنيا ، قال خالد أعندك خبر بالعرب الاسرى الذين أرسلهم الملك هنا ، قال لا والله ، ولكن مر " بي البارحة بطريق وأسقف واستقيا ماء من بشر هذا الدير فسألتهما من أين أتيتهما ؟ فقالا من الاسكندرية واننا رسل الملك كيماويل صاحب أرض برقة وانه أرسلنا الى ملك القبط يسأله أن يرسل له أسرى من عرب المسلمين حتى يراهم ويسمع كلامهم فأجاب أنه يرسل منهم جماعة ونا ماضون نعلم صاحب برقة بذلك ، فقال لخالد لعلكم من المسلمين في كل وقت وأعلمك أني رأيت نبيكم (ص) وهو في قافلة قريش وأنا عند بحيرا ، فلما مات بحيرا انتقلنا الى هذا الدير ، واعلموا أنه ما بقي من أرض بحيرا ، فلما مات بحيرا انتقلنا الى هذا الدير ، واعلموا أنه ما بقي من أرض الكنائس ولا بأرض العقبة ولا بأرض الرمادة أحد ولا ديار من رأهب ولا قس الا وقدم لزيارتي ويسألني عنكم وعن نبيكم ، ويقولون لي أنت كنست على الا وقدم لزيارتي ويسألني عنكم وعن نبيكم ، ويقولون لي أنت كنست على

طريقهم ورأيت نبيهم وشرحت لهم دينكم وأوصلتهم الى ما ظهر من معجزات نبيكم (ص) ، ولقد جرى بيني وبين راهب منهم بالفرب مناظرة ، وقال لي ان النبي ألذي بشر به عيسى المسيح ابن مريم ليس هذا ، فقلت له بلي هو والله النبي العربي • فقال لي اننا سمعنا في العلم أن الرسول الذي يظهر من أرض الحجَّاز يعرج به الى السماء ، وما سمعنا أن هذا عرج به ، فقلت بلى والله أنا سمعت بأنه عرج به الى السماء وخاطب العلى " الاعلى ، وأصبح فأعلم بذلك قريشا ، ثم قال لخالد : اعلم أن في وسط هذا الجبل ديرا يقال له ديـر المسيح ، وقد استوى عليه بطريق ومعه جماعة وهو يقطع الطريق على قوافل العرب ، وانه منذ زمان قطع الطريق على قافلة وفيها شخص من بلادكم وهو مسلم ، فأخذ القافلة وعرَّى أهلها وأطلقهم وقبض على ذلك المسلم وأخــذ ماله ، ووضعه عنده في العذاب الشديد ، والرجل يستجير فلا يجار ، ويقول له مَا أطلقك حتى تكفر بالرحمن وتسجد للصلبان ، تم انه يأتيه بصورة من نحاس وعلى رأسه عمامة سوداء ، ويقول له هذه صفة نبيكم وينصبه قباله ويصب "فضلة كأسه على رأس هذه الصورة ، وذلك الرجل يستجير من فعاله • قال فلما سمع خالد ذلك أخذ معه شرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة ويزيد بن أبي سفيان وهاسُم بن سعيد والقعفاع ورفاعة ، وترك بقية العسكر محيطة بالدير ومضوا الى وسط الجبل فوجدوا الديس فوصلوا اليه ، واذا بالبطريق قد أقبِّل ومعه وحش مذبوح ، وقد قصد الى شجرة بالقرب من الدير وتحتها عين ، فنزل على العين وصاح بغلمانه فأتوا اليه وأضرموا النار وجعلوا يشوون له وهو يأكل ويشرب الخمر ، وقال لهم هاتوا المحمدي ، فأتوه برجل قد ركبه الذل وغلبه القهر ، فلما رآه قال له : أنت قد غلبتني بتجلدك على العذاب، وحق ديني لا أرفع عنك العقوبة حتى ترجع عن دينك الى ديني، فقال له اصنع ما بدا لك فاني أعلم أن الكل بمشيئة الله وبارادته ، واني صابر على مر "البلاء وما أرجع عن دين محمد المصطفى • قال فهم ان يقوم اليه يضرب فصاح به خالد بن الوليد وحمل عليه وطعنه فأخرج السنان من ظهره وقتلوا غلمانه وخلصوا المسلم ونزلوا على العين ، ولم يكن لأهل الديو شرب ألا من تلك العين ، فأشرف عليهم الرهبان من أهل الدير ، وقالوا : ما نحن أهــــل سبيف حتى نقاتلكم ، وقد نهاكم نبيكم عن قتل الرهبان ، فقال خالد : سبلموا لنا مال هذا البطريق وعياله وأطفاله ونحن نترككم في ديركم ، ففتحوا لهم وسلموا لهم جميع موجوداته ، وأخذوا الاسبير وساروا وسأله خالد بن الوليد من أين أنت ؟ فقال أنا أمية بن حاتم أخو عدى" ، وقد أخذني هذا في أواخر أيام أبي بكر الصديق (رضى) فاني كنت طالب برقة مع قافلة ومعى بضاعة

فأخذها وأخذني ، وكان أمر الله قدرا مقدورا · قال فرجعوا عند أصحابهم ولم يأتوا القبط فما لحقوا أن ينزلوا عن خيولهم الا والراهب صاح ، وقال لهم استعدُّوا للقاء عدو كم فانهم قربوا منكم ، فتجهزوا للقاء العدو واذا بهم قد أقبلوا ، وضجيج الاطفال وبكاء الناس وأنين الرجال وصراخ المأسورات ، وصياح القبط عليهم يسوقونهم من ورائهم ، وزئير الفرسان ، وهفيف الصلبان والعربيات ، تنادي بالويل والهوان ، وخولة بنت الأزور على مقد مقد الأسارى وهي تقول :

جل المصاب وزاد الويل والحرب ومادت الارض مما قد بليت به جالت يد القبط فينا عند غفلتنا لهفي على بطل قد كان عد تنا قد كان ناصرنا في وقت شدتنا فيه الحمية والاحسان عادته لو كان يقدر أن يرقى مراكبه أو كان خالد فينا حاضرا وطنا لو كان يسمعصوتيصاح بي عجلا

وكل دمع من الاجفان ينسكب حنى توهمت أن الارض تنقلب واستحكم القبط لما زالت العرب فيه العفاف وفيه الدين والادب أعني ضرار الذي للحرب ينتدب فيه التعصبوالانصاف والحسب كان العدو فني والحرب تلتهب لزال عنا الذي نشكو وننتحب مهلا فقد زال عنك البؤس والعطب

قال: فلما سمع خالد نداءها ، قال: لبيك يا بنت الأزور ، قد جاك الفرج وذهب عنك الحرج فأطبقوا على القبط ، فما كان ببعيد حتى قتلوا منهم سبعمائة وأسروا ألفا وثلمائة ، وخلصوا الأسرى وسلموا على ضرار ، وهنئوه بالسلامة وودعوا الراهب ، بعدما كتب له خالد كتابا بأن له من طعام الاسكندرية صاعا ، ولكل من سكن الدير من أهله وقبيلته ، ثم انهم ساروا طالبين الاسكندرية وهم سائقون الاسرى من الفبط بين أيديهم ، قال وكان الملك أرسطوليس لما سمع بأن العرب قد أتوه أخرج عسكره ، وضرب خيامه الملك أرسطوليس لما سمع بأن العرب قد أتوه أخرج عسكره ، وضرب خيامه الخوف في قلب الملك وعسكره وقالوا له : أيها الملك ما الذي تدبر في أمر هؤلاء العرب ؟ قال وما عسى أن أدبر والخوف قد ملأ قلوبكم ، وهم طمعوا فيكسم ورأوا أنكم تنهزمون ولا تخافون العار ، واذا قاتلتموهم كانت قلوبكم متفرقة وأهواؤكم غير متفقة وقد أسروا رجالكم ولم يرهبوا قتالكم ولا مانع يمنعهم ، ولو أن أصحابهم الذين أرسلتهم الى دير الزجاج عندي لكنت صالحتهم باطلاقهم ودفعناهم عنا ، وقد فرطنا أيضا في الالفين الذين أرسلتهم معهم ، فلو كانوا فينا لقاتلوا معنا ، وقد فرطنا أيضا في الالفين الذين أرسلتهم معهم ، فلو كانوا فينا لقاتلوا معنا ، فقال له وزيره : أيها الملك هل لك أن ترسل اليهم وتتحدث فينا لقاتلوا معنا ، فقال له وزيره : أيها الملك هل لك أن ترسل اليهم وتتحدث

معهم في أمر الصلح ، ونحن نسلم اليهم أصحابهم • فقال انهم لن يقبلوا منكم رسولا منذ صبأنا عليهم ببحر الحصى ، فبينما هم في ذلك واذا بصاحب البحر، قد أتى اليه وهو الموكل بالنار ، وأخبره أنه رأى مركبا قد ظهر من قبل الغرب ، ولا أعلم من أين أتى • فقال لا شك أنه من صاحب برقة الملك كيماويل ، وقد أنجدنا ، فأقبل المركب ورمى مراسيه ونزل منه شيخ مهيب مليح الشيبة ظاهر الهيبة ، وعليه ثياب من الصوف الاسبود ونزل معه عشرون شخصا من القسوس والرهبان ، فلما نزلوا الى البر جاءتهم الخيول بالمراكب المذهبة والغلمان والحجاب وعظموا شأنهم وأركبوهم وساروا بين أيديهم الى أن أوصلوهم الى الملك وأدخلوهم عليه ، فقام لهم وعظم شأنهم وأجلس ذلك الشيخ معه على السرير •

(قال الراوي): وكان أرسطوليس قد أرسل هدية الى الملك صاحب برقة ، وأرسل اليه يعلمه بما فعله العرب في مدّة قيصر وانهم قد أتونا ، ومن جملة ما أرسل له يقول: أيها الملك اعلم أن الدنيا دار زوال وانتقال ، فما وهبت الا واستردّت ، ولا فريّحت الا وأحزنت ، فالمغرور من تشبث بذيلها واطمأن اليها ، والسعيد من لبس ثياب الحذر منها وعمل لدار المقر ، أما ترى أيها الملك الى هرقل ملك الشام كيف هرب وزال ملكه ؟ وذلك عند ما رمت الدنيا بمصائبها ،وشتته بسهام نكائبها بعدما كانت في وجهه مشرقة ولا يخطر له هم الاعداء على بال ، وما ضربت لك هذا المنال الا لعلمي أن الدنيا لا تبقى على حال ، وهؤلاء العرب قد استولوا على البلاد ، وأذلوا بسيوفهم العباد ، وقد أقاموا لهم شرعا بالسيوف الحداد ، وقد ملكوا القياصرة وقد جاءت طائفة ولا غنى لهم عنك ، والصواب أن تشمر لهم عن الهمم وتنجدنا على من بغى وأجرم ، فنحن جيرانك وكلنا جندك وأعوانك والسلام .

(قال الواقدي): فلما وصلت الهدية والكتاب عرضه على أرباب دولته وقال لهم ما ترون فيما كاتبكم به صاحب مصر والاسكندرية ؟ فقالوا له أيها الملك ما زالت الملوك يستنصر بعضها ببعض والذي أشار اليه هو الحق وان العرب اذا ملكت ملك القبط فلا بد لهم منا والعبور الى بلادنا ، فابعث اليه بنجدة ونكون نحن وهو يدا واحدة ، فالمسيح يعطي النصر لمن يشاء فأجابه الى ذلك وأمر ابن أخيه اسطفانوس أن يمضي في أربعة آلاف وأمره أن يسير لمعاونة صاحب اسكندرية ، ثم انه أرسل خادمه الى عالم أرضهم والمشار اليه في علم النصرانية وهو البترك واسمه سطيس ، وكان عمره مائة وعشرين سنة ، وكان تلميذ زيروسا وزيروسا تلميذ مرقس ومرقس تلميذ يوحناً ويوحناً أحد

حوارى عيسى المسيح وكان هذا البترك سطيس مؤمنا بالله وموحدا وسمع . بأخبار رسبول الله (ص) ومعجزاته وهو مؤمن من قبل مبعنه وظهوره حتى بلغته أخباره (ص) وانه مات فبكي لموته ولزم زاوية الحزن ولم يظهر خبره لاحد مدة من الزمان ، وقد بني له صومعة وانفرد بها وجعلها على قارعة الطريق فمسلم مرَّت به قافلة الا واستخبرها عنه ويسأل عمن جلس بعده للمسلمين خليفة؟ • فقالوا أبو بكر الصدَّين وبلغه موته وولاية عمر ، نم بلغه فتوح الشام وقدوم الصحابة الى مصر وفنحها ، فلما أرسل صاحب مصر يستنجد صاحب برقة وأرسىل أخاه أرسىل هذا البترك في مركب ببشره بقدوم اسطفانوس الى نصرته، فلما وصل اليه وبشره فرح بذلك وقال يا أبانا أريد من انعامك أن تسير الى هؤلاء العرب وتختبر دينهم ونبيهم وتدعوهم الى الصلح وتعلمهم أن في أيدينا جماعة منهم أخذناهم من ساحل الرملة وقد أنفذت بهم الى دير الزجاج ، فأن أرادوا أصحابهم أطلفناهم لهم ونعطيهم شيئا من مالنا واعقد لنا ولهتم الصلح بأنهم لا يرجعون الينا ولا يتعرضون لنا • فقال البترك سأفعل ذلك وانى قد قرأت في الكتب السالفة فوجدت فيها أن الله يبعث نبيا من أرض تهامة تعرض عليه مفاتيح الارض وكنوزها فلا يلتفت اليها ولا يعيرها نظره ولا يختار الا الفقر على الغنى وأن أصحابه ينبعون سنته وأنا أستخبر حالهم قبل سيري اليهم • فقال الملك وكيف تستخبر حالهم يا أبانا ؟• قال أيها الملك أرسل بغلة من مراكبك وعليها مركب من ذهب وهو مرصع بالمعادن وتأمر غلمــانك أن يسيروا بها ويرسلوها نحو عسكر المسلمين ، فان أخذوها فنعلم أنهم يحبون ففعلوا ذلك وأرسلوها وكانوا في حندس الليل ، وكان في الحرس شرحبيل بن حسنة ، فلما رأى البغلة وما عليها من الزينة ضحك وقال : ان أعداء الله يريدون اختبارنا ومعرفة أحوالنا ان كنا نطلب الدنيا أو الآخرة ، فوالله ما منا من يميل الى ما يفني وانما بغيتنا فيما يبفي ثم قرأ ـ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاتر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا نم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضُوان وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور ــ ثم أمسك بعنان البغلة وأطلقها نحو عسكر القبط. • قال فلما رأوها صلبوا على وجوههم وقال الملك والله بهذا نصروا وخذلنا والله ان أبي كان على بصيرة من أمرهم ، ثم أمر البترك سطيس أن يتوجه اليهم فمضى ، فلما قرب منهم رأى أقواما قد هجروا الدنيا ، فمنهم القارىء، ومنهم الذاكر ، لباسهم الصوف ، صغيرهم يوقر كببرهم وكبيرهم يرحم صغيرهم وصوت أحدهم لا يعلو على الآخر ، الذكر كلامهم والقرآن

شعارهم والتقوى لباسهم والخوف من الله أنيسهم ، فلما دخل على عسكرهم سأل عن أميرهم وصاحبهم فدلوه على موضع خالد فقصده ، فلما وصل اليــه وجده في ذكر الدين والقيامة فنزل عن بغلته ووقف أمامه وأومأ اليه بالسجود فمنعه خَالِد . فقال له أنت أملر المؤلاء القوم قال كذا يزعمون اني أميرهم ما دمت على الحق واتباع العدل والإنصاف والخوف من الله محسنا للمحسنين منهم أمشدادا على المسيئين منهم فمتى حدت عن هذه الاشياء فلا امارة لى عليهم • فقال البترك أنتم والله القوم الذين بشر بكم عيسى ابن البتول ، وان الحق معكم لا يفارقكم ، قال فأمره خالد بالجلوس فجلس وقال : يا معساشر العرب أخبروني عن نبيكم ؟ • فقال خالد أن الله اختار من ولد آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر كنانة واختار من كنانة قريشا واختار مـــن قريش بني هاشم واختار من بني هاشم عبد المطلب واختاز من عبد المطلب عبدالله محمدا (ص) وقال « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وقال : لما خلق الله العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله ، فلما وقع آدم في الزلة رأى على ساق العرسُ لا اله الا الله محمد رسول الله • فقال يا رب من هذا ؟ • قال ولدك يا آدم الذي لولاه ما خلقتك قال يا رب فبرحمة هذا الولد اللجم هذا الوالد • فقال يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في أهل السموات والارضين لشفعناك ، ثم ان الله جعل اسمه مقرونا باسمه وذكره مع ذكره ورسمه بما وسم به نفسه • ففال ـ ان الله بالناس لرءوف رحيم ـ ، وقال فيحقه ـ بالمؤمنين رءوف رحيم ــ وقال ــ من يطع الرسول فقد أطاع الله ــ وقــال ــ النبي أولَى بالمؤمنين من أنفسهم _ وقال _ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك _ وان الله عز ً وجل رفع ذكره وعظم فخره وأعز قدره فقال تعالى ــ ورفعنا لــك ذكرك _ وهذا غاية الشرف والتعظيم والتبجيل والتكريم وقال : يا محمد لا أذكر حتى تذكر فمن أحبك فقد أحبني ، ومن سبك فقد سبني ، ومن جحدك فقد جحدني ، ومن أنكر نبو تك فما عرفني وها أنا أشهد على نبو "تك • فقال عز من قائل _ ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم _ ، وقال في موضع آخر _ وكفي بالله شهيدا محمد رسُول الله _ ، قالُ فلما سمع البترك ذلك من خالد فرح وقال لقد نجا من اتبعه وخسر من فارقه ثم جدد اسلامه على يد خالد وحدثهم بأمره من أواله الى آخره ، ثم حذرهم من أخى صاحب برقة وانه وأصل ومعه أربعة آلاف فارس واني قد سبقته في البحر ، وهذا الملك القبطي يريد صلحكم ويقرر لكم على انكم تصالحونـــه أن يعطيكم شيئا من المال ويسلم اليكم قوما من أصحابكم قد أخذوهم من سأحل الرملة • فقال خالد أن أصحابنا قد فك الله أسرهم وجمع بنا شملهم وقد

«Τ» _ Λ\ _

نصرنا الله على القبط الالفين الذين كانوا مع الاسارى فاننا أخذنا ألفا وثلثمائة أسير وقتلنا سبعمائة ، ثم انه عرضهم عليه وعرض الاسلام عليهم فأبى أكثرهم وأسلم بعضهم فأمر خالد بضرب رقابهم بين العسكرين ثم ان البترك عاد الى صاحب اسكندرية وقال له هؤلاء لا نملك غرتهم لائهم حذرون من أعدائه وعرفه بفصة أصحابه وانهم هؤلاء الذين ضربوا رقابهم قبالك فقال له يا أبانا ومن أين هؤلاء فال قد وقعوا بهم وخلصوا أصحابهم وأسروا من أصحابك ألفا ونلثمائة وقتلوا سبعمائة - قال فلما سمع ابن المقوقس ذلك سقط في يده وأيقن باتلاف ملكه ، وقال لأرباب دولنه وعسكره خذوا أهبتكم للقتال وكأنكم بعسكر الملك كيماويل صاحب برقة ، وقد أقبل عليكم ونقائل هؤلاء العرب بقلوب قوية وأسرار نقية ويعطي الله النصر لمن يشاء وباتوا وهم معولون على القتيال ٠

(قال أبن اسحق) ولقد بلغني أن الملك نام بقية ليلته فرأى في منامه كان شخصا أشقر عريض الصدر قد خرج من حمام ومعه شخص آخر مليح الوجه حسن الخلق وسيم قسيم في عينيه دعج وله نور يسطع كأنه قمر فقال ابن المقوقس للاشقر من أنت ؟ قال ابن العذراء البتول أنا المسيح بن مريم، وهذا الذي بسرت به من قبل مبعثه هذا محمد رسول الله العربي الامي من آمن به فقد اهتدى ، ومن جحد نبوته فقد اعتدى ، وقد جئنا لنصرة أصحابه ومقامنا على القبة •

(قال ابن اسحق) ولقد بلغني ان برج القبة مما يلي باب البحر و ذلك ان الاسكندر لما بني الاسكندرية و سماها باسمه كان الخضر وزيره ، وهبو الذي بنى الباب الأخضر وصنع تلك القبة باسمه ورسمه وكان يأوي اليها فصار ذلك الباب مستهرا به الى يومنا هذا • قال ثم ان عيسى عليه السلام قال للملك في نومه ان كنت من أمتي فاتبع شريعة هذا النبي وذهب عنه ، فلما أصبح حدث أرباب دولته بما رأى في نومه فقالوا أيها الملك هذه أضغاث أحلام وما كان عيسى المسيح يماشي العربي وهو عدوه ، وانما الشيطان قد خيل لك ذلك فلا تلتفت اليه قال فأصغى الملك الى كلامهم نم انه أمر عسكره بالقتال فركبوا وصافوا المسلمين • وأما الملك فانه نظر الى برج القبة واذا بالقبة يسطع منها نور فدخل الوهم في قلبه مما رأى في منامه ، وقال والله ما هذا النور الانور المسيح ومحمد وان هذا هو الحق لا شك فيه •

حد ثنا ابن اسحق حدثنا عامر بن بشر عن الاحوص قال : كنت في خيل خالد بن الوليد يوم قتالنا على اسكندرية قال لما وقفنا في ميدان الحرب

وقف يقاتلنا فارس وهو بطريق عظيم الخلقة وعليه لبس يلمع وتحته جواد عربي فنادانا بالعربية بلسان فصيح ، وقال يا عرب انصرفوا عنا فانا لا نريد حربكم وقد ملكتم منا مصر والصعيد وأكثر الريف وقد بقي في أيدينا هنده الجهة وما نحن منازعونكم فيما أخذتموه منا ، ونحن لا نقلدكم في البغسي ونصالحكم صلحا نعود منه عن ظلم أنفسنا ونعدل في رعيتنا وان أبيتم صلحنا لقيناكم بأسرار نقية وقلوب للجهاد قوية فنرد كم على أعقابكم منهزمين ، وفي أذيال الذل متعثرين ، لأنه ما عدا أحد على أهل هذا الدين الا ذل وانهسزم لاننا قوم لنا الكنائس الأربع والصوامع والبيع والقسوس والرهبان والمذابع والقربان والانجيل والصلبان ثم سكت عن كلامه ،

(قال الراوي) وكان هو الملك بن المقوقس فكان أو َّل من بادر الى رد جوابه شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله (ص) فقال له : لقد افتخرت بما يؤدي صاحبه الى البوار ، ويعقبه سوء الدار ، يا ويلكم أفتفتخرون علينا بالشرك والطغيان وعبادة الصلبانوالكفر بالرحمن ،ونحن أولو التقي والايمان، وألفوز والرضوان ، والقبلة والقرآن ، والحج والاحرام ، والصلاة والصيام ، والاجتهاد والاحترام ، ديننا أفضل الاديان ، ونبينــــــا المبعوث بالمعجــزات والبيان ،وبالآيات والبرهان والمنزل عليه القرآن ، ومن اتبعه نال من ربــه الغفران ، ومن جحد صحبته باء بغضب الملك الديان الذي كان ولا مكان ، ولا دهر ولا زمان ، ولا وقت ولا أوان ، شهد لنفسه بالربوبية ولصفاته بالأزلية ولمذاته بالأحدية ، ولملكه بالأبدية سلطانه قاهر وكرمه ظاهر وتدبيره محكم وقضاؤه مبرم وعرشه رفيع وصنعه بديع ، وليس بوالد ولا مولود ولا لذاته حد محدود ولا لبقائه أجل معدود خضعت الأعناق لعظمته وخشعت الاصوات لهيبته وعنت الوجوء لعزته وذلت الاقوياء لقوته لا يحصى نواله ولا يفنــــى كماله ولا تبيد نعمه وافضاله يا ويلكم كيف طاب لكم الكفر بالهيته والاشراك بربوبيته وان تجعلوا له ولدا من خلقه وبريته وتسجدون للصــلبان في دار مملكته ولا تفزعون من عظمته ثم انه قرأ ـ ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ماؤجاها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطيق كل شيء وهو خلقِكم أول مرة واليه ترجعون ـ • ثم قال شرحبيل ان لله عبادا لو أقسموا على الله أن يدكدك لهم هذا السور لفعل ، وكانت اشارته الى ســور المدينة فغار السور في الأرض وبانت المنازل والدور • قال فارتعدت فرائص الملك لما عاين ذلك من عظيم القدرة فلوى عنان جواده الى عسكره وأفندتهم قد طارت وأفكار القبط قد حارت ، فلما جن الليل أخذ الملك خزائنه وأمواله

وحريمه وعياله وركب في المراكب وسار يربد جزيرة أقريطش ، فلما أصبح الصباح وقع الصايح بالمدينة بأن الملك قد انهزم فاجتمع الأكابر وقالبوا: ان الملك قد انهزم وما لنا من يدفع هؤلاء العرب • قال فَخرجوا بأجمعهم الى أصحاب رسبول الله (. ص) ووقفوا بين يدي خالد ، وقالوا ان الله قد نصركم بحق وأيدكم بصدق ، وانا نريد منكم ان تعاملونا بالنصفة وتنظروا الينها بعين الرحمة ، والعدل سنة من كان قبلنا معكم من الروم ، فقال خالد ما فعل ملككم ؟ • قالوا وانهزم بأهله وماله في البحر • فقال قوم قد أسكن الله الرحمة في قلوبنا وبصرنابمعالم ديننا ، وأظهرنا على أعدائنا ، وفضلنا على سائر من كان قبلنا من الأجناس • فقال تعالى _ كنتم خير أمة أخرجـــت للناس ـ ، ونحن نجريكم على أحسن عوائدنا مع سائر من فتحنا بلادهـم ، وقد أمسكنا عنكم ولو أردنا أن نملك البلد بالسيف لهان علينا ، ولكن خير الناس من قدر وعفا ونريد منكممائة ألف مثقال ذهبا صلحا عن أنفس__كم وأهاليكم وندعوكم بعد ذلك الى الاسلام ، فمن أجاب منكم كان له منا لنا وعليه ما علينا ومن عدل عنذلك أخذنا منه الجزية عن السنة الآتية من كل رجل وغلام بلغ الحلم أربع دنانير ونشرط عليكم شروطا أن لا تركبوا دابة ولا تعلمهوا دوركم على دور المسلمين ولا ترفعوا أصوائكم عليهم ولا تبنوا كنيسه ولا صومعة ولا ديرا ولا تجددوا ما دثر وتلقوا المسلمين بالذل والانكسار وتسارعوا في قضاء حوائجهم وما يريدون في اصلاح شأنهم لا تعدلوا عن تعظيم أهلـــه ، ومن أذنب منكم ذنبا حددناه ومن ارتد عن قولنا قتلناه ، وان تشدوا الزنمانير على خصوركم اظهارا لدينكم ، وأن لا تظهروا ناقوسا ولا صليبا ولو آمنته بالله ورسوله لكان خيرا لكم • فقالوا أيها الأمير ما نترك ديننا فقرأ ــ واذا قيل لهم اتبعوا مأأنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنـــا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله. وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثـم نضطرهم الى عذاب غليظ _ فقالوا أيها الأمير نربد أن تولي علينا رجلا منا حتى يجمع المال ألذي تقرر علينا فيلمه بالعدل وليكن معه رجل منكم مــن أصحابكم ، فقال خالد اني لا أعرف أحدا من أجاويدكم فاختاروا لأنفسكم برضاكم من أوليه عليكم فأشاروا الى رجل منهم اسمه شيعا بن شامس ،وكان مقدما في القبط فولاه خالد على جمع المال ورياسة البلد وندب معه قيس بن سعد وأوصاهم ، وقال خذوا من كان واحد ما يحتمل حاله ومن كان معسرا صعيفًا فدعوه ، واحسنوا ان الله يحب المحسنين · ولا تظلموا يتيما ولا فقيرا ولا. أرملة ، فتعجب القبط من حسن وصيته وكلامه فدخل القوم واجتمعوا في دار الامارة وبعث شبعًا غلمانه يجمعون الناس ·

قال حد ثنا جرير بن عاصم عن نعيم بن موسى الداراني عن سليمان بن عوف عن جده مازن بن سعيد • قال وقع القسط على أهل اسكندريـة فكان أكبرهم في الحنسمة وأغزرهم في المال يزن عشرة قراريط وأوسطهم حالا يزن قيراطين ولقد أتى برجل من أغنيائهم اسمه براس لا يدري ما يملك من المال والدبش والغنم وكان أبخل أهل زمانه ، فقال له شبيعا قد وجب عليك في هذا المال دينار ، قال وحق المسيح ما أنا بالذي يؤديه ولو مت وان تصدقت به كان أفضل من عطيتي للعرب • فقال له قيس بن سعد : أن في الذي نأخذه منكم صونا لأنفسكم وحفظا لدمائكم ونحن ما نأخذه على وجه الصدفة منكم بل نأخذه حلالا لا حراما ياويلك لو دخلنا مدينتكم بالسيف ألست كنت أنت أوَّل من قتل ومالك أول ما نهب ، وقال له شبيعا خذلك الله ولعنك كل من في اسكندرية يعلم أنك كنت أولا فقيرا لا تقدر على شبىء من أمور الدنيا وقسد آتاك الله من فضله ووسع عليك رزقه • فقال ألشت ورنته عن آبـــاء كــرام وأجداد عظام وما لله على من فضل • قالَ فغضب قيس وقيام اليه وقمعـــه بمقرعة كانت معه ، وفأل له كذبت يا عدو الله ورسوله الفضل والحمد والمنة لله لأنه رزقنا من فضله وأسبغ علينا من نعمه ـ وان تعــدوا نعمــة الله لا تحصوها _ ثم قال قيس : اللهم انه جحد نعمتك فأزلها عنه • قال فوالله ما مضى يومه حتى جاء الحبر بان أغنامه قد هلكت جميعا وبساتينـــ يبســت سمعته من رسول الله (ص) وأبو هربرة بجانبي · قال « ان نلائة من بنـــى اسرائيل كان أحدهم أبرص ، والآخر أقرع. روالآخر أعمى • فبعث الله اليهم ملكا فأتى الأبرص فقال له أيَّ شيء أحب اليك ؟ • فقال : الجلد الحسين والابل ، فأتمى الأقرع فقال له أي سُمِّء أحب اليك؟ قال الشعر الحسن والغنم، وأتى الثالث ففال له أيَّ شبى أحب اليك ؟ • فقال النظر والبقر • قال تم ان الملك مسمح بيده على جلد الأبرص فعاد أحسن جلدا وأعطاه ناقة عشراء فبارك الله له فيها حتى ضناقت بابله الديار ، وأما الأقرع فأتاه ومسح بيده على رأسه فأنبت الله له شعرًا حسنا وأعطاه نعجة عشراء فتوالدت إلى أن ضاقت بها تلك الديار • ثم أتئ الأعمى ومسلح بيده على عينيه فعادتا أحسن عينين وأعطاه بقرة عشراء فتوالدت الى أن ضاقت بها تلك الديار • قال ثم أتاهم ليمتحنهم ، فأتى الأبراص • فقال له كنت أبرص فقيرا لا تملك شيئا فأعطني مما آتاك

الله من هذه الابل ناقة أتسبب عليها ، فقال له ما كنت فقيرا ولا أبرص وانما ورثت هذا المال من آبائي • قال فذهب الى الأقرع ، وقال له مثل ما قال للأبرص ، فقال مثل ما قال الأبرص ، فذهب الى الثالث ، وقال له مثل ما قال قال لصاحبيه • فأجاب وقال : بسم الله والله لقد صدقت • • فاذهب الى هذا البقر فاقسمها بيني وبينك ، فقال له بارك الله له في مالك وقد رد الله صاحبيك كما كانا فانهما كفرا نعمة الله » •

(قال الراوي) وجمعوا المال ومضوا به الى خالد وبنى فيها المساجـــد وأخذ كنيستهم العظمى فجعلها جامعا وترك لهم أربع كنائس، وكتب الى عمرو بن العاص يعلمه بفتح اسكندرية ففرح وركب وترك موضعه أباذر الغفاري وذهب إلى الاسكندرية وبني فيها جامعا في الربض، وهو معروف بجامع عمرو الى يومنا هذا ٠

ذكر فتح مديئة دمياط وما والاها

(قال الراوي) وأتت اليه أهل رسيد وفو"ة والمحلة ودميرة وسمنود وجرجة ودمنهور وابيار والبحيرة وصالحوه على بلادهم • ثم انه بعث المقداد ومعه أربعون فارسا وهم ضرار وشاكر ونوفل وراجسيح وعاصيم وفارس وعروة وسنهل وعمير وكعب وسنعيد ويزيد وصعصعة وغيرهم وأمرهمم بالمسير الى دمياط وأمَّر عليهم المقداد بن الأسود الكندي فساروا الى البرلس، ودمياط كان بها خال الملك المقوقس ، وكان عسكره اثني عسر ألفا ، وكان قد حصن البلد وجمع فيها من آلة الحصار من الزاد وغيره ، قال فلما أشرف عليه الصحابة ونظر الى قلتهم ضحك وقال : ان قوما ينفذون الينا منهم أربـــعين ليملكوا بلدنا لفي عجز وقلة عقل ، قال وكان ولده الأكبر فارسا مشهورا في جميع بلاد النيل وكان اسنمه هريرا وكان يثق. به وبشجاعته وبراعتـــه وليس في عينيه الفرسان شيئا ، فلما رأى الصحابة وهم أربعون قفز اليهـــم وهو لابس لامة حربه وطلب البراز فخرج اليه ضرار بن الأزور وحمل عليــه فطعنه فقتله وحمل على عسكر دمياط فالجأهم الى حيطان البلد وهو كأنه النار في الحطب فاستعاذ منه الجيش • ثم ان خال الملك وكان اسمه البامرك اجتمع بأرباب دولته وقد صعب عليه قتل ولده وكان عندهم حكيم يثقون به وُبرأيُّه ويعْتمدون على عقله فأحضروه ، وقالوا له أيها الحكيم العالم ما الذي تشير به علينا في أمر هؤلاء العرب ؟ •

فقال : أيها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما استضاء به أحسد الا هداه الى سبيل نجاته وقاده الى معالم مصالحه ، وهؤلاء القوم لا-تذل لهسم

رايةً ولا تلحق لهم غاية قد فتحوا البلاد وأذلوا العباد واشتهر أمرهم ، وعــلا ذكرهم ، وفشا خبرهم ، وعلت كلمتهم ، وطافت الأرض دعوتهم ، فما أحــُد يقدر عليهم ، ولا يصل اليهم ، وما نحن باشد من جيوش السام ولا امنع بلدا وهؤلاء القوم قد أيدوا بالنصر وغلبوا بالقهر وان الرحمة في قلوبهم فعاَّهدهم الدين والصيانة ، والصدق والأمانة ، والرأي عندي ان تصالحهم لتنال بذلك الأمن وحقن الدماء وصون الحريم ودفع الأمر العظيم ونكون قد صالحناهم ودفعناهم بشيىء من مالنا ٠ قال فلما سمع البامرك ذلك من الحكيم أمر بضرب عنقه فلما عرف الحكيم أن المنية قد غسيته قال : اللهم اني برى، مما يشركون بك لا شريك لك ولا ولد ولا صاحبة لك ، وأنا أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله • قال فلما سمع البامرك كلامه ضربه فقتله وأمرهم بأن يأخذوا على أنفسهم للحرب ، فلما كان الغد خرجوا الى ظاهر دمياط ونصبوا خيامهم • قال وكان للحكيم ولد ورث فضائل أبيه ، وكان فيه فطنة وعقــل وتدبير • فلما قتل أبوه أظهر الفرح والدعة للملك البامرك ، وفـــال لقد أراحني الملك منه ومن شره فبلغ اليامرك ما قاله ابن الحكيم فأرسل اليه وخلع عليه وطيب قلبه ، فلما كان الليل قال والله لآخذن " بنار أبي من هذا اللعين ومن أولاده ، وكانت داره ملاصْقة للسور فنقب نقبا واسعا وخرج منه وقصد الصحابة ، فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ • قال ان أبي قد قتل من أجلكم وقد نقيت نقياً وخرجت منه فقوموا على بركة الله وعونه حتى تملكوا المدينة منه ٠ فقال له ضرار يا ويلك ، وان الذي بعثك بهذه الحيلة أراد قتلك أما علمت ان الحذر شعارنا واليقظة دثارنا ، وهم " بقتله • فقال له اللفداد : أمهل يا ضرار وفقك الله الى الخير ووقاك الألم والضمير • ثم قال المقداد اني رأيت رسول الله (ص) في المنام وهو يشير الى شخص بين يديسه و كانمسا يقول على زي هذا الغلام ، وكأنما أتأمــــل الى هذا الغـــــلام فرأيتـــه على ما هو عليـــه الآن وكان على وسله منطقة من الأديـم وفيهــا جلق فضــة وهـي تحت أنوابه ٠ ثم ان المقــداد ٠ قال يا غــلام اكشف عــن أثوابك فكشيف عن أثوابه واذا المنطقة بعينها ، فقال أشهد ان لا اله الا الله وأسهد أن محمدا رسول الله (ص) ، فقام المسلمون فصافحوه ومضى الغلام أمامهم الى أن دخل بهم النقب ووسعوه بأيديهم حتى دخلت خيولهم • ثم ردوا الحجارة والطين والبناء على حاله وأعمى الله أبصار القوم عنهم ، فلما كان الغد نظر أعداء الله فلم يروا للصحابة أثرا ولا خبرا فضجوا بكلمة كفرهم وماجوا وقالوا

لهربت العرب ووقع الصائح في العسكر فظهر أهل البلد ليقفوا على صحة الخبر ولم يبق في البلد سوى النساء والاطفال • قال ابن اسحق وكان للحكيم بنو عم نمانون رجلا وان ولده طاف عليهم بالليل وأعلمهم بما فعل فأقبلوا معه وأسلموا عنآخرهم ، فلما كان الغد وخرجكل من في البلد بادر بنو عمالحكيم واخوته الى ألابواب فأغلفوها وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البنسير النذير فوقعت الخمدة على النساء والصبيان واستونسق القوم من المدينسة بالثمانين رجلا فأمسكوهم الابواب وخرج الصحابة (رضي) ورفعوا أصواتهم يكبرون ويدعون الله عز وجل ، فلما نظر لهم أهل البلد علموا أنهم قد ملكوها وأن الذي فعل ذلك بنو عم الدير جان الحكيم وقد أغلقوا الابواب وقفلوهـــا وملكوا السور ، فوقف الملك ينظر الى ما فعله الصحابة وعلم أن المدينة أخذت منهم وكان في أولاده ولد عاقل لبيب كامل الذات والصفات وافر العقل وكان منذ نشأ يتبع العلماء ويجالسهم ويطلب العلم ومنذ ملك عقله ما أكل لحم خنزير ولا كنسف ذيله على محرم ولا سنجد لصورة ولا لصليب ، وكان هم ال أن يبنى صومعة وبنفرد فيها فلم يمكنه أبوه من فرط محبته له وكان لا يستطيع فراقه وهذا ألغلام اسمه سطا وكان يحب أن يسمع أخبار رسول الله (ص) ويبحث عنها ؛ فلما نظر الى الصمحابة وقد ملكوا منه البلد وشطا عن يمين أبيه نظر. شبطاً إلى الصبحابة وإلى زيهم وإلى نور الايمان وهو سباطع منهم •

قال فشخص شطا نحو السماء ببصره وصاح وسقط عن قربوس فرسه بوجهه وقال فارتاع أبوه وجميع عسكره من تلك الصيحة ، فلما أفاق قال له أبوه يا بني ما وراءك ؟ قال ظهر الله والحق وبان وقد تبينت لي حقيقة الايمان ، وقد نظرت ألى عسكر هؤلاء العرب وعليهم نور عظيم ومعهم رجال عليهم ثياب خضر وهم على خيول شهب وبينهم قبتان معلقتان في الجو بلا علافة من فوقها ولا دعامة من تحتها وفيها رجال ما رأيت أحسن من وجوههم ، ولا شك أنهم الشهداء ورأيت في احدى القبتين حورا لو برزن لاهل الدنيا لماتوا شوقا اليهن ، وان الله تعالى ما كشف عن بصري وأراني ذلك الا وقد أراد لي الخير ، وما كنت بالذي بعد هذه الرؤيا أبقى على الضلال ولا أتبع المحال ، وأنا أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وحرك جواده وقال : من أحبني من رجالي وغلماني فليتبعني وقال فتبعه القوم ألف رجل ولحقوا أحبني من رجالي وغلماني فليتبعني وقال فتبعه من القوم ألف رجل ولحقوا أحبني من رجالي وغلماني فليتبعني وقال فتبعه من القوم ألف رجل ولحقوا أحبني من رجالي وغلماني فليتبعني ولدي شطا ذلك الا وقد رأى الحق ولست أما فعل ولده شطا ولده أرباب دولته ذلك ، قالوا اذا كان الملك وولده قد أسلما فما وقوفنا نحن فاسلموا جميعا على يه قالوا اذا كان الملك وولده قد أسلما فما وقوفنا نحن فاسلموا جميعا على يه قالوا اذا كان الملك وولده قد أسلما فما وقوفنا نحن فاسلموا جميعا على يه

صحاب رسول الله (ص) ودخلوا المدينة ، فمن أسلم تركوه ومن أبى أخرجوه الى بلاد الارياف ، فال وفتح المقداد النفب الذي دخلوا منه وأمر ببنائه بابا فسماه باب اليتيم وهو ابن الحكيم وترك عندهم المقداد رجلا من الصحابة يعلمهم شرائع الاسلام وهو يزيد بن عامر (رضى) ورجع المقداد وأصحابه الى اسكندرية وحدتوا عمرا بما فتح الله عليه من دمياط ففرح بذلك وكتب كتابا الى عمر بن الخطاب (رضى) بفتح مربوط والاسكندرية ودمياط ورشيد وفوة والمحلة ودميرة وسمنود وجرجة ودمنهور وابيار والبحيرة وبعث الكتاب مع عامر بن لؤى ،

ذكر فتح جزيرة تنيس

قال حد تنني زياد عن حميد الطويل عن يونس بن الصامت عن نصر بن مسروق • قال : لما فتحت دمياط وكان من أمرها ما كان • قـــال البامرك لولده : يا بني أن الله قد أنقذنا من نار الجحيم وقد هدانا الى الصراط المستقيم وذلك لسابقة سبقت لنا في القدم ، وهذه تنيس بالقرب منا وهي جزيرة ولا يمكن التوصل اليها الا في المراكب ، والصواب أننا نكاتب صاحبها أبا ثوب وندعوه الى الله والى دين نبيه • فان أجاب والا قصدناه والله ينصرنا • فقال سُطا هذا هو الرأي وأنا أكون الرسول اليه بنفسى • فقال يا بني اعزم على بركة الله وعونه • قال فركب شطا في مركب وأخـذ معه أربعة من غلمانه الخواص ، فلما نظر يزيد بن عامر الى ذلك • قال وأنا أسير معك الى صاحب تنيس • فانه لو سألك عن ديننا ومعالمه لم يكن عندك به علم بأن تكلمه ونحن بحمد الله ما فينا من يتكبر ولا من يتجبر وما طلبتنا الا الآخرة والعمل بما يقربنا الى الله • ثم سار معه يزيد ابن عامر صاحب رسول الله (ص) حتى وصلوا الى جزيرة تنيس وفيها رجال يحفظونها ، فلما نظروا الى شطا وغلمانه وبينهم رجل بدوي • قالوا من أنتم • قال لهم شطا أنا ابن الملك البامرك صاحب دمياط ومعنا هذا الرجل من أصحاب رسول الله (ص) وقد جئناكم رسلا • قال فأرسلوا منهم وأحدا يستأذن لهم فأذن لهم أبو بوب • قال فنزلوا في الزورق واذا به قد أرسل لهم دواباً ليركبوها فامتنع يزيد من الركوب ووافقه شطا على ذلك وساروا كلهم رجالا الى أبي ثوب فاستأذنوا عليه فأذن لهم ، فلما دخلوا قصر أبي ثوب واذا به في حشمه وخدمه وزينته والحجاب والغلمان بين يديه وهو في مرتبه امارته ، وكان قد تكبر وتجبر منذ نزل أصحاب رسول الله (ص) على مصر ومنع المال والخراج أن يؤديه للمقوقس وولده ، وقد اجتمع عنده مال عظیم ، فلما دخل علیه یزید صاحب رسول الله (ص) وشطا وغلمانه

ونظروا الى أبي ثوب وغلمانه ونجبره بدأ يزيد بالسلام ، فقال السلام على من اتبع الهدى ـ انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ـ

(قال الواقدي) حد ثنا ابن سالم عن جرير بن أحمد عن أبيه عبينة عن ابن جرير وكان أعلم الناس بقصة فتوح مصر والمغرب • قال : كان أبو ثوب هذا من أرض العريس من متنصرة العرب من آل غسان ، وهو قريب جبلة وكان صاحب مال ورجال ، وأنه لما وقعت الهزيمة على الروم وفتح الشمام وانهزم الملك هرقل وهرب معه جبلة هرب معهم أبو ثوب هذا بماله وأهلمه واخوته الى أرض الجفار ونزل في البرِّية ما بين العريش ورفح ، وأن المقوقس خرج في بعض الايام يريد الصيد في عسكره فانتهى في سرحته الى أرض العريش ، فانظرد قدامهم وحش كبير فطلبه الملك وتبعه ولم يتبعه أحد من عسكره وهو وراءه وحده الى أن رماه في حلل العرب في حلة أبي ثوب ، فقام اليه وعطمه وبجله وعلم أنه الملك فأمسك ركابه وأنزله في بيته وذبح له الاغنام ووضع له الطعام وتلاحق الجيش • قال فأضافهم أبو ثوب ثلاثة أيام ، فلما كان في اليوم الرابع ، ركب في خدمة الملك وشبيعه وعاد ، فلما دخل المقوقس الى مصر أمر وزيره بأن يكتب الى أبي نوب بولاية تنيس وأعمالها وأرسىل له الخلع والاموال والمماليك والغلمان ، فلما وصل اليه منشور الملك وخلعه فرح أبو نوب وركب وسار الى الفرمة وركب منها في المراكب الى تنيس ، فلما مكث في ولايته بعثالي أهله واخوته فأتوا اليه ، فولى أخاه أباسيف على جزيرة الصدف وولى أخاه الناني أبا شق على جزيرة الطير ، وولى ولده على دنيوز ، فلما طال عليه الامر طغى وتجبر ومرأت الايام والليالي حتى قدم أصحاب رسول الله (ص) الى أرض مصر فمنع دفع الخراج الى مصر والى المقوقس وولده ورأى نفسه في تلك الجزيرة فتحصن بها وقال ما أحد يقدر أن يصل الي ، فلما قدم شطا ويزيد بن عامر ونظر اليهم أبو ثوب أظهر الاعجاب والتكبر ولم يلتفت أليهم ولم يجسر أحد من جماعته أن يأذن لهم بالجلوس ، فلما نظر الى ذلك يزيد بن عامر قرأ - ان الارض لله يورنها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين -وجلس الى جانبه شطا ، ونظر يزيد الى سرير أبي نوب فاذا هو من الذهب وفيه صورة النخلة ومن تحتها صورة مريم والمسيح في حجرها فقرأ _ فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط علميك رطبا جنيا فكلي واشربي وفرتي عينا فاما تربن من البشر أحد فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسيا الى قوله اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة وآلزكاة ما دمت حيا وبراث بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام عليٌّ يوم ولدت ويوم أموت

زيوم أبعث حياً ـ · قال فلما سمع أبو نُوب كلام يزيد ، التفت اليه بغضب وحنق وقال : ما هذا الكلام الذي نطقت به ؟ قال يزيد هذا كلام الله جل جلاله الذي أنزله على نبيه محمد (ص) الذي لا تفني عجائبه ، ولا تنفد غرائبه ، ولا تبدل كلماته ، ولا تمل آياته • فقال ما معني الذي ذكرت ونطقت به ، وما تفسيره ؟ فقال يزيد : أما قول الله اخبارا عن عيسى حين قال : انبي عبد الله فانه يعلم الخلق أنه عبد الله وليس بولد ، جلَّ الواحد الأحد الفرد الصمهد ٠ وأما قوله آتاني الكتاب فمعناه أعلمكم الاحكام وأعرُّفكم الحلال والبحرام ، وأما قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة فمعناه اني مأمور بالطاعة والخدمة والزكاة مثلكم فان في مالي حقا لله ، وأما قوله : والسلام على يوم ولدت ويوم أموت فيعلمهم أنه يموت ، ومن يموت لا يكون له العزة والجبروت ، وأما قوله ويوم أبعث حياً ، فيعلمهم أنه واياهم مبعونون في يوم القيامة وقوف يوم الحشر والندامة ، ولو كانا الهين لكان لهما ارادتان ووقع الخلف بينهما ، وان الحكمة غير ذلك ، وهي على وحدانيته شاهدة • قال فلما سمع أبو ثوب من يزيد بن عامر هذا المقال ، قال : لقد مثلتم بالاباطيل وغرقتم في بحر الاضاليل • فقال يزيد الله أعلم من هو تائه في تيه المحال مشرك بالملك المتعال ، الذي لا سماء تظله ولا أرض تقله ، ولا ليل يؤويه ولا نهار يأتيه ، ولا ضياء يظهره ولا ظلام يستره ، ولا يقهره سلطان ، ولا يغيره زمان ، كل يوم هو فيي شان ، أما لكم بصائر أما منكم من ينظر ويعتبر في قدرة الله القادر ؟ اما منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار واقبال الليل ؟ اما آن لكم أن تنزهوه ؟ أما آن لكم أن توحدوه ، أما سمعتم ممن تعبدونه ، وتبرءون اليه وتعظمونه ؟ فان المسيح قد أقر" له بالعبودية وتبرأ من دعوى الربوبية ، وقال اني عبد الله ، ولفد بشر بنبينا قبل مبعثه وعرُّف بني اسرائيل بقربه من الحق وكرامته ، أما سمعتم بمعجزاته ، وما ظهر من دلالاته أما انشيق له القمر ؟ أما كلمه الضب والحجر ؟ أما خاطبه البعير والشجر ؟ أما هو من أطيب بيت من مصر ؟ قال فعجز أبو ثوب عن رد الجواب ، ولم يكن له ما يزيل حجته الا أن قال ليزيد بن عامر : لقد علمنا ما فعل ، ولكنه كان ساحرا ، وإن كان قولك هذا حقاً ، فأدع الله وتوسل اليه بمحمد أن يستقينا الغيث ، فإن جاء الغيث علمنا أن قولك ليس فيه شك ، ونؤمن بالله ونصد ًق برسالة محمد (ص) • قال يزيد بن عامر : ان الله يقدر على ما ذكرت ، فأن الله على كل شيء قدير ، أن العبد المخلص أذا دعــاه أجاب دعوته ، ولكنه يفعل ما يشاء ، وأنا أتوسل الى الله بخير خلقه وصفيه وهو الفعال لما يريد ، ثم ان يزيد قام وخرج من مجلس أبي ثوب • فقال له الى أين ؟ • قال : أدعو الذي لو شاء أنزل عليكم رجزا من السماء ، ثم قرأ - بل

اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم مسن ناصرين _

قال حدَّننا عاصم عن رويم عن ابن جبير قال : انما طلب أبو نوب الغيث واقتصر عليه لانه كانت له مزرعة بالبعد من النيل ، ولا يقدر أن يسقيها ولا يصل اليها ماء ، وكانت قد أسرفت على الهلاك واليبس ، وكانت منه ببال ، وكان قد غرس فيها من جميع النمار والاشجار وصنع لها مصطنع تمتليء بماء المطر فيسقيها وقت الحاجة اليها ، وكان المطر قد أمسك عنها والمصانع نشفت ، فلما خرج يزيد الى البحر توضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع رأسه نحو السماء وقال : اللهم انك قد أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة ، فقلت وأنت أصدق القائلين _ واذا سألك عبادي عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان _ وقد دعوت كما أمرت ، فاستجب كما وعدت يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه غيرك • قال ابن جبير : لقد بلغني ممن أتق به أن يزيد بن عامر ما برح يدعو حتى ارتفع السحاب من الجو ووقف وقفة الخاضع ، ورفع جناح السائل المتواضع وارتفعت سحاية وتألفت ، والرعد يصول حولها صولــــة الغاضب ، وهو لها بصوت البرق يزجر بصلصلة وقعقعة وهرير وهو على ذلك سيره ومسيره ، وقد أحاطت بالسحابة ملائكة الرحمة متمنطقة بنطاق الخدمة يسبوقونها من خزائن رحمته ، ويجذبونها بأزمة القهر الى ملك أبديته وهو واضع أجنحة عبوديته ، موسوم بوسم _ يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته _ ، والركام يسري ويسرع اسراع الوجل يسبح من بسجد لجلاله ـ فترى الودق يخرج من خلاله _ فاذا هي أشرفت وتكاملت بالماء ووسقت ، والبروق مــن أركانها قد انسقت ، وهبت عليها رياح قدرته من مواضع خزائن رحمته ـ وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحمته ــ فعندها تفتح مغاليق أبوابها وترفع ستر حجابها فهمت بدموع أشجانها على أيدى خزانها ، فتستبشر الارض عند ورودها وتنتظم عقود الزهر عند ورودها في جيد وجودها ، وتخرج كنـــوز ذخائرها _ فانظر آلى آنار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها _ • قال ونزل المطر يسكب بقية يومهم وليلتهم ، فلما كان من الغد حضر يزيد بن عامر مجلس أبي ثوب وقال له : كيف رأيت صنع الله الصانع المتكفل بأرزاق العبيد ٠ قال فضحك أبو نوب ، وقال ان سحركم لعظيم وان مكركم لجسيم وان سحركم يفعل أكثر من هذا • فقال انما ذلك رحمة من الله ، قد أبر من أقسم باسمه عليه ، فلما رأى نزول المطر وظهرت بركات صاحب رسول الله (ص) قال على سببيل المكر : الآن تحققت أن دينكم الحق وقولكم الصدق وأنا مؤمن بالله ، ومصدتق برسالة رسول الله (ص) وسوف أعرض دين الاسلام على أهل جزيرتي

وأصحابي وأهلي ، وأبني المساجد وآمر بالمعروف وأنهي عن المنكر ، فقال يزيد ان أنت فعلت ذلك رسدت ، وان نافعت فان ربك لبالمرصاد ، تم خرج من عنده هو ومن كان معه سطا وغلمانه ومضوا الى دمياط الى البامرك وحد ومن كان معه سطا وغلمانه ومضوا الى دمياط الى البامرك وحد ومن كان من أبي توب ، فقال والله لفد خدعكم بخديعته ورماكم بسهم مكيدته ، فقال يزيد بن عامر ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وهو قادم عليهم ، فلما حتى وصل الخبر أن أبا نوب جمع من سائر الجزائر وهو قادم عليهم ، فلما سمع البامرك بذلك قال ليزيد بن عامر : ما الذي ترى من الرأى في أمر هذا العدو و ، فقال يزيد نستعين بالله ونتوكل على الله ، ومن قاتلنا قاتلناه ،

(قال بن اسمحق) وان البامرك أرسل ولده شطا الى البرلس ودميرة وطناح ومن تحت يده يطلبهم فجاءوا من كل جهة ، وكتب بزبد الى عمرو بن العاص يعلمه أن أبا ثوب قد جمع الجموع ، فلما وصل اليه الكتاب أرسل اليهم هلال بن أوس بن صفوان بن ربيعة أحد بني لؤى ومعه ألف فارس وأمره بالمسير الى دمياط ، وذلك في العشر الاول من سُعبان سنة عشرين من الهجرة ، وكان لعمر بن الخطاب في الخلافة أربع سنين ونصف • أما ما كان من أبي ثوب ، فانه لما نفر اليه العساكر أخرجهم بظاهر تنيس ، فكانوا عشرين ألفا من الرحال ، ومن الخيل خمسمائة فارس من القبط ومتنصرة العرب وعدًاهم في المراكب, وأتوا نحو دمياط فخرج سطا بن البامرك فقتل رجالا وجندل أبطالا ، وانه اشترى الجنة من الله بنفسه ، ولم يزل يقاتلهم بقية يومه ، نسم انه عاد من قتال اللئام الى الصلاة والصيام ، ولم بزل على قدم الخوف والوجل وهو منكس الرأس من الخجل من الله تعالى عز وجل ، فلما مضى أكثر الليل وطلع نجم سهيل اضطجع ، فلما كان وقت الغلس وقرب الصبـــح وتنفس اسمتيقظ شطا وهو باكي العين • فقال له أبوه : يا بني ما الذي أبكاك ؟ فقال رأيت شيئا في منامي أبصرته وسمعت منه كلاما وعاينته وحفظته وحررنه ، والدنيا هي طالق واني بعون ربي واتق ، ولا شك أني لك مفارق • فقال أبوء أعوذ بالله يا بني ما هذا الكلام ؟ ولعل ذلك أضغاث أحلام •

فقال: لا والله ما هي أضغان أحلام لكنه أمر من الملك العلام الذي أجرى الاقلام وخلق الضياء والظلام وبعن سيد الانام بشرائع ألاسلام ، واني رأيت في منامي كأن أبواب السماء قد فتحت ، وأنوار الهدآية قد سطعت ولمعت ، ثم تفتحت أبواب السماء الثانية ، ثم رأيت ملائكتها سجودا على جباههم لا يقومون وركعا لا ينتصبون وقياما من هيبة ربهم لا يقعدون وباكين لا تجف لهم دموع، ثم كذلك رأيت سماء بعد سماء الى السماء السابعة ، ثم رأيت قبة من زمرد أخضر وفيها قناديل من الجوهر وهي تسرج من الانوار وتوقد من غير نار وفيها

أربعون حوراء عليهن حلل ما رأيت قط مثلها ولا أبصرت شكلها بوجوه تفتن الانس وفي أرجلهن نعال الياقوت الاحمر يطأن بها على النمارق والزرابي ، فصاحت بي احداهن وهي كبيرتهن ، وقالت : يا مفتونا بدار الدنيا أما آن لك أن تذكرنا فقد خلقنا الله لك منذ خلقك ، وجعل مهرنا منك الجهاد في مرضاة رب العباد ، وقد ألفت الجفاء ، وما هكذا صنع أهل الوفاء ، انظر الى ما أعد لك وللشهداء ، قال فنظرت واذا بقباب معلقة حيث لا يدرك لها نهاية بعدد النجوم وقطرات الخيوم ، وقد نفد الميقات ، وانقضت الساعات والاوقات ، فتيقظ في المنام وارحل الى دار السلام ، وقالت : في كل قبة مثل ما رأيت ، فقلت : ما هذه القباب ؟ • فقالت : هذه قباب قو "ام الليل والشهداء يأوون اليها في جنة المأوى ، ثم أنها جعلت تقول :

انست يا مفتون دوما في الدنا نم النسام فدع النسوم وبادر مثل فعل المستهسام وابك بالوجد دوامسا بدموع وانسجسام ثم نع يساذا كثيرا فسي نهساد وظسلام ايها اللائم دعنسي لست اصغبي للملام في عروس قد تبدت فاقت البدر التمسام طرفها يرشق باللحس على مصيبا كالسهسام ولهسا صدغ منير مثل نسون تحت لام احسن الاتراب قدا في اعتدال وقسوام مهرها ان قام ليسلا وهو باك في الظلام يا عهسادي ورجائي ومنسائي والمسرام فاستمع مني قولي ثم فكر في النظسام وغدا بسادر لحرب وال ضعرب السهام مسرعا تاتي الينسا بعد ترحسال الظلام

فقال أبوه: اعلم ياولدي أن من المنام ما بصدق وما يكذب فلا تشخل نفسك بما رأيت و فقال لا والله يا أباه ما بقي لي في الدنيا طمع ولم يزل باقي ليلته ببكي ويتضر ع ويقوم على أقدام الخشوع ويخضع وأجفانه بالدوام تدمع الى أن أصبح الصباح وأشرق بحبيائه ولاح فودع شطا أباه وأهله وخرج الى الحرب فتعلق به أبوه وقال له: يا بني بحقي عليك لا تبلني بفراقك و فقال شطا دع عنك العتاب ، فقد قرب لقاء الأحباب ، فعندها قامت على أبيسه المواسم وانهل الدمع الساجم ودنا الفراق وقامت الاشواق وجرى دمع كل عين وأقبل البامرك يودع ولده ويقول يا بني ان صبح منامك وضربت في دار السلام خيامك فاذكرنا بحسن طريقة الوفا وأقرىء سملامي على النبسي المصطفى ،فبرز شطا الى الحربودعا للبراز فخرج اليه واحد فقتله وثان وثالث حتى قتل اثنى عشر فارسا و

(قال ابن اسحق) فلما رأى أبو ثوب ما فعل شطا بفرسانه لم يطبق الصبر دون أن خرج اليه بنفيه وكان من الفرسان المذكورة ، فلما سبار شطا في الميدان قال له يا شطا كيف تركت الدين المستقيم وعدلت عنه وصبغيت الى

هؤلاء اللمّام واتبعت دين الاسلام ، لقد عمل فيك القوم واستوجبت العتب واللوم يا فتى عد الى الدين الصحيح والقول الرجيح وهو دين المسميح فأي شيء رأيت من هؤلاء المساكين حتى تبعت دينهم ، فلما سمع سُطا كـــلام أبي ثوب أقبل عليه مغضبا وقال له يا لئيم أتأمرني أن أدع الدين المستقيم الذي كان عليه الخليل والكليم ، وأني لي بذلك وفد رأيت الليلة مالي من الكرامة عند الله ، وقد طلقت الدنيا ثلاثًا ، فلما سمع أبو نُوب كلامه حمل عليه ومذَّ سنانه اليه فتلقاه بقلب قوى وجنان جرى وعزم مضي وحسام سري وتقاتلا نصف نهار فعطش شطا فأراد الله أن يطيب قلبه فكشف عن بصــره فرأى القبة التي رآها في المنام والحوراء التي أنشدته الأبيات وفي يدها كأس مــن شربها لا يفني ولا يسقم وفيه من الرحيق المختوم ، وهي تقول يا شطأ هــــذا شراب من شرب منه لا يسقم ولا بفيق والساعة تصل الينا وتقدم علينـــا ٠ قال فلما نظر شطا الى ذلك وسمع منها ما قالت صاح الله أكبر ــ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون _ وأخذه الدمع والبكاء خوَّفًا من الله • فقـــال له أبو ثوب مم بكاؤك ؟ • قال : رأيت كذا وكذا فضحك أبو نوب من كلامه وحمل عليه فتقاتلا قتالا شديدا أعظم من الأول الا أن أبا ثوب سبق شطا بطعنة في ضدره فأطلع السنان من ظهره فخر " صريعا ، فلما نظر البامرك الى ولــــده مطروحاً لم يأخذه صبر دون أن حمل عليه هو وأصحابه • قال وأظلمت آفاق تلك الأرض من الغبار وترادف القتار فوقعت الهزيمة على البامرك وأصحابـــه فالجأهم الى أبواب دمياط وطمع فيهم عدو ً الله أبو ثوب واذ قد أتاهم هــلال بن أوس بن صفوان بن ربيعة فوضعوا أيديهم في أبي ثوب وأصحابه وهـم ينادون بالتهليل والنكبير وتحامى أصحاب البامرك وحملوا من قبلهم • قال : وأما ابو ثوب وأصحابه فانهم أيسوا من أنفسهم قال فهم في ذلك اذ التقي يزيد بن عامر بأبيي ثوب • فقال له يا عدو" الله أما اتعظت بآيات الله أما ظهر لــك الحق من أصحاب رسول الله (ص) ؟ وأطبق عليه فأخذه أسيرا وصــــاح الصائح أن أبا ثوب أسر فاستسلم قومه للقضاء فأخذوهم عن آخرهم بعد ما قتل منهم خلق كنير ، ثم انهم عزوا البامرك في ولده سطا . فقال احتسبتـــه عند الله ب فقال له يزيد بن عامر أن في الجنة درجات لاينالها الا الصابرون قال الله تعالى ــ وبشر الصابربن الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ــ • (قال ابن اسحق) ودفنوا شطا في ثيابه بعد ما صلوا عليه ودفنـوه في موضع قتله • قال فلما كان الغد أقبل البامرك الى يزيد بن عامر ، وقال رأيت الليلة ولدي في النوم وهو في القبة والحور بين يديه • فقلت : مـــا

فعل الله بك قال قبلني بأحسن فبول وجاد على وأ نزلني بجوار الرسول ٠

حد "ثنا ابن اسمحق حدثنا عمر بن الأسقع عن جده عامر بن خويلد قال قتل شطا في ليلة نصف شعبان فجعل له تلك الليلة موسما في كل سينة ، وذلك انه لما يبق أحد الا زار قبره تلك الليلة .وان هلال بن أوس نزل وأحضر أبا ثوب وعرض عليه الاسملام فأسلم وأسلم من الاسرى أناس وأبي منهم أناس ويقوا على دينهم وقرروا عليهم الجزية ودخل المسلمون في المراكب الى تنيس وبنوا موضع الكنيسة جامعا وبنوا في جميع الجزائر جوامع ، وأخـــرج أبو ثوب الخمس من ماله وأموال قومه وبعثوه الى عمرو بن العاص مع أموال من قتل وان هلال بن أوس نزل على التل الأحمر بظاهر تنيس وأقر أهــــــل الجزائر في أماكنهم • فقالوا أيها الامير قد أمنتنا من جانبك وبقي علينا . الخوف من جانب آخر . قال هادل من أبن ؟ قالوا من أصــحاب القلعــة المسماة الفرماء • قال : وأين هي : قالوا : على جانب بحيرة تنيس مما يلي شرقها وفيهم أقوام وعليهم الصامت ابن مرة من آل مرداس ، فلما سمع هلال بن أوس ذلك مضى اليها بجميع من معه ، فلما وصلوا اليها أشرف عليهـم الصامت بن مر"ة وأمر أصحابه أن يرموهم وكان بها ألف رجل وغالبهم رماة النبل فرموا عن قوس واحد ألف سهم فسمعتها العرب من الفرماء فأقهام عليها هلال بن أوس عشرين يوما فلم يقدر عليها فبعث الى عمرو يعلمه بمسا وقع ويستنجده فأرسل اليه المقداد ابن الأسود الكندي في خمسمائة مـــن عسكر الاسلام وأرسل معه ثلاثة آلاف ممن أسلم من القبط .

ذكر فتوح الفرماء والبقارة والقصر المشيد

قال فلما نزل المقداد على الفرماء تأهب أهلها للقتال فنزل بالصامت بن مرة ما نزل به فعلم أنه بيد القوم ، لأنه ليس له ناصر ولا معين فصالح المقداد على أن يؤدي لهم أربعة آلاف مثقال من الذهب وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم وأن يمهلوه الى تمام السنة فان شاء دان الى الاسلام والا ارتحل بأمانه ، فأجابه المقداد الى ذلك وارتحل المقداد وهلال بن أوس ونزلوا على البقارة وكان عليها بن الأشرف فأسلم هو ومن معه ومضوا الى القصر المشيد ففتحوه صلحا ثم ارتحلوا ونزلوا على الوردة وكان اسمها الواردة فسلمها أهلها وارتحلوا الى العريش فصالحهم أهلها وكذلك أهل رفح وبيدا ومياس ونخلة وعسقلان ٠

(قال ابن اسحق) حد ثني يوسف بن عبد الأعلى قراءة عليه بجامع الرملة سبنة ما تتين وعشرين من الهجرة · قال حدثني موسى بن عامر عن

رفاعة عن جده عبد العزيز بن سالم عن أبي يعلي العبدي عن طاهر المطوعي عن أبي طالب الفشاري عن وهبان بن بشر بن هزان قال سمعت الشرح كله من محمد بن عمر الواقدي وهاو إبومئذ قاضي بغداد في الجانب الغربي .

ذكر فتوح ديار بكر وأرض ربيعة

حدَّثنا عدنان بن يحيي الخرني عن معمر الجوني ومن طريق آخر عـــن ابن عمير التميمي والابتداء عن المهلب وطلحة ومحمد قالوا جميعا أو من قال منهم أنه لما فتح الله الشام على يد أبي عبيدة عامر بن الجراح وعلى يد خالد بن الوليد وفتح أرض مصر على يد عمرو بن العاص بن وائل السهمي كتــب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة يقول له: بسمام الله الرحمان الرحيم • من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عامر بن الجراح سلام عليك فأني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأصلتي على نبيه محمد (ض) ٠ أما بعد : فقد أجهدت نفسك في قتل الكفار وسارعت الى رضا الجبار ، وقدمت لـك ما تجده يوم عرضك ولم نر منك يوما معرضا عن أداء فرضك وقمت بسنة نبيك وجاهدت في الله حق جهاده تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك ، فاذا قرأت كتابي هذا فاعقد عقدا لعياض بن غنم الأشعري وجهز معه جيشب الى أرض ربيعة وديار بكر واني أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يفتحها على يدبه وأوصيه بتقوى الله والجهاد والاجتهاد في طاعته ولا للحقه التوانسي في الجهاد وينبع سنن المؤمنين المجاهدين وما أمر به سيد المرسلين مسأ أنزل عليه رب العالمين يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته • ثم كتب كتابا آخر الى عياض بن غنم بالولاية والمسير الى أرض ربيعة الفرس وديار 'بكر ٠ قال وبعث بالكتاب مع ساعدة بن قيس المرادي وزورده من بيت مال المسلمين وأمره بالمسير فسار الى أن ورد على أبي عبيدة في طبرية فسلم اليه كتاب عمر وسلما الكتاب الثاني الى عياض بن غنم الأشعري ، فلما قرأه أبو عبيدة قال السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين وهيأ عياضا بمسيره الى الجهاد وعقد له عقدا على ثمانية آلاف منهم ألف صحابي من جملتهم خالد بن الوليد والنعمان بن المنذر وصرار بن الأزور بن سابق وضمرة وعمرو بن ربيعة وذو الاداغير بن فيس والحكم نه: هشمام اليسم بن خلف وطلحة وعامر بن بهرام والمقداد بن الاسود وعمار بن باضر وعمد الله من يوقنا وكانوااقد قدموا على أبى عبيدة بعد فتوح مصر وكان قدومهم في سبهر سنه"ال سننه ست وعشرين من الهجرة وسيار عياض بن غنم من طبرية في نمانيه الاف يريد الجزيرة وعلى مقدمته خيل

4√ν _ **4√** _

سهل ابن عدي فلم يزل سائرا حتى نزل على بالس وكان خاله قد فتحها صلحا فأقام عليها وسرح سهيل ابن عدي الى الرقة فنزل على حصارها وكان استعد للحرب وعبى آلة الحصار ، فلما رأى أهل الرقة أن صاحبهم معول ا على الحصار اجتمع بعضهم ببعض وقالوا: أي شيء أنتم بين أهل الشام وأهل العراق ولا مقام لكم بين يدي هؤلاء القوم قال فمشوا الى عياض بن غنم بالصلح فرأى أن يقبل منهم فبعث الى سهيل بن عدي أن يصالحهم على ما وقع عليه الاتفاق وارتحل عياض بن غنم عن بالس ونزل على الرقة البيضاء ، وفى ذلك قال سهيل بن عدى :

> وصادفنا الغزاة غداة سرنيا أخذنا الرقية البيضياء لما وأزعجت الجزيرة بعد خفض قصدك يا سهيل تبيد جيشا فنحن أولو التقيمة والمعمالي صحابة أحمد خير الموالي الى رب السماء دنا علوا

بجود الخيل والاسل الطوال رأتنا الشهب نلعب بالتسلال وقد كانت تخيوف بالزوال سنقصد رأس عين بعد عين أجد بحملتي جيش الضلال وتقتل في البطارق لا تبسالي ونحن الصابرون لكمل حال رقبي العلياء والرتب العوالي وخاطبـــه شفــاها بالمقــال

ذكر فتح القلعتين: زبا وزلوبيا

(قال الواقدي) لما فتحت الرقة صلحا عول عياض بن غنسم على المسير الى رأس العين وكان يملك يومئذ الجزيرة ملك من ملوك الروم يقال شهر ياض بن فرون وكان جيشه مائة ألف وتحت يده وفي عماله من العرب المتنصرة السلطان بن سارية التغلبي وهبيرة وهم ثلاثون ألفا من الأبطال وانهم لما اتصلت بهم الاخبار بفتح الرفة وان المسلمين قاصدون اليهم مسم عياض بن غنم وخالد والمقداد أتو الى الملك شمهر ياض برأس العين وقالوا له اعلم أيها ألملك ان أصحاب محمد (ص) قد أتو ديارنا وقصدوا نحونا، ونحن علينا الطلب أكثر منكم ومطلب القوم أننا ندخل في دينهم فاضمرب خيامك بظاهر البلد واظهر بجيشك حتى نلقاهم فاما لنا ، واما علينا فأجابهم الى ذلك وقال غير أنى أخاف أن تنهزموا عنى فأعطوا رهائن واستوثق منهم ورتب آلة الحصار وأخرج الخزائن والأموال ورتب الحرس على الأسوار ، وزاد في عمق الخندق وعرضه وأرسل الى جملين وكفرتوتا ودارا ومارديهن وحران والرها وتل مرزة والسن والموزر وأقام ينتظر عياض بن غنم ٠

قال حد محمل عبد الله بن أسلم عن عاصم بن عبدالله عن ابن استحق الأموي عن يزيد ابن أبي حبيب عن راشد مولاه قال لما عول عياض ابن غنهم الأشعرى على المسير الى رأس العين الى قتال الملك شهر ياض بعث قبل مسيره أشعث بن عويلم وعبد الله بن غســــان الى القلعتـــين المعروفتينُ بزيا وزلوبيا • فقال عبد الله يوقنا لعياض بن غنم: اعلم أيها الأمير : ان هاتين القلعتين اللتين ذكرتهما حصينتان منيعتان احمداهما من الجهانب الشرقى والاخرى من الجانب الغربي وهما كانتا تحت ولايتي وان صاحبهما كان من قبلي وهو أحد بني عمى واسمه اشفكياص بن مارية كني باسم أمه وكنت قد زوجته ابنتي فأخذت في صداقها الحصن الشرقي من الفرات وقد رأيت أنك تأمرني بالتقدم على هذين الحصنين حتى أحلٌّ في القلعـــة الغربية فان فتحتها كانت الأجرى في قبضتنا • فقال لــه لله درك يا عبد الله لقد نصحت الاسلام وأهله فجزاك الله خيرا أحسن ما جازى به أولياءه ، سر على بركة الله وعونه فاذا استقر عبك المكان ثلاثة أيام أنفذت اليك شميبا وعبد الله ومن معهما من المسلمين ، وبعد الفتح ان شاء الله تنزلون الينـــا • فقال يوقنا استعنا بالله وتوكلنا عليه ، ثم انه أخذ معه من صناديد. بهماعت. مائة ولم يأخذوا معهم ثقلا سوى جنيب من الخيل واحد وسار من أول الليل وترك عياض بن غنم على الباسل فجدوا السير بقية ليلتهم فلما كان قبل الفجر أشرفوا على الخانوقة فوجدوا فيها ألفا من الأرمن وهم بالعدة الكاملة ، فلما أشرف عليهم يوقنا ومن معه وهم يتحدُّثون بلغة الروم أنسوابهـــم وسألوهم عن خبرهم فقالوا هذا البطريق المعظم يوقنا صاحب حلب قد هرب من العرب وأقبل لنصرة صاحب هذه القلعة ، فلما سمعوا. بذلك فرحــوا وصقعوا بين يدى يوقنا وأرسل المقدم عليهم خيالا وأمره بالسرعة ليبشهر اشفكياص بقدوم يوقنا اليه وهروبه من ألعرب وانه يستأذن عليه فمضسى الرجل وأخبر اشفكياص فأطرق الى الأرض ، ثم قال لوذيره وحق المسيم والأنجيل ما جاء الا لينصب علينا ويملك هاتين القلعتين منـــا كما فعــل بطرابلس وصور وما أنا بالذي يأمن ، فما ترى أيها الوزير ؟٠

(قال ابن اسحق) ولقد بلغني ان هذا الوزير كان من أهل القراءة ، وكان أديبا عاقلا لبيبا ممن قرأ الكتب السالفة والأخبار الماضية وقرأ أملاحم دانيال ، وكان منذ بعث النبي (ص) يسكن في دير مترهبا وهو ما بين السر (٣) وحلب فتعبد فيه زمانا طويلا حتى شاع ذكره بين أهل دين النصرانية ، ثم بعد ذلك أخبر الروم بأنه قد وقع بحافر من حوافر حمسار المسيح فكانت الروم ينذرون له النذور والصدقات وشاع خبره وسما ذكره